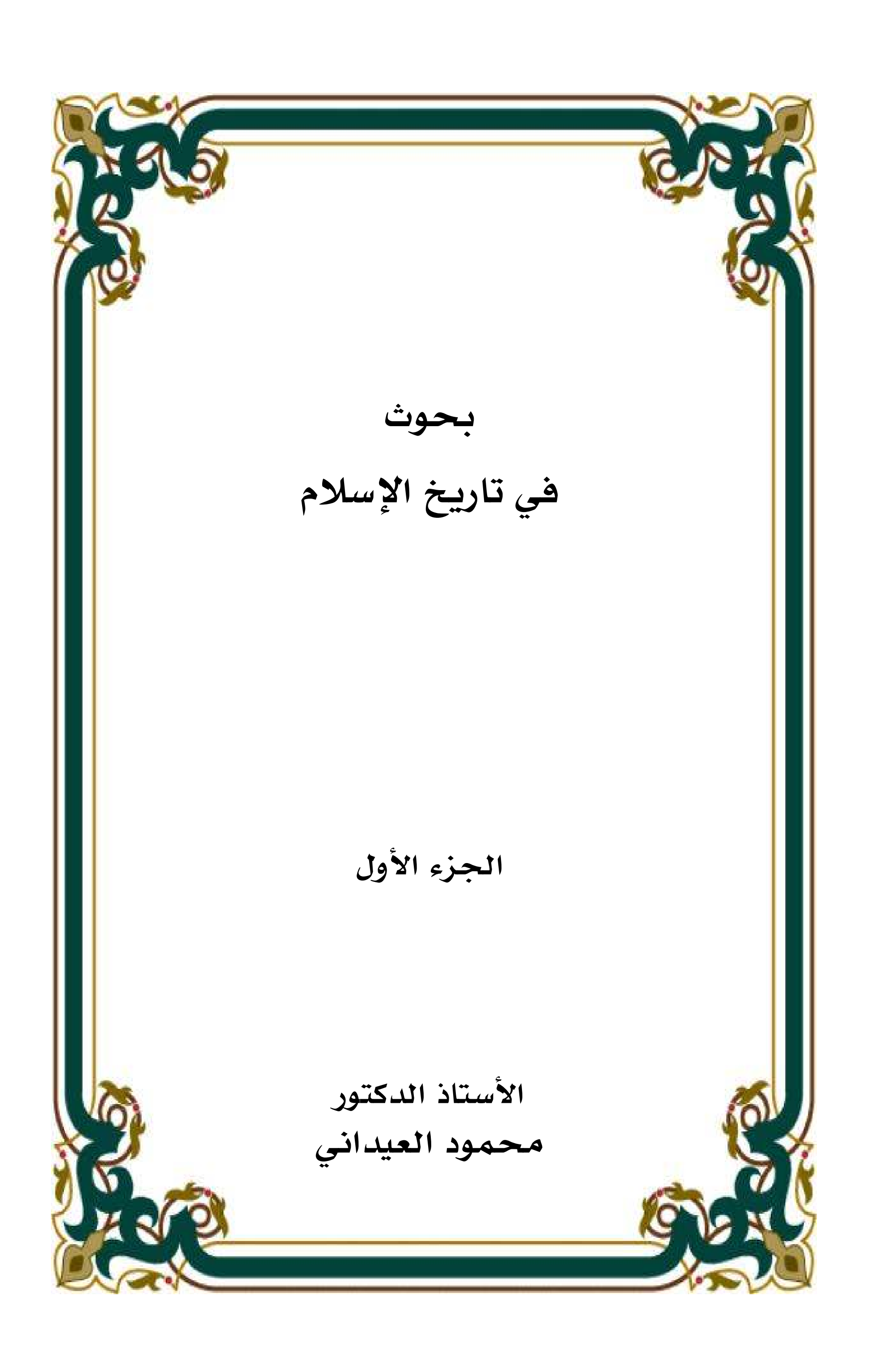


بحوث

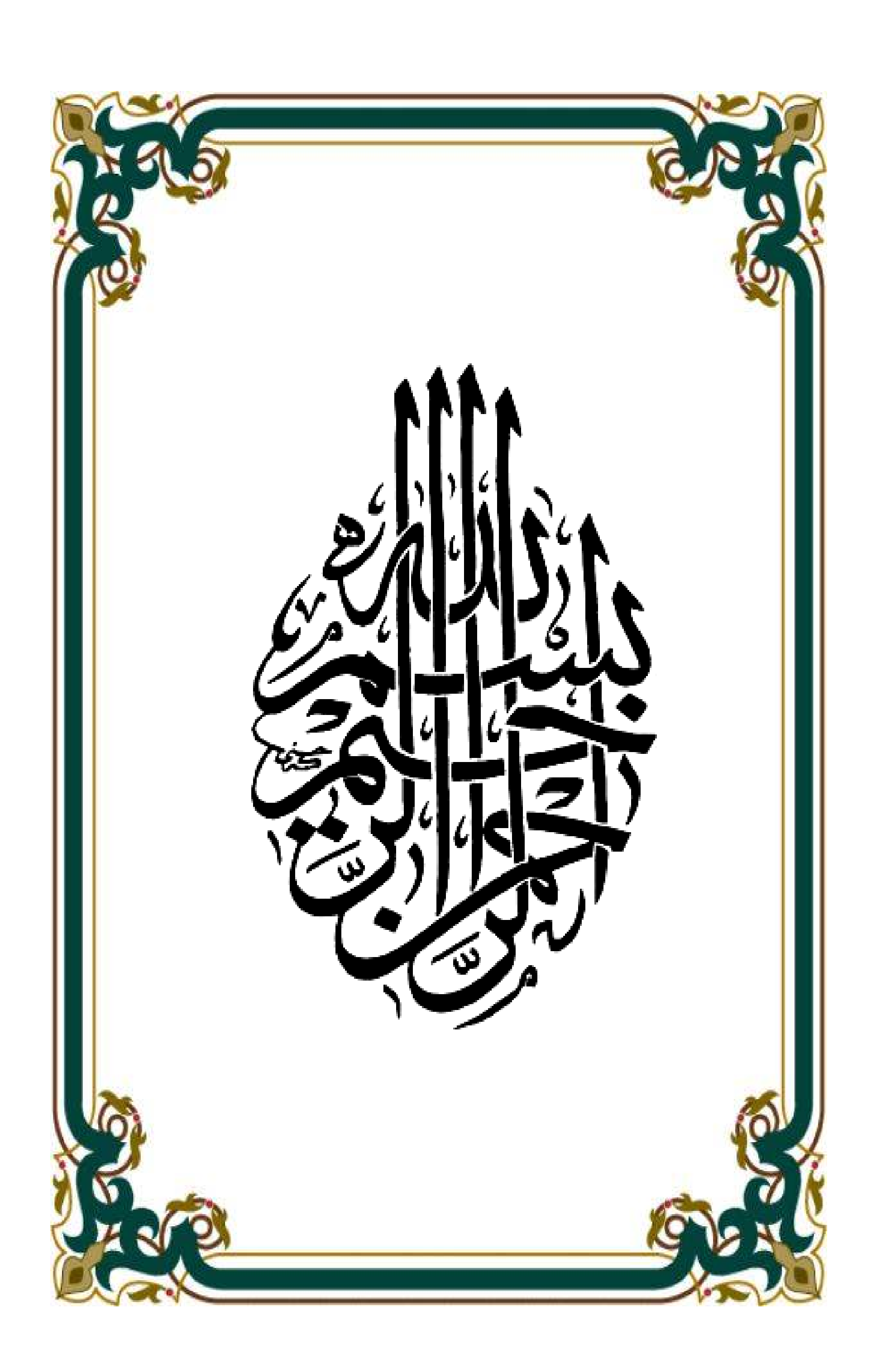
في تاريخ الإسلام

الجزء الأول

الأستاذ الدكتور
محمود العيداني

معلومات الكتاب والطباعة





الإهداء

إلى قمر العشيرة

أبي الفضل العباس

وكفى بذلك فخرا

مقدمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.[1]

يُعدّ (علم التاريخ) من العلوم الإجتماعية المهمّة؛ بوصفِه محاولةً منظّمةً لمعرفة الحوادث الماضية عن طريق ربط كلّ واحدة منها بالأخرى، والكشف عن مختلف تأثيراتها على تشكيل الحضارة الإنسانيّة ومسيرتها، ما يعني ضرورة اتباع منهج بحثيّ خاصّ بهذا العلم يعنى بمسائله؛ باعتبار أنّ المنهج هو الذي يصبغ المعلومة بالعلميّة والفنّيّة، لتصير بضمّها إلى أخواتها (علماً)، ينتج بجملة التفاعلات بين هذه المعلومات تحت شرائط خاصّة دقيقة نتيجة أو قانوناً أو قاعدة عامّة، وهي ما يمكن أنْ نسمّيه: الحقيقة التاريخية.

(الحقيقة التاريخية) هي ضالّة كلّ مؤرّخ متخصّص فنّي منصف؛ إذْ يقوم باسترداد الماضي تبعاً لما تركه من آثار، أيّاً كان نوع هذه الآثار، ليتحقّق من مجرى الأحداث، وليُحلِّل القوى والمشكلات والمعادلات التي صاغت الحاضر.

إلا أنّ المؤرّخ لا يجد ضالّته إلا بتوافر ثلاثة أركان:

الأوّل: أنْ يكونَ متخصّصاً في مجال التاريخ والبحث التاريخيّ، متمرّساً في مراحل هذا البحث الرئيسة الأربعة، من جمع الوثائق المرتبطة بالواقعة التاريخيّة، مروراً بما يسمّى بعمليّة نقد هذه الوثائق، ثمّ ما يُعرف بعمليّة التركيب التاريخيّ، وانتهاء بما يُدعى (عمليّة إنشاء البحث التاريخي)، التي تتألّف بدورها من عمليتي: الصّياغة التاريخيّة، والعرض التاريخيّ، وهي العمليّة المسؤولة عن إخراج الموضوع

---

(١)يوسف: ١١١.

وحدة كاملة متماسكة الأطراف، بنحوٍ يتحسّس الباحثوالقارئ إحياء الماضي وحركيّته.

الثاني: من الواضح: أنّ الباحث مهما كان متخصّصاً متفانياً في عمله، فلنْ يكون لعمله قيمة وعمق وأصالة إلا بمقدار ما يلتزم به من اتّباع منهج علميّ مناسب دقيق؛ فإنّ المنهج هو صمام الأمان الذي يحرص على سير فنّي علميّ رصين في مختلف مراحل البحث التاريخيّ.

الثالث: ومع جميع ما تقدّم منْ تخصّص ومهنيّة، تبقى مسألة ما يلزم أنْ يتوافر في الباحث من صفات شخصيّة يتّصف بها تُمكّنه من قراءة المصادر الأصلية قراءة شاملة وموضوعيّة، يترك بها القراءة الانتقائيّة التجزيئيّة غير المترابطة للوقائع والأحداث؛ إذْ في هذه الحالة فقط يمكنه أنْيتمثّل مادّة هذه المصادر تمثّلاً كاملاً؛ ما يُعدُّ بالنسبة إلى المؤرّخ الطريق الوحيد الصّحيح للوصول إلى هدفه.

وإنّ هناك ـ أيضاً ـ مسألة استقبال البحث من غير تعصّبٍ، ومن غير محاولة استغلال النصوص بأيّة وسيلة كانت في إثبات آراء أو فروض مسبقة.

ولو أردنا أنْ نختصر الأركان الثلاثة المتقدّمة بكلمة، لقلنا: إنّه لا بدّ للمؤرّخ التاريخيّ البارع والمنصف من أنْ يجمع بين روح العالم ومهنيّته وموضوعيّته، وبين روح الفنّان وخلّاقيّته وذاتيّته وإبداعه.

إلا أنّ جميع ما تقدّم لنْ يعني شيئاًمن دون نظرة خاصّة إلى الوقائع التاريخية؛ بحيث يتمكّن من اكتشاف العوامل الأساسيّة التي تتحكّم في سير تلك الوقائع، والعمل على استنباط القوانين العامة الثابتة التي تتطوّر بموجبها الأمم والدول على مرّ القرون والأجيال، وهي ما سمّيناه (الحقيقة التاريخية).

النظرة التي نتكلّم عنها هنا، هي ما شاع تسميته في السنين الأخيرة بفلسفة التاريخ، التي يدَّعى أنّ الفيلسوف الفرنسي (فولتير) كان أول من صاغ مصطلحها

(فلسفة التاريخ) في القرن الثامن عشر من بين الفلاسفة الأوربيّين.

إلا أنّ الحقيقة، هي: أنّ فلسفة التاريخ بتعريفها السّابق علم إسلاميّ ذُكِرت جذورُه قبل (فولتير)، وقبل (ابن خلدون) وغيرهما بتعابير مختلفة متنوّعة في تراثنا الإسلاميّ الثري، من الكتاب العزيز، والسنّة الشريفة، في روايات أهل البيت ﰏ، كما يثبته التتبّع والتحقيق، الذي سترى بعضه في هذا الكتاب، النظرة التي يمكن أن نسمّيها: النظرة القرآنية لوقائع التاريخ، وهي النظرة التي صِيغ كلّ ما ورد في هذا الكتاب على أساسها.

وأمّا هذا الكتاب الذي بين يديك ـ عزيزنا القارئ ـ فهو من جملة الكتب التي حرص مؤلّفها كلّ الحرص على أنْ يتوافر فيه جميع ما تقدّم من شروط وأركان علميّة وشخصيّة، فكان – بحقّ– كتاباً مهنيّاً موضوعيّاً متخصّصاً، بعيداً كلّ البعد عن التحيّز أو النظرة التجزيئيّة، بل كان الهمُّ واحدٌ من أوله إلى آخره، وهو : الحقيقة التاريخيّة.

ما تقدّم، يفسِّر ما حرص المؤلّف عليه في كلّ جزئيّة من جزئيّات الكتاب؛ إذْ التزم تمام الالتزام بما سمّاه: (الرباعيّة الذهبيّة)، وهي: المعلومة الصّحيحة، بالمقدار الصّحيح، في المكان الصّحيح، وأخيراً: بالأسلوب الصّحيح، الرباعيّة التي ترجع في الحقيقة إلى الجهتين الجامعتين اللّتين لا غنى لأيّ بحث علمي رصين منهما، وهما: المعلوماتيّة والشكليّة الفنّية.

الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم نتيجة مطالعات متأنّية موضوعيّة تحليليّة منهجيّة واسعة، اهتمّت بتاريخ الإسلام، منذ البعثة النبويّة الشريفة، وانتهاء بالغيبة الكبرى، بنظرة قرآنيّة، وهو للأستاذ الشيخ الدّكتور (محمود العيدانيّ)–دام توفيقه– الشّخصيّة التي أخذتْ مكانتها العلميّة الرّصينة عَبر ما أنتجته لنا من تحقيقات قيّمَة في مجالاتٍمختلفةٍ، فقهيّةٍ، وأصوليّةٍ، وأخلاقيّةٍ، وتاريخيّةٍ، ومنهجيّةٍ، ونفسيّةٍ،

وغيرها، جادت بها قريحته طول سنين ممتدّة قضاها في البحث والتحقيق والتأليف والتدريس وإقامة الدورات المختلفة.

من هنا، نجد لزاماً علينا في (مركز تراث البصرة)، أنْ نتقدّم بالشّكر الجزيل لهذه الشخصيّة البصريّة المِعطاء، على ما جادتْ به من إسهاماتٍ علميّةٍ فنّيّةٍ راقيةٍ طول هذه السّنين، ونحنُ إذْ نقوم بنشر هذا الكتاب عملاً بوظيفة المركز التي أُقيم على أساسها، وهي نشر ما هو مفيدٌ لأهل العلم والتحصيل، وللإنسانيّة جمعاء، ومنَ الله التوفيق.

البصرة الفيحاء/مركز تراث البصرة

شعبان ١٤٣٧هـ ـ آيار ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.[1]

تمهيد

أولا: التعريف بموضوع الكتاب

الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم نتيجة مطالعات متأنية موضوعية تحليلية منهجية واسعة، إهتمت بتاريخ الإسلام، منذ البعثة النبوية الشريفة، وانتهاء بالغيبة الكبرى.

والتاريخ المشار إليه وإن تعددت الدراسات والقراءات التي أخذته موضوعا لها، إلا أن كل واحدة من تلك الدراسات والقراءات اعتنت بجانب من جوانب ذلك الموضوع، أو نظرت إلى ذلك الموضوع من زاوية خاصة من زواياه، وأما ما سيراه القارئ في هذا العمل، فإنه يختلف من زوايا عدة وما تقدم في تلك الدراسات.

ولربما يأتي على رأس تلك الزوايا النظرة القرآنية التي تعاملت بها هذه الدراسة مع المادة التاريخية، فجاءت تلك المادة معجونة بتلك النظرة، ومعطرة بها، بحيث كان التعامل مع الوثائق والوقائع التاريخية مبنيا كله على أساس تلك النظرة التي سيأتي توضيحها بعد قليل.

ولمّا كان الأساس في التعامل مع المادة التاريخية هو النظرة المتقدمة، كان لا بد من منهج علمي خاص في ذلك التعامل، ما يعني ضرورة أن تكون جميع أنواع التفاعل مع تلك المادة وفق منهج علمي فني صارم، وهو ما سيأتي توضيحه أيضا.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن النظرة المتقدمة حتمت علينا أيضا أخذنا المعصوم ﴿عليه السلام﴾ محورا للتاريخ، والوقائع التاريخية، وهيكل البحث، والتحليل،

---

(١)راجع: الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية. الإسلام يقود الحياة. أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾: تنوع أدوار ووحدة هدف. وكذا مقاله القيم في مجلة الأضواء تحت عنوان: «دور الأئمة في الحياة الإسلامية».

والتوجيه، والنقد، وجميع ما له دخل في استيحاء الوقائع التاريخية واستنطاقها، وتحليلها، ونقدها، وانتهاء بعملية صياغة تلك الوقائع وعرضها، فهذا هو تاريخ الإسلام طبق النظرة القرآنية.

كما حرص هذا العمل على صياغة التاريخ طبق نظرة علمية دراسية حديثة؛ حيث قدمنا المادة العلمية طبق بحوث روعي فيها عنوان مناسب لكل منها، بالإضافة إلى رعاية الكم والكيف، وتقديم تلك البحوث طبق أهداف خاصة معرفية ومهارية ووجدانية ذكرناها بداية كل بحث من تلك البحوث.

هذا علاوة على الشروع في كل بحث من تلك البحوث بمقدمة فنية مختصرة، والانتهاء من كل منها بخلاصة فنية مناسبة، تلاها بعض الأسئلة ذات الصلة بالبحث.

يضاف إلى ما تقدم الحرص على الجانب البحثي للتاريخ؛ حيث تركنا يد الباحث مبسوطة لمزيد البحث والمطالعة والتحقيق والاستنتاج؛ إذ اكتفينا في المادة التاريخية بالخطوط العامة من تاريخ كل واحد من المعصومين (عليهم السلام). كل ذلك بلغة فنية علمية مبسطة بعيدة عن التعقيدات.

وأما بالنسبة إلى المادة التاريخية نفسها، فلها قصة طويلة، خلاصتها: أنني كلفت قبل سنوات من قبل جامعة المصطفى (صلى الله عليه وآله) بتدريس مادة التاريخ الإسلامي لطلبة مرحلة البكالوريوس، وكان المنهج الدراسي هو كتاب (تاريخ الإسلام) بأجزائه الأربعة، الذي ألف من قبل وحدة تأليف الكتب الدراسية في المنظمة العالمية للحوزات والمدارس الدينية في مدينة قم المقدسة، وعلى الرغم من غنى هذا الكتاب من نواحي عديدة، إلا أنه لم يخل أيضا من عديد المشاكل في الوقت نفسه، ما أجبرني على بذل جهود كبيرة في محاولة تصحيح ما لم أجده مناسبا في الكتاب المذكور، وتلافي ما وقع فيه من الأخطاء من الجهات الأربع التي لا غنى لكل بحث فني عنها، مهما كان نوع ذلك البحث ومجاله وتخصصه، ومخاطبه، أعني: المعلومة الصحيحة، بالمقدار الصحيح، في المكان الصحيح، وأخيرا: بالأسلوب

الصحيح، الرباعية التي ترجع في الحقيقة إلى الجهتين الجامعتين: المعلوماتية والشكلية.

الرباعية الذهبية المتقدمة ألزمتنا بمجموعة من الإلتزامات، من قبيل: إضافة الكثير من المعلومات واللمسات الفنية والهيكلية والبحثية التحقيقية، وحذف الكثير من المعلومات الواردة في ذلك الكتاب من جهة، كما ألزمتنا بمراعاة كم المعلومة الصحيحة من جهة أخرى، فلم نختصر بحيث تفوت المعلومة الموثقة، كما لم نطنب بحيث يفوت هيكل البحث وموضوعيته ووحدته وتماسكه.

كما ألزمتنا الرباعية الذهبية المتقدمة بمراعاة نقل المعلومة الصحيحة الموثقة في مكانها الصحيح الملائم؛ فإن المعلومات التاريخية كالعناصر المركبة للدواء والعلاج، لا بد من مراعاة إضافتها إلى التفاعل في الوقت الصحيح، وإلا، إنقلب التركيب إلى سم والعياذ بالله.

وأما الإلزام الأخير للرباعية الذهبية المتقدمة، فهو مراعاة الصياغة الصحيحة للمعلومة الصحيحة، واختيار الأسلوب المناسب للعرض، وهذا ما سيأتيك مزيد بيان له في ما سيأتي.

ثانيا: منهج البحث التاريخي

يصنف «علم التاريخ» ضمن العلوم الإجتماعية؛ باعتباره ـ في الحقيقة ـ محاولة منظمة لمعرفة وتحقيق الحوادث الماضية عن طريق ربط كل واحدة منها بالأخرى، والكشف عن مختلف تأثيراتها على تشكيل الحضارة الإنسانية ومسيرتها، ما يعني ـ بالضرورة ـ عدم إمكان فصل هذا العلم عن منهج يعنى بمسائله، شأنه شأن سائر العلوم، وهذا المنهج هو (المنهج التاريخي)؛ وذلك باعتبار أن البحث أو التقصي العلمي وسيلة موضوعية هدفها الوصول إلى نتيجة أو قانون أو قاعدة عامة في ما يسمى بالحقيقة التاريخية. [١]

فمنهج البحث التاريخي، هو: مجموعة الطرق والتقنيات التي يتبعها الباحث والمؤرخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية. وإعادة بناء صورة الماضي بكل وقائعه

---

(١)راجع للمزيد: ذنون، عبد الوهاب، أصول البحث التاريخي. عثمان، حسن، منهج البحث التاريخي.

وزواياه. وكما كان عليه زمانه ومكانه. ويجمع تفاعلات الحياة فيه. وهذه الطرق قابلة دوما للتطور والتكامل مع تطور مجموع المعرفة الإنسانية وتكاملها ومنهج اكتسابها.[١]

ويسمى منهج البحث التاريخي أيضا «المنهج الإستردادي»، وهو الذي يقوم فيه الباحث التاريخي باسترداد الماضي تبعا لما تركه من آثار، أيا كان نوع هذه الآثار، ويعتمد ـ في الأساس ـ على استرداد ما كان في الماضي ليتحقق من مجرى الأحداث، ولتحليل القوى والمشكلات والمعادلات التي صاغت الحاضر.

ثالثا: مراحل البحث التاريخي

تتحدد أمام المؤرِّخ الموضوعي أربع مراحل رئيسية من مراحل البحث التاريخي الفني، وهي:

المرحلة الأولى: جمع الوثائق المرتبطة بالواقعة التاريخية

إن وسيلة الإجابة عن المشكلة محل البحث (موضوع البحث) بالنسبة إلى الباحث التاريخي هي جمع المصادر، وهي أهم أعمال المؤرخ؛ لأن التاريخ يصنع بالوثائق. وحيث لا وثائق، لا تاريخ.

المرحلة الثانية: نقد الوثائق المرتبطة بالواقعة التاريخية

يطلق على عملية التحليل المفصل للإستدلالات التي تقود من ملاحظة الوثائق إلى معرفة الوقائع اسم النقد. وهي عملية فكرية تراجعية، نقطة الانطلاق فيها الوثيقة، ونقطة الهدف الواقعة التاريخية، وبين النقطتين سلسلة من الإستدلالات، تكون فيها فرص الخطأ عديدة؛ لأن مصادر المعلومات في معظمها مصادر غير مباشرة، تتراوح بين شهادات للأشخاص الذين حضروا الحوادث، أو الذين سمعوا عنها، أو كتبوا عنها، وبين الآثار والسجلات والوثائق التي تركها هؤلاء.

وحيث أن هذه الوثائق معرضة للتلف وللتزوير بسبب قدمها، كما أن كاتبها معرض للنسيان أو التزوير، من الضروري أن نطرح تساؤلات حول مدى موضوعية الوثيقة ومدى تطابق معلوماتها مع معلومات وثائق أخرى.

إن ما ذكرناه من حيث نقد الوثائق، يعود بنا إلى نقد مصادر الخبر من حيث

---

(١)راجع للمزيد: الحويري، محمود، منهج البحث في التاريخ.

معرفة سلامتها أو زيفها. والأسباب التي تدعو إلى التحريف والتشويه والخطأ المتعمد فيها وغير المتعمد كما كان معروفا منذ القدم. ويمكن القول بأن إطاره الأساسي التقليدي يحدد في عمليتين رئيسيتين هما: النقد الخارجي، والنقد الداخلي. وفي كلتا العمليتين على الباحث أن تكون قراءته فاحصة متأنية، تتناول شخصية المؤلف أو الكاتب. كما تتناول الوثيقة شكلا ومضمونا، بحيث تخرج على أسس صحيحة محكمة من التحقيق العلمي.

أ ـ النقد الخارجي: يتناول الباحث في هذه العملية هوية الوثيقة وأصالتها. أي: صدق الوثيقة أو عدمه (إثبات صحة الأصل)، وكذلك تحديد مصدر تلك الوثيقة. زمانها ومكانها. هل هي الأصل، أم منسوخة عنه؟ وأشياء أخرى.

ب ـ النقد الداخلي: ويتناول الباحث في هذه العملية مدى دقة الحقائق التي أوردها صاحب الأصل، وإخلاصه وموضوعيته فيها. ويعنى هذا تحليل شخصية المؤلف، وظروفه، ومدى صحة ما أورد من حوادث. أي: إثبات الحوادث التاريخية. ويرتبط ذلك ارتباطا كبيرا بتقويمها، أي: بمدى فهمها وشرحها. ويتعلق ذلك بشخصية الباحث التاريخي، وخياله المبدع، وثقافته الواسعة، وقوة ملاحظاته ومقدماته الفكرية، وانتماءاته السياسية، إلى غير ذلك من العوامل المختلفة.

وكل هذا يوضح لنا التعقيد الشديد للتحليل أو النقد التاريخي.

المرحلة الثالثة: التركيب التاريخي

أعطانا النقد التاريخي ما نسميه بحقائق تاريخية، إلا أن النقد يعطينا تلك الحقائق بشكل مبعثر متفرق ومجرد. ولا بد لهذه الحقائق أن تنظم، ويتم الربط بينها بفرضية تعلل الحادث، وتبين مجرياته، وتعلل أسبابه، وتحدد نتائجه.

تتضمن عملية التركيب التاريخي عمليات مترابطة متداخلة مع بعضها تكون صورة فكرية واضحة لكل حقيقة من الحقائق المجمعة لدى الباحث. وإليك تعريفا مجملا بتلك العمليات حسب تسلسلها:

١ـ قيام الباحث بتكوين صورة فكرية واضحة لكل حقيقة من الحقائق المتجمعة لديه من جهة، وللهيكل العام لمجموع بحثه من جهة أخرى. أي: يكون صورة عن

واقع الماضي تنشئها مخيلته من منطلق مشابهة الماضي الإنساني للحاضر.

٢ـ تصنيف الحقائق بحسب طبيعتها الداخلية.

٣ـ المحاكمة. أو ما يسمى «ملء الفجوات والثغرات» التي يجدها الباحث في هيكل التصنيف، عن طريق الإستفادة مما توصل له من حقائق.

٤ـ ربط الحقائق التاريخية ببعضها أو البحث عن علاقات قائمة بينها.

المرحلة الرابعة: إنشاء البحث التاريخي

من خلال ما قام به الباحث التاريخي من إجراءات توصل إلى مجموعة كبيرة من الحقائق في هيكل تصنيفي معين. و في سياق تحليلي محدد. وعمله لا يكتمل إلا بالتدوين. ويميز النقاد التاريخيون في هذه الخطوة بين عمليتين هما: عملية الصياغة، وعملية العرض.

أ . عملية الصياغة التاريخية: وهي آخر العمليات التركيبية، حيث يسعى المؤرخ فيها للتعبير عن نتائج بحثه. وهي في العلوم الأخرى الدساتير والقوانين التي تؤخذ بنظر الإعتبار في بعض العلوم. أما في التاريخ، فالصياغة وصفية دقيقة موجزة. وهنا، يصطدم المؤرخ بمشكلة، وهي تشخيص المهم من الحقائق التاريخية؛ حيث تستمد الحقيقة أهميتها ـ في أغلب الأحيان ـ من علاقتها ببيئة المؤلف، وعصره، وبهدفه أو أهدافه من كتابة التاريخ.

ب . العرض التاريخي: وهو إخراج الموضوع وحدة كاملة متماسكة الأطراف، بحيث يتحسس الباحث والقارىء إحياء الماضي وحركيته. الخطوة الهامة العسيرة.

ويتبين في العرض أمران رئيسان:

أولهما: إتباع الباحث مخططا واضحا.

وثانيهما: إستخدام الباحث أسلوبا كتابيا ملائما. والعمليتان متكاملتان.[١]

---

(١)راجع لمزيد الإطلاع: النجار، جميل موسى، دراسات في فلسفة التاريخ النقدية.

رابعا: قيمة البحث التاريخي

تتفاوت الدراسات التاريخية عمقا وأصالة وقيمة بقدر ما يلتزم الباحث به من أساسيات وفنون البحث التاريخي، من قبيل الإلتزام بمراحل البحث التاريخي من جهة، وبمنهج علمي دقيق من جهة ثانية، ومن صفات شخصية يتصف بها الباحث ثالثة.

ولربما يأتي في مقدمة هذه الصفات قراءة المصادر الأصلية قراءة شاملة، وتمثل مادتها تمثلا كاملا؛ إذ هو بالنسبة للمؤرخ الطريق الوحيد الصحيح لا الطريق الوحيد الممكن.

كما أن هناك مسألة استقبال البحث من غير تعصب، ومن غير محاولة استغلال النصوص بأية وسيلة كانت في إثبات آراء أو فروض قد بدأ بها ذلك الباحث من عنده، فيلزم ـ إذا ـ أن يجمع المؤرخ التاريخي البارع بين روح العالم وموضوعيته، وبين روح الفنان وذاتيته.

خامسا: النظرة القرآنية للتاريخ[1]

١. ضرورة إعادة قراءة التاريخ

لا بد أن نعترف بأن مجال كتابة التاريخ قد عرف تطورات منهجية وإبستمولوجية معرفية ملاحظة خلال الفترات الزمنية المختلفة، لا سيما زماننا المعاصر، كما يجب الاعتراف بأن تلك التطورات قد انتقلت بذلك المجال من سياقاته القديمة التي لم تكن إلا سياقات حدثية تقريرية مباشرة إلى مستويات تركيبية متشعبة جدا، ارتقت بالتاريخ إلى مصاف العلوم الحقة.

ومن الجدير بالإنتباه ما رافق الظاهرة المتقدمة من انتقال هذا التطور الإجرائي

---

(١)راجع لمزيد توضيح للنظرة المطلوبة للتاريخ : الشهيد الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية. وكذا مقاله القيم في مجلة الأضواء تحت عنوان: «دور الأئمة في الحياة الإسلامية». وكذا: المطهري، مرتضى، نهضة المهدي ﷺ في ضوء فلسفة التاريخ، ترجمة: محمد على آذرشب.

العميق إلى الساحة العلمية، ليفرز كمّا لا بأس به من الأعمال التجديدية التي استطاعت أن تؤسس لمعالم ذهنيات تاريخية مجددة، على مستوى طرق التنقيب عن المظان المصدرية وعن الشواهد القائمة، وكذا على مستوى جهود استنطاق هذا الرصيد وأشكال توظيفه في أنساق الكتابة التاريخية الجديدة.

ولعل من حسنات هذا التوجه، نزوع بعض المهتمين نحو التحرر من سلطة «الماضي» ومن أحكامه الحديدية الصارمة من أجل إعادة النظر في طبيعة وظيفة علم التاريخ، وفي نوعية أدواته الإجرائية المرتبطة بمجالات التنقيب والتحليل والتركيب والصياغة، وكذا في حدود التقاطع أو التباعد بين سقف الحقيقة العلمية وجنوح الإرادات الذاتية والأهواء المتعددة المصادر والأهداف.[١]

ويمكن القول ـ بضرس قاطع ـ بأن السيد الشهيد الصدر ﷺ يأتي على رأس أولئك العظماء الذين حملوا راية التطوير المتقدمة الذكر، فهو صاحب النظرة الثاقبة في القراءة التاريخية، والداعي إلى نفض غبار الماضي وغبار الرتابة في القراءة للتاريخ، حتى لو كان ذلك التاريخ تاريخ الأئمة المعصومين ﷺ؛ فقد أكد على ضرورة تمتع المؤرخ بالموضوعية وعدم التحيز وترك القراءة الإنتقائية من جهة، كما رفض النظرة التجزيئية غير الشمولية المترابطة للوقائع والأحداث.[٢]

التعامل مع التاريخ بهذه الكيفية ما هو إلا تفريغ له من مضمونه، وقتل للفاعلية فيه، وتجريد له من وظيفته الأساسية، وهي بقاؤه ـ باستمرار ـ عامل تحفيز يدفع إلى الأمام، وينبه عند الغفلة، وجعل جميع شرائح المجتمع تقوم بدورها الإيجابي الفعال في بناء الأمة والنهوض بها من عثراتها.

---

(١)راجع لمزيد الإطلاع: قاسم، قاسم عبدة، قراءة التاريخ.

(٢)راجع: الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية. الإسلام يقود الحياة. أهل البيت ﷺ: تنوع أدوار ووحدة هدف. وكذا مقاله القيم في مجلة الأضواء تحت عنوان: «دور الأئمة في الحياة الإسلامية».

٢. المجتمع موضوعا للفكر، وأساسا للدراسة

تختلف النظرة لدى المفكرين إلى أحداث التاريخ، ويمكننا أن نشخّص نظريّتين متباينتين في التعامل مع التطوّرات والتغيّرات التاريخية:

أما النظريّة الأولى، فيعتقد أصحابها أن أحداث التاريخ ليست سوى سلسلةٍ من المصادفات والإتفاقات التي لا تنضبط تحت قاعدة عامّة، بمعنى: أن لا يكون الحدث أو الواقعة نتيجة طبيعية لعمل ما؛ فإن المجتمع يتكون من أفراد بطبائع شخصية وخاصة، تؤدّي حركتهم ونشاطاتهم النابعة من دوافع فردية إلى سلسلة من المصادفات، تسبِّب هذه المصادفات التغييرات التاريخيّة.

وإذا لم يكن للمجتمع شخصيّة مستقلّة، وقامت مسيرته على مجموعة اتفاقات؛ بحيث لم تنضبط أحداث التاريخ تحت قاعدة عامّة، فإنّ التاريخ لن يكون حينئذ صالحاً للدراسة، كما أنه لن يشكل موضوعا للفكر، فيفتقد بالنتيجة لأيّ عطاء تربوي.

وأما النظريّة الثانية، فترى في المجتمع وجودا مستقلا عن وجود الأفراد.

وطبقا لهذه النظرية، فإن شخصية المجتمع ستكون غير شخصية الأفراد، حيث تتكون شخصية واقعية للمجتمع، وهذه الشخصية هي عبارة عن تركيب مكون من التفاعل الثقافي للأفراد.

ويؤمن أصحاب هذا الإتجاه، ونتيجة لما تقدّم، بأن المجتمع جزء من أجزاء الطبيعة يخضع لقوانينها الكلية وقواعدها العامة، كأي تركيب آخر من تراكيبها.

وإذا كان للمجتمع قوانين كليّة وضوابط عامة تؤثّر في مسيرته، فإنّه سيكون صالحا حينئذ لأن يكون موضوعا للفكر، وأساسا للدراسة، وسيكون جديرا بأن يُستفاد منه ويُعتبر.

٣. فلسفة التاريخ

يمكن القول بأن فلسفة التاريخ في أبسط تعريف لها عبارة عن النظر إلى

الوقائع التاريخية بنظرة فلسفية، ومعرفة العوامل الأساسية التي تتحكم في سير تلك الوقائع، والعمل على استنباط القوانين العامة الثابتة التي تتطور بموجبها الأمم والدول على مر القرون والأجيال.[١]

وقد ذكر أن ابن خلدون هو أول من استخدم تعبير فلسفة التاريخ، حيث قصد بها البعد عن السرد وتسجيل الأحداث دون ترابط بينها، كما قصد بها التعليل للأحداث التاريخية.[٢]

كما ذكر أن الفيلسوف الفرنسي «فولتير» كان أول من صاغ مصطلح فلسفة التاريخ في القرن الثامن عشر من بين الفلاسفة الأوربيين.[٣]

ومهما يكن من أمر، فإن المقطوع به، هو أن فلسفة التاريخ بتعريفها السابق علم إسلامي، كما أن جذور هذا العلم قد ذكرت بتعابير مختلفة في القرآن الكريم، وفي السنة الشريفة، وفي روايات أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾، كما يثبته التتبع والتحقيق، وسيأتي بعضه في العنوان التالي.

٤. النظرة القرآنية

عندما يذكر القرآن الكريم التاريخ، فإنّه يروي أحداثه كمصدر للتفكّر والإعتبار، وينطلق ـ في قسم من دروسه على الأقل ـ من حياة الأمم والجماعات: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[٤]

---

(١)راجع: الشيخ، رأفت غنيمي، فلسفة التاريخ: ١٤. ولمزيد الاطلاع على هذا الموضوع، راجع: صبيحي، أحمد محمود، في فلسفة التاريخ. سلطان، جاسم محمد، فلسفة التاريخ. هاشم الملاح وآخرون، دراسات في فلسفة التاريخ. هيجل، محاضرات في فلسفة التاريخ. النجار، جميل موسى، دراسات في فلسفة التاريخ النقدية. أعلام فلسفة التاريخ، سبيتي، حسين محمد.

(٢)راجع: الشيخ، رأفت غنيمي، فلسفة التاريخ: ١٤.

(٣)راجع: المصدر السابق.

(٤)البقرة:١٣٤.

فالتاريخ ـ بحسب القرآن ـ مصعد تعليميّ مثمر ومعطاء، وهو يؤكّد على أمرين:

الأول: وجود ضوابط وموازين عامة للتاريخ.

فالقرآن رفض بشدّة النظرة العبثيّة إلى التاريخ، وأشار إلى وجود قواعد كليّة وعامّة: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾.(١)

الثاني: لإرادة الإنسان الدور الحاسم في تعيين مسيرة حركة التاريخ.

ويشير القرآن إلى هذه القاعدة التربويّة التي تحكم التاريخ ضمن حقل قوانينه العامة، وذلك حين يؤكّد أن البشريّة إنّما ترسم مصيرها بيدها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.(٢)

وباجتماع هذين الأمرين، يتضح أن العطاء التعليمي للتاريخ هو عطاء عملي، ولو اقتصرنا على وجود قواعد وموازين عامة دون أن يكون للإنسان دور فيه، لكان عطاؤه نظريّاً محضاً.

من هذا المنطلق، يسرد القرآن الوقائع التاريخيّة ويبيّنها للإستفادة والإعتبار منها؛ فإنّه على مسرح التاريخ القرآني عندما يبرز دور للمستكبرين في مقابل دور المستضعفين، وينشب الصراع بين هاتين الفئتين، متخذا طابعا إنسانيّا لا ماديّا طبقيّا، فإنّ هذه الأحداث تقع في خانة الصراع الدائم والمستمر بين قوى الحق وقوى الباطل.

بهذا الشكل يعطي القرآن العوامل الأخلاقية والإجتماعية دورا رئيسا في مسيرة التاريخ، ويؤكد في الوقت ذاته أنّ الصراع بين الفريقين ذو هويّة معنويّة إنسانيّة لا ماديّة طبقيّة.

هكذا نفهم الصراع بين النبي إبراهيم عليه السلام والنمرود، وبين النبي موسى عليه السلام

---

(١)فاطر:٤٣.

(٢)الرعد:١١.

وفرعون...، فإنّ القرآن يرسم هذه الصراعات بناء على أن لكل عصر نمرودا أو فرعونا، ولكل نمرود وفرعون إبراهيم وموسى...، وفي هذه الصراعات ينتصر الحق حينا والباطل حينا آخر. فيدعونا القرآن إلى الإستفادة من عِبر هذه القصص.

ولو كان التاريخ مجرد مجموعة اتفاقات وصدف، لما كان للقصص القرآني التاريخي أيّ عطاء تعليمي، ولتبدّلت أحداثه إلى أساطير لا تصلح إلا للتسلية والسمر.

ومن هذه النظرة ننطلق في قراءتنا للتاريخ واستيحاء الوثائق والوقائع التاريخية، وهو ما سيلاحظه القارئ واضحا في ما سيأتي في هذه الدراسة.

بناء على ما تقدم، فليس هدفنا في هذا العمل هو الدراسة الاستقصائية النظرية الأكاديمية الباردة، وإنما هدفنا أن تتحول العلوم إلى أدوات في الفعل والممارسة والحياة العملية، ولكي تتحول هذه المعارف إلى أدوات من هذا النوع الفاعل، لا بد من استخدامها ومحاولة تسيير الواقع من خلالها. فلا تقف المسألة عند تسجيل الاحداث التاريخية، بل تعبر ذلك إلى محاولة تفسير التطور الذي طرأ على حياة الامم والمجتمعات والحضارات المختلفة، وتبيين كيفية حدوث هذا التطور وسبب حدوثه، عن طريق إبراز الترابط بين هذه الاحداث وتوضيح علاقة السببية بينها.

سادسا: النتائج التعليمية المستهدفة للدراسة

ولما كانت النظرة التي أسست عليها هذه الدراسة هي النظرة القرآنية من جهة، وكانت هذه النظرة تتطلب المنهج العلمي الفني الصحيح من جهة أخرى كما تقدم، كان لا بد أن يكون جميع ذلك طبقا لأهداف خاصة تكون مقصودة لهذه الدراسة، وإلا، فقد العمل روحه التحقيقية الفنية الهادفة، وسقط في هاوية التسطير والتطويل لا إلى سبيل.

ويمكن الإشارة في هذا الإطار إلى جملة من الأهداف، تنتظم في المجالات الثلاثة المعروفة من مجالات الأهداف، وهي: المجال المعرفي، والمجال المهاري (الحسي حركي)، والمجال الوجداني (العاطفي)، كما هو المعروف في اصطلاح

المتخصصين في حقيقة الأهداف واصطيادها وصياغتها، منها ما يلي:

أولا: المجال المعرفي

وفي هذا المستوى يمكن ذكر ما يلي من أهداف:

١ـ التعرف على ماهية التاريخ.

٢ـ فهم طبيعة علم التاريخ.

٣ـ التعرف على الشروط اللازم توافرها في المؤرخ.

٤ـ التعرف على تاريخ الإسلام طبق النظرة القرآنية.

٥ـ الإرتقاء بمستوى التفكير والتعبير.

٦- تنمية القدرة على التحليل والنقد البناء.

٧- تنظيم الأفكار التاريخية وصياغتها.

٩- التعرف على طريقة جمع المعلومات وتبويبها وتوظيفها.

١٠ـ إستنتاج العلاقة بين علم التاريخ والعلوم الأخرى.

١١ـ تطوير مهارة اتخاذ القرارات بالإستفادة من قوانين التاريخ العامة وسننه وفلسفته.

١٢ـ النظرة الكلية للوقائع التاريخية، والإبتعاد عن النظرة التجزيئية.

ثانيا: المجال المهاري (المهني والعملي)

ومع أن هذا المجال يعتني بالناحية المهارية الحركية أكثر من غيرها من المهارات، إلا أنه يمكن ذكر الأهداف التالية للدراسة في هذا المجال:

١ـ تنمية مهارات جمع المادة التاريخية على اختلاف مظانها.

٢ـ تنمية مهارة التعامل مع المادة التاريخية على اختلاف تاريخها.

٣ـ تنمية مهارات استخدام الأدلة التاريخية والاستفادة منها.

٤ـ تنمية مهارة تحليل المادة والوثائق التاريخية.

٥ـ تنمية مهارات الربط بين الوقائع التاريخية المختلفة ضمن هيكل فني صحيح.

٦ـ تنمية مهارات استنتاج القواعد الكلية الحاكمة على التاريخ.

٧ـ تنمية مهارات الإتصال على اختلاف مستوياتها ومجالاتها وأنواعها.

ثالثا: المجال الوجداني والعاطفي

وفي هذا المجال، يمكن الإشارة إلى ما يلي من أهداف:

١ـ تنمية مهارات المشاركة الإجتماعية.

٢ـ تنمية احترام الرأي الآخر.

٣ـ تعزيز الاتجاهات العلمية (الصدق، الأمانة، الشجاعة...الخ).

٤ـ تقدير جهود الآخرين في المجال التاريخي.

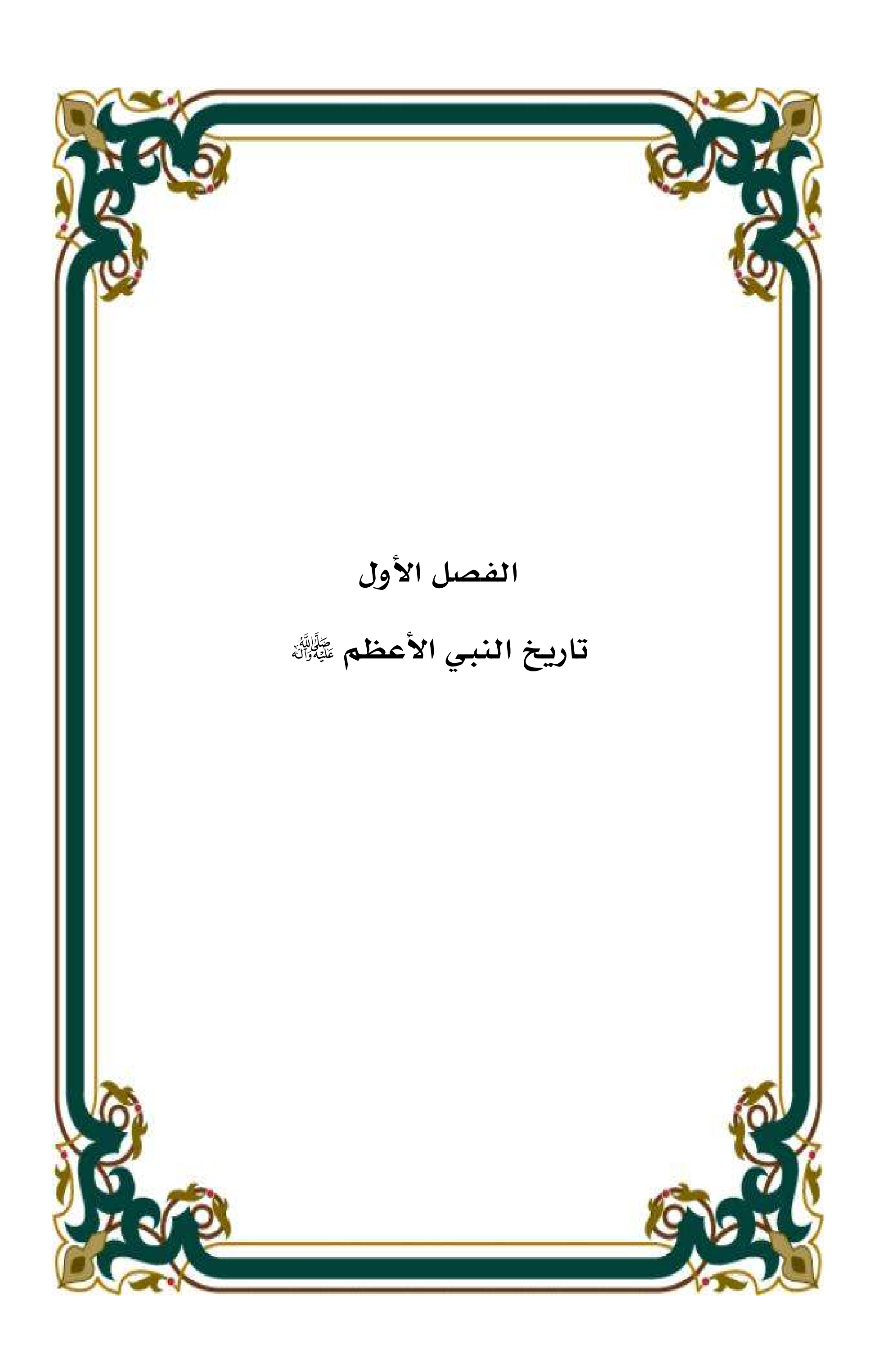
٥ـ الوعي التاريخي للأحداث والوقائع.

٦ـ إدراك أهمية النظرة القرآنية للتاريخ.

٧ـ تنمية الشعور بأهمية الموضوعية في الدراسات التاريخية.

ختاما: لا شك في أن الجهد المبذول في هذه الدراسة لا يعد إلا خطوة على الطريق، ولا بد للخطوة من خطوات أخرى تدفع بالجهود إلى مرتبة أعلى من التحقيق والدقة والجمالية، وهذا لن يكون ميسرا إلا بما يتفضل به القارئ الكريم من مشاركة إيجابية في هذه الجهود، وإبداء ما يعن له من الملاحظات، سواء ما يرتبط من تلك الملاحظات بالجانب الشكلي والفني للبحث، أم ما يرتبط منها بالجانب المعلوماتي والمنهجي له، لا سيما أصحاب التخصص في التاريخ والدراسات التاريخية، وهو أمر نأمله من جميع هؤلاء؛ فإن العصمة لأهلها.

د. محمود العيداني



الفصل الأول

تاريخ النبي الأعظم ﷺ

البحث رقم (١)

الإسلام والتاريخ

أهداف البحث

١. بيان موقف الإسلام و القرآن من التاريخ.
٢. إستيعاب العلاقة بين القرآن والتاريخ.
٣. توضيح مستويات البحث التاريخي في القرآن الكريم.
٤. معرفة المقصود من مصطلح تاريخ الإسلام.
٥. ترتيب عصور التاريخ الإسلامي، والتمييز بينها.

مقدمة البحث

إذا أراد الباحث أن يكون بحثه بحثا فنيا قائما على أسس البحث العلمي المعروفة، فإن عليه أن يبدأ أول ما يبدأ بالتعريف بموضوع بحثه؛ إذ لن يستقيم الكلام وإصدار الأحكام بدون معرفة الموضوع الذي يدور حوله كل هذا الكلام، وتنقل عنه كل هذه الأحكام، كما هو واضح.

ومن أجل هذا، كان لا بد من الكلام في هذا البحث الأول عن المقصود بالتاريخ وعلمه، وعن العلاقة بين هذا العلم والقرآن الكريم والسنة الشريفة، كما لا بد أيضا ونحن في البداية من التعريف بترتيب عصور التاريخ الإسلامي.

المطلب الأول: التعريف بعلم التاريخ

أولا: المقصود من التاريخ

التاريخ في اللغة هو: الإعلام بالوقت، يقال: «أرّخت الكتاب»، أي: بينت وقت كتابته، فالتاريخ: تعريف للوقت، يقال: «أرّخت»، و«ورّخت».[١]

وأما في الإصطلاح، فيشير تعريف التاريخ إلى: الوقت الذي تضبط به الأحوال والوقائع المرتبطة بالإنسان.[٢]

---

(١)الصحاح تاج اللغة ١: ٢٠٠.

(٢)الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: ٦-٧.

كما أن لمفهوم التاريخ دلالة فلسفية تشير إلى مسيرة العمران الإجتماعي البشري.

وكل معرفة تاريخية ليست مجرد سرد لأخبار الأيام والدول، بل هي نظر عقلي في أحوال الماضين، وتعليل لحدوثها، وسبرها بمعيار العقل والحكمة.

يعرف إبن خلدون بالتاريخ وفضله، فيقول: «فن غزير المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية؛ إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياساتهم؛ حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج إلى مآخذ متعددة، ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق، وينكبان بهما عن المزلات والمغالط؛ لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم فيها أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الإجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور، ومزلة القدم، والحيد عن جادة الصدق.

وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا قاسوها بمعيار الحكمة ...فضلوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط فلابد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد».[١]

ولا تتحدد دلالة التاريخ، حسب (إيريني هنري مارو)، في سرد حوادث الماضي ووصفه بهدف إعادة كتابة الماضي الإنساني، بل هو عنده، معرفة علمية ينشئها المؤرخ عن ذلك الماضي، مستندا إلى منهج علمي صارم ودقيق.[٢]

لا شك أن التاريخ علم من العلوم الإنسانية المهمة التي تعرض لها القرآن الكريم كمصدر معرفي، ولما كان القرآن الكريم هدي الله للبشرية، أنعم به عليها

---

(١)المقدمة، إبن خلدون، : ٩ـ ١٠.

(٢)Henri-Irénée Marou، De la connaissance historique، édition Seuil، pp. ٣٢-٣٣ : ترجمة: فريق تأليف الكتاب المدرسي «منار».

ليهديها إلي الصراط المستقيم، وللتي هي أقوم، فإن فيه تبيان كلّ شيء وتفصيله[١]. فلم يترك شيئاً يحتاج إليه العباد إلاّ وبيّنه لهم[٢]، ففيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان، وخبر ما يكون، وخبر ما هو كائن.[٣]

ثانيا: مستويات البحث التاريخي

تتنوّع البحوث التاريخية ـ في ما يرتبط بتاريخ الإنسان ـ إلى مستويات ثلاثة، بالرغم من ترابطها وتفاعل بعضها مع البعض الآخر:

١. **البحث التاريخي النقلي:** ويهتمّ بنقل الحوادث التاريخية، والتثبّت من تحقّقها.

٢. **البحث التاريخي التحليلي:** ويعتني بتحليل الحوادث التاريخية من خلال التعرّف على أسبابها واكتشاف آثارها ونتائجها، بالإضافة إلى الإهتمام بمدى ارتباطها بالحوادث التي تعاصرها.

٣. **البحث التاريخي الفلسفي (فلسفة التاريخ):** ويعتني باكتشاف السنن التي تتحكّم في تاريخ الإنسان، وكيفية عملها، ومراحل التاريخ البشري، وعلل تطوّر حركة التاريخ بشكل عامّ، والتنبّؤ بالمستقبل الذي ينتظر الإنسانية في نهاية الطريق.

والبحث التاريخي الفلسفي يستطيع أن يمدّ الباحث التاريخي بالقدرة على التحليل والتفسير والإستنباط لتوظيف أحداث التاريخ في خدمة الإنسان بشكل عامّ.

المطلب الثاني: القرآن الكريم والتاريخ

أولا: إهتمام القرآن الكريم بالتاريخ

إعتبر القرآن الكريم التاريخ مصدراً من مصادر المعرفة، فحثّ البشريّة على التعرّف عليه والاستفادة منه قائلاً: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٤]، وقال أيضا مخاطباً الرسول ﷺ:

---

(١)راجع: الإسراء: ٩. النحل: ٨٩ . يوسف: ١١١.

(٢)بحارالأنوار ٩٢ : ٨٤ .

(٣)المصدر السابق.

(٤)آل عمران: ١٣٧.

﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

كما أن للقرآن منهجا كاملا وواضحا في التعامل مع التاريخ الإنساني بشتّى فروعه ومجالاته ومستوياته. فإن المعرفة التي يحصل عليها الإنسان من خلال التاريخ تمتاز على المعرفة النظريّة التي لم تصل إلى محكّ التجربة والتطبيق؛ من حيث درجة الإقناع والإعتماد عليها. قال تعالى: ﴿كُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[٢]. ما يترتّب عليه إمكان التأسّي والإقتداء بالذين نجحوا في حياتهم العملية، ومن هنا، إعتَبَر القرآنُ الأنبياءَ الذين أفلحوا في سلوك الصراط المستقيم في هذه الحياة الدنيا أُسوةً وقدوةً لغيرهم.

وما يميز القرآن الكريم عن غيره من المصادر التاريخية، هو كونه وحياً إلهياً صادراً من مصدر العلم، المحيط بحقائق الأشياء وبكيفية تحقّقها بشكل كامل.

كما يتميّز بالدقّة والصّدق والواقعيّة والإستيعاب لكل مراحل تاريخ الإنسانية. وكذا بقدرته المعجزة على توظيف حقائق التاريخ لهداية الإنسان وتربيته، من خلال اعتنائه بالبحث التاريخي بمستوياته الثلاثة المتقدمة الذكر.

ثانيا: تاريخ الإنسان في القرآن الكريم

أوضح القرآن الصادق أنّ إشراق النبوّة يعتبر بداية العصر التاريخي للإنسان، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٣].

وقال عن اصطفاء آدم عليه السلام للنبوّة: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٤]. فيكون آدم عليه السلام قد مثّل بداية خطّ النبوّة والهداية الإلهية للبشرية.

كما اعتبر القرآن خطّ النبوّة المحور الأوّل في حركة الإنسانية وبناء الحضارة، وعلى أساسه تكوّن تاريخ الإنسان الذي زوّده الله بالعقل والغريزة والاختيار.

---

(١)الأعراف: ١٧٦.

(٢)هود: ١٢٠.

(٣)البقرة: ٣٠.

(٤)آل عمران: ٣٤.

يوضح الإمام عليّ عليه السلام هذه الحقيقة القرآنية قائلاً: «فبعث فيهم رسله، وواتر أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم نقمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول...»[١].

المطلب الثالث: التعريف بتاريخ الإسلام

أولا: المقصود من تاريخ الإسلام

الإسلام ـ بمعناه العام ـ هو الدين الذي يبتني على التسليم المطلق لله وحده، وهو رسالة تغييريّة شاملة لكل أبعاد حياة الإنسان، فالدين أساس حركة الإنسان، وجاء الأنبياء جميعاً ضماناً لإسلام الإنسان وإرجاعه إلى فطرته حين انحرف عنها، وبهذا المنظار يصحّ إطلاق الإسلام على كل الأديان الإلهية التي تبتني على «التسليم المطلق لله وحده»، فهو تسليم العقل والفكر، وتسليم القلب والشعور، وتسليم الإرادة والعمل لله وحده بشكل تامّ، وفي كل مجالات الحياة[٢].

وأما الإسلام بمعناه الخاص، فهو الرسالة الخاتمة التي جاء بها سيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، والتي نَسَخت الرسالات السابقة ، وهي عقيدة ونظام.

ونحن هنا إنما نؤرخ للإسلام بمعناه الخاص.

ثانيا: عصور التاريخ الإسلامي

تاريخ الإسلام هو تاريخ الرسالة الإسلامية التي جاءت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، وليس هو تاريخ كلّ من تربَّع على كرسيّ الحكم والخلافة وحَكَمَ باسم رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا هو تاريخ آحاد المسلمين، وإنّما هو تاريخ هذه الرسالة الخاتمة بمقدار ما لها من حضور وامتداد في حياة المسلمين.

إنّ القادة الربّانيين، والأئمة المعصومين الذين عيّنهم رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر من الله سبحانه، لحفظ الرسالة من عبث العابثين، وصيانة هذا الخطّ الربّاني في حياة

---

(١) الخطبة الأولى من نهج البلاغة.

(٢) راجع الآيات التالية: ١١٢ من سورة البقرة، ١٢٥ من سورة النساء، ٢٢ من سورة لقمان.

البشرية بعد رسول الله ﷺ من تسرّب التحريف له، والذين دأبوا على تأصيله وتعميقه وذابوا في حمايته والدفاع عنه، تُمثِّلُ حياتُهم حياةَ الرسالة، ومواقفُهُم مواقفَ الشريعة، وحركتُهُم حركةَ الدين الإلهيّ؛ لأنّهم يجسّدون قِيَمَه وحقائقه، فتاريخهم هو تاريخ هذا الخطّ الرساليّ بكلّ مراحله وملابساته، ومن هنا، كان تاريخ القادة الميامين ـ محمّد وأهل بيته عليهم السلام ـ هو تاريخ الإسلام الحقيقي.(١)

ثالثا: بداية التاريخ الإسلامي وعصراه

١. عصر النبيّ ﷺ

يبدأ تاريخ الإسلام بالبعثة المباركة في السابع والعشرين من شهر رجب قبل الهجرة النبويّة بثلاثة عشر عاماً، حيث بدأت الرسالة الخاتمة حياتها، وأخذت تشقّ طريقها، مخترقة المجتمع العربي الجاهلي والإنساني الغارق في الظلام على يدي الرسول الأعظم محمّد بن عبد الله ﷺ، على شكل ثورة إلهيّة تغييريّة شاملة، إنطلاقاً من مكّة المكرّمة، وانتهاءً بالدولة الإسلامية المباركة، التي أثمرتها جهوده المتواصلة، وقيادته الحكيمة، في أقصر فترة زمنية ممكنة في تاريخ الرسالات السماوية والدعوات التغييريّة.

عهدا عِصر النبيّ ﷺ

ولِعصر النبيّ ﷺ عهدان متميّزان، هما:

١. العهد المكيّ

٢. العهد المدنيّ

ويبدأ الأوّل منهما بالبعثة النبويّة في مكّة، وينتهي بالهجرة من مكّة إلى المدينة المنوّرة (يثرب)، فيما يبدأ الثاني منهما بهجرة النبيّ ﷺ إلى المدينة، وينتهي

---

(١)راجع الآيات التالية: ٦٧ و٣ من سورة المائدة و٣٣ من سورة الأحزاب و٦١ من آل عمران و٢٣ من سورة الشورى. راجع أيضا حديث الثقلين وحديث السفينة والأمان وغيرها من الأحاديث التي تضمّنت مرجعية أهل البيت عليهم السلام الدينية، وأنّهم يمثِّلون الخطّ السليم والحقيقي للرسالة الإسلامية.

بوفاته ﷺ فيها.

وقد حفظ القرآن الكريم لنا أحداث هذين العهدين.

ونستطيع أن نقف على تاريخ هذا العصر فيما إذا عرفنا ترتيب نزول آيات القرآن الكريم بشكل صحيح.

٢. عصر الأئمة و الأوصياء الراشدين

إنّ حركة التغيير الشاملة للمجتمع الجاهلي بمفاهيمه وقيمه وأعرافه وأنظمته، كانت تتطلّب وصاية عقائدية مستمرة على الثورة والدولة النبويّة والأمة الفتيّة؛ وذلك لأنّ الطريق أمام هذه الحركة كان طويلاً وممتداً بامتداد الفواصل المعنويّة الضخمة بين الجاهليّة والإسلام. ولم تكن المدّة الزمنية التي استوعبتها الثورة والدولة النبويّة كافيةً لاجتثاث كلّ الجذور الجاهليّة ورواسبها، كما برهن على ذلك تاريخ الحوادث التي وقعت عقيب وفاة الرسول ﷺ[(١)].

ومن هنا، عيّن النبيّ القائد ﷺ بأمر من الله تعالى إثني عشر وصيّاً على ثورته ودعوته ورسالته؛ ليقودوا اُمّته ودولته الربّانية من بعده، وليقوموا بمهمّة الدفاع والذبّ عن شريعة الله ودولة رسول الله واُمّة خاتم النبيّين ﷺ.

العهود الثلاثة لعصر الأئمة والأوصياء الراشدين

وينقسم عصر الأئمة والأوصياء الراشدين إلى ثلاثة عهود متميّزة، وهي:

١ـ عهد الحضور: ويبدأ برحيل الرسول ﷺ، وينتهي برحيل الإمام الحسن العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠ هـ.

٢ـ عهد الغيبة: ويبدأ برحيل الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ويستمر حتّى ظهور الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر (عج).

٣ـ عهد الظهور: ويبدأ بظهور الإمام المنتظر عليه السلام.

---

(١)راجع للتفصيل: نشأة التشيّع والشيعة: ٥١ ـ ٦١.

خلاصة البحث

القرآن الكريم مصدر تاريخي علمي فوق الوثاقة، وهو يتمتّع بالغِنى بما لا يتمتّع به غيره من المصادر التاريخية المتداولة. وله منهج تاريخي تفرّد به، فلابدّ من التعرّف عليه، والإستهداء به في التعامل مع التاريخ بجميع مستوياته.

إعتنى القرآن الكريم بتاريخ البشرية بشكل عامّ، وبتاريخ النبوّات والأنبياء بشكل خاصّ، وبتاريخ الرسالة الإسلامية الخاتمة بشكل أخصّ. فتاريخ الإسلام هو تاريخ الرسالة، وليس هو تاريخ الخلفاء، أو تاريخ آحاد المسلمين.

إنّ حياة القادة الرساليّين ـ محمّد ﷺ وعترته الطاهرين ـ تمثّل حياة الرسالة الإسلامية، وتاريخهم هو تاريخ هذا الخطّ الرسالي بلا ريب.

ينقسم تاريخ الإسلام إلى عصرين متميّزَيْن: عصر النبيّ، وعصر أوصياء النبيّ ﷺ الإثني عشر، وهو بدوره ينقسم إلى ثلاثة عهود متميزة: الحضور، والغيبة، والظهور.

إختبارات البحث

١. بين موقف الإسلام والقرآن من التاريخ.
٢. ما المقصود بالبعد الفلسفي للتاريخ؟
٣. ما هي مستويات البحث التاريخي في القرآن الكريم؟
٤. ما هو المقصود من مصطلح تاريخ الإسلام؟
٥. ما المقصود بتاريخ الإسلام؟

البحث رقم (٢)

مصادر التاريخ الإسلامي، وكارثة منع تدوين الحديث

أهداف البحث

١. بيان كيفية وزمان تدوين التاريخ الإسلامي.
٢. توضيح دور أهل البيت عليهم السلام في الحفاظ على تاريخ الرسول صلى الله عليه وآله وسيرته.
٣. التعريف بالمصادر العامة للتاريخ الإسلامي.
٤. الشعور بالقيمة العلمية للمصادر التاريخية العامة.
٥. إدراك بكارثية المنع من تدوين الحديث الشريف.

مقدمة البحث

بعد أن ذكرنا ما كان لا بد من ذكره في البحث المتقدم، من المقصود بالتاريخ وعلمه، وعن العلاقة بين هذا العلم وبين القرآن الكريم والسنة الشريفة، وترتيب عصور التاريخ الإسلامي، فإن المنطق والبحث العلمي يفرضان علينا الآن الكلام في المصادر التي يستقى منها التاريخ الإسلامي، قبل الدخول في تفاصيل هذا التاريخ بعصوره المختلفة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنه لا بد من استيعاب أهمية الأحاديث الشريفة وقيمتها العلمية المرموقة في مجال المستندات التاريخية، ما يعني الشعور بكارثة فقدان بعض هذه الأحاديث، فضلا عن الكثير منها.

المطلب الأول: مصادر التاريخ الإسلامي و كارثة منع تدوين الحديث

أولا: مصادر التاريخ الإسلامي

تعتبر الرسالة المحمّدية أعظم ما طرح في حياة البشر عامّة وحياة العرب خاصّة، فهي تشكِّل المحور الأهم من محاور تاريخ البشرية بشكل عامّ وتاريخ العرب بشكل خاصّ.

ولم يدوّن في تاريخ الإسلام وسيرة النبيّ العظيم ﷺ وسيرة أصحابه وأعدائه شيء يذكر في عصر النبيّ ﷺ سوى ما تضمّنه القرآن الكريم.

وما سجّله بعض الصحابة الكرام في عصر الرسول ﷺ، مثل ما جمعه الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام من أسباب النزول، وسواها من حوادث التاريخ التي وقعت في عصر النبيّ ﷺ، وما كتبه غيره من الصحابة في حياته ﷺ ـ كل ذلك لم يصل كلّه إلينا إلاّ في عصور متأخّرة، وعبر روايات ذات وسائط متسلسلة؛ ذلك أنّ مصحف الإمام عليه السلام وما سجّله فيه من أحاديث ترتبط بتفسير القرآن وشأن نزول آياته وجملة من علوم القرآن، قد عرضه الإمام عليه السلام على أبي بكر حين زعم أنّه خليفة رسول الله ﷺ، فزهد فيه، وردّه عليه[١].

ثانيا: كارثة المنع من تدوين الحديث

١. وقوع الكارثة

وقد طلب كلٌّ من أبي بكر وعمر من عامّة الصحابة ما دوّنوه من أحاديث الرسول ﷺ، فجمعاه وأحرقاه؛ زعماً منهما أنّ كتاب الله لا يُشاب بشيء، وأنّ تدوين السُنّة النبوية قد يؤدّي إلى ضياع القرآن الكريم[٢].

وإليك القصة كما وردت عن القوم أنفسهم، حيث جاء في كتاب تاريخ الفقه الإسلامي للسايس:

«وقد أخرج الهروي في كتاب ذم الكلام من طريق الزهري قال: أخبرني عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن، واستشار فيها أصحاب رسول الله ﷺ، فأشار عليه عامتهم بذلك، فلبث عمر شهرا يستخير الله في ذلك شاكا فيه، ثم أصبح يوما وقد عزم الله تعالى له، فقال: إني قد ذكرت لكم في كتابة السنن ما قد علمتم، ثم تذكرت، فإذا أناس من أهل الكتاب قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله

(١)المناقب ٢: ٤١. بحار الأنوار ٩٢: ٩٩. الإتقان ٢: ١٨٧.

(٢)طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٦ .

كتبا، فأكبوا عليها، وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء، فترك كتابة السنن».[(١)]

غير أنّ كل من تصدى للخلافة بعد منع تدوين الحديث قد لمس الحاجة إلى سنّة الرسول صلى الله عليه وآله وأحاديثه كلّما تقدّم الزمن، وكلّما ابتعدوا عن عصر الرسول صلى الله عليه وآله، وازدادت العقبات، فاتّضح لديهم بعد مرور قرن من الزمن حجم الأضرار التي نشأت من منع تدوين الحديث النبويّ الشريف[(٢)].

٢. الآثار الكارثية للمنع من تدوين الحديث

وكان من جملة تلك الأضرار أن فُسحَ المجال للوضّاعين الذين كانوا يشترون بالأحاديث التي ينسبونها للرسول صلى الله عليه وآله وصحابته الكرام ثمناً قليلا. وهكذا أخذ ضباب التّزوير يموّه حقائق التاريخ الإسلامي بالتدريج، ممّا دعا العلماء بل الخلفاء أنفسهم لنقض سيرة الشيخين ومن تلاهما من الخلفاء في وضح النهار وإبطال الحظر الذي كانوا قد ضربوه على عمليّة التدوين.

٣. أول من صنف في السنة الشريفة

نعم تفرّدت مدرسة أهل البيت عليهم السلام ـ بقيادة عميدها الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ـ بالحثّ على تدوين السنّة الشريفة والإهتمام بحفظها ونشرها، وكتابة التاريخ الإسلامي[(٣)] بالرغم من حظر السلطة الحاكمة والضغط الذي كانت تمارسه على الصحابة والتابعين لشلّ هذه الحركة التصحيحية التي حاول أئمّة أهل البيت عليهم السلام من خلالها مواجهة هذا التيّار المنحرف الذي حاق بالأُمّة الإسلامية عامّة وتاريخها المجيد بشكل خاصّ.

---

(١)تاريخ الفقه الإسلامي: ص٧٢. والحديث نقله عن تنوير الحوالك ١: ٤.

(٢)جامع بيان العلم: ٩٢ الحديث ٤٠٣، وسنن الدارمي: ١٢٦.

(٣)أمر الإمام عليّ عليه السلام كاتبه عبد الله بن أبي رافع أن يكتب أقضيته وأحكامه. اُنظر: رجال النجاشيّ: ٤ـ٧.

ومن هنا قد نفهم السرّ في الجرأة على التدوين عند بعض التابعين وتابعي التابعين قبل تاريخ رفع الحظر رسميّاً.

٤. أول من صنف في السيرة وأقدم ما وصل إلينا منها

و قد أشارت المصادر الموجودة بأيدينا إلى أنّ أوّل من صنّف في السيرة هو: عروة بن الزبير (م ٩٢ هـ). وذكر ابن سعد: أنّ أوّل من تخصّص في السيرة أبان بن عثمان (م ١٠٥هـ).

واستمرّت حركة التأليف في السيرة، حتى وصل الدور إلى محمّد بن إسحاق (م ١٥٣هـ)، ولكن لم يصلنا من كتبهم شيء سوى سيرة ابن إسحاق برواية ابن هشام (م ٢١٨هـ).

إلى جانب هؤلاء، ظهر من لم يقتصر على أخبار السيرة، بل جمع إليها أخبار الجاهلية، ثمّ أخبار الخلفاء أو بعضهم أو أخبار الأئمّة من أهل البيت ﷺ، مثل: محمّد ابن السائب الكلبي (م ١٤٦هـ)، وأبي مخنف لوط بن يحيى (م ١٥٧هـ)، وهشام بن محمّد الكلبي (م ٢٠٦هـ)، ونصر بن مزاحم (م ٢١٢هـ)، وابن قتيبة الدينوري (م ٢٧٤)، والبلاذري (م ٢٧٩)، وأبي الفرج الإصبهاني (م ٢٨٤)، واليعقوبي (م ٢٩٢)، والطبري (م ٣١٠هـ)، والمسعودي (م ٣٤٦)[١].

٥. دليل اشتهار سيرة ابن إسحاق

وقد اشتهرت سيرة ابن إسحاق وكُتِبَ لها النجاح؛ لاعتماد الثقات عليها، وقد أخرج له مسلم في صحيحه، واستشهد به البخاري في مواضع، وروى له أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة. وقال الرجالي المعروف ابن عَدِيّ: «ولم يتخلّف في الرواية عنه القضاة والأئمّة الأثبات»[٢].

وهكذا، أصبح ابن إسحاق عمدة المؤلّفين في السيرة، ولا سيّما بعد تهذيبها

---

(١)موسوعة التاريخ الإسلامي ١ : ١٦ ـ ١٨ .

(٢)موسوعة التاريخ الإسلامي ١ : ١٩ .

بواسطة ابن هشام الحميري البصري (م ٢١٨هـ)، فروى سيرته من طريق زياد بن عبد الملك البكّائي العامريّ الكوفي (م ١٨٣هـ)، ولكن ابن هشام هذا قد اختصرها وأضاف عليها ونقدها أحياناً وعارضها بروايات أُخر، وعلّل الاختصار والحذف بأمور، منها: ما تفرّد به ابن اسحاق، ومنها: ما يشنع الحديث به! ومنها: ما يسوء بعض الناس ذكره!

كما أسقط منها تاريخ الأنبياء، وتاريخ ولد إسماعيل ممّن ليس في عمود النّسب النبويّ.

٦. منهج الواقدي في المغازي

وأمّا الواقدي، فهو محمّد بن عمر بن واقد (م ٢٠٧هـ)، وقد روى عن سائر رواة الأخبار عن الزهري مع تشابه كبير بين فقرات كتاب السيرة لابن إسحاق وكتاب المغازي للواقدي، إلاّ أنّه انفرد عنه بتطبيق المنهج العلمي؛ حيث رتّب تفاصيل الحوادث بطريقة منطقية لا تتغيّر، فذكر أوّلاً قائمة بالرجال النّاقلين للأخبار، ثمّ ذكر المغازي واحدة واحدة مع تاريخ الغزوة بالتحديد، وغالباً ما يذكر تفاصيل جغرافية عن موقع الغزوة، ثم يذكر غزوات الرسول ﷺ، وأسماء من استخلفهم على المدينة في كلّ غزوة، ثم أشعار المسلمين في القتال. كما يذكر اسم كلّ غزوة، وتاريخها، وأميرها[١] ، ويذكر أيضا ما نزل من آيات القرآن في كلّ غزوة، واضعاً لها مع تفسيرها في نهاية أخبار الغزوة[٢].

المطلب الثاني: نظرة تقويمية إلى مصادر التاريخ الإسلامي

أولا: ضرورة الإهتمام بضمان السيرة النبوية

لقد دأب بعض المستشرقين على تناول بعض أخبار السيرة بالبحث والنقد، ثمّ جعل ذلك «وسيلة للطعن في شخص النبيّ الكريم ﷺ أو ما يتّصل به، فآمن

(١)موسوعة التاريخ الإسلامي ١ : ١٩ .

(٢)المصدر ١ : ٢٣ ـ ٢٤ .

بعض أصحاب الأقلام الجديدة بأنّ في السيرة أخباراً لا تمتّ إلى الحقّ بصلة في قليل ولا كثير، فأقدموا على تهذيب السيرة ممّا اُلصق بها وهو ليس منها، كقصّة شقّ الصدر والغرانيق وغرام الرسول ﷺ بزوجة ربيبه زيد!

إنّ سيرة النبيّ الأعظم ﷺ كسيرة سائر العظماء اُضيف إليها ما ليس منها، إمّا عن حبٍّ وهوى وحسن نيّة وطويّة، وإمّا عن حقد وسوء قصد متعمّد، ولكنّها تمتاز عن سير جميع العظماء بأنّ شيئاً كثيراً منها قد ضمّه الوحي الإلهي، وضمن حفظه القرآن الكريم، وكثيراً منها مرويّ على لسان الحفّاظ الثقات من المحدّثين.

ومن هنا، يمكن بناء السيرة النبوية علي أسس مضمونة، كما يمكن تحليلها عمليا بشكل بعيد عن الأوهام والخرافات، بعد ملاحظة حال البيئة وجوانبها المختلفة، من عقائد ونظم وعادات وتقاليد وطقوس.

ثانيا: ملاحظات نقدية على كتب السيرة والتاريخ

١ـ إنّ الدارس لكتب السيرة والتاريخ؛ يلاحظ أنّ ما روته من أنباء فيه تفاوت جليّ من حيث التعارض والزيادة والنقصان ونسبة الموضوعات.

فهذه سيرة ابن هشام، أوْ قُل: سيرة ابن إسحاق، وهي أقدم السِّير المعروفة اليوم، تغفل كثيراً عمّا ذكره أبو الفداء في تاريخه، وما ذكره القاضي عياض في «الشفاء» وعن جميع كتب المتأخّرين تقريباً.

فلابدّ للباحث من أنْ يجعل لنفسه مقياساً يعرض عليه ما اتّفقوا عليه وما اختلفوا فيه، فما صدّقه هذا المقياس، أقرّه، وما لم يصدّقه، فلا يورده، بل يردّه، ومثال ما يلزم رده قصة الغرانيق التي تتنافي مع خط التوحيد الخاص.

٢ـ وهناك سبب آخر يوجب تمحيص ما ورد في كتب السلف ونقده نقداً علميّاً دقيقاً، وهو: أنّ أقدمها قد كُتب بعد وفاة النبيّ ﷺ بمئة سنة أو أكثر، وبعد أنْ فشت في الدولة الإسلامية دعايات سياسية وغير سياسية كان اختلاق الروايات والأحاديث من وسائلها البارزة للغلبة على خصوم واضعيها، فكيف بما كُتب متأخّراً في أشدّ الأزمان اضطراباً؟! فهل يمكن الأخذ به بدون تمحيص؟! وقد أدّت

المنازعات السياسية التي حدثت بعد الصدر الأوّل إلى اختلاق كثير من الروايات والأحاديث تأييداً لها، هذا والحديث لم يدُوّن بعد إلى خلافة عمر بن عبدالعزيز[١].

وحيث كان المقياس لقبول الرواية هو كون الراوي ثقة، فهذا المقياس غير كاف، لا سيما إذا كان متن الرواية مما يخالف ظاهر القرآن، بل ومما لا يوافق ظاهر القرآن أو نصه حتى.

قال ابن خلدون: «إنّني لا أعتقد صحّة سند حديث ولا قول صحابي عالم يخالف ظاهر القرآن، وإنْ وثّقوا رجاله؛ فَرُبَّ راو يوثّق للإغترار بظاهر حاله وهو سيّء الباطن. ولو انتقدت الروايات من جهة فحوى متنها كما تنتقد من جهة سندها؛ لقضت المتون على كثير من الأسانيد بالنقض. وقد قالوا: إنّ من علامة الحديث الموضوع: مخالفته لظاهر القرآن، أو القواعد المقرّرة في الشريعة، أو لبرهان العقل، أو الحسّ والعيان وسائر اليقينيّات»[٢].

٣ـ «وقد تولّى كتّاب السيرة كتابتها للخلفاء؛ فابن إسحاق كتب سيرته للمنصور وابنه المهدي، والواقدي كتب مغازيه للرشيد ووزيره يحيى بن خالد البرمكيّ. اللهمّ إلاّ هشاماً الكلبي والمدايني؛ فإنّهما لم يكتبا لأحد منهم، ولكنّهما ما كان لهما أن ينازعا الخليفة في آرائه؛ خوفاً منه، ولذلك، فإنّه لا ينطبق على ما كتبوه مقاييس الصحّة بدقّة»[٣].

هذه بعض المآخذ على جملة مهمّة من المصادر التاريخية التي عرضنا لها، بالرّغم ممّا احتوته من معلومات قيّمة لا نكاد نجد ما يضارعها في ما سواها من مصادر التاريخ دقّةً وتفصيلاً وأهمّيةً.

---

(١)طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٦.

(٢)طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٦.

(٣)راجع موسوعة التاريخ الإسلامي ١: ٣٥ ـ ٣٨ لتلاحظ الأمثلة والشواهد على ذلك.

خلاصة البحث

ما دوّنه الصحابة من حديث الرسول صلى الله عليه وآله في حياته أُحرق بعد وفاته، ومنع من تدوين الحديث بشكل رسمي طيلة القرن الأوّل على الأقلّ.

ولم يصلنا شيء من نصوص التاريخ الإسلامي مما كان معاصراً لأحداث صدر الإسلام وعصر الرسول صلى الله عليه وآله، إلاّ ما اشتمل عليه القرآن الكريم من إشارات ونصوص.

إتّسعت دائرة وضع الحديث بعد عصر الرسول صلى الله عليه وآله، ولا سيّما في عصر معاوية وما تلاه، ومن هنا، أخذت حقائق التاريخ تغيب تحت هذا الركام.

وقف الإمام عليّ عليه السلام وبنوه وصحابتهم أمام حركة منع تدوين الحديث، فدوّنوا ما أمكنهم تدوينه.

لا بد من تقويم مستندات الكتب التاريخية وعدم الاعتماد على كلّ ما جاء فيها من أحاديث، بالرغم من اشتمالها على أحاديث قيّمة لا غنى للباحث التاريخي عنها.

إختبارات البحث

١. تكلم عن كيفية وقوع كارثة المنع عن تدوين الحديث الشريف.
٢. وضح دور أهل البيت عليهم السلام في الحفاظ على تاريخ الرسول صلى الله عليه وآله وسيرته.
٣. ما هي المصادر العامة للتاريخ الإسلامي؟
٤. تكلم عن الأضرار الكارثية لحادثة المنع من تدوين الحديث.
٥. أذكر بعض المآخذ على ما لدينا من المصادر التاريخية.

البحث رقم (٣)

مصادر التاريخ الإسلامي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

أهداف البحث

١. توضيح أهم وأقدم المصادر التاريخية الإسلامية عند مدرسة أهل البيت.
٢. بيان الآثار التي تركتها هذه المصادر على الساحة الثقافية والعلمية والسياسية.
٣. تفسير دور أهل البيت عليهم السلام في تدوين الحديث.
٤. تعداد أهم المصادر التاريخية التي دونها أتباع أهل البيت عليهم السلام.
٥. التعريف بموسوعة التاريخ الإسلامي وبعض خصائصها.

مقدمة البحث

تكلمنا في البحث الماضي عن المصادر التي يستقى منها التاريخ الإسلامي، وعن أهمية تلك المصادر، إلا أن الكلام هناك كان عاما بغير تفاصيل تذكر في هذا المجال، ما يعني ضرورة الدخول في تفاصيل تلك المصادر، مع التعريج على بعض ما كتب من تاريخ للإسلام في عالمنا الشيعي.

المطلب الأول: دور أهل البيت عليهم السلام في تدوين الحديث

لقد كان الأئمّة الأطهار عليهم السلام ـ انطلاقاً من مسؤوليتهم ـ يحثون أتباعهم على تدوين الأحداث ورواية النصوص؛ لإيجاد تيّار قويّ قادر على حفظ التراث، الذي بدأت السلطة بالتمهيد لضموره وضياعه من خلال منع تدوين الحديث.

علماً بأنّ الكتاب والسنّة كانا يشكّلان ـ بحقّ ـ البذرة الأُولى للحضارة الإسلامية السامية من خلال الدعوة إلى القراءة والكتابة والتعلّم والتعقّل، والمبادرة للتجربة لاكتساب أنواع المعرفة وتعميمها وتعميقها، ويدعوان إلى الاهتمام بالسنّة النبوية الشريفة كالاهتمام بالكتاب العزيز، والتّوجه إلى سيرة الأنبياء وتاريخ الأمم بشكل خاصّ، ومن هنا، كان الحث من قبل أهل البيت عليهم السلام على تدوين السنة وتداولها

منسجماً مع محكمات الكتاب والسنة.

وقد أنتج هذا الحث الأكيد أثرين إيجابيين في المجتمع الإسلامي:

الأثر الأوّل: إهتمام أصحاب أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم بتدوين السنّة وقضايا التاريخ الإسلامي اهتماماً خاصّاً، تَمثّل في مجموعة من الكتب التاريخية والحديثية التي تكفّلت بحفظ التراث الإسلامي، ولا سيّما تراث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

الأثر الثاني: التمهيد لرفع الحظر الجادّ من خلال كسر الطوق الذي كان الحكّام قد طوّقوا به الأُمّة الإسلامية، لا سيّما محدّثيهم وعلماءهم.

وعلى هذا، فالمصادر التاريخية التي يمكن أن تلقي بضوئها على تاريخنا الإسلامي وسيرة الرسول وأهل بيته الطاهرين لا تنحصر في ما عرِف من كتب السيرة العامّة التي تعرّضنا لها في البحث السابق، وإنّما يجد الباحث نفسه أمام تراث تاريخي ثريّ لا يمكن التغافل عنه أو تناسيه أو تسقيطه لأنّه من تدوين أتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم. ما يعني أن التعرّف على هذه المصادر التاريخية يعتبر فرضاً علميّاً لا غنى للباحث عنه.

ومن الطبيعي أيضا أن تنتقل إلينا سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسنّته من خلال أهل بيته الطاهرين، فإنّهم أحفظُ لها وأدرى بها، وقد حرص أتباعهم على تدوينها وتناقلها بحسب تسلسل الأجيال والقرون.

المطلب الثاني: مصادر مدرسة أهل البيت عليهم السلام التاريخية

وإليك تعريفاً موجزاً بهذه المصادر حسب تسلسلها التاريخي، مع الإشارة إلى مؤلّفيها:

١ـ الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ): له خصائص أخبار الأئمّة الإثني عشر، على ترتيب أيّامهم، ذاكراً فيه تواريخ مواليدهم وأعمارهم ووفياتهم وقبورهم، وطرفاً من حجج النّصوص وحقائق البراهين عليهم، ولمعاً من جواباتهم وأقوالهم وأحاديثهم

(صلوات الله عليهم أجمعين).

وقد ابتدأ بكتابته قبل (سنة ٣٨٣هـ)، ولم يكمل من هذا الكتاب سوى خصائص الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

وله أيضا: نهج البلاغة، الذي تضمّن جملة من خطب الإمام عليّ عليه السلام ورسائله وكتبه، وتضمّن جملةً من حقائق التاريخ التي ترتبط بعصر الرسول صلى الله عليه وآله والعصر الذي تلاه، حتّى أيام حكومته واستشهاده عليه السلام .

٢ـ الشيخ المفيد (م ٤١٣ هـ). له كتاب: الإرشاد إلى معرفة حجج الله على العباد، وهو أوّل كتاب جمع فيه تواريخ الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام. وقد جاء فيه ذكر السيرة النبويّة الشريفة عَرَضاً ضمن عرضه لتاريخ الإمام عليّ عليه السلام على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله.

٣ـ الشيخ الشهيد محمّد بن الفتّال النيسابوري (م ٥٠٨هـ). له كتاب: روضة الواعظين، في مجلّدين، وخصّ الأوّل منهما بالجانب العقائدي والتاريخي للنبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.

٤ـ الشيخ أبو علي الطبرسي (م ٥٤٨هـ). له كتاب: إعلام الورى بأعلام الهدى، يشتمل على تواريخ مواليد وأعمار الأئمّة عليهم السلام، وطرف من أخبارهم ومحاسن آثارهم والنّصوص الدالّة على صحّة إمامتهم، وافتتح كتابه بالكلام عن مولد النبيّ صلى الله عليه وآله ومبعثه وحياته وصفاته وأحواله وبعض غزواته ووفاته وقراباته صلى الله عليه وآله.

وله كتاب تفسيري جامع بعنوان مجمع البيان لعلوم القرآن تضمّن بيان حوادث التاريخ خلال تفسيره للآيات، جاء بها من مصادرها العامّة والخاصّة.

٥ـ قطب الدين الراوندي (م ٥٧٣هـ). له كتاب: قصص الأنبياء، يقع في عشرين باباً، خصّ البابين الأخيرين بخاتم النبيّين صلى الله عليه وآله، وله أيضا كتاب: الخرائج والجرائح، خصّه بمعجزاته صلى الله عليه وآله.

٦ـ محمّد بن عليّ الحلبي (م ٥٨٨هـ). له كتاب: مناقب آل أبي طالب. وقد افتتحه بذكر سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله.

٧ـ الشيخ عليّ بن عيسى الأربليّ (ت ٦٩٣هـ). له كتاب: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة. وقد بدأ بحوثه بذكر شيء من أحوال الرسول ﷺ وصفاته.

٨ـ السيّد هاشم البحراني (ت١١٠٧هـ). له كتاب حلية الأبرار: محمّد وآله الأطهار.

٩ـ الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠هـ). له كتاب شهير تحت عنوان: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأطهار عليهم السلام. وهو أكبر موسوعة (قرآنية ـ حديثية) تعتمد على تتبّع الأصول المعتبرة لدى مدرسة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، المهجورة منها والمتداولة المشهورة، فألّف منها كتاباً منسّق الأبواب والفصول. وطبع بالطبعة الحديثة في (١١٠) أجزاء، وبلغت أجزاء السيرة النبويّة وسيرة الأئمّة عليهم السلام ثمانية وثلاثين جزءاً، سوى أجزاء الاحتجاجات والتراث الذي جاء عنهم عليهم السلام في كلّ مجال من مجالات المعرفة، وسوى أجزاء حياة الأنبياء عليهم السلام.

لقد كانت محاولة المجلسيّ ـ رضوان الله تعالى عليه ـ محاولة شاملة لكلّ ما تمكّن من جمعه وضبطه وتصنيفه تاريخاً نقليّاً وليس تحليليّاً. ما جعل النصوص التي جمعها مشتملة على الصحيح والضعيف، والغثّ والسمين، فهي إذن بحاجة إلى غربلة علميّة دقيقة تتناسب ومهمّة المؤرّخ الباحث الفاحص.

ومن هنا، جاءت المحاولة الموسوعية لأحد المختصين بحقل التاريخ والمهتمّين بمصادر الفريقين تحت عنوان: موسوعة التاريخ الإسلامي[1]، لتسدّ المرحلة الأُولى من هذا الفراغ العلمي الذي تحتاجه الساحة الإسلامية، لتتلوها سائر الخطوات والمحاولات التي تستكمل بها عمليّة البناء التاريخي الإسلامي على أُسس علميّة متينة، معتمدة على نصوص القرآن الكريم المحكمة، ونصوص السنّة الشريفة المعتبرة، ومحكمات العقل الصائب، ومستجدّات العلم، التي تفتح للدراسات التاريخية التحليلية آفاقاً جديدة.

---

(١)تأليف الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، نشر مجمع الفكر الاسلامي، يستوعب العصر النبوي منها أربعة أجزاء في ثلاثة آلاف صفحة تقريباً.

خلاصة البحث

إهتمّ الأئمة المعصومون وشيعتهم بتداول أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله، والتزموا بالتدوين الذي أسفر عن إبطال الحظر، وساهم في إيصال مجموعة كبيرة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام إلينا.

ومن هنا، ولدت مصادر تاريخيّة وحديثيّة إلى جانب المصادر العامة، إختصّ بتدوينها أتباع أهل البيت عليهم السلام، وهي بوجودها تلقي الحجّة على كل مؤرّخ ومتتبّع؛ حيث انّه لا يستغني عنها، ولا يكون معذوراً فيما إذا تغافل عنها؛ لأنّها لا تقلّ في قيمتها التاريخيّة عن سائر المصادر التي اشتهرت عند المسلمين، بل تتمتع بمصادر لم تتوفر في المصادر العامة.

تشكّل مجموعة أجزاء بحار الأنوار موسوعة حديثيّة غنيّة في مجال التاريخ والسيرة وغيرهما من مجالات المعرفة الإسلامية، ولعلّها أوسع موسوعة حديثية في مجال التاريخ والسيرة، ولكنّها بحاجة إلى دراسات تكميليّة حديثة غاية في الأهمية.

تأتي (موسوعة التاريخ الإسلامي) في عصرنا الراهن لترفد المكتبة الإسلامية بمحاولة جديدة تقوم بغربلة المصادر ومحتوياتها، ولا تغفل عمّا أفرزته آيات القرآن الكريم من حقائق تاريخيّة ينبغي للباحث أن يأخذها بنظر الإعتبار.

إختبارات البحث

١. أذكر بعض أهم مصادر تاريخ الإسلام عند مدرسة أهل البيت.

٢. ما هو دور أهل البيت عليهم السلام في تدوين الحديث؟

٣. ما هي أهم المصادر التاريخية التي دونها أتباع أهل البيت عليهم السلام؟

٤. عرف بموسوعة التاريخ الإسلامي.

٥. إشرح العبارة التالية: «كان الحث من قبل أهل البيت عليهم السلام على تدوين السنة وتداولها منسجماً مع محكمات الكتاب والسنة».

البحث رقم (٤)

جغرافية شبه الجزيرة العربية إبان البعثة النبوية الشريفة

أهداف البحث

١. بيان ضرورة دراسة العصر الجاهلي وشبه الجزيرة العربية لمن يريد الإحاطة بتاريخ الإسلام.

٢. توضيح الجوانب التي ينبغي دراستها عند دراسة العصر الجاهلي.

٣. تعداد الخصائص الاجتماعية لعرب الجزيرة.

٤. تفسير إطلاق مصطلح (العصر الجاهلي) على عصر ما قبل الإسلام.

٥. معرفة خصائص بيئة الرسالة الإسلامية دينيا وثقافيا.

مقدمة البحث

لكي تكون دراستنا لتاريخ الإسلام ومقدار ما أثره هذا الدين العظيم على عالم الإنسانية جمعاء دقيقة موضوعية فنية، فإنه لا بد من إلقاء الضوء على البيئة التي ولد فيها هذا الدين وترعرع، وهي منطقة شبه الجزيرة العربية، فلا بد من الكلام في جغرافية المنطقة، وخصائص ساكنيها ومستواهم الديني والثقافي، فتتبين نقاط القوة التي تمتع بها هذا الدين القيم، فنستلهم من ذلك الدروس والعبر.

المطلب الأول: جغرافية شبه الجزيرة العربية

عرفت بلاد العرب عند مؤرّخي اليونان والرومان باسم أرابيا Arabia ، بينما يطلق عليها مؤرخو العرب وجغرافيّوهم اسم «جزيرة العرب».

أمّا عن حدود شبه الجزيرة العربية، فيحدّها من الشرق الخليج الفارسي وبحر عُمان، ومن الغرب البحر الأحمر، ومن الشمال بادية الشام، ومن الجنوب المحيط الهندي.

وتختلف بلاد العرب من حيثُ طبيعتها باختلاف أجزائها، فبعض أجزائها تغطّيه كثبان الرمل، وبعض تكسوه الصخور، وبعض منخفض تكثر فيه الواحات من

غيرانتظام وهي موطن القبائل فى الغالب[١] وبعضها مرتفع.

أمّا مناخ شبه الجزيرة العربية، فصحراوي حارّ جدّاً في الصيف، وبارد جدّاً في الشتاء، ومن حيثُ الأمطارُ، فقليلة تسقط في الخريف والشتاء والربيع بدفعات غير منتظمة، أما في اليمن، فتسقط صيفاً بفعل الرياح الموسمية الآتية من شرقي أفريقي[٢]

أمّا من ناحية الحاصلات الزراعية والنباتات، فيأتي النخيل في مقدّمتها، ويكثر وجوده في الواحات. ويزرع من الحبوب: القمح والشعير والذرّة وتشتهر (فدك) ووادي القرى وخيبر والمدينة والبحرين بإنتاج الشعير، أمّا القمح، فيكثر في اليمامة، والذرة في عسير، وتشتهر الطائف بإنتاج الكروم وأنواع الفاكهة، ويزرع البرتقال والسفرجل في المناطق المرتفعة، والموز في بعض الوديان الصّالحة نحو الجنوب.[٣]

المطلب الثاني: العصر الجاهليّ

عرف عصر ما قبل الإسلام في الجزيرة العربية «بالعصر الجاهلي»، والجاهلية هنا لا تؤخذ بمعنى الجهل الذي هو نقيض العلم، بل تعني: السفه والغضب والأنف.[٤]

فعرب الجاهلية كانوا على جهل بالشرائع الحقّة والأحكام العادلة والمُثُل العليا التي جاء بها الإسلام، وعلى هذا الأساس، يصحّ إطلاق لفظ الجاهلية هذا على العصر السابق لعصر النّبيّ ﷺ.[٥]

وقد ورد لفظ الجاهلية في القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر الجاهلي.

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْم

---

(١)دراسات في تاريخ العرب: ١٠٥ وما بعدها.

(٢)عصر ما قبل الإسلام: ٢٨. محاضرات: ١٥.

(٣)المصدران السابقان.

(٤)لسان العرب ١٣ : ١٣٦.

(٥)المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: حاشية ص ١٥٤.

يُوقِنُونَ﴾.[١]

وورد في معلّقة عمرو بن كلثوم الثعلبي قوله:

ألا لا يجهلن أحد علينا *** فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فالجاهليّة كلمة أطلقت على العصر السابق لعصر الإسلام مباشرة، الذي قوامه الوثنيّة والحميّة والأخذ بالثار واقتراف ما حرّمه الدين من الموبقات.[٢]

المطلب الثالث: الحياة السياسيّة في الجزيرة العربيّة

كانت القبيلة الوحدة السياسيّة عند العرب في عصر ما قبل الإسلام، فأفراد القبيلة ينتمون أو يعتقدون أنّهم ينتمون إلى أصل واحد مشترك، تجمعهم وحدة الجماعة، وتربطهم رابطة الدم والعصبية للأهل والعشيرة، ورابطة العصبية هي: شعور بالتماسك والتضامن والإندماج بين من تربطهم رابطة الدم، فهي بذلك تعدّ مصدراً للقوّة السياسية والدفاعية بين أفراد القبيلة، فتعمل العصبية بذلك على بناء المجتمع وحفظ كيانه، وهي تعادل الشعور بالقومية في العصر الحاضر، ولكن رابطة الدّم فيها أقوى وأوضح، والفرد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقبيلته، وينصرها ظالمة كانت أم مظلومة.[٣]

وهكذا، كان المجتمع العربي قبل الإسلام مجتمعاً مفكّكاً سياسيّاً، ينقسم إلى وحدات متعدّدة قائمة بذاتها، تمثّلها القبائل المختلفة، فالعصبية في ذلك المجتمع قضت على فكرة الترابط السياسيّ، حتّى في حالة الإنتساب إلى إحدى المجموعتين الكبيرتين: العدنانية والقحطانية، ممّا أدّى إلى قيام صراع بين هاتين العصبيتين.[٤]

أمّا عن نُظُمِ الحكم السائدة في تلك المجتمعات القبليّة؛ فقد كان لكلّ قبيلة

---

(١)المائدة: ٥٠ .

(٢)راجع: العصر الجاهلي: ٣٩.

(٣)محاضرات في تاريخ العرب:١٥٢ .

(٤)دراسات في تاريخ العرب:٥٧٠ .

مجلس من شيوخها، يرأسه رجل يتمّ اختياره من بين أفراد القبيلة، ويطلقون عليه ألقاباً، منها: الرئيس والشيخ والأمير والسيّد.[١]

ويشترط في من يتولّى هذا المنصب أن تتوفّر فيه عِدّة صفات تؤهّله لقيادة القبيلة ورئاستها، منها: الشجاعة والحكمة والصبر والكرم، وأن يكون ذا نفوذ عظيم وقوّة في البيان ورأي ثاقب[٢]، وكان على سيّد القبيلة واجبات، أهمّها: قيادة الجيش، وتولّي أمر المفاوضات مع القبائل الأُخرى، وفضّ المنازعات، والحكم في الخلافات، وإعانة الضعفاء، وإيواء الغريب، وإجارة المجير، والذّود عن النّساء، والمحافظة على وحدة القبيلة.[٣]

وكان مجلس القبيلة يعقد اجتماعاته بدار الندوة، أو المنتدى أو النادي، حيث تناقش الأُمور والمسائل التي تخصّ القبيلة كإعلان الحرب، أو إقرار السلم، وتتّخذ قراراته بعد التشاور والمناقشات بالأغلبية.[٤]

المطلب الرابع: بيئة الرسالة الإسلامية اقتصاديا واجتماعيا

الحياة الإقتصادية في جزيرة العرب تتمثل في الزراعة، والرعي، والصناعة، والتجارة.

فأما الزراعة، فكانت محدودة في مناطق معينة، وأهمها يثرب، والطائف، واليمن، والسبب هو طبيعة أرض الجزيرة الصحراوي.

وأمّا الرعي، فكان مورد الرزق لأهل البوادي، الذين ينتقلون من مكان إلى آخر طلباً للكلأ والماء.

وأما الصناعة، فلم تعرف الجزيرة ذلك، إلاّ اليمن، والحيرة، ومشارق الشام، فقد

---

(١)التاريخ السياسي للدولة العربية ١ : ٤٩.

(٢)راجع: بلوغ الإرب ٢ : ١٨٧.

(٣)التاريخ الإسلامي العام: ٤٨١ ـ ٤٨٢.

(٤)محاضرات في تاريخ العرب : ١٥٥.

امتازت بالحياكة، والدباغة، والنجارة، وصناعة الحديد والآلات الحربية، واستخراج المعادن وغيرها.

وكان اليهود في يثرب ينتجون الأدوات الزراعية وصناعة الأسلحة.

وأمّا التجارة، فكانت عماد اقتصادهم، وأكبر وسيلة للحصول على مستلزمات الحياة، وأكبر مصدر للثروة.

وتوزعت الطرق التجارية في أنحاء الجزيرة، وكانت أشهر الطرق هي التي تربط اليمن ببلاد الشام، وكانت مكة ملتقى القوافل التجارية التي تسلك تلك الطرق.

وكان العرب يستوردون من الشام: القمح، والدقيق، والخمر، ومن الحبشة النجور، والجلود، والتوابل، والأطياب، والعاج، والرقيق، ومن الهند: الذهب، والعاج، والأحجار الكريمة، والمنسوجات، وخشب الصندل، وغير ذلك ويُصدّرون إلى البلاد الأُخرى: الزيت، والسمن، والصوف، والوبر، والجلود.

ولهم أسواق كانوا يقيمونها شهور السنة وينتقلون من بعضها إلى بعض ويحضرها العرب للبيع والشراء.

وأهم هذه الأسواق: عكاظ، وذو المجاز، ومجنة في مكة، وحباشة في تهامة، وسوق عدن، وسوق الرابية بحضرموت.

وكان أهل الحجاز يتعاطون الربا، وكان فاشياً بينهم.

وأما الناحية الاجتماعية، فتنقسم إلى علاقات، وعادات.

فأما العلاقات، فهي:

١ ـ علاقة الرجل بزوجته: فكانت تختلف باختلاف أوساط العرب بعضها عن بعض؛ فعلاقة الرجل بزوجته في طبقة الأشراف على درجة من الرقي، فكان للمرأة من حرية الإرادة ونفاذ القول القسط الوافر، وهي محترمة مصونة ومع ذلك السيادة للرجل، وهو نافذ الكلمة في الأُسرة.

ويتم ارتباط الرجل بالمرأة بعقد الزواج تحت إشراف أوليائها، ولم يكن

من حقها أن تخالفهم.

وتوجد صور اُخرى من عقود الزواج نهى عنها الإسلام.

منها: زواج الشغار: وهو أن يتزوج الرجل اُخت أو بنت رجل آخر في مقابل أن يتزوج الآخر اُخت أو بنت الأول.

ومنها: زواج المقت: وهو أن يتخذ الرجل زوجة أبيه زوجة له بعد طلاقها من الأب أو بعد موته.

هذا، وتوجد صور اُخرى من النكاح ترجع إلى السفاح والفاحشة.

وكانت ظاهرة تعدد الزوجات من غير تحديد بعدد معيّن منتشرة بين العرب، وكانوا يجمعون بين الاُختين.

والزنا ظاهرة منتشرة في جميع الأوساط والطبقات بلا استثناء، إلاّ من بعض الأفراد والبيوتات.

والمرأة في المجتمع الجاهلي مهضومة الحقوق، فأموالها تبتز، وإرثها يؤكل، وتترك أحياناً كالمعلقة من قبل زوجها، وتورث كما يورث المتاع.

وأما علاقة الرجل بأولاده، فبسبب خوف العار كانوا يئدون البنات، كما كانت توأد لدفع الشؤم عنهم، كما إذا كان في البنت عاهة بدنية، وخوف الفقر عامل آخر يدفعهم لوأد البنات، بل و الصبيان أحياناً.

والذي يرث من الأولاد هم الكبار الذين يستطيعون أن يقاتلوا، وأما النساء والبنات والصبيان، فلايرثون شيئاً.

وأمّا علاقة الرجل بأخيه وأبناء عمّه وعشيرته، فكانت قوية، تصل إلى حد التعصب لهم، فينتصر لهم على كل حال، ولذا كانوا يأخذون بالمثل المعروف: أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً.

وأما العلاقة بين القبائل المختلفة، فكانت مفككة، ولذا تجد وقوع الحروب والمنازعات في ما بينهم ولو على أتفه سبب، كحرب البسوس التي طالت أربعين

سنة بسبب قتل ناقة، وأُريقت فيها دماء كثيرة.

نعم، وجدت التحالفات والتعاهدات بين بعض القبائل مما لم يشمل العرب، لكنّها محدودة.

وأمّا العادات، فهي على قسمين:

الأول: العادات الحميدة: فالوفاء كان أمراً مقدساً يتمسكون به، وإغاثة الملهوف، وإقراء الضيف، والكرم، و غير ذلك.

الثاني: العادات السيئة: مثل: لعب القمار ـ المعروف بالميسر ـ حتى كان الرجل يقامر على أهله.

وتفشّي شرب الخمر فرادى وجماعات، والغش، والخديعة وأمثال ذلك.

المطلب الخامس: بيئة الرسالة الإسلامية دينياً وثقافياً

أولا: البيئة الدينية

إنّ من يستقرئ الأديان التي كانت موجودة في المنطقة العربية في زمن بعثة رسول الله ﷺ، يجدها خليطاً عجيباً من الأديان.

أ ـ عبادة الكواكب: ففي اليمن وحرّان وأعلى العراق، كان فئات من النّاس يعبدون الكواكب والنّجوم، وهم الصابئة.

ب ـ المجوسيّة: وكان في البحرين وفي العراق فئات من النّاس يعتنقون الديانة الزرادشتيّة ـ المجوسيّة ـ التي تقدّس النّار، وتعتبرها عنصر خير لأنّها مصدر النّور، وكان مهد هذه الديانة بلاد فارس.

ج ـ النّصرانية: وفي شمال الجزيرة العربية، في قبائل تغلب وقضاعة وغسّان، وفي جنوبها، في اليمن، حيث تخضع هذه القبائل لسيطرة الرومان النّصارى، كانت تسود الديانة النصرانيّة.

د ـ اليهوديّة: ونجد في اليمن، وفي وادي القرى، وفي خيبر، وفي تيماء، وفي يثرب حيث بنو قريظة، وبنو النّضير وبنو قينقاع، تجمّعات يهوديّة لها وزنها سياسيّاً

وعسكريّاً واقتصاديّاً.

هـ ـ الوثنية: كانت الوثنية منتشرة في جميع أنحاء الجزيرة العربية، حتى لتعتبر الديانة الأكثر أتباعاً والأكثر انتشاراً فيها.

١. نشأة الوثنيّة

يقال: إنَّ أوّل من أدخل عبادة الأصنام إلى مكّة عمرو بن لُحيّ الخزاعي، حين كانت السيادة على مكة لخزاعة دون قريش، وذلك أنّه أصيب بمرض الحكّة في جلده، فَوُصِف له الاغتسال بماء حارّة في بلاد حوران اليوم ـ ويرجّح أنّها مياه الحِمَّةِ الكبريتيّة على الحدود السوريّة الفلسطينيّة ـ فذهب، فاغتسل بها، فشفاه الله، ووجد هناك النّاس يعبدون الأصنام، فحمل معه صنماً، فنصبه في الكعبة المشرّفة.

ويقال: إنّ أصل عبادة الأصنام حدثت عندما كثر أبناء إسماعيل عليه السلام واضطرّوا أن يخرجوا من مكّة طلباً للعيش، فكانوا يحملون عند خروجهم شيئاً من تراب الحرم الذي يحمل ذكرى الكعبة، أثر أبيهم إسماعيل، ثم حملوا هذا التراب للحفاظ عليه، وتطوّرت الذكرى إلى تقديس، فعبادة.

٢. أصنام العرب

ومن أصنامهم: مناة، اللاّت، العُزّى، هُبل، إساف ونائلة، ودّ، يغوث، يعوق، نَسْر، جهار، شمس، الفلس، السعيدة، ذو الخليصة، ذو اللّبا، المحرق، ذريح، مَرْحَب المنطبق، ذو الكفّيْن.

٣. إيمان الوثنيين بالله تعالى

وكان الوثنيون يؤمنون بالله العليِّ الأعلى، وأنّه هو الخالق البارئ المصوِّر، وقد حكى القرآن الكريم إيمانهم هذا بقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ الله﴾.[1]

---

(١)لقمان: ٢٥.

وهم لا يعبدون هذه الأصنام إلاّ لتكون وسيلتهم إلى الله، كما قال تعالى على لسانهم: ﴿وَمَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إلى الله زُلْفَى﴾[١]، وبذلك وقعوا في مفارقات غريبة لا يقبلها عقل، ولا يقرُّها منطق.

ثانيا: البيئة الثقافية

إتّفقت كلمة المؤرّخين على أنّ العرب ـ قبل بعثة الرسول ﷺ ـ كانوا يتّصفون بالأُمّيّة، وسجّل القرآن هذه الحقيقة عندما قال:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾.[٢]

ولا ننكر أنّ العرب كانوا على علم بالنّجوم والطبّ، ولكن علمهم بالنّجوم كان لا يتعدّى مقدار احتياجهم إليها كأداة من أدوات الإستدلال على الإتجاهات في الصحراء التي تنعدم فيها معالم الطّرق، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾.[٣]

وأمّا علمهم بالطبّ، فإنّه كان لا يتعدّى الوصفات الشعبيّة المتداولة المبنيّة على أساس من التجربة لا على أساس من العلم[٤]، وعندهم أيضا علم الأنساب، وعلم الأثر.

ونستطيع أن نحصر علوم العرب في عِلْمَيْن أساسيّين، هما: التاريخ، واللّغة.

ونريد بالتّاريخ: أيّام العرب وأنسابهم، ولعلّ ذلك كان من لوازم الحياة القبليّة، حيث كان رجال القبيلة يسمرون، فيقصّ بعضهم على بعض أيّام العرب، ويذكرون أنسابهم فيتفاخرون بها فيما بينهم.

---

(١)المزمر: ٣.

(٢)الجمعة: ٢.

(٣)الأنعام: ٩٧.

(٤)نور العيون وجامع الفنون، المقدّمة، تحقيق الدكتور محمد رواس.

خلاصة البحث

التعرّف على تاريخ وجغرافية المنطقة التي ولد فيها خاتم الأنبياء ﷺ ونشأ وعاش في أرجائها حتّى بعثه الله برسالته، يساعدنا على الوقوف على الدّور الذي لعبه النبيّ ﷺ ورسالته المباركة في النّقلة الحضارية الكبرى لإنسان هذا الموطن.

إنّ أهم عصب للحياة الإقتصادية في بلاد الجزيرة هو التجارة، ولذا، إهتم العرب بذلك أشد الاهتمام، كما تعتبر الحركة التجارية ظاهرة حضارية لها ميزتها.

كانت الحياة الاجتماعية في المجتمع الجاهلي فاسدة أشد الفساد، فالجهل متفش، والخرافات لها موقعها في النفوس، والناس طبقات مترفة ومعدمة. وأما المرأة، فتعتبر وعاء لإنجاب الأولاد، وأداة للخدمة، إلاّ من بعض الأُسر والبيوتات.

تعدّدت الأديان التي كانت منتشرة قبل ظهور الإسلام في الجزيرة العربيّة والمناطق المحيطة بها. فبالإضافة إلى المسيحية واليهودية وأهل الكتاب، كانت هناك المجوسية وعبادة الأصنام والكواكب، وكانت الوثنية منتشرة في جميع أنحاء الجزيرة العربية، وكانت أكثر الأديان أتباعاً.

أمّا بالنّسبة للحالة الثقافية، فقد أكّد المؤرِّخون على أنّ الأميّة كانت منتشرة في الجزيرة، وسجّل القرآن الكريم هذه الظاهرة، كما كان العرب يهتمّون بتاريخ الوقائع وأيّامهم والأنساب، ولم يُعرف العرب وقتئذ بالفلسفة ولا بالعلوم الأُخرى.

إختبارات البحث

١. ما هي أهمية دراسة العصر الجاهلي وشبه الجزيرة العربية لمن يريد الإحاطة بتاريخ الإسلام؟

٢. وضّح الجوانب التي ينبغي دراستها عند دراسة العصر الجاهلي.

٣. عدّد الخصائص الاجتماعية لعرب الجزيرة حين البعثة النبوية.

٤. ما معنى: (العصر الجاهلي)؟

٥. تكلّم عن خصائص بيئة الرسالة الإسلامية ثقافيا.

البحث رقم (٥)

البعثة النبويّة المباركة فجر الرسالة الإسلامية

أهداف البحث

١. بيان مبدأ التاريخ الإسلامي.

٢. توضيح أول ما نزل من القرآن على رسول الله ﷺ.

٣. وصف رسم القرآن الكريم للخطوط العريضة للرصيد الفكري والقيمي للحركة الإسلامية.

٤. تعداد مراحل الدعوة في العهد المكي.

٥. تسمية أهم التوجيهات القرآنية الأولي التي رسمت منهج الحركة الإسلامية.

مقدمة البحث

بعد أن ألقينا الضوء على البيئة التي ولد فيها الدين الإسلامي في البحث السابق، نبدأ اليوم بالكلام عن التاريخ الإسلامي، من كيفية ابتدائه، ونزول القرآن على نبينا الأعظم ﷺ في مكة المكرمة، وما نزل من تلك الآيات في مجال تأسيس وتبيين المنهج الذي تتبعه الحركة الإسلامية، هذا علاوة على ما قام به ﷺ من نشاطات في بداية الدعوة المباركة.

المطلب الأول: البعثة النبويّة المباركة فجر الرسالة الإسلامية

هناك تساؤلات لمعرفة مبدأ التاريخ الإسلامي، وهو أنه هل كان النبي يعلم بنبوته قبل البعثة؟ ومتى علم ذلك؟ ومتى نزل القرآن عليه؟ وهل اقترنت بعثته بنزول الوحي القرآني؟ أو هناك وحيان: قرآني وغير قرآني؟

لدينا نصوص عديدة تدل على أنّ النبيّ محمداً ﷺ كان على علم بأنّه سيكون رسولا، ولكنه لم يطلب منه القيام بمهمّة الرسالة إلاّ بعد أن بلغ الأربعين، المعروف عند أهل البيت عليهم السلام ـ وهم أدرى بما في البيت ـ أنّ البعثة النبويّة المباركة كانت في السابع والعشرين من شهر رجب الأصبّ.

فعن الإمام الصادق عليه السلام : أنّه اليوم الذي اُنزلت فيه النبوّة على محمّد صلى الله عليه وآله[١]، وعن الإمام الهادي عليه السلام أنّه يوم بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله إلى خلقه رحمةً للعالمين.[٢]

ويؤيّده ما رواه في كنز العمال عن البيهقي، وعن سلمان الفارسي (رضي الله عنه)، وما رواه الحلبي عن الدمياطي في سيرته عن أبي هريرة.[٣]

وفي المأثور من أدعية أهل البيت عليهم السلام: اللهم، إني أسألك بالتجلي الأعظم في هذه الليلة من الشهر المعظم والمرسل المكرم. اللهم، بارك لنا في ليلتنا هذه التي بشرف الرسالة فضلتها ... اللهم، فإنا نسألك بالمبعث الشريف، والسيد اللطيف، و العنصر العفيف... .[٤]

نعم هناك من ذهب إلى أنّ البعثة كانت في ربيع الأوّل، أو شهر رمضان استناداً إلى قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ﴾ معتبراً ضرورة اقتران البعثة بنزول القرآن[٥]. ولا ضرورة تاريخية لاقتران البعثة النبوية بنزول القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة البعثة المباركة.

المطلب الثاني: أوّل ما نزل من القرآن

إتّفقت نصوص كثيرة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام وغيرهم على أنّ أوّل ما نزل من القرآن هو مطلع سورة العلق (وهي الآيات الخمس الاُولى). ولم يذكر فيها بصراحة أنّ نزول هذا المطلع كان مقارناً لبدء البعثة النبويّة المباركة. ولكن، روى الطبرسي عن الإمام علي عليه السلام أنّ أوّل ما نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله بمكّة هو (فاتحة الكتاب) ثم (إقرأ) ثم (ن والقلم).[٦]

---

(١)الكافي ٤: ١٤٩.

(٢)تهذيب الأحكام ١: ٤٣٨.

(٣)السيرة الحلبية ١: ٣٨٤.

(٤)مصباح الكفعمي: ٥٣٥.

(٥)الطبري٢: ٤٤. اليعقوبي٢: ٢٢.

(٦)مجمع البيان ١٠: ٤٠٥.

ويؤيّده ما رواه الواحدي في أسباب النزول بسنده عن شرحبيل بن عمرو.[١]

وعلى أيّ حال فلا مانع من سبق البعثة النبويّة وتقدّمها على نزول مطلع سورة العلق أو الحمد من القرآن الكريم.

وعلى هذا، يصحّ أن تكون البعثة وبداية الوحي غير القرآني في رجب، ويكون بدء الوحي القرآني في شهر رمضان .

وهناك من النصوص ما يقدّر هذا الفاصل بثلاث سنين، وهو فترة الدعوة السريّة. و على هذا، فالتسلسل الطبيعي للأحداث يكون كالآتي:

١ ـ بُعِثَ النبيّ ﷺ يوم الإثنين في السابع والعشرين من رجب.

٢ ـ والتحق به خاصّته من أهل بيته (عليّ وخديجة ﴿عليهما السلام﴾) في يوم الثلاثاء، وأعلنا إيمانهما بنبوّته، والسير على خطى هديه، وتعاهدا معه على مؤازرته والدفاع عنه، ولم يكتما إيمانهما به، ولا الاتّباع له، حيث أنّهما كانا يصلّيان معه في فناء الكعبة أمام الناس عامّة.[٢]

٣ ـ واستمر ذووه بالإلتحاق به، فالتحق جعفر وزيد بن حارثة وأبو طالب ﴿عليهم السلام﴾، واطّلع عامّة بني هاشم على نبوّته من دون أن يطلب منهم الإيمان أو النصرة والمؤازرة في بداية الأمر، حتّى نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [٣]، حيث استكملوا الأربعين.

٤ ـ والتحق به بالتدريج جمع غفير من سائر القبائل.

٥ـ وقبيل إظهاره الدعوة، توالت آيات القرآن بالنزول، حتى أمر ﷺ بالقيام بالإنذار.

٦ـ ثم حدّدت له الآيات القرآنية تاريخ البدء بإنذار العشيرة الأقربين بشكل خاص، وطلب منهم الإيمان به، والنّصرة لدينه، والمؤازرة له.

---

(١)أسباب النزول: ١١.

(٢)كما تشهد له قصة عفيف الكندري. راجع: إعلام الورى: ٣٨١.

(٣)الشعراء: ٢١٤.

٧ـ ثمّ أُمر بإنذار عامّة الناس بعد أن أحكم أساس دعوته بالإعلان عن وجود من يخلفه في هذا الطريق الربّاني ويرعى مسيرته، وهو ربيبه وابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، الذي أعلن بكلّ صراحة وشجاعة عن مؤازرته له والدفاع عنه أمام بني هاشم وبني المطّلب (عشيرته الأقربين)، في القصّة المعروفة بحادثة يوم الدار.

المطلب الثالث: مراحل الدعوة والتبليغ في العهد المكّي

وإذا قسّمنا عصر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عهدين متميّزين: العهد المكّي والعهد المدني؛ فلنا أن نقسِّم كل عهد منهما إلى مراحل. وعليه، نستطيع أن نقسّم العهد المكّي إلى ثلاث مراحل، هي:

١ـ مرحلة إعداد القاعدة الأُولى، أو بناء النواة الجهادية الأُولى للدعوة.

٢ـ مرحلة إعلان الدعوة وبداية المواجهة والصراع مع الوثنيّة والشرك. وهي تتمثل في خطوتين:

أ. إنذار العشيرة الأقربين.

ب. الإعلان العام.

٣ـ مرحلة الإمتداد والهجرة بعد اشتداد الصراع وتصاعد المواجهة.

المطلب الرابع: التوجيهات القرآنية ومنهج الحركة الإسلامية

حين نستقرئ الأوامر الأُولى الموجّهة إلى الرسول صلى الله عليه وآله في مطالع السور الأُولى، نحصل على منطلقات ومنهج الحركة الإسلامية التي رسمها القرآن الكريم للرسول العظيم صلى الله عليه وآله، ولأتباعه المؤمنين برسالته، وهي كَالآتى:

١ـ التثقيف والتعليم على أساس الهَدْي الربّاني: ﴿اِقْرَأْ باسْمِ ربِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الاْنْسَانَ مِنْ عَلَق * اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الاَْكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الاْنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم﴾[1]، وَ ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[1].

---

(١)العلق: ١ـ ٥.

٢ـ التربية على العبادة والخضوع التامّ والذكر الدّائم لله تعالى والتوكّل عليه: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً... وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ... وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً. رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾. [٢]

٣ـ القيام والحركة لله، وتكبيره وتعظيمه كما ينبغي: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾. [٣]

٤ ـ ترك الذّنوب والموبقات، وتجنّب الإنحرافات على جميع المستويات: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ﴾. [٤]

٥ـ الصبر والإستقامة والصمود حتّى تحقّق النصر: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ.. وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ .. وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾. [٥]

٦ـ اللّين في التعامل من دون إدهان: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾[٦]، ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾. [٧]

٧ـ عدم إطاعة المكذِّبين وعدم الخضوع لهم أو الانخداع بأساليبهم: ﴿فَلاَتُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ .. وَلاَتُطِعْ كُلَّ حَلاَّف مَهِين...﴾. [٨]

وتهدف الرسالة الإسلاميّة في كلّ مراحلها وبكلّ أساليبها إلى تربية الإنسان المسلم على مكارم الأخلاق ومعاليها، والابتعاد به عن سفاسفها من خلال التأسّي بالرسول الخاتم ﷺ والالتزام بالأحكام الإلهيّة، والتسلّح بالرؤية التوحيديّة للوجود والحياة. حيث رسم القرآن الكريم الخطوط العريضة للرصيد الفكري والقيمي لهذه الحركة المباركة .

---

(١)المزمل: ٤.
(٢)المزمل: ٢ـ ٩.
(٣)المدثر: ٢ـ ٣.
(٤)المدثر ٤ـ ٦.
(٥)المزمل ١٠ـ ١١.
(٦)المزمل ١٠.
(٧)القلم: ٩.
(٨)القلم: ٨ـ ١٦.

خلاصة البحث

كان النبيّ ﷺ مؤيّداً مسدّداً قبل البعثة المباركة من قبل السماء، وأُنزلت عليه النبوّة وهو ابن أربعين سنة، قبل أن ينزل عليه القرآن الكريم في يوم الإثنين في السابع والعشرين من رجب المرجّب. وكان أوّل ما نزل من القرآن حسب أكثر النصوص عند الفريقين هو مطلع سورة العلق.

وكانت سورة «الحمد» و«المزمّل» و«المدثّر» و«القلم» و«المسد» هي السور التالية لها، التي رسمت للنّبيّ ﷺ منهج الحركة والدعوة إلى الله سبحانه.

وقد آمن بالنبي ﷺ زوجته خديجة عليها السلام، وربيبه علي بن أبي طالب عليه السلام، وغلام خديجة زيد بن حارثة، وابن عمّه جعفر بن أبي طالب، حتّى تكامل المسلمون أربعين شخصاً خلال ثلاث سنوات من النبوّة.

تنقسم مراحل الدعوة إلى دين الله الخالد في العهد المكّي إلى ثلاث مراحل:

مرحلة إعداد القاعدة الأُولى، ثمّ مرحلة الإعلان وبداية المواجهة ضمن خطوتين، ثمّ مرحلة الإمتداد والهجرة.

إختبارات البحث

١. كيف بدأ التاريخ الإسلامي؟ أذكر دليلا على ما تدعي.

٢. ما هو أول ما نزل من القرآن على رسول الله ﷺ؟

٣.كيف رسم القرآن الخطوط العريضة للرصيد الفكري والقيمي للحركة الإسلامية؟

٤. ما هي مراحل الدعوة في العهد المكي؟

٥. أذكر أهم التوجيهات القرآنية الأولي التي رسمت منهج الحركة الإسلامية.

البحث رقم (٦)

البعثة النبوية من الدّعوة الخاصّة حتّى الإعلان العامّ

أهداف البحث

١. توضيح المرحلة الأولى من العهد المكي، وأهم ما قام به الرسول ﷺ في هذه المرحلة.

٢. بيان أهم الأسس التي بنى عليها رسول الله ﷺ النواة الأولى لدعوته ورسالته.

٣. التعريف ببداية المرحلة الثانية من العهد المكي.

٤. توضيح كيفية بدء الرسول ﷺ دعوته إلى الناس جميعا.

٥. ذكر زمان بدء الرسول ﷺ دعوته إلى الناس جميعا.

مقدمة البحث

قلنا: للعهد المكي مرحلتان، ولا بد من الكلام عن كل واحدة من هاتين المرحلتين بالتفصيل؛ فإن لهاتين المرحلتين الأهمية القصوى في التاريخ الإسلامي، من حيث الحقيقة من جهة، ومن حيث استلهام العبر والمناهج والمعايير من جهة أخرى، ومن حيث إدراك واستيعاب البعد الإلهي وتدخل يد السماء في تاريخ البشرية والإنسانية وهدايتها من جهة ثالثة.

المطلب الأول: المرحلة الأولى من العهد المكّي

وهي المرحلة التي استغرقت ثلاث سنوات، وقد اصطلح عليها المؤرّخون والباحثون بالمرحلة (السرّية)؛ حيث اقتصر تحرّك الرسول ﷺ على من كان يمتلك سلامة الفطرة، وكان عنده ميل للإسلام؛ ولهذا، إقتصرت الدعوة حينئذ على جملة من المستضعفين في مكّة وعشيرة الرسول ﷺ، وكانت أمام الرسول ﷺ نقطتان هامّتان في هذه المرحلة، وهما:

١ـ بناء النواة الجهادّية الأُولى للدّعوة.

٢ـ حماية هذه النواة والمحافظة عليها.

ومن المهم أن نتكلم ـ ولو باختصار ـ عن هاتين النقطتين الحساستين:

أولا: بناء النواة الجهادّية الأُولى

نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله حينما أمر بتبليغ الرسالة إلي الناس جميعا، إنما بدأها بحكمة، وإنما بدأها ضمن مخطط إلهي يتكفل إنجاح هذه الرسالة المباركة بعبئها الثقيل وبتحملها كأمانة كبرى، فكان ينبغي أن تنتقل إلي الأجيال المسلمة والمؤمنة لتكون مشاعل في الطريق إلى كل أبناء البشرية؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله حينما بدأ رسالته بدأها رسالة عالمية، بدليل النصوص القرآنية الكثيرة منها: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾[١]، ﴿نَذِيراً لِلْبَشَرِ﴾[٢]، ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾[٣]. أن هذه النصوص تبين أن هذه الرسالة وإن انطلقت من جزيرة العرب، إلا أنها رسالة عالمية لكل البشر، بل ولكل زمان ومكان.

ولأجل أن تكون هذه الانطلاقة قوية سليمة صحيحة، كان من الضروري أن يقوم النبي صلى الله عليه وآله ببناء الجماعة الصالحة، وإعدادها لتكون بمثابة القاعدة الطليعيّة للدعوة، خاصة وأنّ مرحلة البداية والانطلاق في تاريخ الدعوة تعدّ من أهمّ المراحل التي تواجهها الدعوات، ولابدّ من التخطيط لها بما يتناسب مع الأهداف والظروف المحيطة بها، فإذا أُخذ بنظر الاعتبار المهمّة والمسؤولية المتعلّقة بالجانب التغييري بأبعاده الفكرية والإجتماعية في مجتمع جاهلي يؤمن بأرباب متفرّقين، وعلاقاته القائمة على أساس الاستعباد والرقّ وسيادة (الملأ) الذين ارتبطت مصالحهم واستمرار سلطانهم بعبادة الأوثان وتقديسها، فإنه لا بد من تربية تلك القاعدة من الجماعة الصالحة.

---

(١)سبأ : ٢٨.

(٢)المدثر: ٣٦.

(٣)التكوير: ٢٨.

وقد كشفت وقائع السيرة في المراحل التالية لهذه المرحلة[١] مدى خطورة هذه المرحلة ، لا سيّما إذا لاحظنا مدى عنف ردّ الفعل الذي قوبلت به الدعوة من قبل المجتمع الجاهلي يومئذ.

لقد كان ردّ الفعل هذا ـ وما اتّسم به من العنف بأقصى مداه ـ يعكس إدراك الملأ القرشي لمدى خطورة هذه الدعوة وما تبشِّر به، من مبادئ العدل والأُخوّة بين الناس، والمساواة، المؤدّية إلى تحطيم لمصالحهم المادّية غير المشروعة، وتهديم لمواقعهم الإجتماعية التي حازوها لا عن جدارة.

إنّ خطوات الرسول القائد ﷺ كانت ذات أثر كبير في إكمال البناء الأوّل، وإعداد القاعدة الطليعية لحمل الرسالة والحفاظ عليها. فمن هذه الخطوات:

١ـ إختيار الأشخاص الذين يتمتّعون بمواصفات خاصّة تتناسب مع عظمة الرسالة.

٢ـ الحيطة والحذر في التحرّك، والكتمان مهما أمكن.

٣ـ إتّخاذ مقرّ خاصّ للقاءات (وهو دار الأرقم).[٢]

٤ـ التأنّي والدقّة في التعامل ، وعدم التظاهر بالممارسات العباديّة الجديدة.

٥ـ التعليم والتربية الفكرية والأخلاقية والروحيّة على أساس مفاهيم الرسالة الجديدة وقيمها. وهو أهمّ عناصر البناء والإعداد الرسالي، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾.[٣]

ثانيا: حماية النواة الأولى والمحافظة عليها

تواجه كل الدعوات والحركات تحدّياً كبيراً يهدّدها بالإضعاف والإنحراف، إن لم تتّخذ التدابير الوقائية اللاّزمة للحيلولة دون ذلك.

---

(١)راجع: ابن هشام ١ : ٤٦ وما بعدها.

(٢)تاريخ الطبري ١: تاريخ ما قبل الهجرة.

(٣)الجمعة : ٢.

والتاريخ البشري مليء بالتجارب التي تمكّنت من تحقيق انطلاقات كبرى ومكاسب مهمّة، لكنّها سرعان ما تلاشت وأخذت اتّجاهات اُخرى سارت بها بعيداً عن منطلقاتها وأهدافها.(١)

في حين أنّ النواة والقاعدة الاُولى للدعوة الإسلامية قد تجاوزت ذلك بفضل القيادة العظيمة المتمثّلة في شخصية الرسول الأعظم ﷺ، التي لم تعرف الإنسانية مثيلاً لها على امتداد تاريخها، مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ الرسالة الإسلامية دعوة عالمية، تهدف إلى إحداث تحوّل شامل وعميق في حياة الإنسانية، تنتقل عبره من الظلمات إلى النّور. ما يعني الحاجة الملحّة إلى حماية البناء الأوّل وإحكامه، حيث يعدّ قاعدة التحرّك في مواجهة الوثنية العالميّة ووسائلها المتعدّدة، فإنّ طبيعة الدعوة والرسالة الإلهية، تناقض بصفة جذريّة اُصول ومرتكزات الفكر والحياة الجاهليين، في الاعتقاد وطريقة التفكير وطريقة العمل وأنواع العلاقات، فهي تمثّل ردّاً حاسماً على كل القيم الجاهلية، وانقلاباً جذرياً على ثقافة العصر، وممارساته.(٢)

والقرآن العزيز يوضّح مستوى ثقافة قوم النبيّ ﷺ، ومدى سيطرة الجهل عليهم، من خلال تصويره لبعدهم عن الثقافة الإلهية، حيث لم ينذَروا من قبل، ولم يرسل إليهم رسول ليقوم بمهمّة الإنذار والدّعوة لله سبحانه. قال تعالى: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا اُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَيُؤْمِنُونَ﴾.(٣)

وقال أيضا: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّا﴾(٤).

كما قرّر القرآن حقيقة اُخرى كان يعيشها المجتمع الجاهلي، وهي الصدارة الإجتماعية المبنيّة على الثراء والجاه، من هنا، كانوا يرون أنّه لابدّ أن يُنزّل القرآن

---

(١)مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه: ١٤ .
(٢)دراسة في السيرة: ٩٩، بتصرّف.
(٣)يس : ٦ ـ ٧ .
(٤)مريم : ٩٧ .

على أحد رجلين كانا يتمتّعان بمنزلة مادية اجتماعية رفيعة في ذلك المجتمع. قال تعالى حاكيا ذلك عنهم: ﴿لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُل مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيم﴾.[١]

فالدعوة ـ في هذه الفترة ـ كانت في حاجة أكيدة إلى نماذج نوعيّة أكثر قابليّة للانضباط، وذات استعداد عال للعطاء، لبناء قاعدة الاضطلاع الحقيقي بالمشروع الإسلامي على طول الخطّ، حتى إقامة الدولة والمجتمع الإسلامي.

المطلب الثاني: المرحلة الثانية من العهد المكّي

وهي المرحلة التي تبدأ بإنذار العشيرة الأقربين، ثمّ الدعوة العامّة في مكّة، من أجل توسيع دائرة حركتها وتأثيرها في المجتمع المكّي وغيره من المجتمعات.

وبعد أن اجتاز النّبيّ ﷺ المرحلة الأُولى بنجاح تام، وهيّأ القاعدة الأُولى للانطلاق، حيث بلغ عدد الداخلين في الإسلام أربعين رجلاً، أنزل الله سبحانه عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾.[٢]

ولمّا نزلت هذه الآية المباركة، أمر النبيّ ﷺ ربيبه وابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام بصنع طعاما ودعوة بني عبد المطلب وبني هاشم ، فصنع علي عليه السلام ما أمره النبيّ ﷺ. ولمّا أكلوا وشربوا، أخبرهم الرسول ﷺ بأنّه قد جاءهم بخير الدنيا والآخرة، ثم قال لهم: من يؤازرني على هذا الأمر فيكون أخي ووصيّي وخليفتي عليكم؟ فلم يجبه أحد غير عليّ عليه السلام ثلاثاً، فأمرهم النبي ﷺ بعد إجابته بالسمع له والطاعة، فأخذ القوم يضحكون، وقالوا لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لابنك.[٣]

وهكذا، كان التأسيس الإلهي للولاية جنباً إلى جنب مع الإعلان عن الرسالة ودعوة الناس إليها.

---

(١)الزخرف: ٣١ .

(٢)الشعراء: ٢١٤ .

(٣)تاريخ الطبري ٢ : ٦٢ .

وذكر اليعقوبي أنّهم قد اجتمعوا في دار الحارث بن عبد المطّلب، وبعد أن أكملوا الطعام تكلّم رسول الله ﷺ، فأنذرهم كما أمره الله، ودعاهم إلى عبادة الله تعالى، وأعلمهم تفضيل الله إيّاهم، واختصاصه بهم إذ بعثه بينهم...

فقال أبو لهب: خذوا على يدي صاحبكم قبل أن يأخذ على يده غيركم، فإنْ منعتموه، قُتلتم، وإن تركتموه، ذللتم. فقال أبو طالب: يا عورة! والله لننصرنّه، ثمّ لنعيننّه. يابن أخي، إذا أردت أن تدعو إلى ربّك، فأعلمنا حتّى نخرج معك بالسلاح.[1]

وهكذا، إنفضّ الاجتماع عن إعلان عميد البيت الهاشمي (أبي طالب) قرار البيت الهاشمي، ألا وهو حماية النّبيّ ﷺ، وعدم تسليمه إلى المكذّبين برسالته.

المطلب الثالث: الإعلان العامّ

وبعد أن تمّ بناء القاعدة (الصلبة) للدعوة، أصدر الله أمره إلى رسوله الكريم بأن يتجاوز هذه المرحلة، فيجهر برسالته ودعوته. وبالفعل، لقد صدع الرسول ﷺ بالأمر ، ولكنه واجه من قومه الصد والاعتراض، خصوصاً من وجهاء مكة المكرمة ، ومنذ تلك اللحظة، إنفجر الصراع الواضح المكشوف بين المعسكرين: معسكر الشرك ومعسكر الإيمان.

والمسلمون لم يؤمروا بالعنف ـ طيلة العصر المكّي ـ لئلا يتعرّضوا لعملية إبادة تحقّق للوثنيّة ما كانت تأمله وترجوه... .

وقد بدأ الملأ من قريش نشاطهم المضادّ في سلسلة من الاتصالات المبطّنة بالوعد والوعيد مع أبي طالب ومحمّد ﷺ، فلما أعقبت جميعها فشلاً ذريعاً حيث أعلن النبي ﷺ عن موقفه الذي لا مهادنة فيه ولا مساومة، في كلمته الحاسمة والمعروفة: «والله يا عمّ، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، على أن أترك هذا الأمر أو أُقتل دونه، ما تركته...»، هنا، وجدت الوثنية نفسها مسوقة إلى استخدام أساليب العنف والاضطهاد والحرب النفسيّة لإيقاف الخطر الجديد

---

(١)تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٧ .

المحدق بها وبمصالح أصحابها. وانقضّت كلّ عشيرة على أبنائها وعبيدها المسلمين تعمل فيهم تعذيباً واضطهاداً وتحطيماً للمعنويات، ولم ينج الرسول ﷺ نفسه من هذا البلاء النازل، فاتهم بالجنون ، وبكونه مسحورا، وشكك في رسالته ، وأمثال ذلك.

ولكن، كان الرسول ﷺ يبثّ في أصحابه روح الثبات والمقاومة، ويرسم لهم ببصيرته الثاقبة، وبالهدي الإلهي، الطرائق والأساليب التي تقترب بهم يوماً بعد يوم من الهدف الذي كان قد وعد أصحابه ببلوغه مهما طال الطريق وعظمت المصائب... ولم يكن التخطيط للهجرة الموقوتة إلى الحبشة، والاتّصال المستمر بالقبائل والوفود القادمة إلى مكّة، والذهاب إلى الطّائف، ولقاءات العقبة الثلاثة، إلاّ خطوات على الطريق...

وبعد أن شعرت قريش أنّها قد أخفقت في كلّ الأساليب التي اعتمدتها للحدّ من انتشار الرسالة التي حملها محمّد ﷺ، إرتأت في أعقاب اجتماع عقده زعماؤها أن تستخدم سلاح (المقاطعة الشاملة) كعقاب جماعي للمسلمين وحماتهم من بني هاشم وبني المطلب، لعلّها تضعف قدرة أتباع النبيّ ﷺ على المقاومة، وتدفع حماتهم إلى أن ينفضّوا من حولهم، ويتركوهم لوحدهم، معزولين، مجرّدين من الحماية، وسط عاصفة الغضب الهوجاء التي اجتاحت صدور المشركين وساحات مكّة، إلاّ أنّ السلاح الجديد قد ثلم هو الآخر أيضا إزاء مقاومة المسلمين وبني هاشم، وعلى رأسهم أبو طالب عليه السلام، حامي الرسول ﷺ، وناصره على طول الخطّ.

إذن، استتبع إعلان الدعوة العام المواجهةَ من قبل رموز الجاهليّة الذين عبّر عنهم القرآن الكريم بالملأ، وكانت قريش ببطونها هي المخاطب الأوّل لدعوة النبي ﷺ، وكانت استجابتها ـ وهي في الموقع الإجتماعي والسياسي المرموق عند عرب الجزيرة ـ تشكّل منعطفاً كبيراً في تقدّم الرسالة، كما كان إحجامها وتلكّؤها يشكِّل عقبة كؤوداً أمام حركة الرسالة وتطوّرها.

خلاصة البحث

بدأ الرسول الأعظم ﷺ دعوته إلى الله سبحانه، وكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ربيبه وابن عمّه، أوّل المؤمنين برسالته، وأوّل من عبد الله مع رسوله.

كما كانت أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام أوّل امرأة آمنت بنبوته وبرسالته، ثمّ آمن ربيبه زيد بن حارثة، أو جعفر بن أبي طالب من بني هاشم، واستمرّت الدعوة حتّى بلغت القاعدة الأُولى أربعين شخصاً من رجال ونساء.

ثمّ أُمر النبي ﷺ بإعلان الدعوة بدءًا بعشيرته الأقربين، وأسفر الإجتماع ببني المطّلب وبني هاشم عن إعلان النبوّة وولاية العهد معاً، وأعلن أبو طالب عليه السلام حمايته للنبي ﷺ ودعوته، بالرغم من وقوف أبي لهب في الموقع الأوّل من المواجهة.

ثم بدأت الدعوة العامّة، وأخذ الملأ من قريش يخطّطون لتحجيم الرسول ﷺ وحركة الرسالة، ويطوّرون أساليبهم حسب تطوّر حركة الرسالة بالتدريج.

إختبارات البحث

١. تكلم عن المرحلة الأولى من العهد المكي، وأهم ما قام به الرسول ﷺ في هذه المرحلة.

٢. بين أهم الأسس التي بنى عليها ﷺ النواة الأولى لدعوته ورسالته؟

٣. عرف ببداية المرحلة الثانية من العهد المكي.

٤. تكلم عن كيفية بدء الرسول ﷺ دعوته العامة.

٥. ما السر في أمره ﷺ من قبله تعالى بأن يدعو عشيرته الأقربين قبل غيرهم؟

البحث رقم (٧)

مواجهة قريش الرسالة المحمدية الشريفة (١)

أهداف البحث

١. بيان الأسباب التي دعت قريش لمواجهة الرسالة.
٢. التعريف بموقف الهاشميين، وخاصة عميدهم أبا طالب من الرسالة.
٣. تعداد المراحل التي قطعتها قريش في هذه المواجهة.
٤. توضيح الأساليب التي انتهجتها قريش في المواجهة.
٥. بيان موقف المسلمين وصبرهم وتحملهم في سبيل الرسالة.

مقدمة البحث

لم يكن من المتوقع أن تستسلم قريش لرسالة النبي ﷺ على الرغم من أنها تعرفه بالصدق والأمانة طيلة دهره، بل كان الصدام أمرا طبيعيا بينها وبين الإسلام والمسلمين، لكون المصادمة بين الحق والباطل أمرا طبيعيا تفرضه طبيعة كل منها.

وقد كان لهذا الصدام من حيث المنهج والأدوات مراحل متعددة، حاولت قريش فيها أن تبذل كل ما في وسعها لإطفاء نور الله سبحانه وتعالى، فيما صبر حاملو هذا النور في وجه جميع تلك المحاولات.

المطلب الأول: أسباب مواجهة الرسالة

أشار المؤرّخون إلى مجموعة من الأسباب التي دعت قريشا إلى مواجهة الرسالة المحمدية الشريفة، و نحن نكتفي هنا بالإشارة إلى أهمّها:

أولا: التنافس على السيادة القبلية

كانت زعامة مكّة قد آلت إلى بطون قبيلة قريش، وكان أشرف البطون إطلاقاً أولاد عبد مناف (بنو هاشم، بنو المطّلب، بنو عبد شمس، بنو نوفل)[1]، وقد

---

(١)الطبقات ١ : ٧٧ .

تقاسمت هذه البطون مناصب الشرف، فاختصّ الهاشميون بالسقاية والرِّفادة، وهو من أخطر المناصب آنذاك وأكثرها كلفةً، واختصّ بنو عبد الدار باللّواء، وهو رمز لوحدة قريش، واختصّ بنو عبد شمس بالقيادة التي آلت إلى أبي سفيان.

كان هاشم أوّل من سنّ رحلتي الشتاء والصيف، وفي السنين العجاف لم يكن لمكّة غير هاشم من يطعم الناس ويشبعهم، وكان يحمي ابن السبيل ويؤمِّن الخائف وينهى عن أكل الحرام، ويجالس الملوك، فكثيراً ما دخل على النّجاشي وقيصر فأكرماه، مما جعله قائداً فعليّاً لمكّة، الأمر الذي أثار حسد أميّة، واعتباره خطراً يهدِّد حصّتها في القيادة(١).

وخلف هاشماً ابنه عبد المطّلب الذي كان متخلِّقاً بأخلاق أبيه، فنهى عن الظلم والبغي، وحثّ على الوفاء بالنّذر، ومنع نكاح المحارم، ونهى عن وأد البنات، وحرّم الخمر والزنا، وكانت رؤياه حقّاً، ودعاؤه مستجاباً، وكان يفي بالعقود، ولا يظلم، ولا يغدر، ويحرّم أكل الميتة(٢).

كانت كلّ تلك الصفات والمزايا العالية تجعل من صاحبها زعيماً وقائداً فعليّاً، الأمر الذي أثار حسد البطون ووساوسها، فبدأت تشعر بالقلق من هذا التميّز الهاشمي، وكان أبو سفيان أكثرها قلقاً، ومما أزاد في قلقها: أنّ فتى عبدالمطلب يكلّم من السماء(٣)، وهذا ما يفصح عنه جواب أبي جهل حينما سأله أبو شريف: أترى محمداً يكذب؟ فقال له أبو جهل: «كيف يكذب على الله، وقد كنّا نسمّيه الأمين لأنّه ما كذب قطّ، ولكن إذا اجتمعت في بني عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة، ثم تكون فيهم النبوّة، فأيّ شيء يبقى لنا؟».

وكان أبو سفيان يقول: «كنّا وبني هاشم كفرسي رهان، كلّما جاؤا بشيء جئنا

---

(١)السيرة الحلبية ١: ٧. الطبقات ١ : ٧٦ ـ ٧٧.

(٢)تاريخ الطبري ٢: ٢٤٦ ـ ٢٥٤.

(٣)السيرة الحلبيّة ١ : ٤٦١.

بشيء مقابل، حتّى جاء منهم من يدّعي بخبر السماء، فأنّى نأتيهم بذلك؟»[١].

ولذا، كان البطن الأموي بقيادة أبي سفيان أكثر البطون القرشية معاداةً للنّبي ﷺ وللهاشميين؛ وذلك لأنّ دعوة النبي ﷺ تعني فقدان هذا البطن لمنصب القيادة، وقد شكّلت هذه البطون بقيادة أبي سفيان جبهة لمعارضة النبي وآل النبي، واستخدموا كلّ وسائل المعارضة[٢].

ثانيا: الثورة على مبادئ الجاهلية

لقد كان الإسلام ثورة على جميع مبادئ الجاهلية الظالمة الجائرة، من قبيل:

أـ جاء الإسلام بميزان التقوى، فرفع شعار: لا فرق بين عربي وأعجمي، ولا بين أبيض وأسود إلاّ بالتقوى والعمل الصالح، وألغى الفوارق المصطنعة للتفاضل بين أفراد المجتمع من مال، وجاه، وحسب، وأمثال ذلك، فصار العبد المؤمن أفضل من سيّده الكافر وإن كان من ذوي الجاه والثروة، وهذا مما أثار حفيظة المستكبرين.

ب ـ سفه عقول المشركين بما هم عليه من عبادة الأصنام والأوثان، والضرب بالأزلام، وانتقد الكثير من عاداتهم الجاهلية المقيتة، ذكر اليعقوبي في تاريخه: إنّ قريشاً قالت لأبي طالب عليه السلام: إنّ ابن أخيك قد عاب آلهتنا، وسفه أحلامنا، وضلّل أسلافنا، فليمسك عن ذلك، وليحكم في أموالنا بما يشاء...[٣].

ج ـ انتقد الرسول ﷺ متابعتهم للآباء والأجداد بلا نظر ولا تدبّر، لأنّهم كانوا يفترضونها أمراً مقدّساً لابدّ من الاحتفاظ به وإن كان أسلافهم على الباطل.

د ـ توجد أسباب أُخرى ربّما كانت مجرد مبرر لرفضهم دعوة التوحيد الخالص التي تتصادم مع مصالحهم ومكانتهم، مثل قولهم: ﴿... إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ

---

(١)المصدر السابق : ٤٩٧.

(٢)راجع: خلاصة المواجهة مع الرسول وآله، ص ١٩ ـ ٢٠.

(٣)تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٤.

مِنْ أَرْضِنَا﴾[١]، أي: رغم أنّ قولك يا محمد حقّ، ولكنّنا نخاف أن يتخطّفنا العرب من أرضنا ولا طاقة لنا بهم.

المطلب الثاني: مراحل المواجهة وأساليبها

أصبحت المواجهة بين النبيّ ﷺ والهاشميّين من جهة، وبين بقيّة بطون قريش من جهة اُخرى، قدراً محتوماً، واتّخذت المواجهة مراحل أربع، كما كان لكلّ مرحلة اُسلوبها الخاص بها.

المرحلة الاُولى: إتّخذت المواجهة في أولى مراحلها طابع الحرب الباردة، أي: المواجهة النفسيّة والإعلاميّة، واقتصرت أساليبها على السخريّة، والإهانة، والاتّهامات الباطلة، كالرمي بالجنون، والسحر، والكهانة، والشعر، كما استعملوا اُسلوب الترغيب، والترهيب، ومن صور هذه الأساليب: أنّ أبا جهل قال لأصحابه عندما رأى النبيّ يصلّي عند الكعبة: «من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟»، فقام ابن الزبعري، فأخذ فرثاً ودماً من جزور نحروه، فلطخ به وجه النبيّ ﷺ، فانفتل النبيّ من صلاته، ثمّ ذهب إلى أبي طالب فقال: «يا عمّ، ألا ترى ما فُعِلَ بي؟»، فقال أبو طالب: من فعل هذا بك؟ فقال النبيّ ﷺ: عبد اللّه بن الزبعري. فقام أبوطالب ووضع سيفه على عاتقه، ومشى معه حتى أتى القوم، فلما رأوا أبا طالب قد أقبل، جعل القوم ينهضون، فقال أبو طالب: واللّه، لئن قام رجل لجلّلته بسيفي، فقعدوا حتّى دنا إليهم، فقال: يا بنيّ، من الفاعل بك هذا؟ فقال ﷺ: عبد اللّه بن الزبعري. فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فلطخ وجوههم ولحاهم وثيابهم...[٢] .

وكان أبو لهب ـ لعنه اللّه ـ يتبع رسول اللّه ﷺ في الأسواق و يقول: «يا أيّها

---

(١)القصص: ٥٧ .

(٢)حياة أمير المؤمنين ١ : ٢٧١ ـ ٢٧٣.

الناس، إنّ هذا ابن أخي، وهو كذّاب، فاحذروه»[١].

المرحلة الثانية: صعّد المستكبرون المواجهة إلى اضطهاد المستضعفين من المسلمين من عبيد وغير عبيد، ممّن لا منعة لهم ولا عشيرة تحميهم أو تجيرهم، فعذّبت بعضهم، كخباب بن الأرت، وصهيب بن سنان، وبلال بن رباح، وسجنت آخرين، بل وصل التنكيل إلى القتل، فقد طعن أبو جهل سميّة أم عمار فقتلها، فكانت وزوجها أول شهيدين في الإسلام.

المرحلة الثالثة: وأما المرحلة الثالثة، فتتمثل في الحصار الإقتصادي والتضييق على المسلمين في المعاملة؛ إذ بعد أن أرادت قريش قتل النبيّ ﷺ، ولكنها لم يحالفها النجاح في ذلك، حيث بلغها أنّ أبا طالب عندما عَلِمَ بذلك قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم *** حتّى أُغيّب في التراب دفينا

فخشيت من عاقبة الأمر مادام أبو طالب حيّاً، إلتجأت إلى إعلان المقاطعة الكاملة الشاملة لبني هاشم، حيث كتبت قريش صحيفة ظالمة، بألاّ يبايعوا أحداً من بني هاشم، ولا يناكحوهم، ولا يعاملوهم، حتّى يدفعوا محمّداً إليهم ليقتلوه، وتعاهدوا وختموا على الصحيفة بثمانين خاتماً، وكان الذي كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، فشلت يده[٢].

فاعتزل بنو هاشم وبنو المطلب وعلى رأسهم أبو طالب عليه السلام في شعبه مدّة ثلاث سنين، عانوا فيها أشدّ المعاناة، ولكنّهم صمدوا إلى أن فرّج الله بفشل عمليّة الحصار عن طريق الإعجاز الإلهي، وذلك بأنّ الله سلّط الأرَضَة على الصحيفة، فأكلت كلّ ما فيها إلاّ اسم الجلالة، فأخبر الرسول عمّه أبا طالب بذلك، وعندما سمع الخبر، أخذ أبو طالب الرسول وأهل بيته إلى الكعبة، فجلس بفنائها، فجاءت

---

(١)تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٤.

(٢)سيرة ابن إسحاق ٢ : ١٤٧.

قريش من كلّ أُوْب، فقالوا: «قد آن لك يا أبا طالب أن تذكر العهد، وأن تشتاق إلى قومك، وتَدَع اللجاج في ابن أخيك».

فقال لهم: «يا قوم، أحضروا صحيفتكم، فلعلّنا أن نجد فرجاً وسبباً لصلة الأرحام وترك القطيعة»،؛ فأحضروها وهي بخواتيمهم. فقال: «هذه صحيفتكم على العهد لم تنكروها». فقالوا: «نعم». قال: «فهل أحدثتم فيها حدثاً؟»، قالوا: «اللّهمّ لا»، قال: «فإنّ محمّداً أعلمني عن ربّه أنّه بعث الأرَضَة فأكلت كلّ ما فيها إلاّ ذكر اللّه؛ أفرأيتم إن كان صادقاً ماذا تصنعون؟». قالوا: «نكفّ ونُمسك». قال: «فإن كان كاذباً، دفعته إليكم تقتلونه». قالوا: «قد أنصفت وأجملت»؛ ففُضّت الصحيفة، فإذا الأَرَضة قد أكلت كلّ ما فيها إلاّ مواضع بسم اللّه، فقالوا: «ما هذا إلاّ سحر، وما كنّا قطّ أجدُّ في تكذيبه منّا ساعتنا هذه».

وأسلم يومئذ خلق من الناس عظيم، وخرج بنوهاشم من الشعب وبنو المطلب، فلم يرجعوا إليه[1].

المرحلة الرابعة: بعد أن فشلت مرحلة الحصار، وبعد رجوع بني هاشم، وبني المطلب إلى منازلهم، حدث في ذلك العام أن توفّيت خديجة بنت خويلد، الزوجة الوفيّة والناصرة لرسول اللّه ﷺ وللرسالة، المرأة التي أنفقت كلّ ما تملك في سبيل اللّه، وكانت قد أنفقت آخر ما عندها في فترة الحصار.

رحلت إلى ربّها، وكانت تبلغ من العمر خمس وستّين سنة، وتوفّي الناصر المحامي عن رسول اللّه وعن الرسالة أبو طالب أيضا ، حيث نذر نفسه وكلّ ما يملك من مال وجاه في سبيل اللّه، وقد توفّي بعد وفاة خديجة بثلاثة أيّام، وله من العمر ستّ و ثمانون سنة، وقيل تسعون، ولمّا علم الرسول ﷺ بوفاته، دخل عليه، ومسح جبينه الأيمن أربع مرّات، وجبينه الأيسر ثلاث مرّات، ثمّ قال: «يا عمّ،

---

(١)تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣١ ـ ٣٢.

ربّيت صغيراً، وكفّلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك اللّه عنّي خيراً؛ ومشى بين يدي سريره، وجعل يعرضه ويقول: «وَصَلتكَ رحم وجزيت خيرا»[١].

وقد حزن الرسول ﷺ عليهما حزناً شديداً، وسمّي هذا العام بعام الحزن، وقال في هذه المناسبة: «إجتمعت على هذه الاُمّة في هذه الأيّام مصيبتان، لاأدري بأيّهما أنا أشدّ حزنا».[٢].

وبعد أن فشلت كل تلك المراحل من المواجهة، وبعد فقد الرسول ﷺ للمحامي والناصر، تعاهدت قريش على قتل الرسول ﷺ عن طريق اشتراك جميع القبائل باختيار شخص من كلّ قبيلة، فيجتمعون على الرسول ويضربونه ضربة رجل واحد، فيتوزّع دمه حينئذ بين القبائل، فيعجز بنو هاشم عن المطالبة بدمه ويقبلوا بالدية، فتنتهي دعوة التوحيد بموت الرسول ﷺ، ولكنّ اللّه عزّ وجلّ أخبر الرسول بعزم قريش، وأمره بالخروج من مكّة مهاجراً إلى المدينة، وبهذا، فشلت هذه المحاولة كما فشلت المراحل السابقة من المواجهة.

---

(١)تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥.

(٢)نفس المصدر.

خلاصة البحث

بعد أن أعلن الرسول ﷺ دعوته، تصدّت قريش ببطونها بشكل جادّ للقضاء عليها.

وكانت أهمّ أسباب هذه المواجهة: التنافس على السيادة القبلية، حيث كانت تشعر بأنّها ستصادر لو انتصر الرسول في دعوته، ثمّ الثورة على مبادئ الجاهليّة التي كانوا يتمسّكون بها؛ لأنّها مصدر سلطانهم وجاههم.

وكان للمواجهة مراحل أربع، ولكلّ مرحلة أُسلوبها، ابتداء من مرحلة الحرب الباردة، ثمّ التصعيد بالتعذيب والتنكيل لضعفاء المسلمين، ثمّ الحصار لبني هاشم، ثمّ التخطيط لقتل الرسول ﷺ.

إختبارات البحث

١. ما هي الأسباب التي دعت قريش لمواجهة الرسالة؟

٢. ما هو موقف أبي طالب من الرسالة المحمدية الشريفة؟ ما دليلك؟

٣. تكلم عن المراحل التي قطعتها قريش في مواجهتها للرسالة.

٤. ما هي الأساليب التي انتهجتها قريش في مواجهتها للرسالة؟

٥. كيف شاركت السماء في رفع الحظر عن النبي وأتباعه من بني هاشم وغيرهم؟

البحث رقم (٨)

مواجهة قريش الرسالة المحمدية الشريفة (٢)

أهداف البحث

١. بيان موقف القيادة الإسلامية من سياسة قريش في المواجهة لرسالته.

٢. بيان موقف المسلمين من سياسة قريش في المواجهة لرسالته.

٣. توضيح الأساليب التي اعتمدتها القيادة للتغلب على سياسة قريش وأساليبها.

٤. التعريف بالأساليب التي اعتمدها المسلمون للتغلب على سياسة قريش وأساليبها.

٥. فهم الجامع المشترك لكلّ مراحل المواجهة في العهد المكي.

مقدمة البحث

تكلمنا في البحث الماضي عن المنهج الذي انتهجته قريش في مواجهة الإسلام للمنع من انتشاره في الأرض، كما تعرضنا إلى صبر المسلمين وتحملهم في سبيل رسالتهم.

ونتعرض اليوم إلى موقف القيادة الإسلامية من تلك الأساليب، بالإضافة إلى أدوات الردع التي استعملتها القاعدة الإسلامية للتغلب على غطرسة قريش وجبروتها، والإستمرار في نشر النور والهداية.

المطلب الأول: موقف المسلمين من مراحل المواجهة وأساليبها

لمّا كان هدف الرسول ﷺ إعلاء كلمة التوحيد بكلّ ما تحمل من معاني الحقّ والخير والنور، والقضاء على معالم الكفر والشرك بكلّ ما يحملان من معاني الجهل والشرّ والباطل والظلام، كان لابدّ من معالجة مراحل المواجهة بما يتناسب مع الهدف الذي انطلق منه.

وكان الجامع المشترك في كلّ مراحل المواجهة في العهد المكي أمرين:

أـ التبليغ والدعوة إلى التوحيد بكلّ وسائل التأثير الفكري والعاطفي من الحكمة والتثقيف والتوعية والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وقد تكفّلت الآيات القرآنيّة هذه المهمّة بأُسلوب منطقي وصياغة بلاغيّة رائعة.

ب ـ عدم المواجهة الساخنة، وعدم استعمال العنف، بل الإعتماد علي الصبر الجميل، والهجر الجميل، مع الخلق العظيم.

ومع ذلك، كان الموقف في كلّ مرحلة يختلف عنه في المراحل الأُخرى، ففي المرحلة الأُولى من المواجهة، كان الموقف هو التبليغ لمن يتوسم منه القبول، وتجنب المجادلة والمحادثة مع المستكبرين المعاندين، وتجاوزهم.

وكان الموقف في المرحلة الثانية ـ مضافاً إلى التبليغ ـ الصبر على البلاء الذي حلَّ بالمستضعفين، ومحاولة إنقاذهم من البلاء بشراء العبيد المنكّل بهم، أو دخول البعض في جوار الوجهاء، ثمّ الأمر بهجرة بعض المسلمين إلى الحبشة فراراً من التعذيب.

قال اليعقوبي: «ولمّا رأى رسول اللّه ما فيه أصحابه من الجهد والعذاب، وما هو فيه من الأمن بمنع أبي طالب عمّه إيّاه، قال لهم: إرحلوا مهاجرين إلى أرض الحبشة إلى النجاشي؛ فإنّه يحسن الجوار».[(١)]

فخرج في المرّة الأُولى إثنا عشر رجلا، وفي المرّة الثانية سبعون رجلا سوى أبنائهم ونسائهم، وهم المهاجرون الأوّلون، فكان لهم عند النجاشي منزلة، وكان يرسل إلى جعفر فيسأله عمّا يريد.

وموضوع هجرة بعض المسلمين لم يرق لقريش، لذا وجّهت بعمرو بن العاص وعمارة بن الوليد المخزومي إلى النجاشي بهدايا، وسألوه أن يبعث إليهم بمن صار إليه من المسلمين، وقالوا: سفهاء من قومنا خرجوا عن ديننا، وضلّلوا أمواتنا،

---

(١)تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٩.

وعابوا آلهتنا، وإن تركناهم ورأيهم، لم نأمن أن يُفسدوا دينك.

فلمّا قال عمرو وعمارة للنجاشي هذا، أرسل إلى جعفر فسأله، فقال جعفر: إنّ هؤلاء على شرّ دين، يعبدون الحجارة، ويصلّون للأصنام، ويقطعون الأرحام، ويستعملون الظلم، ويستحلّون المحارم، وإنّ اللّه بعث فينا نبيّاً من أعظمنا قدراً، وأشرفنا سرراً، وأصدقنا لهجة، وأعزّنا بيتاً، فأمر عن اللّه بترك عبادة الأوثان، واجتناب المظالم والمحارم، والعمل بالحق، والعبادة له وحده.

فردّ على عمرو وعمارة الهدايا، وقال: أدفع إليكم قوماً في جواري، وعلى دين الحقّ، وأنتم على دين الباطل؟

وقال لجعفر: إقرأ عليّ شيئاً مما اُنزل على نبيّكم، فقرأ عليه: (كهيعص)[1]، فبكى، وبكى من بحضرته من الأساقفة.

فقال له عمرو: أيّها الملك، إنّهم يزعمون أنّ المسيح عبد مخلوق؛ فأوحشه ذلك، وأرسل إلى جعفر فقال له: ما تقول، وما يقول صاحبكم في المسيح؟

قال: إنّه يقول: إنّه روح اللّه، وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول، فأخذ عوداً بين إصبعيه ثمّ قال: ما يزيد المسيح على ما قلت وإلاّ مقدار هذا.

وبعد هذا، أقام المسلمون في الحبشة آمنين، واستمرّت إقامتهم ودعوتهم حتّى فتحت خيبر، حيث عاد جعفر إلى المدينة بأمر الرسول صلى الله عليه وآله.

وأمّا الموقف في المرحلة الثالثة بعد الاعتزال في شعب أبي طالب عليه السلام، فهو الصبر على المعاناة، والتثقيف الديني للمسلمين، والتقاء الرسول صلى الله عليه وآله بالجميع في المواسم للتبليغ.

وكان أبو طالب عليه السلام لشدّة حرصه على سلامة الرسول صلى الله عليه وآله إذا أخذ الناس مضاجعهم، أمر رسول اللّه فاضطجع على فراشه حتّى يرى ذلك من أراد به مكراً

---

(١)مريم : ١.

واغتيالا له، فإذا نام الناس، أمر أحد بنيه، أو إخوته، أو بني عمّه، فاضطجعوا على فراش الرسول، وأمر الرسول أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه[1].

وقد عرفت موقف الرسول ﷺ في المرحلة الرابعة، وهو الهجرة إلى يثرب، حيث كانت بداية تأسيس دولة الإسلام المباركة.

المطلب الثاني: ما بعد الحصار حتى الهجرة إلى يثرب

أولا: الدعوة إلى الإسلام

إجترأت قريش على رسول اللّه ﷺ بعد موت أبي طالب، وطمعت فيه، وهمّوا به مرّة بعد اُخرى، وكان الرسول يعرض نفسه على قبائل العرب في كلّ موسم، ويكلّم شريف كلّ قوم؛ لايسألهم إلاّ أن يؤووه ويمنعوه، ويقول: لا أكره أحداً منكم، إنّما اُريد أن تمنعوني ممّا يراد بي من القتل حتّى اُبلّغ رسالات ربّي، فلم يقبله أحد، وكانوا يقولون: قوم الرجل أعلم به.

ولم يكتف الرسول بذلك، بل خرج إلى عدّة مناطق يطلب النصرة والإيمان به، فلم يجبه أحد، ومن المناطق التي خرج إليها الطائف، وقصد ثقيف التي فيها ثلاثة إخوة هم يومئذ سادة ثقيف، وهم عبد ياليل بن عمرو، وحبيب بن عمرو، ومسعود بن عمرو؛ فعرض عليهم نفسه، وشكا إليهم البلاء، ولكنّهم سخروا منه، وأغروا قومهم به، فقعدوا صفين، فلمّا مرّ رسول اللّه ﷺ، رجموه بالحجارة حتّى أدموا رجله، وبعد أن يئس من نصرتهم، رجع إلى مكّة.

بعد ذلك التقى الرسول ﷺ بنفر من الخزرج، فعرض عليهم الإسلام، فقبلوا منه وآمنوا، وعندما رجعوا إلى قومهم، ذكروا لهم خبر الرسول، ودعوهم إلى الإسلام، حتّى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلاّ وفيها ذكر من رسول اللّه.

---

(١)البداية والنهاية ٣ : ٨٤ .

ثانيا: بيعتا العقبة الأُولى والثانية

بعد أن فشا خبر الرسول ﷺ في المدينة، وافى الموسم من الأنصار إثنا عشر رجلا، فلقوا الرسول ﷺ بالعقبة، فبايعوه بيعة النساء، وذلك قبل أن تُفترض عليهم الحرب، وسألوا الرسول ﷺ أن يبعث معهم من قبله من يدعو الناس إلى الإسلام، فبعث معهم مصعب بن عُمير، يقرئهم القرآن، ويعلّمهم الإسلام.

فلمّا كان العام القابل، خرج إليه جماعة من الأوس وجماعة من الخزرج، فوافى منهم سبعون رجلا وامرأتان بالعقبة، فأسلموا، وآمنوا، وسألوا رسول اللّه ﷺ أن يخرج معهم إلى المدينة، وقالوا: إنّه لم يصبح قوم في مثل ما نحن فيه من الشرّ، ولعلّ اللّه أن يجمعنا بك، وجمع ذات بيننا، فلايكون أحد أعزّ منّا.

وكان مع الرسول عمّه العبّاس، فتكلّم معهم، آخذاً العهد عليهم أن يمنعوه وأهله ممّا يمنعون منه أنفسهم وأهليهم وأولادهم، وعلى أن يحاربوا معه الأسود والأحمر، وأن ينصروه على القريب والبعيد، فأجابوه على ذلك، وانفضّ الاجتماع على هذا.

ثالثا: خروج الرسول ﷺ من مكّة

إقترنت هجرة الرسول ﷺ من مكّة إلى يثرب بعدّة أحداث:

أـ مبيت عليّ عليه السلام في فراش الرسول ﷺ مفدياً إيّاه بنفسه؛ لأنّ القوم الذين تعاقدوا على قتل الرسول ﷺ كانوا يراقبون فراشه من أعلى الجدار بين الفينة والأُخرى ليطمئنّوا على وجوده، ولذا، إلتحف عليّ عليه السلام ببرد الرسول ليظنّوا أنّه هو، وهذا الموقف أوجب أن يُباهي اللّه به ملائكة سبع سموات، قائلا لهم: «إنّني آخيت بينه وبين محمّد، وجعلت عمر أحدهما أطول من الآخر، فاختار عليّ الموت وآثر محمّداً بالبقاء، وقام في مضجعه...»[1].

ب ـ خرج الرسول ﷺ من بينهم وهو يقرأ أوّل سورة يس، فأخذ اللّه على

---

(١)تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٧ ـ ٣٨.

أبصارهم عنه فلايرونه، ونثر على رؤوسهم التراب، ولمّا اُخبروا بما على رؤوسهم من التراب، وخروج الرسول، فوجدوا التراب على رؤوسهم، ولكنّهم لم يصدقوا خروج الرسول؛ لأنّهم تطلّعوا فرأوا عليّاً عليه السلام على الفراش ملتفّاً ببرد الرسول، فيقولون: واللّه أنّ هذا لمحمّد نائماً.

ج ـ فلمّا حانت ساعة الوثوب على الرسول صلى الله عليه وآله، جاءوا إلى فراشه، فوجدوا عليّاً مكانه، فعلموا أنّ الرسول صلى الله عليه وآله علم بمكرهم.

د ـ طلب المشركون الأثر، ولكنّهم لم يقعوا عليه، حيث أعمى اللّه عليهم المواضع، ولذا، عندما وقفوا على باب الغار الذي اختبأ الرسول فيه، رأوا الحمامة قد عششت عليه، فظنّوا عدم وجود أحد في الغار، فانصرفوا، ثمّ بعد ذلك خرج الرسول متوجّهاً إلى المدينة، فوصلها بعد جهد وتعب، لأنّه سلك طريقاً غير مطروق.

وبوصوله انتهى العهد المكّي، وبدأ العهد المدني وتأسيس الدولة الإسلاميّة المباركة.

خلاصة البحث

كان موقف الرسول ﷺ والمسلمون من مراحل المواجهة وأساليبها يتناسب والهدف الذي بعث من أجله، ولذا، لم يصدر منه إلاّ التبليغ، والأمر بالصبر، وبعض التدابير الوقائية لحفظ المستضعفين من أتباعه، بشراء العبيد، أو إدخال البعض في حماية بعض الوجهاء، ثمّ الهجرة إلى الحبشة.

وكان نصيب قريش في كلّ مراحل المواجهة الفشل والخيبة، وفي المقابل، كان نصيب المسلمين انتشار دعوة التوحيد، حتّى قيض اللّه له موطناً للمنعة والنصرة.

إختبارات البحث

١. بين موقف القيادة الإسلامية من سياسة قريش في مواجهة الرسالة.

٢. ماذا كان موقف المسلمين من سياسة قريش في مواجهة الرسالة؟

٣. ما هي الأساليب التي اعتمدتها القيادة الإسلامية للتغلب على سياسة قريش وأساليبها؟

٤. عرف بالأساليب التي اعتمدها المسلمون للتغلب على سياسة قريش وأساليبها.

٥. ما هو الجامع المشترك لكلّ مراحل المواجهة في العهد المكي؟

البحث رقم (٩)

العهد المكّي والتمهيد لإقامة الدولة الإسلامية

أهداف البحث

١. تفسير عدم تشكيل الرسول ﷺ مجتمعا سياسيا في العهد المكي.
٢. تعداد أهم الإنجازات التي حققها الرسول ﷺ في العهد المكي.
٣. إستيعاب أهمية الخطوات التي قامت بها القيادة في العهد المكي.
٤. بيان جذور أطروحة الدولة الإسلامية في العهد المكي.
٥. التعريف بما جاء من قرآن وسنة في هذه المرحلة.

مقدمة البحث

بعد أن تكلمنا بالتفصيل عن العهد المكي وما جرى على الإسلام والمسلمين فيه، وما قامت به القيادة والقاعدة الإسلامية من نشاطات، تصل النوبة اليوم إلى تحليل دقيق لتلك الأحداث، فنتكلم عن السبب في عدم تشكيل الرسول ﷺ مجتمعا سياسيا في العهد المكي مثلا.

كما لا بد من وقفة تحليلية عند أهم الإنجازات التي حققها الرسول ﷺ في هذه المرحلة، لا سيما تلك التي جهزت لتأسيس أول دولة إسلامية في ما بعد على أرض المدينة.

المطلب الأول: جذور أُطروحة الدولة الإسلامية في العهد المكّي

لقد تكاملت ملامح الخطوط العامّة للدولة، والنظام السياسي ـ الاجتماعي، وقضيّة الحكم، بعد الهجرة إلى المدينة، وتكوين أوّل مجتمع سياسي إسلامي لأوّل مرّة في التاريخ، وإنشاء الدولة لهذا المجتمع وعلى أرضه، وإقامة الحكم الإسلامي بقيادة رسول الله ﷺ.

أمّا قبل ذلك ـ في العهد المكّي ـ فلم يتناول التشريع الإسلامي هذه الأمور

بصورة مباشرة وصريحة، لأنّ المسلمين في (مكّة) لم يكونوا مجتمعاً سياسيّاً، وإنّما كانوا جماعة عقيدية تحكمها علاقات تتراوح بين الاستغراب، والجفاء، والتوتّر، والعداء مع مجتمعها الذي كان محكوماً ـ وهي ضمنه ـ بنظام «الملأ»[١].

ولم تكن نقاط الخلاف والصدام بين الجماعة المسلمة ومجتمعها في (مكّة) مسائل سياسية بشكل مباشر، وإنّما كانت مسائل عقيدية، وفكرية، واجتماعية، ذات مفاعيل سياسية واقتصادية، بلا شكّ، ولكنّها لا تتضمّن اعتراضاً مباشراً على ما يتّصل بالسلطة السياسية في المجتمع.

ولم تشتمل الدعوة الإسلامية في هذا العهد على مفردات سياسية واضحة وصريحة، وإنّما كانت مفردات الدعوة مقصورة على قضايا العقيدة الأساسية الكبرى: قضية الألوهية والتوحيد بتوجيه العقول للبرهنة بحقائق الخلق وإبداعه على قدرة الله الشاملة الكاملة، وقضية النبوّة العامّة (النبوّات السابقة) ونبوّة محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وقضية (الحياة بعد الموت): البعث والمعاد واليوم الآخر، وقضية عدل الله تعالى، ورحمته ، وقدرته، وعلمه، وسائر صفاته، سبحانه وتعالى.

كما كانت مفردات الدعوة تشتمل على المسألة الإجتماعية: الفقراء والأغنياء، والظلم الإجتماعي والإقتصادي الذي يمارسه الأغنياء المتحكّمون المتسلّطون، وسلوك «المترفين» في الحياة الاجتماعية والسياسية.

ولكن، مع ذلك حمل العهد المكّي في القرآن والسيرة إشارات إلى طبيعة الدعوة الإسلامية، من الناحية السياسية، كما تضمّنت الآيات، وبعض وقائع السيرة إشارات إلى المستقبل.

---

(١)نظام الملأ: هو النظام الذي كانت (مكّة) محكومة به قبل الإسلام. حيث كان يحكمها مجلس يتكوّن من زعماء عشائر قريش، التي كان أبناؤها يمثِّلون أغلبية شعب (مكّة). فكان هذا المجلس يمثِّل السلطة السياسية والتنفيذية العليا في (مكّة)، ويرتكز بالدرجة الأولى على (نظام الإيلاف) التجاري، السياسي، الذي نظّم علاقات (مكّة) الخارجية بالقبائل الأُخرى، خارج (مكّة) ومحيطها، وبالدول المجاورة للحجاز.

وقد تضمّنت هذه الإشارات فكرة المجتمع السياسي، والدولة، والسلطة السياسية، والحكم.

وقد ورد ذلك في جملة من النصوص الإسلامية:

أ ـ القرآن الكريم

فممّا جاء في القرآن الكريم، جملة من الآيات، منها:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّلِحُونَ * إِنَّ فِى هَذَا لَبَلَغًا لِّقَوْمٍ عَبِدِينَ * وَمَآ أَرْسَلْنَكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَلَمِينَ * قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إلى أَنَّمَآ إِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَى سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾[١].

ففي هذه الآيات إشعار وإيحاء قويّ بأنّ وضع المسلمين لن يبقى على ما هو عليه في (مكّة) ، وأنّ لهم في المستقبل دولة وسلطاناً، وأنّ المكذِّبين المعتدين سيرون هذه الحقيقة في وقت قريب أو بعيد، ولكنّه آت على كل حال، وأنّهم سينالون عقابهم.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائرَ الاْثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ * وَجزاء سَيِّئَة سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّـلِمِينَ * وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُـلْمِهِ فَأُولَـئكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيل * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْـلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢].

(١)الأنبياء: ١٠٥ ـ ١٠٩.

(٢)الشورى: ٣٦ ـ ٤٢.

فقد اشتملت هذه الآيات على بدايات التشريع في مجال المجتمع السياسيّ والدولة. وهي كما يلي:

أ ـ الإنفاق المالي: وهو المرحلة التأسيسيّة الأوّلية من تشريعات الواجبات المالية العامّة.

ب ـ ردّ العدوان على الجماعة: وهو المرحلة التأسيسيّة الأوّلية من تشريع الجهاد.

ج) حكم المفسدين في الأرض في مرحلته الأوّلية.

٣ ـ الآيات التي تقصّ أنباء بني إسرائيل وغيرهم مع الفراعنة والطغاة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَآءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[١].

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾[٣].

فهذه الآيات ـ وثمّة غيرها في القرآن المكّي ـ تتضمّن إرهاصات ووعوداً بإقامة المشروع السياسي للإسلام: المجتمع السياسي، والدولة، والحكومة، في المرحلة التي كان المسلمون يكابدون فيها القمع، والإضطهاد، والمطاردة، في (مكّة). وكان

---

(١)القصص: ٣ ـ ٦.

(٢)الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣.

(٣)غافر: ٥١ .

المجتمع السياسي ونظامه يتحكّمان بكل شيء. ولقد صدق الله وعده في (المدينة) بعد الهجرة.

وفي الآية الأُولى من آيات سورة (القصص) تصريح بأنّ تلاوة نبأ موسى وفرعون موجّهة «لقوم يؤمنون»، فهي تتضمّن الإيحاء بأنّ مصير المؤمنين وعاقبة أمرهم هي: الخلاص، والحرية، والسيادة.

ب ـ السنة الشريفة

وممّا جاء في السنّة، في سيرة النبيّ ﷺ في العهد المكّي جملة من الروايات:

منها: حديث الدار. ورواه (الطبري) في تاريخه بسنده عن ابن عبّاس. ورواه غيره: في السنة الثالثة من مبعث النبيّ ﷺ حين نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[١]، أمر رسول الله ﷺ عليّاً عليه السلام أنْ يصنع طعاماً ويجمع بني عبد المطّلب... في حديث طويل جاء فيه:

«... ثمّ تكلّم رسول الله ﷺ فقال : «يا بني عبد المطّلب! إنّي والله ما أعلم شابّاً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيُّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي، ووصيّي، وخليفتي فيكم؟»».

«قال علي بن أبي طالب عليه السلام: فأحجم القوم جميعاً، وقلت ـ وإنّي لأحدثهم سنّاً، وأرمصهم عيناً[٢]، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً[٣]ـ : أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه! فأخذ برقبتي، ثم قال: إنّ هذا أخي، ووصيّي، وخليفتي فيكم،

---

(١)الشعراء: ٢١٤.

(٢)رمِصت عينه ـ كفرحَ ـ : من الرَّمَص، وهو وسخٌ أبيض يجتمع في الموق.. النعت أرمص ورمصاء (قاموس).

(٣)أحمش الساقين: صار دقيق الساقين (القاموس).

فاسمعوا له وأطيعوا»[١] .

إن هذه الحادثة تدل بوضوح على اهتمام الرسول ﷺ بمستقبل الدعوة الإسلامية، وبالذات في ما بعد وفاته، وتدل على أنّ ما جاء به الرسول ﷺ عبارة عن مشروع مزدوج بين العقيدة والنظام الذي يقتضي إقامة دولة وحكومة، وراع وخليفة يقوم على إقامتهما.

نعم، بالبيعة والهجرة ولد المجتمع السياسي الإسلامي على أساس عقائدي إسلامي في يثرب (مدينة النبي ﷺ)، فهي أوّل عاصمة للدولة الإسلامية المباركة.

المطلب الثاني: ما نزل من القرآن في مكّة

قال اليعقوبي: «ونزل من القرآن بمكّة إثنتان وثمانون سورة، على ما رواه محمّد ابن حفص بن أسد الكوفي عن محمّد بن كثير ومحمّد بن السائب الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عبّاس.

وكان أوّل ما نزل على رسول الله: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ .

وقد اختلف الناس في ترتيب نزول السور في مكة، ولكن، روى محمّد بن كثير ومحمّد بن السائب، عن ابن صالح، عن ابن عبّاس، أنّه قال: كان القرآن ينزل مفرّقاً، لا ينزل سورة سورة. فما نزل أوّلها بمكّة، أثبتناها بمكّة وإن كان تمامها بالمدينة، وكذلك ما نزل بالمدينة، وإنّه كان يعرف فصل ما بين السورة والسورة إذا نزل بسم الله الرحمن الرحيم، فيعلمون أنّ الأُولى قد انقضت، وابتدئ بسورة اُخرى»[٢].

---

(١)تاريخ الطبري ٢ : ٢١٧. مسند أحمد ١ : ١١. كنز العمال ٦ : ٣٩٢ و٣٩٦ و٣٩٧ و٤٠١. الكامل لابن الأثير ٢ : ٢٨. راجع أيضا: محمد مهدي شمس، الدين في الاجتماع السياسي الاسلامي : ٨٠ ـ ٨٥.

(٢)تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٣ ـ ٣٤ .

خلاصة البحث

لم تشتمل الدعوة الإسلامية في العهد المكّي على مفردات سياسية صريحة، وإنّما كانت مفرداتها مقصورة على قضايا العقيدة الأساسية. بالإضافة إلى جملة من المسائل الإجتماعية.

ولكن القرآن الكريم والسيرة الشريفة قد اشتملا على إشارات إلى طبيعة الدعوة الإسلامية وعالميتها، وفكرة المجتمع السياسي والدولة والسلطة السياسية والحكم.

وبهذا، تهيّأ الظرف الفكري والنفسي للتحرّك نحو إقامة دولة إسلامية في وسط صالح لاحتضان الدعوة والرسول ﷺ وأتباعه. وقد تحقّق ذلك عند إسلام أهل يثرب، وتعاهدهم مع الرسول ﷺ على حمايته.

إختبارات البحث

١. لماذا لم يشكل الرسول ﷺ مجتمعا سياسيا في العهد المكي؟

٢. ما هي أهم الإنجازات التي حققها الرسول ﷺ في العهد المكي؟

٣. بين أهمية الخطوات التي قامت بها القيادة الإسلامية في العهد المكي.

٤. تكلم عن جذور أطروحة الدولة الإسلامية في العهد المكي.

٥. إشرح العبارة التالية: «ولكن القرآن الكريم والسيرة الشريفة قد اشتملا على إشارات إلى طبيعة الدعوة الإسلامية وعالميتها، وفكرة المجتمع السياسي والدولة والسلطة السياسية والحكم».

البحث رقم (١٠)

المرحلة الأولى من العهد المدني: مرحلة تثبيت القواعد

أهداف البحث

١. توضيح العهد المدني من تاريخ الإسلام.
٢. بيان مراحل العهد المدني.
٣. التمييز بين مراحل العهد المدني.
٤. شرح الخطوات الأولى لتأسيس أول دولة إسلامية.
٥. إستيعاب وتثمين الخطوات الأولى لتأسيس أول دولة إسلامية.

مقدمة البحث

إنتهينا من الكلام في العهد المكي، لتصل النوبة الآن إلى الكلام عن العهد المدني بمراحله المختلفة، وإلى النشاطات المتنوعة التي قامت بها القيادة الإسلامية في سبيل تأسيس أول دولة إسلامية.

المطلب الأول: الوصول إلى قبا وانتظار أمير المؤمنين عليه السلام

وصل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إلى منطقة «قُبا» من يثرب مع زوال الشمس، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل[١]، فمكث فيها أيّاماً، ولم يدخل المدينة ـ بالرغم من إصرار صاحبه أبي بكر على الإسراع في الدخول إليها ـ وذلك لانتظاره قدوم علي عليه السلام. حيث قال صلى الله عليه وآله: «لَسْتُ أُريم حتّى يقدم ابن عمّي وأخي في الله ـ عزّ وجلّ ـ وأحبّ أهل بيتي إليّ، فقد وقاني بنفسه من المشركين»[٢].

وأمّا أبو بكر، فقد ترك النبي صلى الله عليه وآله ثاوياً في قباء ونزل إلى يثرب، وليس لدينا من النصوص التاريخية ما يوضح لنا سرّ هذا الإستعجال من أبي بكر، الذي كان قد صاحب النبي صلى الله عليه وآله طيلة مسيرة هجرته إلى يثرب.

---

(١)السيرة النبوية ٢: ١٣٧.

(٢)الكافي والروضة ١: ٢٨.

وتفيدنا جملة من النصوص التاريخية بنبأ إسلام سلمان الفارسي، ونبأ إسلام الحبر اليهودي (الحصين بن سلام)، وسعيه في إقناع قومه اليهود بنبوّة الرسول ﷺ، وعدم نجاحه في ذلك.

أمّا سلمان (رضي الله عنه)، فقد كان من أهل الكتاب قبل أن يُسلم، وكان قد حصل على خبر ظهور الدين الحنيف، فخرج من بلاده (فارس)، ووقع إلى راهب بالشام، فسأله عن ظهور الدين الحنيف، فقال له: أطلبه بمكّة مخرجه، واطلبه بيثرب مهاجره.

فقصد مكّة، فوقع بيد الأعراب، فاستعبدوه ردحاً من الزمن، فلمّا وصله خبر وصول النبي ﷺ إلى يثرب، جاء إليه ومعه طبقٌ من رطب، فقال لرسول الله ﷺ: هذه صدقتنا وأحببنا أن تأكلوا منها، فلم يأكل النبي ﷺ، وأمر أصحابه بالأكل.

ثمّ جاء في اليوم الثاني ومعه طبق من رطب فقال: هذه هديّة أهديتها إليك، فأكل رسول الله ﷺ، ثمّ طلب سلمان من الرسول ﷺ أن يريه خاتم النبوّة، ففعل ذلك، وعندها أعلن إسلامه[1].

وأمّا عبد الله بن سلام، فقد روي عنه أنّه قال: لمّا سمعت برسول الله ﷺ، وكنت قد عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كُنّا نترقّبه، ولكنّي كنت مستتراً بذلك حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، وبعد أن أُخبِرت بمكانه، ذهبتُ إليه وأعلنت إسلامي[2].

المطلب الثاني: أولى الإنجازات في قبا

روى الكليني عن الإمام الصادق أنّه قال: إنّ المسجد الذي أُسّس على التقوى «في قوله سبحانه ــ لمسجد أسّس على التقوى من أوّل يوم أحق أَن تقوم فيه» هو مسجد قباء[3].

وروي عن علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال: قَدم علي عليه السلام والنبي ﷺ في بيت

(١)إعلام الورى ١: ١٥١ ــ ١٥٢.

(٢)السيرة النبوية ٢: ١٣٩.

(٣)بحار الأنوار ١٩: ١٢٠.

بني عمرو بن عوف، فنزل معه، ثمّ تحوّل إلى بني سالم بن عوف وعلي معه، فخطّ ﷺ مسجداً، ونصب لهم قبلته إلى بيت المقدس، وصلّى بهم فيه الجمعة ركعتين، وخطب خطبتين[1].

المطلب الثالث: خطوات إنشاء الدولة الربانية العالميّة

أولا: ثلاث مراحل لخطوات الإنشاء

ومجموعة الخطوات التي خطاها الرسول ﷺ لإنشاء الدولة الربانية العالميّة، يمكن تصنيفها ـ في العهد المدني ـ على مراحل ثلاث:

أ. مرحلة تثبيت قواعد الدولة: وهي مجموعة انجازاته في السنة الأُولى من هجرته المباركة.

ب. مرحلة البناء: وقد استوعبت خمس سنوات تقريباً، وتضمّنت مواجهة أنواع التحدّيات إلى جانب النشاط المستمر للبناء ضمن دورين متميزين: وهما: دور الدفاع، ودور السلام المشروط.

ج. مرحلة الإنتشار والتوسع: وكان صلح الحديبية مؤشّراً سياسيّاً واجتماعياً لاكتمال عملية البناء، وإيذاناً بانفتاح الطريق أمام مرحلة التوسّع والانتشار.

ثانيا: إنجازات مرحلة تثبيت القواعد

الإنجاز الأول: بناء المسجد

إنّ الرسول ﷺ بعد أن غادر ديار بني سالم بن عوف، توجه إلى المدينة على ناقته التي قدم عليها، وعليّ عليه السلام لايفارقه ـ يمشي بمشيه ـ وحينما دخلها، كان يمر ببطون الأنصار، وكلّما مرّ ببطن، قاموا يسألونه النزول عندهم، فيقول ﷺ: خلّوا سبيل الناقة، فإنّها مأمورة، فانطلقت به، والرسول ﷺ واضع لها زمامها، إلى أن وقفت وبركت ووضعت جرانها[2] على الأرض، فنزل الرسول عنها، وقال: ها

---

(١)روضة الكافي، الحديث ٥٣٦.

(٢)الجران: ما يصيب الأرض من صدر الناقة وباطن حلقها.

هنا نبني مسجدنا، ونزل دار أبي أيّوب مؤقتاً.[١]

وبجدّ ونشاط، ساهم الرسول ﷺ مع أصحابه من المهاجرين والأنصار في بناء المسجد حتى تمّ البناء، ثم بنى منازله حول المسجد بعد ذلك، ومبادرة الرسول ﷺ لبناء المسجد قبل أن يبني داراً له، دليل على أهميّة أن يوجد مكان للمسلمين يكون موضعاً لعبادتهم، ورمزاً لوحدتهم، ومقرّاً للحكم والقضاء، ومدرسة للتربية والتعليم، بل وكان مركزاً للقيادة وإدارة شؤون الدولة الإسلامية.

الإنجاز الثاني: المؤاخاة وتحكيم أواصر المجتمع الإسلامي

لقد كانت السنة الأولى من الهجرة سنة تأسيس الدولة الإسلامية وتثبيت قواعدها الأولى بقيادة خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ، وكان من أهم ماقام به النبي ﷺ بعد بناء المسجد (مركز العبادة والسياسة) هو تحكيم أواصر المسلمين في مجتمعهم الجديد، وذلك من خلال المؤاخاة التي عقدها ﷺ بين المهاجرين والأنصار، قائلا لهم: تآخوا في الله أخوين أخَوَيْن، ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: هذا أخي، فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين، وإمام المتقين، ورَسول ربّ العالمين، الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد، وعلي بن أبي طالب عليه السلام أخوين[٢].

لقد كانت هذه المؤاخاة سبباً لزوال وحشة الغربة، وأُنساً لهم من مفارقة الأهل والعشيرة، وحلاّ لمشكلتهم الإقتصادية والسكَنيّة، وأصبح المؤمنون جميعاً أخوة في الدين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٣]، وبهذا أيضا قضى النبي ﷺ على العصبيّة الجاهلية القبلية، وصنع من القبائل المتناحرة مجتمعاً متعاطفاً متراحماً ومتلاحماً.

الإنجاز الثالث: تحديد معالم السياسة الداخلية والخارجية

كان ضبط الجبهة الداخلية وإحكام مواقعها من خلال كتابة صحيفة اشتملت

---

(١)روضة الكافي، حديث ٥٣٦.

(٢)السيرة النبوية (ابن هشام) ٢: ١٥٠ ـ ١٥١.

(٣)الحجرات: ١٠.

على أُصول الموادعة وحُسن الجوار بين المسلمين واليهود داخل أراضي الدولة الإسلامية أوّل معاهدة رسميّة بين النبي واليهود والمسلمين، بعد أن أقّرهم الرسول ﷺ على دينهم وأموالهم، فشرط لهم، واشترط عليهم.

وبنود هذه الصحيفة التاريخية تعكس مدى حنكة الرسول ﷺ، وحُسن قيادته للمجتمع الإسلامي الأوّل؛ حيث نظّم العلاقة ـ من خلالها ـ بين المسلمين واليهود باعتبارهم يشكلّون مجتمعاً سياسيّاً واحداً ومتنوّعاً في انتمائه الديني، وتعد هذه أوّل تجربة سياسية في التاريخ تتفرّد في نوعها، حيث إنّها أقرّت للأقليّات الدينية حق المواطنة الناشيء من الخضوع للسلطة السياسية وقوانينها، وأعطتهم احترام النفس والعرض والمال، وعدم إجبار أحد منهم على الدخول في الإسلام.

لقد تضمّنت هذه الصحيفة تحديد معالم السياسة الداخلية والخارجية للدولة الإسلامية الفتية، كما حددّت الحقوق والواجبات لكل من الأطراف، بعد أن نصّت على أنّ الحاكمية العُليا للنبي ﷺ دون غيره.

لقد أفلح النبي ﷺ في تسوية الأوضاع الداخلية للدولة الفتيّة التي كانت قد تكونت من الأنصار، وقد هدم الإسلام ما بينهم من تناحر سابق، وربط بينهم برابطة الدين، فأصبحوا بذلك أخوة عدة شرائح اجتماعية كانت متباعدة في ما بينها.

والمهاجرون قد ارتفعت مشكلتهم من حيث السكن والعمل والموقع الإجتماعي، ببركة المؤاخاة والمواساة التي غرسها الرسول ﷺ في ما بينهم وبين الأنصار.

واليهود قد اعتُبروا مواطنين لهم حريتّهم، مع حماية الدولة الإسلامية لأموالهم ودمائهم وأعراضهم، وكان عليهم مساندة الدولة في رد العدوان عنها، كما كان عليهم عدم التآمر على هذه الدولة الإسلامية التي يعيشون في ظلّها، وليس لهم أن يغادروا أراضيها إلاّ بإذنه ﷺ، بعد أن اُعطيت السيادة في فصل الخصومات لقيادتها، المتمثلة في الرسول ﷺ.

ولم يترك النبي ﷺ مهمّة التبليغ والإرشاد الإسلامي في القطّاع العامّ في

الصلوات العامّة، ولا القطّاع الخاص حينما كان ينفرد مع آحاد المسلمين ويستمع إليهم ويسمعهم مواعظه.

واستمر ﷺ في صنع المجتمع والدولة الإسلامية المباركة تحت رعاية الله تعالى، حتى تكامل البناء التنظيمي للمجتمع حسب حاجات المرحلة، وتوزّعت المهامّ فيه تحت رعاية النبي ﷺ وقيادته الحكيمة.

وبعد سبعة أشهر من الهجرة النبوية، أرسل النبي ﷺ ثلاث سرايا خلال شهرين، كانت السرية الأُولى بقيادة حمزة بن عبد المطلب، والثانية بقيادة عبيدة بن الحارث بن المطلب[١]، والثالثة[٢] بقيادة سعد بن أبي وقاص، وكلّها ترسل لتعترض القوافل التجارية لقريش وإن لم تصب شيئاً، ولكنّها أحدثت الرعب والخوف عند كفار قريش، والسبب في إرسال السرايا هو الرد بالمثل على قريش؛ لأنّهم صادروا أموال المهاجرين التي خلفوها في مكة.

ولم يغفل النبي ﷺ عن وجود عبد الله بن أُبي الذي كان له موقف مزر حينما وصلت ناقة رسول الله ﷺ إليه، حيث وضع لباسه على أنفه، وقال للرسول: يا هذا، إذهب إلى الذين غرّوك وخدعوك وأتوا بك فأنزل عليهم، ولا تغشانا في ديارنا[٣]، ولم يغفل عن أعوانه ممّن اضطروا لإظهار الإسلام، كما لم يغفل عن احتمال ارتباطهم وتلاحمهم مع القبائل اليهودية التي كانت لها أحلاف سابقة مع كل من الأوس والخزرج، ومن هنا، كانت بنود الصحيفة تخطيطاً رائعاً لضبط هذه الجبهة الداخلية بكلّ ملابساتها.

وكان أوّل مانزل من القرآن الكريم في السنة الأولى من الهجرة مجموعة كبيرة من آيات سورة البقرة، التي كثّفت الإضاءة على شعارات ومؤامرات وخطط كل من

---

(١)السيرة النبويّة ١ : ٢٤١.

(٢)المغازي (الواقدي) ١ : ٩ ـ ١٠.

(٣)اعلام الورى ١ : ١٠٤.

اليهود والمنافقين، وتصدّت للردّ على شبهاتهم، والإجابة على كثير من أسئلتهم وإثاراتهم، التي كانت مصدر قلق وتشويش لكثير من المسلمين.

المطلب الرابع: التشريعات الأولى في المدينة

أ . تشريع صلاة الجنائز: وفجع المسلمون بوفاة أسعد بن زرارة ـ أوّل نقيب للأنصار ـ وهم في غمرة الانهماك ببناء المسجد النبوي، وهو أوّل أنصاري يموت بعد قدوم الرسول ﷺ إلى يثرب، وصَلّى عليه الرسول ﷺ صلاة الجنائز، ولم يكن قبل ذلك صلاة على الجنائز، ودفن في البقيع[١].

ب . تشريع الأذان: وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: سُئل الحسين بن علي عليه السلام عن قول الناس في الأذان، أنّ السبب فيه كان رؤيا رآها عبد الله بن زيد فأخبر بها النبي ﷺ فأمر بالأذان؟ فغضب عليه السلام وقال: الأذان وجه دينكم، والوحي ينزل على نبيّكم، وتزعمون أنّه أخذ الأذان عن عبد الله بن زيد؟!! بل سمعت أبي علي بن أبي طالب يقول: أهبط الله عزّ وجلّ ملكاً حين عرج برسول الله...وساق حديث المعراج، حتى قال: فأذّن مثنى مثنى، وأقام مثنى مثنى، ثم قال جبرئيل للنبي ﷺ: يا محمّد، هكذا أذّن للصلاة[٢]، ثم علّم ذلك رسول الله ﷺ بلالا، وأمره بأن يرفع صوته بالأذان إذا دخل وقت الصلاة[٣].

لقد شُرِّع الأذان ليكون أداة إعلام للصلاة، وأداة إعلام رسمي لشعار الدولة الإسلامية التي اتخذت عقيدة التوحيد الخالصة أساساً مبدئياً لها (الله أكبر، أشهد أن لا إله إلاّ الله). والشهادة بالرسالة لخاتم الأنبياء ﷺ (أشهد أنّ محمّداً ﷺ رسول الله) تأكيداً لتجسيد الحاكمية الإلهية في قيادة النبي محمد ﷺ للبشرية، وشريعته الخالدة السويّة.

---

(١)السيرة النبوية (ابن هشام): ١٤١ و ١٤٤.

(٢)دعائم الاسلام ١: ١٤٢.

(٣)الكافي ٣: ٨٤.

خلاصة البحث

تتلخّص خطوات الرسول ﷺ لإنشاء أوّل دولة ربّانية إسلامية في ثلاث مراحل:

١ـ مرحلة تثبيت القواعد خلال السنة الأولى من الهجرة.

٢ـ مرحلة البناء خلال السنوات الخمس التالية، أي: حتى صلح الحديبية.

٣ـ مرحلة الإنتشار، وهي السنوات المتبقية من حياته ﷺ بعد صلح الحديبية.

من أهم الأحداث في تاريخ الإسلام السياسي هو حدث الهجرة المباركة، حيث تمّ بعدها إقامة الدولة الإسلامية بزعامة الرسول الأعظم ﷺ.

وقد بدأ الرسول ﷺ ببناء مسجد قبا، ثم المسجد المعروف اليوم بمسجد النبي ﷺ، لجمع المسلمين فيه، وليكون مركزاً للدولة وانطلاق الدعوة إلى أطراف العالم، ثم آخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار، واحتفظ بالإمام علي عليه السلام أخاً له.

كما تم بناء المسجد النبوي المبارك، فكانت تقام فيه الصلاة، ثم شرّع الأذان في السنة الأولى للهجرة المباركة.

أرسل الرسول ﷺ أول سراياه لاعتراض قوافل قريش التجارية، لتكون شوكة في أعين أعداء الإسلام أولا، وعسى أن تصيب شيئاً يعوّض ما فات المهاجرين.

وأما ثالث الإنجازات النبوية المهمة في هذه المرحلة، فهي صحيفة الموادعة التي تضمنت رسم معالم السياسة الداخلية والخارجية للدولة الإسلامية.

إختبارات البحث

١. ما هي مراحل العهد المدني؟

٢. ما هي الخطوات الأولى لتأسيس أول دولة إسلامية؟

٣. لماذا أصر النبي ﷺ على انتظار أمير المؤمنين في قبا؟

٤. كان أوّل مانزل من القرآن الكريم في السنة الأولى من الهجرة مجموعة كبيرة من آيات سورة البقرة، كيف تفسر ذلك؟

٥. تكلم عن أهمية الأذان من الناحية السياسية للدولة الإسلامية.

البحث رقم (١١)

المرحلة الثانية من العهد المدني

مرحلة البناء والدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (١)

أهداف البحث

١. بيان مرحلة البناء والدفاع عن كيان أول دولة إسلامية.
٢. توضيح مهمات البناء والدفاع في هذه المرحلة.
٣. شرح كيفية تحقق المهمات المتقدمة.
٤. إستيعاب أهمية وضرورة المهمات المتقدمة.
٥. الشعور بأهمية قيادة النبي ﷺ في هذه المرحلة.

مقدمة البحث

دخلنا في البحث السابق في الكلام عن العهد المدني بمراحله المختلفة، وإلى النشاطات المتنوعة التي قامت بها القيادة الإسلامية في سبيل تأسيس أول دولة إسلامية. فكان لا بد الان من التعرض إلى مرحلة البناء والدفاع عن كيان تلك الدولة التي أنشأها الرسول الأعظم ﷺ في المدينة المنورة، وتوضيح مهمات هذه المرحلة من المراحل المهمة التي مرت بها هذه الدولة الفتية، والنشاطات التي قامت بها القيادة الإسلامية في سبيل تحقيق هذه المهمات.

المطلب الأول: تأسيس الدولة الإسلاميّة من ضرورات عالميّة الرسالة

لا يتحقق نشر الرسالة من دون وجود أمّة تضطلع بأعبائها، ولاتفلح هذه الأُمّة المضطلعة بمهمّة نشر الرسالة وتبليغها ما لم تملك القدرة الفكرية والعمليّة على التبليغ والأداء.

وتتمثّل القدرة العملية في الجرأة والشجاعة والإقدام، لرفع الموانع والحواجز التي تمنع من وصول الدعوة إلى آذان العالَمين وقلوبهم.

ولن يستطيع الفرد أو الجماعة أن يمارسا مهمّتهما الرساليّة حتى النهاية حينما لا

تحميهما دولة قويّة، لا سيّما إذا كانت قيم الفرد والجماعة وأخلاقيّاتهما تمثلاّن رفضاً حاسماً لقيم الواقع المُعاش، فلابد ـ إذن ـ من ايجاد الأرضية الصالحة التي يتحرّك عليها المسلم قبل أن تسحقه الظروف الخارجية أو تنحرف به عن الطريق.

ومن هنا، كان تأسيس الدولة الإسلاميّة لحماية حركة الرسالة والدعوة إليها ضرورة من ضرورات عالميّة الرسالة الإسلامية.

المطلب الثاني: توظيف العناصر المناسبة للوصول إلى الهدف

النبي ﷺ بحكمته ورؤيته الإلهية الفريدة استطاع أن يبدّل العصبيّة القبلية التي كان يحملها عرب الجزيرة إلى عنصر قوة إيجابي، ويوظّفه لبناء الدولة الجديدة من خلال طرح مفهوم الإخاء، الذي احتوى على كل ألوان المواساة والمساواة والتعاون والتضحية والذوبان في العقيدة، من دون أن يقضي على الولاء للقبيلة التي كانت تستطيع أن تساهم في رفع بعض الأعباء الإقتصادية والاجتماعية عن كاهل الدولة الفتيّة، كما نلاحظ ذلك بوضوح في الوثيقة السياسية التي طرحها الرسول ﷺ لتنظيم الشؤون الداخلية والخارجية، والتي سُميت بالصحيفة. وقد وحدّت المسلمين أمام أعدائهم، وأعطت للقبيلة موقعها الاجتماعي، وحالت دون تحرّك اليهود داخل الدولة الإسلامية ضدّها، حيث لم يذوبوا في هذا الكيان الجديد.

المطلب الثالث: التأني في وضع الأهداف والإستراتيجيات

لقد وضع الرسول ﷺ في العام الأوّل من هجرته إلى المدينة اللّبنات الأُولى لدولته الإسلامية، ليحمي بها رسالته من الأخطار الجسيمة.

وكانت خطواته ﷺ تدريجيّة ومتجانسة، مع تكثّر هموم وحاجات المسلمين، كما أنها كانت متلائمة مع تحوّل الجماعة المسلمة من مستوى مجموعة وتيّار إسلامي إلى مستوى مجتمع متكافل متكامل. الأمر الذي يعتبر تحولا عظيما فوق مستوى ما كان يطمح له المسلم ذلك اليوم.

المطلب الرابع: إعداد العدة المناسبة والأهداف

وكان على الرسول ﷺ أن يعدّ العدة بالتدريج لإزالة كلّ الموانع والعقبات التي كانت تحول دون انتصار هذه الدولة بعد تأسيسها.

ويمكن تصنيف هذه العقبات إلى صنفين:

الصنف الأول: عقبات على الجبهة الخارجية

وتتمثل هذه العقبات على المدى القريب في: قريش ومن حالفها، وعلى المدى البعيد: السلطة البيزنطية والفارسية.

الصنف الثاني: عقبات على الجبهة الداخلية

وأما العقبات من هذا الصنف، فتتمثل في : اليهود والمنافقين المتواجدين في المدينة، فأمّا اليهود، فكان من المتوقع ـ بعد إنكارهم لنبوة محمّد ﷺ ـ أن يتحرّكوا ضدّ الدولة الفتية، وهو ما كان، حيث كشفت الآيات القرآنية عن طبيعتهم الخبيثة وتربصهم بالمسلمين.

وأمّا المنافقون، فقد برزت ظاهرة النفاق من بداية تأسيس الدولة الإسلامية، كردّ فعل نفسي أمام تنامي قدرة المسلمين الموجب لمصادرة موقعية المنافقين، وبالأخص عبد الله بن أبي سلول وأتباعه، وكانوا يشكلون خطراً حقيقياً على الدولة الفتية؛ وذلك بسبب وجودهم مع المسلمين، فإنّ ذلك قد منحهم فرصاً أكبر في التعرف على أسرار الدولة، وإمكانية تشديد الضربات إليها. و لو راجعت الآيات النازلة بحق المنافقين، عرفت عظمة الدور التخريبي الذي كانوا يقومون به.

وإذا لاحظنا تحرّك المنافقين وتحرك اليهود خلال سنوات البناء؛ وجدناه تحرّكاً متضامناً ومنسجماً مع تحرّك الجبهة الوثنيّة (لقريش) ضد الدولة الإسلامية كما ستعرف.

ورغم أنّها كانت سنوات عصيبة على المسلمين، ولكنها أعطتهم الحنكة والقوّة والصمود على مرّ الأحداث، فسجّلوا تاريخاً مشرقاً مشعّاً بالنور والعطاء على مدى العصور والأجيال.

خلاصة البحث

المرحلة الثانية للعهد المدني هي مرحلة البناء والدفاع.

وفي هذه المرحلة، كان لرسول الله ﷺ عقبات خارج حدود الدولة وداخلها.

أما العقبات خارج حدود الوطن الإسلامي، فكانت تتمثل في قريش والقبائل المشركة داخل الجزيرة، ثمّ في السلطتين: البيزنطية والفارسية على حدود الجزيرة.

وأما العقبات الداخلية، فقد كانت تتمثل في اليهود والمنافقين.

إختبارات البحث

١. تكلم عن مرحلة البناء والدفاع عن كيان أول دولة إسلامية.

٢. ما هي مهمات مرحلة البناء والدفاع عن كيان أول دولة إسلامية؟

٣. ما هي الاستراتيجية التي اعتمدتها القيادة الإسلامية لتحقق مهمات مرحلة البناء والدفاع عن كيان أول دولة إسلامية؟

٤. ما هي العقبات الداخلية التي كانت تواجه المسلمين في مرحلة البناء والدفاع؟

٥. كيف استطاع النبي ﷺ أن يبدّل العصبيّة القبلية إلى عنصر قوة إيجابي، ويوظّفه لبناء الدولة الجديدة؟

البحث رقم (١٢)

المرحلة الثانية من العهد المدني

مرحلة البناء والدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (٢)

أهداف البحث

١. بيان أهم حوادث السنة الثانية.

٢. شرح كيفية وأسباب وقوع غزوة بدر الكبرى.

٣. التعريف بأهم النتائج التي حققتها غزوة بدر الكبرى.

٤. تعداد أهم التشريعات الإسلامية في هذه المرحلة.

٥. تفسير أول موقف نبوي تجاه اليهود بعد توقيع الصحيفة.

مقدمة البحث

بعد أن شهدنا تأسيس الدولة الإسلامية الفتية، وأطللنا على مهمات مرحلة البناء والدفاع، والنشاطات التي قامت بها القيادة الإسلامية في سبيل تحقيق هذه المهمات الملقات على عاتقها في هذه المرحلة المهمة، نواصل الكلام في هذا البحث في هذا المجال، حيث نتعرض إلى أهم أحداث السنة الثانية للهجرة النبوية الشريفة.

المطلب الأول: دور الدفاع وأهمّ حوادث السنة الثانية للهجرة

بعد أن وطّد النبي ﷺ دعائم دولته الفتيّة في السنة الأولى ـ بما قام به من تنظيم إداري وسياسي واجتماعي وعسكري وتربية وتعليم وتثقيف، ورصد لتحركات أعدائه في الخارج والداخل ـ خرج غازياً قريشاً بنفسه في بدايات العام الثاني من الهجرة، وذلك بعد انقضاء الأشهر الحرم[1].

أولا: غزوة بدر الكبرى

خرج رسول الله ﷺ ومعه ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلا من أصحابه، مستهدفين

---

(١)وكانت غزواته في هذه النسية عديدة، ولكنه لم يصيب شيئاً إلاّ في غزوة بدر الكبرى.

السيطرة على القافلة التجارية التي كان يقودها أبوسفيان وهي متوجهة من الشام إلى مكة.

علم أبوسفيان بالخبر، فاستأجر ضمم بن عمر الغفاري، وأمره أن يستفز قريشاً[١]، وعند وصول الخبر، تجهزت قريش بكل قوتها بعد أن ألهب مشاعرها وضمضم بندائه، فلم يتخلف من أشرافها أحد إلا أبو لهب؛ فانه بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة[٢].

وفي غضون ذلك، استطاع أبوسفيان أن يغير مسيره قبل أن يصل جيش قريش لنجدته، وبذلك نجت القافلة.

وعلى الرغم من سلامة القافلة، إلاّ أنّ المشركين أصروا على القتال والانتقام من الرسول الأكرم ﷺ والمسلمين، ولكن النبي بعث إليهم من يخبرهم أنّه ﷺ يقول لهم: يا معشر قريش، إني أكره أن أبدأ بكم، فخلوني والعرب وارجعوا، فقال عتبة: ما ردَّ هذا قوم فأفلحوا، فقال أبو جهل: جبنت وانتفخ سحرك، فلبس عتبة درعه، وتقدم هو وأخوه شيبة وابنه الوليد، وقال: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قريش، فتطاولت الأنصار لمبارزتهم، فدفعهم، وأمر علياً وحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، فقال النبي ﷺ لهم: قاتلوا على حقكم الذي بعث به الله نبيكم إذ جاءوا ببطالهم ليطفئوا نور الله.

فلمّا رأوهم، قال: أكفاء كرام، فقتل عليّ الوليد، وحمزة عتبة، وعبيدة بن الحارث شيبة، ثم تزاحف القوم ودنا بعضهم من بعض، وأمر النبي أصحابه ألاّ يبدأوا بالقتال، فابتدأ المشركون المعركة، ودارت رحاها، واشتد حزامها، فتدخلت يد الغيب، وجاء الإمداد الملائكي للنبي، محققاً النصر للإسلام، واندحرت قوة قريش، وتشتت جيشها بين قتيل وجريح وأسير، وقتل من المشركين سبعون رجلا،

---

(١)تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٥.

(٢)الكامل في التاريخ ٢ : ١١٧.

وأسر منهم سبعون[١]، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا[٢]. وزفت البشائر لأهل المدينة بهذا الفتح المبين.

وقد أوصى الرسول ﷺ بالأسرى خيراً، وفرض عليهم أن يفتدوا أنفسهم بالمال، يستعين به المسلمون من حياتهم[٣].

وفي بعض المرويات: أنّ الرسول ﷺ قد عرض على من يحسن القراءة والكتابة من الأسرى أن يعلّمها لأطفال المسلمين في مقابل فدائه[٤].

دروس من غزوة بدر

تعتبر غزوة بدر أهم حدث على الإطلاق، حيث حققت نقلة نوعية كبرى في مجمل الأحداث في الجزيرة العربية، وقد أولى المولى سبحانه وتعالى هذه المعركة اهتماماً كبيراً، كشفت عنه الآيات القرآنية النازلة في هذا الشأن.

ومن أبرز النتائج التي حققتها هذه الغزوة:

١ـ إرتفاع معنويات المسلمين، حيث اندحر المشركون وعتاتهم في أول مواجهة، على الرغم من عدم استعداد المسلمين لذلك، وفقدان التكافؤ بين الطرفين في العدة والعدد.

٢ـ منيت قريش ـ بكل جبروتها وخيلائها ـ بعار الهزيمة أمام قوة المسلمين، التي كانت قد احتقرتها رجالات قريش.

٣ـ حققت مكاسب إعلامية ساهمت في خدمة الدعوة الإسلامية، حيث وقعت عدة تحالفات مع قبائل العرب بعد ذلك.

٤ـ أعطت المسلمين قوة أمام اليهود والمنافقين المتربصين بالمسلمين الدوائر.

---

(١)تاريخ الطبري ٢ : ١٦٩.

(٢)تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٥.

(٣)ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ : ٢٩٩.

(٤)هاشم معروف الحسيني ، سيرة المصطفى ، ص ٣٦٢.

ثانيا: أهم الأحداث الإجتماعية

وأما أهم الأحداث الإجتماعية في هذه المرحلة، فهي:

١ـ زواج الإمام عليّ عليه السلام من فاطمة عليها السلام.

٢ـ وفاة رقية بنت الرسول صلى الله عليه وآله.

٣ـ وفاة عثمان بن مظعون من المهاجرين.

٤ـ إسلام عمير بن وهب.

ثالثا: إجلاء بني قينقاع

كما تمّ إجلاء أول طائفة من يهود المدينة عنها، وهم بنو قينقاع، بعد أن عاهدوا الرسول صلى الله عليه وآله بعدم الخيانة لدولته واُمته، ولكنهم نكثوا العهد بعد انتصار المسلمين ببدر.

وهكذا، انتهت السنة الثانية والمسلمون قد أدخلوا الرعب في قلوب أرباب الجبهة الوثنية وأذنابهم من المنافقين وسائر المشركين[1].

المطلب الثاني: أهم التشريعات في هذه الفترة

١ـ بيان أحكام الغنيمة، فقد نزلت سورة الأنفال لتقول كلمة الفصل في المجال.

٢ـ تشريع صيام شهر رمضان المبارك في شعبان.

٣ـ فرض الإفطار وقصر الصلاة في السفر، وقد وصف الرسول صلى الله عليه وآله جماعة من المسلمين بالعصاة ؛ لإنّهم لم يفطروا ولم يقصّروا في السفر.

٤ـ تحويل القبلة من المسجد الإقصى إلى المسجد الحرام.

٥ـ نزول أحكام الصوم والإفطار في عيدي الفطر والأضحى،وصلاة العيد.

٦ـ أحكام القتال.

٧ـ أحكام الطلاق، والإيلاء، والحيض، والعدة، والزواج من المشركين والمشركات.

---

(١)مجلة الفكر الإسلامي، العدد السابع عشر: ٢٧٣ ـ ٢٨٧. راجع أيضا: موسوعة التاريخ الإسلامي، الجزء الثاني (القسم الأول من العهد المدني).

خلاصة البحث

كانت أهمّ سرايا وغزوات النبي ﷺ ضدّ قريش في السنة الثانية للهجرة هي بدر الكبرى. لأنّها قد حطّمت معنويات قريش، ورفعت من معنويات المسلمين. ممّا أثار يهود بني قينقاع، فنكثوا العهد، فأجلاهم الرسول عن المدينة. وبهذا، أدخل الرسول ﷺ الرعب في نفوس القرشيين واليهود والمنافقين، حتى باتوا على حذر دائم من الرسول ﷺ وأصحابه.

إختبارات البحث

١. ما هي أهم حوادث السنة الثانية للهجرة النبوية الشريفة؟

٢. تكلّم عن أسباب وقوع غزوة بدر الكبرى.

٣. ما هي أهم النتائج التي حققتها غزوة بدر الكبرى للمسلمين؟

٤. عدّد أهم التشريعات الإسلامية في السنة الثانية من الهجرة الشريفة.

٥. ما أهمية حادثة إجلاء بني قينقاع من المدينة للمسلمين؟

البحث رقم (١٣)

المرحلة الثانية من العهد المدني

مرحلة البناء والدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (٣)

أهداف البحث

١. بيان أهم حوادث السنة الثالثة في الدولة الإسلامية.
٢. توضيح كيفية وقوع غزوة أحد.
٣. التعريف بالآثار والنتائج التي ترتبت على غزوة أحد.
٤. وصف سبب إجلاء بني النضير وزمانه.
٥. إستيعاب حنكة القيادة الإسلامية في مواجهة الأخطار المختلفة.

مقدمة البحث

مرت علينا في البحث الماضي أهم أحداث السنة الثانية للهجرة النبوية الشريفة، لنواصل اليوم الكلام في أهم أحداث السنة التي تلتها، من غزوة أحد، وإجلاء يهود بني النضير، وما ترتب على ذلك من نتائج مهمة للدولة الإسلامية الفتية.

المطلب الأول: أهمّ حوادث السنة الثالثة للهجرة

في السنة الثالثة من الهجرة، بعد انتصارات النبي ﷺ علي قريش واليهود، رأت القبائل القريبة من المدينة أنّ قوّته تهدّد وجودها ومصالحها المرتبطة بوجود قريش وتجارتها، ولذا، بدأت تتحرك بعض القبائل ضدّ المسلمين، إلاّ أنّ الرسول ﷺ كان يخرج بنفسه لإفشال تحرّكهم، أويبعث بعض السرايا لذلك، ولم يسجّل التاريخ حدثاً مهماً في هذه الفترة إلاّ غزوة اُحد.

أولا: غزوة اُحد

في شوّال من السنة الثالثة من الهجرة، تجهّزت قريش لقتال النبي ﷺ والثأر من المسلمين، وسارت في ثلاثة آلاف فارس وراجل، حتى نزلت عند بعض

السفوح من جبل اُحد، على خمسة أميال من المدينة.

وخرج النبي ﷺ بألف من المسلمين، وبدأ ابن أبي سلول بعمليّة تخذيل المسلمين، فأرجع ثلاثمئة من الخزرج إلى المدينة مثبّطاً لهم عن القتال.

وأحكم النبي ﷺ خطتّه للقتال، وكادت المعركة أن تنتهي لصالح المسلمين، إلاّ أن انهيار الرُّماة أمام الغنائم، بدّل النصر إلى هزيمة منكرة، ولم يثبت مع النبي ﷺ إلاّ علي بن أبي طالب عليه السلام، وأبو دجانة، وسهل بن حنيف الأنصاريّان، ونسيبة الخزرجية، ولم تضع الحرب أوزارها إلاّ بعد استشهاد سبعين من المسلمين بما فيهم حمزة بن عبد المطّلب عمّ النبي عليه السلام، كما جُرِح النبي ﷺ والثابتون معه من أصحابه على خط الجهاد والمقاومة والاستشهاد في سبيل الله.

وبعد أن وقف النبي ﷺ وهؤلاء الأربعة من صحابته أمام جحافل جيش المشركين، وتراجع المسلمون إلى ساحة القتال بعد اطّلاعهم على حياة النبي ﷺ، إستعاد المسلمون قواهم القتاليّة، وانسحبت قوّات قريش باتّجاه مكّة، بعد أن دفنت قتلاها ودفن المسلمون قتلاهم.

واستغلّ اليهود والمنافقون في يثرب هزيمة المسلمين في اُحد، وراحوا يقولون: ما محمّد إلاّ طالب ملك اُصيب في أصحابه واُصيب في بدنه وما اُصيب هكذا نبيّ قطّ.

ولأجل أن يخفّف النبي ﷺ من وطأة الهزيمة، ويعيد للمسلمين معنويّاتهم وهيبتهم، قرّر أن يطارد المشركين في الغد من يوم اُحُد، فأذّن مؤذن النبي ﷺ في المسلمين ـ الذين كانوا قد حضروا (أُحداً)، وكلٌّ مَن كان به جراحة من أصحابه ـ بلزوم طلب العدّو، فاستنفرهم لمطاردته، وانتهى المسلمون إلى حمراء الأسد، وظنّ أبوسفيان أنّ النبي ﷺ قد جاء بمدد جديد وقوّة قتالية، فخاف لقاءه، وولّى دبره. ورجع النبي ﷺ إلى المدينة بعد أن استردّ كثيراً من معنويّات قوّاته، التي كانت قد تزعزعت على أثر هزيمة اُحد.

ثانيا: حادثة الرجيع

وهي من الحوادث المؤلمة لقلوب المسلمين؛ حيث استشهد فيها جمع من القرّاء، إذ كانوا قد ذهبوا لتعليم القرآن بناءً على طلب رهط من قبيلتي (عضل) و(القارة) من الرسول ﷺ، حتى إذا بلغوا بطن الرجيع غدروا بهم؛ حيث استصرخوا عليهم هذيلا، فهجم عليهم حيٌّ من هذيل، فأصابوهم جميعاً، واستبقَوا خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة، وباعوهما إلى مشركي مكّة(١).

المطلب الثاني: أهمّ حوادث السنة الرابعة للهجرة

أولا: حادثة بئر معونة

وبالرغم من تألّم الرسول ﷺ من مقتل أصحاب الرجيع، وبالرغم من حذره من أن تتكرّر تلك الحادثة، جاء أبو براء (ملاعب الأسنّة) إلى النبي ﷺ، فدعاه إلى الإسلام، فلم يسلم، ولكنّه طلب من الرسول ﷺ إيفاد جمع من القرّاء إلى نجد لتبليغ الرسالة الإسلامية، وعَهِدَ أن يكونوا في جواره، فنزل الرسول ﷺ عند رغبته، فبعث سبعين أو أربعين من قرّاء المدينة لهذه المهمّة، حتى إذا نزلوا بئر معونة، وبعثوا كتاب الرسول ﷺ إلى أخيه عامر بن الطفيل، قتلَ عامرُ حاملَ الكتاب قبل أن يفتح الكتاب، واستصرخ قبائلَ بني سليم لمقاتلتهم، فقُتِلوا عن آخرهم سوى رجلين منهم، وبلغ الخبر أبا براء، فشقّ عليه ما أصاب أصحاب الرسول، فحمل ابنه ربيعة على قتل عمّه (عامر)، فطعنه فأصاب فخذه، وحزن الرسول ﷺ والمسلمون لقتلى بئر معونة أشدّ الحزن(٢).

ثانيا: جلاء بني النضير

وأما بنو النضير، فقد كان سبب جلائهم عن المدينة هو غدرهم ونقضهم العهد

---

(١)تاريخ الطبري ٢ : ٧٧.

(٢)السيرة الحلبية ٣ : ١٦٦ ـ ١٦٩ وزاد المعاد ٣ : ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

الذي بينهم وبين الرسول ﷺ، وذلك عندما قتل رجل من المسلمين رجلين من المشركين غيلةً لعدم علمه بحصولهما على عهد من الرسول، فلمّا علم الرسول بذلك، عزم على دفع ديتهما، فخرج إلى بني النضير ليعينوه في الدية لما بينه وبينهم من الحلف، فأظهروا الموافقة، فجلس الرسول عند جدار من بيوتهم ينتظرهم، ودخل اليهود يتشاورون في اغتياله، باعتبار أنّ وجود الرسول ﷺ عند الجدار آمناً يعتبر فرصة لا تتكرر، وذلك بأن يلقوا عليه من أعلى الجدار رحى فتقتله، وتطوع عمرو بن حجاش بإلقائها على الرسول ﷺ، وبذلك يتخلصوا منه ومن دعوته، ولكن الله أخبره بما تآمر عليه اليهود، فنهض من وقته راجعاً إلى المدينة[١]، ثمّ أرسل إليهم من يطلعهم على علم الرسول ﷺ بغدرهم ونقضهم لعهدهم، فهدّدهم بالجلاء عن المدينة، ولكن ابن اُبيّ مَنّاهم بالدّفاع عنهم إن ثبتوا لحرب الرسول ﷺ، فحاصرهم الرسول ﷺ، ثم أخذ بقطع نخيلهم حتى نزلوا على حكمه، وتمّ إجلاؤهم من المدينة، واصطفى الرسول ﷺ أموالهم، وقسّمها بين المهاجرين، وهكذا تمّت تصفية ثاني حصن من ثلاثة حصون يهوديّة مهمّة داخل المدينة[٢].

وأقام رسول الله ﷺ بالمدينة مستريحاً إلى نصر الله إيّاه، مطمئناً إلى ما أعاده الله للمسلمين من هيبتهم، حَذِراً غدرة العدّو، باثّاً عيونه في كلّ النواحي.

---

(١)زاد المعاد ٣ : ٢٤٨.

(٢)السيرة الحلبية ٢ : ٥٥٩ ـ ٢٦٠.

خلاصة البحث

لئن كانت السنة الثالثة تحمل نصراً تعبويّاً للمشركين، فإنّها كانت تحمل فشلا لهم أمام المسلمين في الوقت نفسه؛ حيث فشل المشركون في القضاء على قوّات المسلمين، ونجح المسلمون في الخروج من تطويق المشركين رغم الخسارة التي بلغت نسبتها ١٠٪ من قوّاتهم.

وعرفوا مواطن الضعف والقوة في قوّاتهم، واكتشفوا المنافقين في صفوفهم، ممّا أتاح لهم القيام بعملية التطهير بعد اُحد. وهكذا، جاءت هزيمة اُحد تعليماً قيّماً للمسلمين.

لئن وجدت الوثنية العربية فرصتها للانتقام من المسلمين في أعقاب هزيمة أحد، فإنّ النبي ﷺ استطاع أن يتصدّى لكل المؤامرات ضدّ دولته الفتيّة.

إختبارات البحث

١. عدد أهم حوادث السنة الثالثة للدولة الإسلامية.
٢. وضح كيفية وقوع غزوة أحد.
٣. ما هي الآثار المهمة التي ترتبت على غزوة أحد؟
٤. ما هو سبب إجلاء بني النضير؟ وما الذي اكتسبه المسلمون من ذلك؟
٥. ما المقصود بحادثة بئر معونة؟

البحث رقم (١٤)

المرحلة الثانية من العهد المدني

مرحلة البناء والدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (٤)

أهداف البحث

١. بيان أهم حوادث السنة الرابعة للهجرة.
٢. بيان أهم حوادث السنة الخامسة للهجرة ومميزاتها.
٣. توضيح سبب وقوع غزوة بني قريضة.
٤. إستيعاب أهمية القيادة الحكيمة للرسالة المحمدية الشريفة.
٥. تثمين وقوف الإمام علي عليه السلام إلى جانب الرسول صلى الله عليه وآله.

مقدمة البحث

بعد أن شهدنا في البحث الماضي أهم أحداث السنة الثالثة للهجرة النبوية الشريفة، من غزوة أحد، وإجلاء يهود بني النضير، وما ترتب على ذلك من نتائج مهمة للدولة الإسلامية الفتية، نتعرض اليوم إلى أهم أحداث السنتين الرابعة والخامسة للهجرة النبوية الشريفة، وما قامت به القيادة الواعية من نشاطات مهمة لتثبيت الدولة الإسلامية الفتية، وتقوية شوكتها، وفرض نفوذها وكلمتها في الجزيرة العربية.

المطلب الأول: أهم أحداث السنة الرابعة للهجرة

أولا: توفّيت فاطمة بنت أسد، وكانت أوّل امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال صلى الله عليه وآله في وفاتها: «اليوم ماتت أُمّي»، وكفّنها بقميصه، ونزل في قبرها، واضطجع في لحدها. قائلا عنها: «إنّها كانت تجيع صبيانها وتشبع رسول الله صلى الله عليه وآله، وتشعثهم وتدهنه».

ثانيا: وانتفض جرح أبي سلمة ـ وهو ابن عمة الرسول ﷺ ـ بعد رجوعه من بعثه إلى بني أسد، فمات لثلاث مضين من جمادى الآخرة.

ثالثا: ووُلِد الحسين بن علي (عليهما السلام) في أوائل شعبان المعظّم من هذه السنة. وتزوّج رسول الله ﷺ بأُمّ سلمة، وهي ابنة عمّ أبي جهل، بعد أن أبت الزواج من أبي بكر وعمر.

رابعا: وهنا يُذكر أنّ عثمان بن عفّان قال: «أيَنكحُ محمدٌ نساءنا إذا متنا ولا ننكح نساءه إذا مات؟! والله، لو قد مات أجبلنا على نسائه بالسهام»[١]، وكان يريد أُمّ سلمة. وكذلك قال طلحة، وكان يريد عائشة، فانزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾[٢].

خامسا: في شوال أو ذي القعدة من هذه السنة رجم رسول الله زانيين محصَنَين يهوديين بحكم التوراة، بعد أن كره اليهود رجم المرأة لكونها في شرف منهم، وهنا نزلت مجموعة من آيات سورة المائدة (٤١ ـ ٥٢)، توضّح للمسلمين كيف أنّ أهل الكتاب كانوا يخفون كثيراً من أحكام الله.

كما نزلت آيات من سورة النساء (١٠٥ ـ ١١٣) تتعلق بسرقة ابن أُبيرق، وهو من المنافقين الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ. ثم اتهامه لبيد بن سهل، وهو من المؤمنين، وشكوى أُسيد بن عروة عند رسول الله ﷺ[٣].

المطلب الثاني: أهمّ حوادث السنة الخامسة للهجرة

لقد كانت قريش ويهود بني قينقاع ويهود بني النضير وعرب غطفان وهذيل والقبائل المتاخمة للشام تتربّص بالنبيّ ﷺ وأصحابه الدوائر، لتدرك ثأرها منه.

---

(١)كشف الحق: ٢٤٧.

(٢)الأحزاب: ٥٧.

(٣)راجع: بحار الأنوار ٢٠: ١٨٤.

وقد اختمرت فكرة تأليب العرب على الرسول ﷺ في نفوس أكابر بني النضير، واستطاع هؤلاء أن يحزّبوا قريشاً وحلفاءها كسُليم و غطفان من جهة، كما استطاعوا أن يقنعوا بني قريظة بنقض العهد وإعانتهم لِقريش من داخل المدينة، ولمّا سمع الرسول ﷺ بالأحزاب، جمع المسلمين واستشارهم، وكان الرأي النهائي هو ما أبداه سلمان الفارسي (قدس سره) من حفر الخندق من الجهة الشمالية للمدينة، فلما جاءت الأحزاب، فوجئوا بالخندق، ولما لم يتمكّنوا من اجتيازه، عسكروا في الجانب الآخر يفكّرون في إيجاد طريقة لاجتيازه، وفي هذه الأثناء، دخل الخندق عمرو بن عبد ود العامري، أحد أبطال الشرك مع بعض المقاتلين، وطلب من المسلمين البراز، ولكن أحدا لم يجبه، حتّى قال قولته الشهيرة: «ولقد بحجت من النداء بجمعكم هل من مبارز»، والرسول ﷺ يدعو المسلمين لمناجزة عمرو بن عبدود، ويكرّر نداءه بقوله ﷺ: «من يبرز له وأنا ضامن له على الله الجنة؟».

ولكن، لم يجبه أحد سوى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فكان ينادي: أنا يا رسول الله ﷺ، والرسول ﷺ يستمهله عسى أن يجيبه أحد من المسلمين، وبعد يأسه، أذن للإمام علي وأعطاه سيفه ذا الفقار، وألبسه درعه، وعمّمه بعمامته، ثمّ قال ﷺ: «اللّهمّ هذا أخي وابن عمّي، فلاتذرني فرداً، وأنت خير الوراثين»[١]، ولما برز علي عليه السلام، قال رسول الله ﷺ: «برز الإيمان كلّه إلى الشركِ كلِهِ، اللّهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه»[٢].

ومضى علي عليه السلام إلى الميدان، وخاطب ابن عبد ود بقوله: إنّي أدعوك إلى الله

---

(١)السيرة النبوية ٧ : ١١١.

(٢)دراسات في التاريخ الإسلامي: ١٢٨.

وإلى رسوله وإلى الإسلام. فقال: لا حاجة لي بذلك، فقال له الإمام علي عليه السلام: فإنّي أدعوك إلى البراز. فقال عمرو: إنّي أكره أن اُهرق دمك، وإنّ أباك كان صديقاً لي.

فردّ عليه الإمام عليه السلام قائلا: لكنّي والله اُحبُّ أن أقتلك، فغضب عمرو. وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج البلاغة: وكان شيخنا أبو الخير (مصدّق بن شبيب النحوي) يقول: إذا أمررنا في القراءة عليه بهذا الموضع: والله ما أمره بالرجوع إبقاءً عليه، بل خوفاً منه، فقد عرف قتلاه ببدر واُحد، وعلم أنّه إن ناهضه قتله، فاستحى أن يظهر الفشل، فأظهر الإبقاء، وإنّه لكاذب فيها»[١]، وبالفعل، استطاع الإمام علي عليه السلام قتل فارس الأحزاب، وبقتله انخذل المشركون، وازدادت معنويات المسلمين، فاستقبلوه بالتكبير والتهليل، واستقبله الرسول صلى الله عليه وآله وهو يقول: لمبارزة علي بن أبي طالب عليه السلام لعمرو بن ود، أفضل من عمل اُمتي إلى يوم القيامة[٢].

وبعد المبارزة هذه، إلتجأ النبي صلى الله عليه وآله إلى وسيلة للإيقاع بين عدوّه الخارجي قريش وبين عدوّه الداخلي يهود بني قريظة، اللذين تحالفا على قتال النبي صلى الله عليه وآله، وذلك عن طريق بعث نُعَيْم بن مسعود ـ والذي كان قد كتم إسلامه ـ وكان في الجاهلية نديماً لبني قريظة، ليحذرّهم من عدم وفاء قريش لهم، ويحذّر قريشاً من تراجع بني قريظة أمام النبي صلى الله عليه وآله، واطمأنّ كلٌ منهما لما حذّرهم منه، وتردّدت غطفان في قتال محمد صلى الله عليه وآله بما وعدها النبي صلى الله عليه وآله من ثمار المدينة، وقد حالفهم نصر الله الذي تمثل في عصف الرياح، وهطول المطر، وقصف الرعد، وخطف البرق، واشتداد العاصفة، وقلع خيام الأحزاب، وانكفاء قدورهم، ودخول الرعب إلى نفوسهم. حتّى هزم الله الأحزاب وحده، ونصر عبده، وأعزّ جنده، فتراجعت قريش، وارتحلت القبائل إلى محالّها، وأصبح المسلمون وليس حول الخندق أحد من الأعداء.

---

(١)شرح النهج ٢ : ١١٢.

(٢)تاريخ بغداد ٣ : ١٩.

وبقيت بنو قريظة تنتظر مصيرها الأسود بعد خيانتها للرسول ﷺ في أشد الظروف حراجةً ؛ فإنّه في نفس اليوم الذي تراجعت قريش فيه، عبّأ النبي ﷺ المسلمين، واتّجه إلى محاصرة بني قريظة، بالرغم من شدّة البرد والجوع الذي كان قد أجهدهم، وطال حصار اليهود خمساً وعشرين ليلة، واضطروا للاستسلام للنبي ﷺ، فطلبوا تحكيم حلفائهم من الأوس، فحكّم رسول الله ﷺ سعد بن معاذ، فحكم عليهم بقتل رجالهم، وسبي نسائهم وذراريهم، ومصادرة أموالهم، وأيّد الرسول ﷺ هذا الحكم، وذلك للخيانة الكبرى التي ارتكبوها ضد المسلمين، على أنّهم لو كانوا قد انتصروا، لما كانوا يقنعون إلاّ باستئصال المسلمين.

وهكذا، إنتهت السنة الخامسة بأهّم غزوتين حُطِّمت فيهما كبرياء قريش وحلفائها من العرب، واستئصل اليهود داخل المدينة، ولم يبق من أعداء هذه الدولة الفتيّة إلاّ المنافقون. وذهبت العرب كلهّا تتحدّث عن قوّة المسلمين وسلطانهم، وبمقام محمد ﷺ وقوتّه.

وانتهت السنة الخامسة بسريّتين: الأُولى: سرية أبي عتيك إلى خيبر لاغتيال أحد رؤوس بني النضير، الذي كان قد تحصّن في خيبر، والثانية: سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر.

وهكذا، وقفنا علي أهم الإنجازات التي تحققت لرسول الله ﷺ في هذه السنة الخامسة.

ولو أردنا أن نقف علي إنجازات الرسول ﷺ في السنوات الخمس، لوجدنا أن الدولة الإسلامية قد قطعت شوطين مهمين:

الأول: مرحلة تثبيت القواعد في السنة الأولي والثانية.

والثاني: مرحلة البناء والدفاع في السنوات الثلاثة الأخرى، في غزوات ثلاث تجاه قريش: بدر، أحد والخندق. وثلاثة حوادث مهمة تجاه اليهود: إجلاء بني قينقاع، وإجلاء بني نضير، وغزوة بني قريظة.

خلاصة البحث

توّج الله جهود النبيّ ﷺ والمخلصين من أصحابه بالنصر في ثلاث غزوات تجاه قريش وثلاث غزوات تجاه اليهود، ولكن، في السنة الخامسة التي كانت بين مرحلتين وبين عهدين متميزين في المدينة، وهما: الدفاع والانتشار، وكان نصراً حاسماً ذا آثار عظيمة في انتشار الإسلام وقوّته في ما بعد.

إختبارات البحث

١. ما هي أهم حوادث السنة الرابعة للهجرة؟

٢. ما هي أهم حوادث السنة الخامسة للهجرة؟

٣. ما هو سبب وقوع غزوة بني قريضة؟

٤. لو أردنا أن نقف علي إنجازات الرسول ﷺ في السنوات الخمس الأولى للهجرة، لوجدنا أن الدولة الإسلامية قد قطعت شوطين مهمين، أذكرهما باختصار.

٥. تكلم عن وقوف الإمام علي عليه السلام إلى جانب الرسول ﷺ في بناء الدولة وانتشار الاسلام.

البحث رقم (١٥)

المرحلة الثانية من العهد المدني

مرحلة البناء والدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (٥)

أهداف البحث

١. بيان أهم معالم السنة السادسة للهجرة.

٢. توضيح سبب مباغتة النبي ﷺ قريش بالعمرة في السنة السادسة.

٣. تفسير انتهاء العمرة إلى صلح الحديبية.

٤. تعداد أهم نتائج صلح الحديبية.

٥. تقدير أهمية القيادة الحكيمة.

مقدمة البحث

بعد أن انتهينا من بيان أهم حوادث السنتين الرابعة والخامسة من الهجرة في البحث السابق، نشرع اليوم ببيان أهم حوادث السنة السادسة للهجرة النبوية المباركة، من مباغتة النبي ﷺ لقريش بالعمرة، وما انتهت إليه هذه المباغتة من صلح الحديبية، الذي كان له من النتائج المهمة الشيء الكثير على المستويين: المعنوي والعسكري.

المطلب الأول: أهمية نتائج هزيمة قريش وحلفائها في حرب الأحزاب

لقد كان من الطبيعي أن تنتشر أخبار انهزام الأحزاب الذين تحالفوا لقمع الدين الإسلامي وأتباعه في شبه الجزيرة العربية بسرعة فائقة.

وقد كان لانهزام قريش ـ وهي أكبر قوة سياسية وعسكرية في المنطقة ـ أكبر الأثر في الهزيمة النفسية لها ولحلفائها.

وشكّلت هذه الهزيمة منعطفاً سياسيّاً كبيراً في قرارات قريش والنبي ﷺ... فقريش لاتفكّر بعد هزيمتها مع الأحزاب التي حزّبتها ضدّ المسلمين في معاودة

قتال النبي ﷺ، الذي أصبح قوّة كبيرة تصمد أمام الأعاصير والفتن، والنبي ﷺ لا بدّ أن يخرج من هذا الحصار الذي حطّمتْه غزوة الأحزاب بنتائجها الباهرة.

المطلب الثاني: صلح الحديبية

من هنا، إنطلق النبيﷺ بعد أن نصره الله على ألدّ أعدائه في التخطيط لاقتحام مركز قريش والوصول إلى بيت الله الحرام، الذي احتكرته قريش لنفسها وللمشركين بالرغم من أنه ليس ملكاً لأحد.

وقررّ النبيّ ﷺ أن يكون اقتحامه للبيت الحرام سلميّاً عبر رحلة عباديّة متمثّلة في العمرة، ليعلن من خلالها مواصلته لنشاطه الرسالي، وليبيّن مفاهيم الرسالة الإلهية الخاتمة، ويعبّر عمليّاً عن تقديسه لبيت الله الحرام.

وبهذا سوف ينتقل بشكل طبيعيّ من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الانتشار والتوسّع لتبليغ رسالة الله تعالى، متحدّياً كبرياء قريش التي أَبَتْ الانصياع إلى صوت الحق الهادر، لاسيّما وهي الآن تعيش هزيمة نفسية كبرى لا تستطيع معها الدفاع، فضلا عن الهجوم.

لقد كانت قريش ترصد حركات النبي ﷺ بعد هزيمتها، وكان ورود النبي ﷺ (الحديبية) وروداً مباغتاً لقريش؛ حيث سلك طريقاً وعراً، وبركت ناقة الرسول ﷺـ على خلاف عادتها ـ في هذه المنطقة السهلة، وعلمت قريش باتّجاه الرسول ﷺ نحو مكة. وبالرغم من أنها استخبرت عن هدف النبي ﷺ من هذا التحرّك، إلا أنها أبت أن يدخل النبي ﷺ مكّة؛ إذ اعتبرته دخولا مفروضاً عليها، ما يعني أنه يعتبر سحقاً لكبريائها.

وكانت كل الشواهد تشير إلى أن النبي ﷺ قد جاء زائراً لا محارباً؛ لأن النبي ﷺ قد استنفر ألفاً وأربعمئة مسلم ـ على أقلّ التقادير ـ وساق الهدي أمامه (سبعين بعيراً)...، وبلغ قريشاً نبأ خروج النبي ﷺ والمسلمين، وأنهم يريدون أداء العمرة، فأصبحت قريش في ضيق من أمرها؛ إذ كان أمامها طريقان: فإمّا أن تسمح

للمسلمين بأداء العمرة، وبذا يتحقّق للمسلمين أملهم في زيارة البيت الحرام، وتتهيّأ للمهاجرين خاصّة فرصة الإتصال بأهلهم وذويهم ـ وربّما دعوتهم إلى الإسلام ـ أو أن تمنع قريش المسلمين عن دخول مكّة، وبذا ستتعرض مكانة قريش للاهتزاز، وتكون محطّاً لِلَوْم القبائل الأُخرى، وذلك لِسوء معاملتها لقوم مسالمين يبتغون أداء مناسك العمرة وتعظيم الكعبة المشرّفة.

أبت قريش إلاّ المنع، فأخرجت مجموعة من فرسانها تقدّر بمئتي فارس بقيادة خالد بن الوليد، وكان النبي ﷺ قد خرج محرِماً وليس غازياً، وهنا، كشف النبي ﷺ النقابَ عن الهزيمة النفسية لقريش، فقال ﷺ: «ياويح قريش، لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب؟! فإن هم أصابوني، كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم، دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا، قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟! فوالله، لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة».[١]

ثمّ أمر بالعدول عن الطريق؛ تجنّباً لوقوع قتال تتخذه قريش ذريعة لصحّة موقفها وفخراً لها. وأرسل النبي ﷺ خراش بن أُميّة الخزاعي ليفاوض قريشاً في الأمر، فعقروا ناقته، وكادوا أن يقتلوه، ولم ترع قريش حرمةً ولاذمّةً للأعراف والتقاليد المعترف بها لديهم.

وكلّفت قريش خمسين رجلا للتحرش بالمسلمين عسى أن يبدر منهم ماينفي صفة السلم عنهم، وفشلت هذه المحاولة، وتمكّن المسلمون من أسرهم، فعفا رسول الله ﷺ عنهم، مؤكّداً هدفه السلمي[٢].

وأراد النبي ﷺ أن يبعث إلى قريش رسولا آخر، ولم يتمكن من إرسال علي بن أبي طالب ممثّلا عنه؛ إذ أنّ علياً كان قد وتر أغلب بطون قريش بقتل صناديدها

---

(١)تاريخ الطبري ٣: ٢٢٣.

(٢)المصدر السابق.

في معارك الدفاع عن الإسلام والنبي ﷺ والدولة الإسلاميّة، فانتدب عمر بن الخطاب، ولكن عمرا خاف من قريش على نفسه رغم أنّه لم يقتل فرداً من أفرادها، واقترح على النبي ﷺ أن يرسل عثمان بن عفان[١]؛ لكونه أموياً، وذا قرابة مع أبي سفيان.

وتأخر عثمان حين ذهب للتفاوض مع قريش، وشاع خبر مقتله، فكان هذا إنذاراً بفشل كل المساعي السلمية لدخول مكة.

ولم يجد الرسول ﷺ بدّاً من التهيؤ للقتال، ومن هنا، كانت بيعة الرضوان؛ إذ جلس النبي ﷺ تحت شجرة، وأخذ أصحابه يبايعونه على الاستقامة والثبات مهما كلّف الأمر، وهدأ استنفار المسلمين بعودة عثمان. وأرسلت قريش سهيل بن عمرو لمفاوضة النبي ﷺ، وبالرغم من تشدّد سهيل في الشروط، أسفرت المفاوضات عن شروط الصلح التالية:

١ـ تعهّد الطرفين بترك الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكفّ بعضهم عن بعض.

٢ـ ردّ من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليّه عليهم، وعدم رد من جاء قريشاً ممن مع محمّد عليه.

٣ـ دخول من أحبّ أن يدخل في عقد محمّد وعهده فيه، ودخول من أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فيه.

٤ـ رجوع محمّد بأصحابه إلى المدينة عامه هذا فلا يدخل مكّة، وإنّما يدخل مكّة في العام القادم، فيقيم فيها ثلاثة أيّام ليس معه سوى سلاح الراكب، والسيوف في القرب[٢].

٥ـ عدم استكراه أحد على ترك دينه، وعبادة المسلمين الله بمكّة علانية

(١)السيرة النبوية ٢ : ٣١٥.

(٢)السيرة الحلبية ٣ : ٢١.

وبحرّية، وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكّة، وأن لايؤذى أحد ولا يعيّر[١].

٦ـ لا إسلال (سرقة) ولا إغلال (خيانة)، بل يحترم الطرفان أموال الطرف الآخر[٢].

٧ـ عدم إعانة قريش على محمّد وأصحابه أحداً بنفس ولا سلاح[٣].

ولم يرضَ بعض الصحابة ببنود الصلح، فاعترض على النبي ﷺ زاعماً أنّه قد وقف موقف المنهزم أمام جبروت قريش[٤]، ولم يدرك أنّ النبي ﷺ مسدَّد من قِبَلِ الله، وأنّه ينظر بنور الله إلى مستقبل الرسالة والدعوة الإسلامية ومصالحها العليا.

وردّ النبي ﷺ هذا الاعتراض قائلا: «أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيّعني»، وتمّ الصلح لولا هروب أبي جندل والتماسه من النبي ﷺ أن لا يرجعه إلى قريش، واضطر النبي ﷺ إلى تسليمه.

لكن قضية تسليم أبي جندل لقريش[٥] في ظرف توتر الوضع النفسي لجمع من المسلمين، كان مثيراً لهم[٦].

---

(١)بحار الأنوار ٢٠ : ٣٥٢.

(٢)مجمع البيان ٩ : ١١٧.

(٣)بحار الأنوار ٢٠ : ٣٥٢.

(٤)لقد سجّل عامة المؤرخين اعتراض عمر على النبي ﷺ في ما يخص هذا الصلح وشروطه؛ معتبراً ذلك من إعطاء الدنية في الدين.

(٥)السيرة الحلبية ٣ : ٢١، السيرة النبوية ٢ : ٢١٨، بحار الأنوار ٢٠ : ٢٥٢.

(٦)ولا بأس أن ننبّه إلى أنّ هذا الشرط كان وبالا على قريش؛ لأنّ الكثير ممن أسلم في مكة كان يهرب منها ويلتجأ إلى الجبال القريبة من مكة، حتى اجتمع سبعون رجلا من المسلمين في منطقة ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش إلى الشام، وكانوا يقطعون الطريق على تجارة قريش وأهلها، وهذا ممّا أزعج قريشاً، فكتبت إلى الرسول ﷺ تسأله بأرحامها إلاّ آواهم، فلا حاجة لهم بهم فآواهم. (السيرة النبوية ٢ : ٢٩٣). وهذا الذي حدث مصداق قول الرسول ﷺ لأبي جندل: يا أبا جندل، إصبر، واحتسب ، فإنّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ... ، (السيرة الحلبية ٢ : ٧١٠).

لقد كان هذا الصلح فتحاً مبيناً للمسلمين، خلافاً لما استظهره البعض من بنود الصلح؛ إذ انقلبت شروط المعاهدة لصالح المسلمين بشكل تام كما سنرى في ما بعد.

وفي طريق الرجوع إلى المدينة، نزلت آيات القرآن الكريم[1] لتؤكّد البعد الحقيقي للصلح مع زعيمة الوثنية، ومبشرةً المسلمين بدخولهم مكة في زمن قريب.

المطلب الثالث: النتائج المهمة لصلح الحديبية

لقد كان لصلح الحديبية نتائج غاية في الأهمية للمسلمين، منها:

١ـ إعتراف قريش بكيان المسلمين كقوّة عسكرية وسياسية مشروعة.

٢ـ دخول المهابة في قلوب المشركين والمنافقين وتصاغر دَورهم، وظهور ضعفهم عند المواجهة.

٣ـ أعطت الهدنة للنبي ﷺ والمسلمين فرصة لنشر الإسلام ودخول كثير من القبائل في الإسلام، وقد كان رسول الله ﷺ حريصاً منذ بدء دعوته على أن تترك قريش له فرصة يعبّر فيها بحرّية عن موقفه، ويشرح الإسلام للناس بأمان.

٤ـ بعد أن أمن المسلمون جانب قريش، حوّلوا ثقلهم وجهودهم لمواجهة اليهود وسائر المناوئين.

٥ـ جعلت مفاوضات الصلح حلفاء قريش يفقهون موقف المسلمين، ويميلون إليهم بالتدريج.

٦ـ تمكين الصلح للنبي ﷺ من مراسلة الملوك خارج الجزيرة لدعوتهم إلى الإسلام، واستعداده لنقل الإسلام إلى خارج الجزيرة العربية.

٧ـ تمهيد الصلح لفتح مكّة التي كانت أهم قلاع الوثنية حين ذاك، كما سنرى، في مراحل لاحقة.

---

(١)راجع سورة الفتح.

المطلب الرابع: تبليغ الرسالة خارج الجزيرة

لقد كانت محاولات قريش للقضاء على الإسلام سبباً لانشغال النبي ﷺ والمسلمين في معارك الدفاع والتحصين، وتثبيت أركان الدولة والمجتمع الإسلامي عدّة سنين، فلم يستطع خلالها أن يبلّغ فيها رسالته السماوية العالمية وخاتمة كل الأديان بحرّية تامّة.

وبتوقيع معاهدة صلح الحديبية، أمن الرسول ﷺ جانب قريش، وأتاحت فرصة الأمان هذه أن يبعث الرسول الأكرم ﷺ سفراءه إلى زعماء القوى الكبرى المحيطة بالجزيرة العربية، وإلى كلّ رؤساء القبائل في الجزيرة وخارجها، يدعوهم إلى الإسلام، ويوضّح لهم التعاليم الإلهية.

فقد روي أنّه ﷺ قال في أصحابه: «أيّها الناس، إنّ الله قد بعثني رحمة وكافّة، فلا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم».

فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال ﷺ: «دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأمّا من بعثه مبعثاً قريباً، فرضي وسلّم، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً، فكره وجهه، وتثاقل».

واتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من فضّة نقش على فصّه «محمد رسول الله»، وختم به الكتب؛ لأنّ الملوك لايقرأون كتاباً إلاّ مختوماً[١].

وتوجّهت رسل الهداية تنقل رسائل الرسول ﷺ إلى مختلف بقاع الأرض[٢]، وأهمّها: دعوة النجاشي في الحبشة إلى الإسلام، ودعوة المقوقس في الإسكندرية، والحارث الغسّاني بالشام، ودعوة قبائل غطفان إلى رسالة الإسلام الخاتمة.

---

(١)السيرة النبوية ٢ : ٦٠٦.

(٢)لاحظ: مكاتيب الرسول ﷺ.

خلاصة البحث

لقد كانت السنة السادسة سنة الانتقال من خندق الدفاع إلى مرحلة الإنتشار التي كانت تتطلّبها عالميّة الرسالة الخاتمة.

وبقيت قريش تعيش غرورها وكبرياءها، وتتصوّر أنّها قد وقفت أمام امتداد الرسالة الإلهية بمنعها النبي ﷺ من أداء العمرة.

بينما بشّر القرآن الكريم الرسول الأمين ﷺ بأنّه سيدخل المسجد الحرام إن شاء الله آمناً محلّقاً رأسه، وسوف ترتفع كل الحواجز المصطنعة أمام رسالة الله إلى البشريّة كافّة؛ إذ ستسفر الأيّام القريبة القادمة عن دقّة التخطيط الرباني لإظهار كلمة الله تعالى عالية خفّاقة، ويتبينّ الحق حيث يقول:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

إختبارات البحث

١. بين أهم معالم السنة السادسة للهجرة.

٢. تكلم عن سبب مباغتة النبي ﷺ قريش بالعمرة في السنة السادسة.

٣. كيف انتهت العمرة إلى صلح الحديبية؟

٤. ما هي أهم نتائج صلح الحديبية بالنسبة للمسلمين؟

٥. تكلم عن أهمية القيادة الحكيمة في بناء الدولة الإسلامية وتقويتها.

البحث رقم (١٦)

المرحلة الثالثة من العهد المدني: مرحلة الفتح والإنتشار (١)

أهداف البحث

١. بيان المقصود بدور السلام المشروط.

٢. توضيح كيفية فتح قلاع خيبر.

٣. تفسير استسلام أهالي فدك.

٤. التعريف بزمان وكيفية عمرة القضاء.

٥. تثمين الدور القيادي للرسول ﷺ.

مقدمة البحث

إنتهينا من الكلام في البحوث الماضية عن مرحلة البناء والدفاع في العهد المدني، لندخل اليوم في الكلام عن مرحلة مهمة أخرى من تاريخ العهد المدني، وهي مرحلة الفتح والانتشار، فنتعرض إلى دور السلام المشروط، وعن فتح قلاع خيبر أمام المسلمين، الحادثة التي تركت أثرها عميقا في ضمير الإنسانية، لما تمثله تلك القلاع من تهديد شديد للمسلمين.

المطلب الأول: حالة المسلمين بدخول السنة السابعة للهجرة

دخلت السنة السابعة للهجرة والمسلمون لازالوا في مرحلة السلام المشروط، وقد استطاعوا بعد مضي ست سنوات أن يتخلصّوا من أشرس أعدائهم (اليهود)، وأن يواصلوا تبليغ رسالتهم (رسالة الله) إلى القبائل العربية داخل الجزيرة، كما تمكّنوا من أن يُقْبِروا إرادة القتال عند قريش، وهم على أتّم استعداد لمواصلة الدفاع بروح قتالية عالية وكفاءة وخبرة متنامية...وبهذا، أصبح المسلمون يشكّلون القوة الرئيسة في جزيرة العرب، لاينافسهم فيها أحد.

وقد أخذت آثار وأبعاد هذا الفتح المبين تظهر بالتدريج: فالرسول ﷺ خرج

إلى الحديبية في ألف وأربعمئة مسلم، ثم خرج إلى فتح مكّة بعد سنتين في عشرة آلاف رجل مسلم. وذلك لأنّ الهدنة جعلت الناس يأمن بعضهم بعضاً...وكان عرض الإسلام على الناس عاملا لقبوله دون خوف أو تهديد من تبعات هذا الأمان، والقبائل العربية رأت نفسها في حلٍّ من الانتماء لزعيمة الوثنية، لاسيّما وهي ترى فشل قريش في مواجهة الإسلام من جهة، وتنامي قدرة المسلمين من جهة اُخرى.

وكان انضمام خزاعة إلى معسكر المسلمين نصراً كبيراً لهم؛ لأنّ جزءً كبيراً من الأحابيش الذين كانت تعتمد عليهم قريش يعدّون من بطونها...وبهذا ضعف ركن قريش الحربي[1].

وكان لانتشار الإسلام في اليمن في الفترة التي اُعقبت الحديبية أهميّة خاصّة من الناحية العسكرية؛ إذ أصبحت قريش محفوفة بالمسلمين من الشمال والجنوب، وبذلك تقرّر مصير مكّة وقريش نهائيّاً.

المطلب الثاني: التفرغ للقوى المعادية الأخرى

وحين أمِن النبي ﷺ جانب قريش والقبائل الموالية لها، كان قد تفرّغ للقوى المضادّة الاُخرى. فخيبر والمواقع اليهودية المجاورة لها لازالت مناطق خطر على الدولة الإسلامية الفتية، والبيزنطيون وحلفاؤهم العرب الذين ازداد تكالبهم في الجهات الشمالية بازدياد نشاط الإسلام هناك، فضلا عن التجمعات البدوية المنتشرة في الصحراء، والتي كانت تنتظر الفرصة السانحة للنزال...، فبعد فصم عقدها بالهدنة مع قريش، أخذ يوجّه إليها السرايا تلو السرايا طيلة السنة السابعة، ليصدّها عن المضيّ في ما تبتغيه، وليشعرها بمقدرة المسلمين على العقاب.

من هنا، نجد سريّة زيد إلى حسمى، وسرية ابن سعد إلى بني مرة، وسريتين

---

(١)دراسة في السيرة: ٢٣٢ عن الشريف أحمد إبراهيم: ٤٦٩.

إلى هوازن، وسرية بشير إلى غطفان، وسريّة السلّمي إلى بني سُلَيم، قد كانت كلّها في هذه السنة بالذات، وقد لقّنت الأعراب ودعاة الفتنة دروساً لن ينسوها[١].

ونشط الرسول ﷺ بعد الحديبية وحتى فتح مكّة في توجيه دعاته وسفرائه إلى كبار أمراء العرب الوثنيين، يدعوهم إلى الإسلام في نفس الفترة التي كان قد وجّه فيها سفراءه إلى أباطرة العالم وملوكه، لعرض الإسلام عليهم.

فأسلم المنذر بن ساوي العبدي أمير البحرين، ومعه الكثير من رعاياه، وصالح النبي من بقي على مجوسيّتهم، وبقي العلاء بن الحضرمي أميراً من رسول الله ﷺ على البحرين(٢)ـ كما بعث إلى عمان واليمامة، فأسلم أمراؤهما. كما أسلم زعماء اليمن ومشايخها وبقايا ملوك حمير. وأسلم جمع من اُمراء كندة وحضرموت، وبقي بعضهم على شركهم...كما وجّه كتاباً إلى جماعة من العبيد وقطّاع الطريق في جبل تهامة، بعد أن استقبل وفداً منهم(٣).

وجاءت غزوة خيبر واستسلام أهالي فدك ومعركة مؤتة لإزالة الخطر اليهودي وايقاف الخطر البيزنطي طيلة العامين السابع والثامن.

كما كانت عمرة القضاء في نهاية السنة السابعة تصديقاً لوعد الله الذي جاء في سورة الفتح.

المطلب الثالث: فتح خيبر واستسلام أهالي فدك

بعد إجلاء بني قينقاع وبني النضير، أصبحت خيبر مركزاً للتجمع اليهودي السياسي، ومنها انطلق زعماء اليهود لدعوة القبائل العربية وتحزيبها ضدّ المسلمين، ومنها خرج حيي بن أخطب ودفع بني قريظة إلى نقض معاهدة الرسول ﷺ

---

(١)الواقدي ٢ : ٧٢٢ ـ ٧٣١ و ٧٤١ ـ ٧٥٣ و ٧٧٧ ـ ٧٨٠.

(٢)فتوح البلدان ١ : ٩٥ ـ ٩٩.

(٣)انظر للتفصيل: ابن سعد ١ : ١٨٨ ـ ٣٨.

والمسلمين في اللحظات العصيبة، وغدت خيبر بمرور الأيام ملجأً يأوي إليه اليهود المبعدون عن المدينة، ينتظرون الفرصة للانتقام من الإسلام والمسلمين واسترداد مواقعهم التي جُرّدوا منها، وبعد وصول نبأ هزيمة بني قريظة إلى خيبر، أعلن سلام بن مشكم السير إلى محمد في عقر داره بما معهم من يهود خيبر، مع استجلاب يهود تيماء وفدك ووادي القرى.

وفي أواخر العام السادس، توجّهت سرية علي بن أبي طالب عليه السلام إلى فدك، حيث كان يقطن عندها حيّ من بني سعد بن بكر، وكانوا قد سعوا إلى مدّ أيديهم لاولئك اليهود لقاء أن يمنحوهم جزءً من ثمار خيبر[١].

وهم الآن يتحالفون مع غطفان في محاولة جديدة ضد المدينة، تمهيداً لدخول أهل خيبر في حرب مع المسلمين.

إذن، فالخطر اليهودي لازال قابعاً في الجزيرة، حيث لم يكف اليهود عن التآمر والعدوان، من هنا، إنطلق الرسول صلى الله عليه وآله في مطلع السنة السابعة صوب خيبر، على رأس حملة استنفر لها الراغبين في الجهاد فحسب دون الغنائم.

ولما كانت يهود خيبر أعظم الطوائف اليهودية بأساً ودربةً على القتال، كانت شبه الجزيرة متطلعة إلى نتائج هذه الغزوة، وكان النبي صلى الله عليه وآله يدرك أن الفشل فيها سوف يغيّر ميزان القوى من جديد...من هنا، كان عليه أن يقود جيشاً مؤمناً بأهدافه، مقدّراً لحراجة الظروف...وكان الجيش الذي أعدّه النبي صلى الله عليه وآله قليلا بعدده، كثيراً بإيمانه[٢].

واستهدف الرسول صلى الله عليه وآله السيطرة على الطريق الواصل بين غطفان وخيبر؛ ليمنع المدد عنهم، واستطاع أن يحول بين غطفان وبين يهود خيبر، ثم باغت خيبراً في

---

(١)الطبري ٢ : ٦٤٢. ابن سعد ٢ : ١ : ٦٥.

(٢)مكّة والمدينة: ٤٩٥ ـ ٤٩٨. إمتاع الأسماع ١ : ٣٢٧.

وقت كان قد خرج أهلها إلى مزارعهم. فتمالكهم الخوف حين رأوا جيش المسلمين، وهربوا لائذين بحصونهم، وهيّأوا أنفسهم لحصار طويل[1].

وتلخّصت خطة الرسول ﷺ بمشاغلة بعض الحصون بقوّات صغيرة، وتركيز الهجوم على حصن واحد، ثم الانتقال إلى سائر الحصون، مع تقسيم القوّات بنحو يشتدّ التنافس بينها مع قيام بعضها بالإستراحة بشكل متناوب؛ لتكون مستعدّة للقتال على أيّ حال[2].

وبدأ الهجوم، وراحت الحصون تسقط بأيدي المسلمين حصناً بعد حصن، وكان آخرها مقاومةً سلاسل الوطيح والسلالم وقلعة الزبير، وظلّوا يقاومون بضعاً وعشرين ليلة، جرت خلالها مبارزات فرديّة.

وبعد أن فشل جمعٌ من الصحابة في اقتحام هذه الحصون في هجومين منفصلين، كان الأول بقيادة أبي بكر، حيث رجع يجبّن أصحابه ويجبنونه، وكان الثاني بقيادة عمر بن الخطاب، الذي رجع يجبّن أصحابه ويجبنونه، أيضا، قال الرسول ﷺ كلمته المعروفة: «لأعطينّ الراية غداً رجلا يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، كرّار غير فرّار»، ودعا عليّاً، وكان أرمد العينين، ممّا أوجب أن يمسحها الرسول بلعابه المبارك ليشفيه مما كان فيه، وأعطاه الراية، وتمّ الفتح على يديه.

وحين أيقن اليهود بالهلكة، سألوا الرسول ﷺ الجلاء من المنطقة وحقن دمائهم، فأجابهم إلى طلبهم، فلّما نزلوا إليه، عرضوا عليه أن يبقيهم في أرضهم لقاء نصف حاصلاتهم، فوافق على ذلك بشكل مشروط، من دون أن يكون ملزماً إلى الأبد بذلك؛ فإنّ اليهود قد عرفوا بالغدر في أية فرصة تسنح لهم للغدر[3].

وفي يوم فتح خيبر، أقبل جعفر بن أبي طالب عليه السلام من الحبشة، فاستقبله

---

(١)ابن هشام: ٢٥٩ ـ ٢٦١. الطبري ٣ : ٩.

(٢)الرسول القائد: ٢٠٨ ـ ٢٠٩. أنساب الأشراف ١ : ٣٥٢.

(٣)الطبري ٢ : ١٠ ـ ١٥. فتوح البلدان ١ : ٢٥ ـ ٢٦.

الرسول ﷺ، وقبّل مابين عينيه، ثم قال: «بأيّهما أسر، بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر»؟![1]

وتناسى اليهود كل المواقف السمحة والعادلة إزاءهم، وكانت أولى محاولات الغدر ما تمّ على يد زينب بنت الحارث، زوجة سلام بن مشكم؛ إذ أهدت للرسول ﷺ شاة مشويّة نثرت فيها السمّ، وعرف النبي ذلك بعد أن مضغ من ذراعها مضغة ولفظها، وكان بشر بن البراء قد أكل منها، فمات بعد قليل.

واعترفت الجانية قائلة للرسول ﷺ: بلغتَ من قومي مالم يخفَ عليك، فقلتُ: إن كان ملكا استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر، فتجاوز عنها الرسول ﷺ، وقيل: إنّه قتلها[2].

ويذكر عدد من المؤرّخين أنّ وفاة الرسول ﷺ بعد ثلاث سنوات، إنما كانت بسبب هذا السم الذي دسّته له بنت الحارث يوم فتح خيبر[3].

ولمّا سمع يهود فدك ماحلّ برفاقهم في خيبر من معاملة طيبة، بعثوا إلى الرسول ﷺ يعلنون رغبتهم في المصالحة على مناصفة أراضيهم[4].

وأمّا وادي القرى، فقد بقيت عصية، فتوجه إليها الرسول ﷺ، وفرض الحصار عليها، ودعا أهلها إلى الإسلام، ولكنهم أصرّوا على القتال، وجرت بين الطرفين مناوشات محدودة، وشدّد الحصار عليهم حتى فتح بلدهم عنوة، وبقي أربعة أيام قسمّ خلالها الغنائم على أصحابه، وترك المزارع بيد اليهود مناصفة عليها، ولمّا بلغت يهود تيماء أنباء الانتصارات الإسلامية، صالحوا الرسول ﷺ على الجزية،

---

(١)الطبقات الكبرى ٢ : ١٠٨.

(٢)الواقدي ٢ : ٦٧٧ ـ ٦٧٩. ابن سعد ٢ : ١ : ٧٨.

(٣)لاشراف والتنبيه: ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٤)الواقدي ٢ : ٧٠٦ ـ ٧٠٧.

وأقاموا في بلدهم[١].

وأصبحت فدك ملكاً للرسول ﷺ خاصّة بحكم القرآن الكريم؛ لأنّها ممّا لم يوجف عليه بخيل ولاسلاح، بعد استسلام أهاليها للنبي ﷺ دون تهديد أو قتال.

وقد وهب الرسول ﷺ بأمر من الله تعالى فدكاً لابنته الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام[٢].

روى الشيخ الطوسي في التهذيب، عن علي بن أسباط، عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنّه قال: ـ حين طالب المهديّ بردّ مظلمة، وكان يعني بها فدكاً ـ «إنّ الله عزّ وجلّ لما فتح على نبيه ﷺ فدكاً وما والاها، ولم يوجف عليها بخيل ولاركاب، فأنزل الله تعالى على نبيّه ﷺ ﴿وآتِ ذا القربى حقّه﴾، فلم يدر رسول الله ﷺ من هم، فراجع في ذلك جبرئيل عليه السلام، فسأل الله عزّ وجلّ عن ذلك، فأوحى الله إليه أن ادفع فدكاً إلى فاطمة عليها السلام، فدعاها رسول الله ﷺ، فقال لها: يا فاطمة، إنّ الله تعالى أمرني أن أدفع إليك فدكاً، فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك، فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله ﷺ»[٣].

وتزوّج النبي ﷺ بصفيّة بنت حيي بن أخطب بعد رجوعه من فتح خيبر.

المطلب الرابع: عمرة القضاء

إنقضت الأيام والنبي ﷺ والمسلمون في عمل دؤوب متواصل لتركيز دعائم الحكم الإسلامي، ولم تحدث تحركات عسكرية بعد فتح خيبر سوى خروج سرايا تبليغية أو تأديبية لبعض العناصر التي كانت تظهر الشَغَب.

ومضى عام على صلح الحديبية، التزم خلالها الطرفان ببنود الاتفاق، وحلّ

---

(١) الواقدي ٢ : ٧٠٩ ـ ٧١١.

(٢) مجمع البيان ٣ : ٤١١. الدر المنثور ٤ : ١٧٧.

(٣) تهذيب الأحكام ٤ : ١٤٨.

الوقت الذي أصبح النبي ﷺ والمسلمون فيه في حلٍّ من عهدهم بعدم الدخول إلى مكّة، فنادى منادي الرسول ﷺ أن يتجهز المسلمون لأداء عمرة القضاء. وخرج مع النبي ﷺ ألفان من المسلمين، لايحملون سلاحاً إلاّ السيوف في القِرب، ومن حيطة النبي ﷺ وحذره من احتمال الغدر، جهّز مجموعة مسلحة تستعد للدفاع عن المسلمين عند أي طاريء، وأوقفهم عند (مرّ الظهران).

ولما وصل النبي ﷺ ذا الحليفة، أحرم هو وأصحابه، وساق معه ستين بدنة، وقدّم الخيل أمامه، وكانت نحواً من مئة بقيادة محمد بن مسلمة، وخرج زعماء مكّة ومن تبعهم إلى رؤوس الجبال والتلال المجاورة المطلة على مكّة، زاعمين أنّهم لايريدون النظر إلى النبي ﷺ ولا إلى أصحابه، ولكن جلالة الرسول ﷺ، وهيبة منظر المسلمين الذين يحتفون حول الرسول وهم يردّدون التلبية، بهرت عيونهم، وأثارت هلع قلوبهم، وشدّهم مذهولين للنظر للنبي ﷺ والمسلمين وهم يؤدوّن مناسكهم.

وطاف النبي ﷺ حول البيت على راحلته، يقودها عبد الله بن رواحة، وأمر ﷺ أن ينادي المسلمون: «لا إله إلاّ الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعَزَّ جنده، وهزم الأحزاب وحده».

فدوّى النداء في مكّة وشعابها، فانصدعت قلوب المشركين رعباً، وتملكهم الغيظ والحقد من مظاهر النصر الإلهي للنبي ﷺ، الذي خرج منهم طريداً قبل سبعة أعوام.

وأتم النبي ﷺ والمسلمون معه مناسك العمرة، وأيقنت قريش قوّة الإسلام والمسلمين، وكذب من أخبرها أنّ النبي ﷺ ومن معه في جهد وتعب وضيق وحرج.

وصعد بلال على ظهر الكعبة يعلن نداء التوحيد، مؤذّناً لصلاة الظهر بمظهر روحاني بهيج أغاظ رؤوس الكفر من قريش...وقد كانت كل مكة تحت تصرف

المسلمين بكلّ مرافقها.

وتفرّق المهاجرون يصحبون إخوتهم الأنصار، يعودون دورهم التي غادروها في سبيل الله، ويلتقون بأهليهم وذويهم بعد طول فراق.

وأمضى المسلمون ثلاثة أيام في مكّة، وغادروها حسب الاتفاق مع قريش.

وهكذا انتهت السنة السابعة والمسلمون أقوى شوكةً وأشد عزيمةً على المضّي لإعلاء كلمة الله في ربوع الأرض.

واعتبر بعض المؤرّخين أن مكّة قد تمّ فتحها للمسلمين من يوم عمرة القضاء؛ لأنّها قد أثّرت على معنويّات المكيّين أعظم تأثير، فعمرة القضاء فتحت قلوبهم، وغزوة الفتح فتحت أبوابها[1].

---

(١)الرسول القائد: ٢٣٨.

خلاصة البحث

تعتبر السنة السابعة من العهد المدني بدء مرحلة الفتح من خلال السلام المشروط الذي حققّه النبي ﷺ، من خلال صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة.

وهذا الفتح هو فتح القلوب قبل فتح الأراضي والبلدان، كما أنّه فتح الجزيرة العربية وما والاها وأحاط بها، من خلال توفر فرص التبليغ والدعوة إلى الله، ومن خلال الأمن الذي حققه الصلح للمسلمين.

وكانت تصفية قلاع خيبر واستسلام فدك من النتائج القريبة لهذا الصلح، فضلا عن تأديب دعاة الفتنة في قلب الصحراء.

وكانت عمرة القضاء تحقيقاً لوعد الله تعالى، وأيقنت قريش خلالها بقوة المسلمين وتفانيهم في سبيل دينهم ونبيّهم.

إختبارات البحث

١. ما هو المقصود بدور السلام المشروط؟

٢. تكلم عن كيفية فتح قلاع خيبر، وعن دور أمير المؤمنين في ذلك.

٣. كيف تفسر استسلام أهالي فدك للمسلمين؟

٤. ما المقصود بعمرة القضاء؟ ومتى كانت؟

٥. إعتبر بعض المؤرّخين أن مكّة قد تمّ فتحها للمسلمين من يوم عمرة القضاء، كيف توجّه ذلك؟

البحث رقم (١٧)

المرحلة الثالثة من العهد المدني: مرحلة الفتح والإنتشار (٢)

أهداف البحث

١. التعريف بدور التحرير من أدوار التاريخ الإسلامي.

٢. تفسير قرار رسول الله ﷺ فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة رغم معاهدة الصلح التي كانت لعشر سنين.

٣. توضيح كيفية فتح الله مكة لنبيه الكريم.

٤. تعداد ما ترتب على فتح مكة من آثار مهمة.

٥. إستيعاب أهمية وضرورة القيادة الحكيمة.

مقدمة البحث

الكلام اليوم عن دور التحرير، حيث نسير مع الرسول ﷺ وهو يفتح مكة في السنة الثامنة للهجرة النبوية الشريفة، وما ترتب على ذلك الفتح المبين من بركات.

المطلب الأول: دور التحرير

كان لبعض اُمراء القبائل العربية النصرانية الموالية للبيزنطيين في شمال الجزيرة عدّة مواقف غادرة من دعاة الإسلام المبعوثين إلى الشام، ممّا دعا الرسول ﷺ للتخطيط لتأديبهم وإشعارهم بقدرة الدولة الإسلامية الفتيّة، فجهزّ ﷺ جيشاً من ثلاثة آلاف مقاتل، وولىّ زيد بن حارثة قيادة الجيش، وألحق به قائدين احتياطيين.

وتقدّم الإمبراطور البيزنطي على رأس مائة ألف مقاتل من الروم سوى القوات العربية الموالية، وهذا العدد وإن كان خيالّياً ومبالَغاً فيه؛ فإنّ المسلمين الذين عسكروا جنوب الاُردن طلبوا من الرسول ﷺ أن يمدّهم بالرجال، إلاّ أنّ عبد الله بن رواحة اندفع بفورة حماسه الإيماني نحو الشهادة قائلا: «إنمّا هي إحدى الحسنيين»، واستجاب له جمع من الجيش، مؤيدين رأيه، فلم ينتظروا المدد، وغادروا معسكرهم حتى بلغوا تخوم البلقاء، ولقيتهم جموع الروم والعرب،

فانحازوا صوب قرية مؤتة، فعبّأوا أنفسهم، وانطلق زيد بن حارثة يقاتل حتى استشهد، ثم استلم الراية جعفر بن أبي طالب، وقاتل حتى استشهد، ثم حمل عبد الله بن رواحة الراية، وقاتل حتى استشهد، فأخذ الراية رجل من المسلمين منادياً: يا معشر المسلمين، إصطلحوا على رجل منكم. واتّفق المسلمون على قيادة خالد بن الوليد. وقرّر خالد حسب خطة تمويهيّة أن ينسحب بالمسلمين.

ولم يخسر المسلمون سوى ثمانية أو اثني عشر قتيلا، بينما كانت خسائر العدوّ أضعافاً مضاعفة، ممّا أثّر في معنويّاتهم، وصدّهم عن مطاردة المسلمين.

ووصل المسلمون المدينة بعد مسيرة مجهدة في جحيم الصحراء، وتلقّاهم الرسول ﷺ والمسلمون، والصبيان يعدون من ورائهم هاتفين: يافُرّار، فررتم عن سبيل الله؟ فيجيبهم الرسول ﷺ: ليسوا بالفرّار، ولكنّهم الكرّار إن شاء الله تعالى[١].

وكما عقّب الرسول ﷺ غزوة أحد بغزوة حمراء الأسد؛ إسترداداً لهيبة المسلمين بايهام قريش بقدرة المسلمين على متابعة القتال، كذلك نجد النبي ﷺ هنا، وبعد معركة مؤتة، يقوم بإرسال جيش إلى الشمال ليشتت جموع أهل الشام[٢].

المطلب الثاني: فتح مكّة[٣]

لقد كانت ردود فعل القوى في المنطقة بعد معركة مؤته مختلفة، فالروم فرحوا إذ انسحب المسلمون ولم يتمكّنوا من دخول الشام، وخشوا أن يلاحقوهم إلى الجزيرة.

أمّا قريش، فقد سادها الفرح، وانبعثت فيهم الجرأة على المسلمين، وأخذت تسعى لنقض صلح الحديبية عبر الإخلال بالأمن، فحرّضت قبيلة بني بكر على بني خزاعة ـ بعد أن كانت قبيلة بني بكر قد دخلت في حلف قريش وخزاعة في حلف النبي ﷺ بعد صلح الحديبية ـ وأمدّتها بالسلاح، فعَدَتْ بكر على خزاعة

---

(١)تاريخ الطبري ٣ : ٤٢. الواقدي ٢ : ٧٦٥. السيرة النبوية ٢ : ٣٨١.

(٢)حياة محمد ٣٩٦.

(٣)تم فتح مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة.

غيلة، وقتلوا عدداً من أفرادها، ففزعوا إلى رسول الله ﷺ طالبين النصرة، ووقف عمرو بن سالم بين يدي رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، ينشد أبياتاً يعرض فيها نقض العهد. فتأثّر رسول الله ﷺ، وقال: نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم.

إنتبهت قريش إلى سوء فعلتها، وتملّكها الخوف من المسلمين، فاجتمع رأيهم على إيفاد أبي سفيان إلى المدينة ليجدّد الصلح، ويطلب تمديد المدة من النبي ﷺ.

ولكن النبي ﷺ لم يصغ لطلب أبي سفيان، وسأله: هل كان من حدث؟

فقال أبو سفيان: معاذ الله.

فأجابه النبي ﷺ: نحن على مدّتنا وصلحنا.

لكنّ أبا سفيان لم يهدأ له بال، ولم يقنع، بل أراد أن يستوثق عهداً وأماناً جديداً من رسول الله ﷺ، فسعى لتوسيط مَن يؤثّر على النبي ﷺ، فقابله الجميع بالرفض واللامبالاة.

فقفل راجعاً بالخيبة إلى مكّة، وقد ضاقت الأمور على قوى الشرك؛ حيث تبدلت الظروف؛ فالنبي ﷺ يطلب مكة فاتحاً، بعدّة تتزايد، وإيمان يترسخ، وقريش تطلب الأمان والسلامة في دمائها وأموالها، بعد أن سنحت الفرصة بنقض الصلح. كما أن مكّة هي آخر خطوة مهمّة في تمام سيطرة الإسلام على الجزيرة العربية آنذاك.

من هنا، أعلن النبي ﷺ النفير العام، وتوافدت عليه جموع المسلمين ملبّية نداءه، فجهّز جيشاً قارب تعداده عشرة آلاف رجل. واجتهد في كتمان قصده وهدفه إلاّ على الخاصة، وكان ﷺ يدعو الله قائلا: «اللّهم، خذ العيون والأخبار من قريش حتى نباغتها في بلادها»[١].

ويبدو أنّ النبي ﷺ كان يودّ أن يتحقّق النصر المؤزّر سريعاً دون إراقة قطرة دم متخّذاً أُسلوب المباغته. ولكن الخبر تسرّب إلى رجل كان قد ضعف أمام عواطفه، فكتب إلى قريش كتاباً بذلك، وبعثه مع امرأة توصله.

---

(١)السيرة النبوية ٣ : ٣٩٧. المغازلي ٢ : ٧٩٦.

ونزل الوحي يخبر النبي ﷺ بذلك، فأمر ﷺ علياً والزبير بأن يلحقا المرأة ويسترجعا الكتاب، وانتزع علي بن أبي طالب عليه السلام بقوة إيمانه برسول الله ﷺ الكتاب من المرأة[١].

ولما استلم الرسول ﷺ الكتاب، جمع المسلمين في المسجد ليثير ويحذّر من مسألة الخيانة، ويؤكدّ ضرورة كبت العواطف مرضاةً لله. وقام المسلمون يدفعون حاطب بن أبي بلتعة صاحب الكتاب الذي حلف بالله أنّه لم يقصد الخيانة، وانفعل عمر بن الخطاب، وطلب من رسول الله أن يقتله[٢].

وتحرّك جيش المسلمين في العاشر من شهر رمضان، ولما بلغ «الكديد»، طلب النبي ﷺماءا، فأفطر به أمام المسلمين، وأمرهم أن يفطروا، لكن بعضاً منهم عصوا الرسول ﷺ ولم يفطروا، فغضب الرسول، وقال: «أولئك العصاة»، وأمرهم أن يفطروا[٣].

ولمّا وصل النبي ﷺ إلى «مرّ الظهران»، أمر المسلمين أن ينتشروا في الصحراء، ويوقد كل منهم ناراً. فأضاء الليل عن جيش عظيم تضيع أمامه كل قوى قريش، ممّا أقلق العباس بن عبد المطلب ـ آخر المهاجرين؛ إذ التحق بركب رسول الله في منطقة الجحفة ـ وتحرك يبحث عن وسيلة يُبلغ بها قريشاً أن تأتي مسلمة قبل دخول الجيش عليها.

وفجأة، سمع صوت أبي سفيان يحادث بديل بن ورقاء، مستغرباً وجود هذه القوة الكبيرة على مشارف مكّة. وارتعد أبو سفيان خوفاً حين أخبره العباس بزحف النبي ﷺ بجيشه لفتح مكّة، ولم يجد أبوسفيان بدّاً من اصطحاب العبّاس لأخذ الأمان من رسول الله ﷺ.

ولم يكن بوسع ينبوع العفو والأخلاق الكريمة أن يبخل بإجازة جوار عمّه لأبي

---

(١)السيرة النبوية ٢ : ٣٩٨.

(٢)إمتاع الأسماع ١ : ٣٦٣. المغازلي ٢ : ٧٩٨.

(٣)وسائل الشيعة ٧ : ١٢٤. السيرة الحلبية ٣ : ٢٩٠. المغازلي ٢ : ٨٠٢ .

سفيان، فقال ﷺ: «إذهب، فقد أمناه حتى تغدو به علي».

ولما مثل أبو سفيان بين يدي النبي ﷺ، قال له: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنّه لا إله إلاّ الله؟».

فقال أبو سفيان: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله، لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد.

فقال ﷺ: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟

قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما والله فإنّ في النفس منها حتى الآن شيئاً[1].

وتدارك العباس الموقف ليضغط على أبي سفيان ليسلم، وقال له: ويحك، أسلم واشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله قبل أن يُضرب عنقك، فشهد أبو سفيان الشهادتين، ودخل في عداد المسلمين.

كان إسلام أبي سفيان بمثابة إزالة لكل العقبات أمام إسلام البقية من زعماء الكفر من قريش، ولكن النبي ﷺ ـ إستتماماً للضغط النفسي على قريش كي تستسلم دون إراقة دماء ـ قال للعباس: «ياعباس، إحبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمرّ به جنود الله فيراها».

ولإشاعة الإطمئنان إلى رحمة الإسلام ورحمة النبي ﷺ، وإرضاء لغرور أبي سفيان كي لا يكابر، قال ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان، فهو آمن، ومن أغلق بابه، فهو آمن، ومن دخل المسجد، فهو آمن، ومن طرح السلاح، فهو آمن».

ومرّت جنود الله تعبر المضيق والعباس يعرّف الكتائب لأبي سفيان وهو مندهش، فقال أبو سفيان: والله يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، فأجابه العباس: يا أبا سفيان، إنّها النبوة، وتردد أبو سفيان في الجواب، فقال: فنعم إذن. ثم انطلق أبو سفيان إلى مكّة يحذّر أهلها، ويعلن أمان رسول الله ﷺ.

---

(١)السيرة النبوية ٢ : ٤٠. مجمع البيان ١٠ : ٥٥٤. المغازلي ٢ : ٨١٦.

المطلب الثالث: دخول مكّة

أصدر رسول الله ﷺ أوامره الحكيمة بتوزيع مداخل القوّات إلى مكّة، مؤكداً عدم اللجوء إلى القتال إلاّ ردّاً عليه. وأهدر ﷺ دماء عدد من المشركين ولو وُجدوا متعلقين بأستار الكعبة؛ لعظيم جنايتهم، ومعاداتهم للإسلام وللنبي ﷺ.

ودخلت قوآت الإسلام الظافرة مكّة من جهاتها الأربع، ودخل الرسول الأكرم ﷺ مكّة، مطأطئاً رأسه شكراً لله على مامنحه من الفضل والنعمة.

وبعد استراحة في قبّة من أدم، نصبت له قرب قبر أبي طالب عليه السلام ـ إذ رفض أن يدخل دار أحد من أهالي مكة ـ إغتسل، وركب راحلته، وكبّر، فكبّر المسلمون، فدوّى الصوت في الجبال والوهاد ـ التي فرّ إليها بعض رؤوس الشرك خوفاً ورعباً من الإسلام ـ وجعل يشير ـ وهو يطوف البيت ـ إلى كل صنم موجود حوله، ويقول: قل جاء الحق وزهق الباطل، إنّ الباطل كان زهوقاً، فيسقط الصنم لوجهه.

ولم يستطع علي عليه السلام أن يحمل النبي ﷺ على كتفه لكسر الأصنام التي كانت فوق الكعبة، فصعد عليّ على كتف النبي ﷺ، وكسّر الأصنام. ثم دعا النبي ﷺ بمفاتيح الكعبة، ففتحت، ودخلها، ومسح ما فيها من صور. ثم وقف على بابها يخطب الجموع المتكاثرة خطبة الفتح العظيم، فقال ﷺ: «لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو فاصلة أكثر دم، أو مال يدّعى، فهو تحت قدمي هاتين، إلاّ سدانة البيت، وسقاية الحاج.

ثم قال ﷺ: «يامعشر قريش، إنّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظّمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب...»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ...﴾[1]، يا معشر قريش، ماترون أنّي فاعل بكم»؟

قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. فقال ﷺ: «إذهبوا، فأنتم الطلقاء»[2].

---

(١)الحجرات: ١٣.

(٢)بحار الأنوار ٢١ : ١٠٦. السيرة النبوية ٢ : ٤١٢.

ثم ارتقى بلال سطح الكعبة ليؤذّن لصلاة الظهر، فصلى المسلمون بإمامة النبي ﷺ في المسجد الحرام.

ووقف المشركون والحيرة تملكهم، وخشيت الأنصار أن لا يرجع معها الرسول الكريم حين رأوا تفاعل النبي ﷺ مع أهل مكّة، فالتفت إليهم قائلا: «معاذ الله، المحيا محياكم، والممات مماتكم»، معلناً بذلك أنّ المدينة ستبقى عاصمة الإسلام.

ثم أقبل الناس يبايعونه ﷺ، فبايعه الرجال، وتشفّع عدد من المسلمين لدى النبي ليعفو عمن أهدر دمه، فعفا وصفح.

وجاءت النساء ليبايعن، فكانت المرأة تدخل يدها في قدح فيه ماء وضع الرسول ﷺ يده الكريمة فيه، فبايعنه على أن لا يشركن بالله شيئاً، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن، ولا يعصين النبي في معروف[1].

وغضب النبي ﷺ حين عدت خزاعة (حليفة الرسول ﷺ) على رجل من المشركين فقتلته، وأكبرت قريش جميع مواقف النبي ﷺ من مكّة وأهلها، من عطف ورحمة وسماحة وعفو واحترام وتقديس، فمالت قلوبهم إليه، وأقبلوا على الإسلام آمنين مطمئنّين.

وأرسل رسول الله ﷺ سراياه إلى أطراف مكّة وما حولها لهدم ماتبقّى من الأصنام وأماكن عبادة المشركين، فأخطأ خالد بن الوليد إذ قتل عدداً من قبيلة بني خزيمة بعد استسلامهم ثأراً لعمّه، وغضب النبي ﷺ حين علم بذلك، وأمر علياً أن يأخذ أموالا ويدفع ديّة المقتولين، ثم قام ﷺ واستقبل القبلة، رافعاً يديه وهو يقول: «اللهم إنّي أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد»، وبذلك هدأت نفوس بني خزيمة[2].

---

(١)نفس المصدر.

(٢)السيرة النبوية ٢ : ٤٢٠. الخصال : ٥٦٢. أمالي الطوسي ٣١٨. السيرة الحلبية ٣ : ٦٨.

خلاصة البحث

إنّ هيبة المسلمين ورهبة المشركين هي التي منعت من استمرار الفريقين في معركة مؤتة، فقنع كلٌ منهما بالمناورة.

وأدرك المسلمون من معركة مؤتة أنّ الجولة الحربية الحقيقية ستكون ضد الروّم، وأعقب الرسول ﷺ هذا التراجع بإرسال جيش لتشتيت جموع أهل الشام استرداداً لهيبة المسلمين.

وكان نقض قريش لأحد بنود المعاهدة مع النبي ﷺ سبباً لتوجهه ﷺبشكل سرّي وسريع نحو مكّة. وتمّ فتحها بغتة.

وكان استسلام أهل مكّة عملا هائلا في تاريخ حياة النبي ﷺ؛ فقد توقّف النشاط المعادي للإسلام من أخطر مركز باشر العداء للدين الجديد أكثر من عشرين عاماً.

كما أنّه مهّد الطريق لاستسلام الجزيرة العربية كلها. وسمي العام الثامن الهجري بعام الفتح، وأصبح المسلمون سادة مكّة، وحماة البيت الحرام.

إختبارات البحث

١. تكلَم عن دور التحرير من أدوار التاريخ الإسلامي.

٢. كيف تفسر قرار رسول الله ﷺ فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة رغم معاهدة الصلح التي كانت مع المشركين لعشر سنين؟

٣. تكلَم عن كيفية فتح الله مكة لنبيه الكريم.

٤. لماذا كان فتح مكة أمرا غاية في الأهمية للمسلمين؟

٥. كيف استدرك الرسول ﷺ ما وقع من انكسار في معركة مؤتة؟

البحث رقم (١٨)

المرحلة الثالثة من العهد المدني: مرحلة الفتح والإنتشار (٣)

أهداف البحث

١. بيان غزوة حنين وسبببها.
٢. توضيح حصار الطائف وسببه.
٣. تعداد النتائج التي ترتبت على غزوة حنين وحصار الطائف.
٤. تفسير هزيمة المسلمين أول غزوة حنين.
٥. إستيعاب حكمة القيادة النبوية المباركة.

مقدمة البحث

تكلمنا في البحث السابق عن فتح مكة، ذلك الحدث المدوي في تاريخ الإسلام والمسلمين، وما أثره ذلك الحدث على الإسلام والمسلمين وعلى الحالة المعنوية لهم، وعلى أعداء المسلمين ومن كان يكيد المكائد للإسلام.

وتصل النوبة الآن إلى الكلام عن دور جديد دخل فيه الإسلام بعد فتح مكة، وهو دور التحرير وإحكام المواقع، وعما تعرض له المسلمون من دروس بليغة في غزوة حنين، حيث تعلموا درسا لم ينسه المسلمون إلى يومنا هذا.

المطلب الأول: غزوة حنين

كان فتح مكّة تعبيراً عن دخول راية التوحيد إليها وسقوط لواء الشرك من جديد، وأمضى النبي ﷺ خمسة عشر يوماً في مكّة، والأمان والسرور يعمّان المسلمين.

وترامت إلى أسماع النبي ﷺ أنّ قبيلتي هوازن وثقيف قد أعدّتا العدة لمحاربة الإسلام؛ ظنّاً منهما أنّهما سوف يُحقّقان ما عجزت عنه قوى الشرك والنفاق.

وعزم النبي ﷺ على الخروج إليهم بعد أن وطّد دعائم الإدارة في مكّة كما

هي سيرته عند كل فتح، فعيّن معاذ بن جبل ليعلّم الناس القرآن وأحكام الإسلام، وعتاب بن أسيد للصلاة بالناس وإدارة شؤونهم.

وخرج النبي ﷺ باثني عشر ألفاً من المسلمين، وهي قوة لم يشهد المسلمون مثلها، ممّا أدّى بهم إلى الغرور، حتى أنّ أبا بكر قال: لو لقينا بني شيبان لن نغلب اليوم من قلّة[1].

أمّا (هوازان) و(ثقيف)، فقد تحالفتا وخرجتا بعدّة قوية، تصحبهم نساؤهم وأطفالهم، وكمنوا للمسلمين، وما إن دخلت طلائع الجيش الإسلامي أطراف الكمين، حتى فرّت مجاميعهم فزعاً من أسلحة العدو الموجّهة نحوهم من أعالي الجبال.

ولم يثبت مع رسول الله ﷺ إلا تسعة أشخاص من بني هاشم، عاشرهم: أيمن (إبن أم أيمن).

سرّ المنافقون سروراً عظيماً بما جرى، حتى قال أبو سفيان: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وقال آخر: ألا بطل السحر اليوم، وعزم آخر على قتل النبي ﷺ في ذلك الوضع المضطرب[2].

وأمر النبي ﷺ عمّه العباس أن يصعد على صخرة، وينادي فلول المهاجرين والأنصار المُدبِرة: يا أصحاب سورة البقرة، يا أهل بيعة الشجرة، إلى أين تفرّون؟ هذا رسول الله!

وعاد الوعي إلى الجموع الهاربة، فعادوا يوفون بوعود النصرة والدفاع عن الإسلام والنبي ﷺ.

ولمّا رأى النبي ﷺ حماسهم، قال: الآن حمي الوطيس، أنا النبي لا كَذِب، أنا

---

(١)الطبقات الكبرى ٢ : ١٥٠. المغازي ٢ : ٨٨٩ .

(٢)السيرة النبوية ٢ : ٤٤٣. المغازي ٣ : ٩٩.

ابن عبد المطلب.

فأنزل الله السكينة على المسلمين وأيّدهم بالنصر، فولّت جموع الكفر منهزمة، تاركة وراءها ستة الآف أسير، وغنائم كبيرة جداً، وأمر النبي ﷺ أن تحفظ الغنائم، وتراعى أحوال الأسرى، حتى تتم ملاحقة العدو الفارّ نحو منطقة أوطاس ونخلة والطائف.

ومن سموّ أخلاق النبي ﷺ وعظيم عفوه وسعة رحمته، عفى عن الذين فرّوا عنه وخذلوه.

غضب النبي ﷺ حين علم أنّ بعض المسلمين يقتل ذرية المشركين، فقال ﷺ: «ما بال أقوام ذهب بهم القتل حتى بلغ الذرية، ألا لا نقتل الذرية»، فقال أسيد بن حضير: يا رسول الله، أليس هم أولاد المشركين؟! فقال ﷺ: أوليس خياركم أولاد المشركين؟! كل نسمة تولد على الفطرة، حتى يعرب عنها لسانها، وأبواها يهوّدانها أو ينصّرانها[١].

المطلب الثاني: حصار الطائف

وواصلت قوّات المسلمين ملاحقتها للعدو حتى الطائف، فحاصروهم بضعاً وعشرين يوماً، يترامون بالنبل من خلف الجدران والبساتين، ثم عدل النبيّ ﷺ عن الطائف لاعتبارات شتى.

وعند وصوله إلى الجعرانة (وهو محل جمع الأسرى والغنائم)، قام إليه وفد هوازن يلتمسون العفو منه، فقالوا: يارسول الله، إنّما في الأسرى عمّاتك وخالاتك اللاتي كن يكفلنك (لأنّ النبي ﷺ كان قد رضع في بني سعد، وهم من هوازن)، ولو أنّا مالحنا الحارث بن أبي شمر، أو النعمان بن المنذر، ثم نزل منّا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين.

---

(١) إمتاع الأسماع ١ : ٤٠٩.

فخيّرهم ﷺ بين الأسرى والمال، فأختاروا الأسرى، ثم قال ﷺ: «أمّا ما كان لي ولبني عبد المطلب، فهو لكم».

واقتدى المسلمون جميعاً بالرسول الكريم ﷺ، وأخذوا يهبون له ما لهم من نصيب[١].

وبحكمة بالغة ودراية عميقة بنفوس الناس، وسعياً لهداية الجميع، وإطفاء لنار الحرب، منّ الرسول ﷺ بعفوه على مثير هذه الحرب «مالك بن عوف»، فقال ﷺ: «أخبروا مالكاً أنّه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله، وأعطيته مئة من الإبل». وما أسرع ما أسلم مالك بعد هذا العفو.

وتدافع المسلمون على رسول الله ﷺ يطلبون منه أن يقسّم الغنائم، حتى ألجأوه إلى شجرة، وأخذوا رداءه؛ فقال: «ردوا عليّ ردائي، فوالله لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعماً لقسّمته عليكم، ثم ما ألفيتموني بخيلا ولا جباناً ولاكذّاباً».

ثم قام ﷺ وأخذ وبرة من سنام بعيره، فجعلها بين أصبعيه، ثم رفعها وقال: «أيّها الناس، والله مالي في فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس، والخمس مردود عليكم».

ثم أمر أن يُردّ كل ما غنم حتى تكون القسمة عدلا.

وبدأ ﷺ بإعطاء المؤلفة قلوبهم، كأبي سفيان، وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، وغيرهم ممّن كان يحاربه بالأمس القريب من رؤوس الكفر، ثمّ قسّم عليهم حقّه من الخمس.

المطلب الثالث: الحكمة النبوية

الموقف السابق من قبل النبي ﷺ أثار الحفيظة في نفوس بعض المسلمين، حتى قال أحدهم للنبي: لم أرك عدلت. فقال ﷺ: ويحك، إذا لم يكن العدل

---

(١)سيد المرسلين ٢ : ٥٣. المغازي ٣ : ٩٤٩ ـ ٩٥٣.

عندي فعند من يكون؟!(١).

ورأى سعد بن عبادة أن يبلغ النبي ﷺ بما كان يدور بين الأنصار، من تصورّهم أنّ رسول الله قد لقي قومه ونسي أصحابه. فجمع سعد الأنصار، وأقبل الرسول الكريم ﷺ يحدّثهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«يامعشر الأنصار، ما مقالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموهما في أنفسكم؟ ألم آتكم ضُلاّلا فهداكم الله؟! وعالة فأغناكم الله؟! وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟! قالوا: بلى! الله ورسوله آمَن وأفضل، قال ﷺ: ألا تجيبوني يامعشر الأنصار؟ قالوا: وماذا نجيبك يارسول الله؟ قال ﷺ: أما والله لوشئتم قلتم فصدقتم، أتيتنا مكذَّباً فصدّقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلا فآسيناك. وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في شيء من الدنيا تألّفت به قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ والذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار».

وأثارت هذه الكلمات في قلوب الأنصار الشعور بالخطأ في تصوّرهم عن الرسول ﷺ، فضجّوا بالبكاء، وقالوا: رضينا يا رسول الله حظّاً وقسماً.

وخرج النبي ﷺ بمن معه من الجعرانة متّجهاً نحو مكّة في شهر ذي القعدة، فأتمّ عمرته، وحلّ من إحرامه، واستخلف على مكّة عتّاب بن أسيد ومعه معاذ بن جبل، وخرج متجهاً إلى المدينة بمن معه من المهاجرين والأنصار(٢).

---

(١)السيرة النبوية ٢ : ٤٩٦. وراجع: المغازلي ٣ : ٩٤٨.

(٢)السيرة النبوية ٢ : ٤٩٨. المغازلي ٣ : ٩٥٧.

خلاصة البحث

أحدث فتح مكّة واستسلامها للنبي ﷺ ردّ فعل عنيف لدى القبائل العربية كهوازن وثقيف، فحاولت أن توجّه ضربتها للقوات الإسلامية. وأفلحت في أوّل الطريق، ولولا إيمان المسلمين ورجوعهم إلى دعوة رسولهم العظيم، لاكتسحت هاتان القبيلتان قوّات المسلمين.

وكانت غزوة حنين تجربة قيّمة للمسلمين؛ لئلاّ يغترّوا بكثرة العدد، فإن قدرة الإيمان هي التي تؤدّي إلى النصر دائماً.

وحاصر النبي ﷺ الطائف ثم تركها، لما كان يراه من أنّها ستسعى للانتماء لدولة الرسول ﷺ في آخر المطاف.

إختبارات البحث

١. تكلم عن سبب وقوع غزوة حنين؟

٢. ما أهمية حصار الطائف بالنسبة للمسلمين؟

٣. أذكر بعض النتائج التي ترتبت على غزوة حنين وحصار الطائف.

٤. كيف توجه هزيمة المسلمين أول غزوة حنين؟

٥. تكلم عن حكمة القيادة النبوية المباركة في قيادة غزوة حنين وحصار الطائف.

البحث رقم (١٩)

المرحلة الثالثة من العهد المدني: مرحلة الفتح والإنتشار (٤)

أهداف البحث

١. توضيح أهم أحداث السنة التاسعة للهجرة.
٢. توجيه وقوع غزوة تبوك.
٣. تعداد نتائج غزوة تبوك.
٤. إستيعاب أهمية نتائج غزوة تبوك.
٥. الشعور بأهمية القيادة الحكيمة في هذه المرحلة من تاريخ الإسلام.

مقدمة البحث

أصبحت الدولة الإسلامية كياناً يُهاب جانبه بعد فتح مكّة وكان على المسلمين الحفاظ على هذا الكيان حتى تبلغ دعوة الرسالة الإسلامية أرجاء الأرض، وبعد أن تخلص الرسول الأكرم ﷺ من العدو الداخلي والجبهة الداخلية للمسلمين، حان الوقت للتخلص من العدو الخارجي في الجبهات الخارجية، وهذا ما سنتعرض له في هذا البحث.

المطلب الأول: غزوة تبوك

بعد أن استقرت أوضاع الدولة الداخلية، إستنفر النبي ﷺ المسلمين من جميع نقاط الدولة الإسلامية استعداداً لحرب الروم؛ إذ وردت أخبار تؤكّد استعدادهم لغزو الجزيرة وضرب الرسالة الإسلامية ودولتها الفتية، وصادف أن كان ذلك العام عام جدب، وكان الوقت صيفاً حارّاً، مما زاد من صعوبة الخروج لملاقاة عدوٍّ قويّ متمرس كبير العدد والعدّة، فتقاعس بعض المسلمين، وبدأت رموز النفاق تثبّط العزائم وتخذّل النفوس، فتخلّف بعض عن الإلتحاق بالجيش الإسلامي، متعلليّن بعلل شتّى.

وبلغ النبي ﷺ أنّ المنافقين يجتمعون في بيت أحد اليهود يثّبطون الناس ويخوفّونهم من اللقاء، فتعامل معهم بحزم وشدة، فأرسل إليهم من يحرق عليهم دارهم؛ ليكونوا عبرةً لغيرهم.

وقد أنزل الله في ذلك آيات تفضح المنافقين وتؤنّب المتقاعسين وتعذر الضعفاء.

وبلغ عدد جيش المسلمين ثلاثين ألف مقاتل ـ على أقلّ تقدير ـ واستخلف النبي ﷺ علي بن أبي طالب في المدينة، لما كان يعلم منه من حنكة وحسن تدبير وقوة يقين؛ وكان الرسول ﷺ يخشى من قيام المنافقين بعمل تخريبي في المدينة، وقال ﷺ: «ياعلي، إنّ المدينة لا تصلح إلاّ بي أو بك»(١)، فإنّ حركة النفاق أخذت تنمو بعد اندحار المشركين. وتتابع آيات القرآن الكريم بالتحذير من خطط وأساليب المنافقين، خير دليل على تنامي قدرة هذا العدو داخل أراضي الدولة الإسلامية بعد الفتح.

وأشاع المنافقون عن بقاء علي بن أبي طالب عليه السلام في المدينة اُموراً؛ إذ قالوا: إنّما تركه رسول الله استثقالا له، وتخففاً منه؛ سعياً منهم للإثارة، وعسى أن يخلو جوّ المدينة لهم، فأسرع عليٌّ عليه السلام فلحق بالرسول ﷺ على مقربة من المدينة، وقال له: يا نبي الله، زعم المنافقون أنّك إنما خلّفتني لأنك استثقلتني وتخفّفت مني.

فقال ﷺ: «كذبوا، ولكنني خلّفتك لما تركت ورائي، فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى ياعلي أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟! إلاّ أنّه لا نبي بعدي»(٢).

---

(١)الإرشاد ١ :١١٥. أنساب الأشراف ١ : ٩٤ ـ ٩٥. كنز العمّال: ١١، باب: فضائل علي عليه السلام.

(٢)إمتاع الأسماع ١ : ٤٤٩.

المطلب الثاني: جيش العسرة

وانطلق جيش المسلمين في طريق وعر طويل، بعد أن بيّن لهم الرسول ﷺ هدف المسيرة، خلافاً لسيرته في الغزوات الماضية. وأخذ يتخلّف عنه في الطريق بعض ممّن خرجوا معه من المدينة، فكان ﷺ يقول لأصحابه: دعوه، فإن يكن به خير، فسيلحقه الله بكم، وإن يكن غير ذلك، فقد أراحكم الله منه.

وأسرع النبي ﷺ السير حين مرّ على أطلال قوم صالح ﵇، وقال لأصحابه ـ وهو يعظهم: ـ «لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلاّ وأنتم باكون؛ خوفاً أن يصيبكم مثل ما أصابهم»، ونهاهم عن استعمال الماء من هذه المنطقة(١).

ونظراً للصعوبات التي أحاطت بهذه الغزوة في الماء والغذاء والنفقة والظهر (الخيل والإبل)، فقد سمّي هذا الجيش بـ«جيش العسرة».

ولم يجد المسلمون جيش الروم؛ إذ كان قد تفرّق جمعهم، واستشار الرسول ﷺ أصحابه في ملاحقة العدو أو العودة إلى المدينة، فقالوا:إن كنت اُمِرت بالسير، فسِرْ. فقال ﷺ: «ولو اُمرت به ما استشرتكم فيه(٢)» فكان قرار العودة إلى المدينة.

واتصل الرسول ﷺ بزعماء المنطقة الشمالية للجزيرة، وعقد معهم عدة معاهدات تتضمّن عدم التعرّض من الجانبين(٣).

المطلب الثالث: محاولة اغتيال النبي ﷺ

وأقفل النبي ﷺ راجعاً مع المسلمين إلى المدينة بعد أن أمضوا بضع عشرة يوماً في تبوك، وتحرّك المنافقون فعزموا على اغتيال الرسول ﷺ، وذلك بتنفير ناقته عند مرورها؛ ليطرحوه في واد كان هناك.

---

(١)السيرة النبوية ٢ : ٥٢١. السيرة الحلبية ٣ : ١٣٤.

(٢)المغازلي ٣ : ١٠١٩.

(٣)الطبقات الكبرى ٢ : ١٦٦. بحار الأنوار ٢١ : ٢٤٦.

وحين وصل الجيش إلى عقبة (بين المدينة والشام)، قال ﷺ: من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنّه أوسع لكم، فأخذ الناس بطن الوادي، وسلك هو طريق العقبة، يقود ناقته عمار بن ياسر، ويسوقها حذيفة بن اليمان، فرأى ﷺ في ضوء القمر فرساناً لحقوا به من ورائه في حركة مريبة، فغضب ﷺ وصاح بهم، وأمرحذيفة أن يضرب وجوه رواحلهم؛ فتمالكهم الرعب، وعرفوا بأنّ النبي ﷺ قد علم بما أضمرته نفوسهم من المؤامرة والاغتيال، فأسرعوا تاركين العقبة ليخالطوا الناس.

وطلب حذيفة من الرسول ﷺ أن يبعث إليهم فيقتلهم بعدما عرفهم من رواحلهم، ولكن رسول الرحمة ﷺ عفا عنهم، وأوكل أمرهم إلى الله تعالى[١].

المطلب الرابع: نتائج غزوة تبوك

لقد كان لغزوة تبوك نتائج مهمة كثيرة، منها:

١ـ بروز المسلمون كقوة كبيرة منظمة تملك العقيدة القوية، فتهابهم الدول المجاورة والديانات الأخرى، فكان هذا إنذاراً حقيقياً لكل القوى في خارج البلاد الإسلامية، وتحذيراً لها من التعرّض للمسلمين.

٢ـ ضمان المسلمين عن طريق المعاهدات مع زعماء المناطق الحدودية (من جهة الشمال) أمن هذه المنطقة.

٣ـ قدرة المسلمين على تعبئة جيش كبير في العدة والعدد، وازدياد خبرتهم في التنظيم والإعداد، وكانت الرحلة إلى تبوك بمثابة استطلاع ميداني استفاد منه المسلمون في المراحل اللاحقة.

٤ـ كانت غزوة تبوك اختباراً لمعنويات المسلمين، وتمييزاً للمنافقين من المؤمنين.

---

(١)المغازي ٣ : ١٠٤٢. مجمع البيان ٣ : ٤٦. بحار الأنوار ٢١ : ٢٤٧.

المطلب الخامس: مسجد ضرار

تتبّع الرسول ﷺ خطط المنافقين بيقظة كاملة، وراح يضع لكل خطّة تخريبيّة حلاّ متناسباً معها.

وتحركت نوازع الحسد والحقد لدى مجموعة من المنافقين من جديد، وبدعم من قوى ضالّة بنوا مسجداً مقابل مسجد (قباء)، زاعمين أنّه لذوي العلة والحاجة والليلة المطيرة، فأسرعوا إلى النبيّ ﷺ يطلبون منه أن يصلّي فيه، ليضفي عليه نوعاً من المقبولية، فأخّر الإستجابة لهم إلى مابعد غزوة تبوك، فلمّا رجع من تبوك، نزل الأمر الإلهي بالنهي عن الصلاة في هذا المسجد؛ لأنّه كان يهدف إلى تشتيت كلمة المسلمين والإضرار بالأُمّة والعقيدة، وشتان بين بنيان أسّس على التقوى وآخر للضلالة والنار، فأمر النبيّ ﷺ بعض أصحابه للإسراع في هدمه وإحراقه[1].

(١)السيرة النبوية ٢٠ : ٥٣٠. بحار الأنوار ٢٠ : ٢٥٣. الخصال: ٥٦٢.

خلاصة البحث

كانت رحلة تبوك هي الأهمّ بعد وصول الأنباء باستعداد الروم لغزو المسلمين.

وحقّق النبي ﷺ بحركته الصعبة هذه إلى تبوك انتصاراً على الجبهة النصرانية البيزنطية لايقلّ عن انتصاراته على الجبهتين الوثنية واليهودية، وكسب عدداً من القبائل القاطنة في جنوب الشام، فمثّلت غزوة تبوك خطوة لتخطّي نطاق العرب إلى العالم أجمع.

وجاءت تجربة تبوك لتمحيص قوى الإيمان من فلول المنافقين، وأنجى الله نبيّه من اغتيال المنافقين، وعفى عنهم الرسول ﷺ، وأمر بحرق قاعدة من أهمّ قواعدهم التي شيّدوها تحت غطاء (المسجد).

وهكذا انتهى العام الثامن وتسعة أشهر من العام التاسع والانتصارات تكلّل مساعي الرسول ﷺ والمسلمين.

إختبارات البحث

١. عدد أهم أحداث السنة التاسعة للهجرة.

٢. كيف وقعت غزوة تبوك؟

٣. تكلم عن أهم نتائج غزوة تبوك بالنسبة إلى المسلمين.

٤. كيف أثرت نتائج غزوة تبوك في بناء الدولة الإسلامية وتعزيزها؟.

٥. تكلم عن حنكة القيادة الإسلامية في التعامل مع مسألة مسجد ضرار.

البحث رقم (٢٠)

المرحلة الثالثة من العهد المدني: مرحلة الفتح والإنتشار(٥)

أهداف البحث

١. التعريف بعام الوفود وهو العام التاسع من الهجرة النبوية الشريفة.
٢. توضيح ما قام به النبي ﷺ من تصفية الوثنية داخل الجزيرة.
٣. وصف وفاة إبراهيم ابن النبي ﷺ، وما بدا منه ﷺ من مشاعر إنسانية.
٤. بيان حادثة إعلان البراءة من المشركين.
٥. توضيح حادثة مباهلة نصارى نجران.

مقدمة البحث

عشنا مع النبي ﷺ ومع المسلمين وهم يقوون من دولتهم وشوكتهم حتى كتب الله لهم فتح مكة، لتصل النوبة اليوم إلى الكلام عن آثار ذلك الفتح المبين، من تتابع الوفود المختلفة إلى القيادة الإسلامية لتعلن موقفها الرسمي من تلك القيادة والرسالة التي تمثلها.

كما نتعرض هنا أيضا إلى حوادث مهمة مرت بالمسلمين في هذا العام، من قبيل إعلان البراءة من المشركين، وحادثة المباهلة التي بينت منزلة أهل البيت عليهم السلام مرة أخرى، إلى جنب الحوادث الكثيرة السابقة في هذا المجال.

المطلب الأول: العام التاسع: عام الوفود وتصفية الوثنية داخل الجزيرة

كان سقوط مكّة بأيدي المسلمين، ثم هزيمة التحالف الوثني في حنين، آخر ضربتين حاسمتين للوجود الوثني في الجزيرة، إنهار بعدها جدار الكفر، وانطلقت حركة الإسلام بسرعة إلى كلّ مكان.

وأدركت القبائل العربية أن لامناص لها من تحديد موقفها من الإسلام ودولته المتفرّدة بالحكم والسلطان في الجزيرة كلّها، فراحت تتسابق هذه القبائل في إرسال وفودها إلى قاعدة الإسلام ـ مدينة الرسول ﷺ ـ لمبايعته على الإسلام أو مصالحته.

ولكثرة هذه الوفود في العام التالي لفتح مكّة ومطلع الذي يليه، سمّاه المؤرّخون (عام الوفود).

وكان في طليعة هذه الوفود وفد ثقيف، الذي قدم المدينة في أعقاب عودة الرسول ﷺ من غزوة تبوك.

رحب النبي ﷺ بمقدم الوفد الثقفي، وضربت لهم قبّة في ناحية المسجد النبوي، وكلّف النبيّ ﷺ خالد بن سعيد ليقوم بالضيافة، ثم بدأ الوفد يفاوض النبي ﷺ على الإسلام بشروط، هي: أنّه يترك صنم القبيلة مدّة من الزمن، وأبى النبي ﷺ إلا التوحيد الناصع الخالص لله، وتنازل القوم شيئاً فشيئاً، حتى وصل الأمر إلى أن قبلوا الإسلام بشرط أن يعفيهم النبي ﷺ عن كسر أصنامهم بأنفسهم، كما شرطوا أن يعفيهم النبي ﷺ من الصلاة، فقال ﷺ: لا خير في دين لاصلاة فيه، فقبلوا الإسلام، وبقي الوفد مع النبي مدّة من الزمن يتعلمون أحكام الدين. ثم كلف رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة، أن يذهبا إلى الطائف لهدم الأصنام فيها[1].

المطلب الثاني: وفاة إبراهيم ابن النبي ﷺ

وفي غمرة أفراح النبي ﷺ بنجاح الإسلام وانتشاره، حيث الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، وعك إبراهيم بعد أن دخل في عامه الثاني، وجعلت أُمّه مارية تمرّضه، ولم ينفع معه شيء، فأُبلغ النبي ﷺ باحتضار ولده، فأقبل وإبراهيم يجود بنفسه في حضن اُمّه، فاخذه النبي ﷺ، وقال: يا إبراهيم، إنّا لن نغني عنك من الله شيئاً، إنّا بك لمحزونون، تبكي العين، ويحزن القلب، ولانقول ما يسخط الرّب، ولولا أنّه وعدٌ صادق وموعود جامع، فإن الآخر منّا يتبع الأول، لوجدنا عليك يا إبراهيم وجداً شديداً ماوجدناه[2].

---

(١)السيرة النبوية ٢ : ٥٣٧. السيرة الحلبية ٣ : ٢١٦.

(٢)السيرة الحلبية ٣ : ٣١١. بحار الأنوار ٢٢ : ١٥٧.

وبدت علامات الحزن واضحة على قسمات وجه النبي ﷺ، وقيل له: يا رسول الله، أولست قد نهيتنا عن هذا؟! فقال ﷺ: ما عن الحزن نهيتُ، ولكني نهيت عن خمش الوجوه، وشق الجيوب، ورنّة الشيطان[١].

ولعظيم منزلة النبي ﷺ عند الله سبحانه، وما أظهر من معجزات للعالمين حتى آمنوا به، ظن بعض المسلمين أنّ كسوف الشمس في يوم وفاة إبراهيم إنّما هو من آيات الله لموته. وما أسرع ما ردّ النبي ﷺ هذا الزعم، خشية أن تتحول الخرافة إلى سُنّة ومعتقد يتخذه الجاهلون. فقال ﷺ: «أيّها الناس، إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يُكسفان لموت أحد، ولا لحياته»[٢].

المطلب الثالث: إعلان البراءة من المشركين

لم يبق في الجزيرة العربية قوّة تتمسك بالشرك والوثنية إلاّ أفراد لا يعتد بهم، وانتشرت العقيدة الإسلامية السمحاء بتفاصيلها التي كان يعتنقها المسلمون، وكان لا بدّ من إعلان صريح حازم يلغي كل مظاهر الشرك والوثنية في مناسك أكبر تجمّع عبادي سياسي.

وحان الوقت المناسب لتعلن الدولة الإسلامية شعاراتها في كلّ مكان، وتنهي مرحلة المداراة وتأليف القلوب التي تطلبتها المرحلة السابقة.

واختار النبي ﷺ يوم النحر (في منى)[٣]مكاناً للإعلان، واختار أبا بكر ليقرأ مطلع سورة التوبة[٤]، الذي تضمن إعلان البراءة بصراحة، وتضمنت هذه الآيات مايلي:

١ـ لا يدخل الجنة كافر.

٢ـ لا يطوف في البيت الحرام عُريان؛ إذ كانت تقاليد الجاهلية تسمح بذلك.

---

(١)السيرة الحلبية ٣ : ٣١١.

(٢)راجع: تاريخ اليعقوبي ٢ : ٨٧ .

(٣)العاشر من ذي الحجة عام (٩ هـ).

(٤)التوبة: ١ ـ ١٣.

٣ـ لا يحجّ بعد هذا العام مشرك.

٤ـ من كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد، فأجله إلى مدته، ومن لم يكن له عهد ومدة من المشركين، فإلى أربعة أشهر، وبعدها سوف يقتل من وُجِدَ مشركاً.

ونزل الوحي الإلهي على النبي ﷺ قائلا: «إنّه لا يؤدي عنك إلا أَنت أو رجل منك». فاستدعى النبي ﷺ عليّاً، وأمره أن يركب ناقته العضباء ويلحق بأبي بكر، ويأخذ منه البلاغ ويؤدّيه للناس[١].

ووقف علّي بين جموع الحجيج وهو يتلو البيان الإلهي بقوّة وجرأة تتناسق مع حزم القرار ووضوحه. ووقف الناس ينصتون إليه بحذر ودقّة، وكان أثر الإعلان على المشركين أن قدموا مسلمين على رسول الله ﷺ.

المطلب الرابع: مباهلة نصارى نجران

واجتمع زعماء نصارى نجران وحكماؤهم يتدارسون أمر كتاب النبي ﷺ الذي يدعوهم فيه إلى الإسلام. ولم يتوصلوا إلى رأي قاطع، فما في أيديهم من تعاليم تؤكّد وجود نبي بعد عيسى عليه السلام، وما يبدو من محمّد ﷺ دالّ على نبوته. فأجمعوا أن يرسلوا وفداً يقابل النبي ﷺ نفسه ويحاوره. فاستقبل النبي ﷺ الوفد الكبير وعلامات عدم الرضا بادية عليه من مظهرهم الذي كان يحمل طابع الوثنية؛ فقد كانوا يرتدون الديباج والحرير، ويلبسون الذهب، ويحملون الصلبان في أعناقهم. ثم غدوا عليه ثانية وقد بدّلوا مظهرهم، فرحّب بهم النبي ﷺ، وأبدى احترامه لهم، وفسح لهم المجال ليمارسوا طقوسهم[٢].

ثم عرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم آيات من القرآن، فامتنعوا، وكثر الحِجاج معهم، فخلصوا إلى أن يباهلهم النبي ﷺ بأمر من الله عزّ وجلّ، واتفقوا على اليوم

---

(١)الكافي ١ : ٣٢٦. الارشاد: ٣٧، الواقدي ٣ : ١٠٧٧. خصائص النسائي: ٢٠. صحيح الترمذي ٢ : ١٨٣. مسند أحمد ٣ : ٢٨٣. فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٢ : ٣٤٣.

(٢)السيرة الحلبية ٣ : ٢١١، السيرة النبوية: ٥٧٤ .

اللاحق موعداً.

وخرج إليهم رسول الله ﷺ يحمل الحسين بن علي، وبيده الحسن بن علي، وخلفه فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب، امتثالا لأمر الله؛ حيث نزل قوله: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1].

ولم يصحب النبي ﷺ أحداً من المسلمين سوى أهل بيته هؤلاء، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني.

فأبوا أن يباهلوا النبي ﷺ وأهل بيته، فقال ﷺ: أمّا إذا أبيتم المباهلة، فأسلموا، يكن لكم ماللمسلمين، وعليكم ما على المسلمين، فأبوا. فقال ﷺ: إني أناجزكم القتال. فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تردّنا عن ديننا، على أن نؤدي إليك في كلّ عام ألفي حلّة، ألفاً في صفر، وألفاً في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد، فصالحهم على ذلك.

وقال ﷺ: والذي نفسي بيده، أنّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، ولو لاعنوا، لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستؤصل نجران وأهله، حتّى الطّير على رؤوس الشّجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا، فرجعوا إلى بلادهم[2].

وروي أنّ السيّد والعاقب من زعمائهم لم يلبثا إلاّ يسيراً حتى عادا إلى النبي ﷺ ليعلنا إسلامهما[3].

---

(١)آل عمران: ٦١.

(٢)التفسير الكبير ٨ : ٨٥ .

(٣)الطبقات الكبرى ١ : ٣٥١.

خلاصة البحث

كان العام التاسع الهجري عام الوفود، وعام تصفية الوجود الوثني داخل الجزيرة العربية، من خلال الإعلان الرسمي بالبراءة من المشركين، الأمر الذي أدىّ بالمسلمين أن يخرجوا من حدود الجزيرة، للدعوة إلى الإسلام الذي قوت فيه شوكة المسلمين، بعد الانتصار العظيم الذي تحقّق بعد غزوة تبوك الظافرة.

وبعد هذا الإعلان الرسمي، أصبحت الجزيرة ذات دولة مركزية وسيادة سياسية تعتمد الإسلام نظاماً للحياة، وأصبح الكفر والشرك شذوذاً وخروجاً على نظام الدولة الجديدة.

وكانت دعوة القبائل النصرانية إلى حظيرة الإسلام ثم دعوتها إلى المباهلة وتراجعها أمام دعوة المباهلة، دليلا كافياً لعظمة الإسلام، وموجباً لرضوخها للقيادة الاسلامية، وسبباً لقطع صلتها بدولة الروم النصرانية، بعد إدخالهم في ذمة الدولة الإسلامية.

إختبارات البحث

١. ما المقصود بعام الوفود؟

٢. بين ما قام به النبي صلى الله عليه وآله من تصفية الوثنية داخل الجزيرة.

٣. تكلم عن حادثة وفاة إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله، وما بدا منه صلى الله عليه وآله من مشاعر إنسانية.

٤. عرف بحادثة إعلان البراءة من المشركين.

٥. تكلم عن حادثة مباهلة نصارى نجران.

البحث رقم (٢١)

حوادث السنة العاشرة من الهجرة

أهداف البحث

١. بيان حجة الوداع.

٢. ذكر زمان وقوع حجة الوداع.

٣. توضيح ما جرى في حجة الوداع.

٤. تعداد أهم الأمور التي نص عليها رسول الله ﷺ في حجة الوداع.

٥. إستيعاب أهمية حجة الوداع وما جرى فيها من أحداث.

مقدمة البحث

كانت حجة الوداع من أبرز الحوادث التي مرت بتاريخ الإسلام؛ حيث بينت هذه الحادثة الوجه الناصع للإسلام وحمله لراية التحرير والتربية والبناء من جهة، كما أنها الحادثة التي أبرزت السماء فيها تنصيبها لعلي عليه السلام خليفة للنبي دون غيره من المدعين والطامعين، لتكون تلك الحادثة وما جرى فيها من التنصيب الإلهي العلامة الفارقة بين الصادقين في إسلامهم وتسليمهم وبين غيرهم على مر التاريخ، وإلى يومنا هذا.

المطلب الأول: حجّة الوداع

كان الرسول الأعظم ﷺ القدوة الحسنة للإنسانية جمعاء، يبلّغ آيات الله، ويفسّرها، ويفصّل أحكامها ببيان جلي، وجماهير المسلمين حريصة على الإقتداء به، وبحلول شهر ذي القعدة من العام العاشر للهجرة، عزم النبي ﷺ على أداء فريضة الحج ـ ولم يكن قد حجّ مع المسلمين من قبل ـ ولم تبلّغ جميع أحكام الحجّ، فتقاطرت اُلوف المسلمين على المدينة، يتجهّزون للخروج مع النبي ﷺ، حتى بلغ عددهم مايقارب مئة ألف مسلم من مختلف الحواضر والبوادي والقبائل،

تجمعهم المودّة الصادقة، والأُخوة الإسلامية، والاستجابة للرسول القائد ﷺ، بعد أن كانوا بالأمس القريب أعداء متنافرين، جُهّالا كافرين.

واصطحب النبي ﷺ معه كل نسائه، وابنته الصدّيقة فاطمة الزهراء، ولم يكن معه علي بن أبي طالب عليه السلام؛ حيث كان قد بعثه النبي ﷺ في مهمّة إلى اليمن، واستعمل على المدينة أبا دجانة الأنصاري.

وعند ذي الحليفة، أحرم النبي ﷺ بلبس قطعتين من قماش أبيض، ولبّى عند الإحرام قائلا: «لبّيك اللهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبيك».

وفي الرابع من شهر ذي الحجة الحرام، شارف النبي ﷺ مكّة، وقطع التلبية، ثم دخل ﷺ المسجد الحرام وهو يكثر الثناء على الله ويحمده ويشكره، فأستلم الحجر، وطاف سبعاً، وصلّى ركعتين عند مقام إبراهيم، ثم سعى بين الصفا والمروة، والتفت إلى الحجيج قائلا: «من لم يسق منكم هدياً، فليحلّ، وليجعلها عُمرة، ومن ساق منكم هدياً، فليقم على إحرامه».

على أنّ بعض المسلمين لم يستجب لأمر الرسول ﷺ، فغضب النبي ﷺ لموقف الناس، وقال: «لو كنت استقبلت من أمري ما استدبرت، لفعلت كما أمرتكم»[(١)].

وأقفل علي بن أبي طالب عليه السلام راجعاً من اليمن نحو مكّة ليلتحق برسول الله ﷺ، واستخلف أحد أفراد سريته عليها. وسرّ النبي ﷺ بلقاء علي عليه السلام وما حقّقه من نجاح في اليمن، وقال ﷺ له: إنطلق فطف بالبيت، وحِلّ كما حلّ أصحابك. فقال عليه السلام: يا رسول الله، إنّي أهللت كما أهللت، ثم قال عليه السلام: إنّي قلت حين أحرمت: اللهمّ إنّي اُهلّ بما أهلّ به عبدك ونبيك ورسولك محمد ﷺ. ثمّ

---

(١)بحار الأنوار ٢١ : ٣١٩.

أمره ﷺ أن يعود إلى سريّته، ويصحبهم إلى مكّة، ولما قدموا على النبي ﷺ، إشتكوا علياً عليه السلام، لأنّه رفض تصرّفاً غير صحيح كانوا قد فعلوه في غيابه، فغضب النبي ﷺ، وقال: «أيها الناس، لا تشكوا علياً، فوالله، إنّه لأخشن في ذات الله من أن يشتكى»[1].

وفي اليوم التاسع من ذي الحجّة، توجّه النبي ﷺ وجموع المسلمين نحو عرفات. حيث مكث فيها حتى غروب اليوم التاسع، ومع الظلام، ركب ناقته، وأفاض إلى المزدلفة، وأمضى فيها شطراً من الليل، ولم يزل واقفاً من الفجر إلى طلوع الشمس في المشعر الحرام. ثمّ توجّه في اليوم العاشر إلى «منى»، وأدّى مناسكها من رمي الجمرات والنحر والتقصير، ثمّ توّجه نحو مكّة لأداء بقية مناسك الحجّ.

وقد سمّي هذا الحجّ بـ «حجّة الوداع»؛ لأنّه ﷺ ودّع المسلمين في هذه الحجّة، كما سُمّيت بـ «حجّة البلاغ»؛ لأنّه ﷺ بلّغ فيها ما أُنزل إليه من ربّه في شأن الخلافة من بعده، ومنهم من سمّاها بـ «حجة الإسلام»؛ لأنّها الحجّة الأُولى للنبي ﷺ، والتي بيّن فيها أحكام مناسك الحج.

المطلب الثاني: خطبة النبي ﷺ في حجّة الوداع

وروي أنّ النبي ﷺ قد خطب خطاباً جامعاً، فقال ـ بعد أن حمد الله وأثنى عليه ـ:

«أيّها الناس، إسمعوا منّي أُبين لكم، فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أيّها الناس، إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربّكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلّغت؟ اللهمّ اشهد.

---

(١)السيرة النبوية ٢ : ٦٠٣. بحار الأنوار ٢١ : ٣٨٥.

فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى الذي ائتمنه عليها، وإنّ ربا الجاهلية موضوع، وإنّ أوّل رباً أبدأ به ربا عمّي العباس بن عبد المطلب.

وإنّ دماء الجاهلية موضوعة، وإنّ أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.

وإنّ مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد قود، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، ففيه مئة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيّها الناس، إنّ الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه، ولكنّه رضي أن يطاع في ما سوى ذلك ممّا تحتقرون من أعمالكم.

أيّها الناس، إنّما النسيء زيادة في الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا، يُحِلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً ليواطئوا عدّة ما حرّم الله. وإنّ الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدّة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجّة والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان. ألا هل بلّغت؟ اللهمّ اشهد.

أيّها الناس، إنّ لنسائكم عليكم حقاً، وإنّ لكم عليهن حقاً. لكم عليهن أن لايوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلاّ بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن، فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم، فعليكم رزقهن وكسوتهنّ بالمعروف، وإنّما النساء عندكم عوار لا يملكن لأنفسهن شيئاً، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهنّ خيراً.

أيّها الناس، إنّما المؤمنون إخوة، فلا يحلّ لامرىء مال أخيه إلاّ عن طيب نفس. ألا هل بلّغت؟ اللهمّ اشهد.

فلا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض؛ فإنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعِترتي أهل بيتي، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيّها الناس،إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي على عجميّ فضل إلاّ بالتقوى، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم، قال ﷺ: فليبلّغ الشاهد منكم الغائب[١].

أيّها الناس، إنّ الله قد قسم كل وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لوارث وصية في أكثر من الثلث، والولد للفراش، وللعاهر الحجر، من ادّعي إلى غير أبيه، أو تولّى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا... والسلام عليكم ورحمة الله»[٢].

وسنتعرض في البحث التالي إلى ما جرى في غدير خم في الثامن عشر من شهر ذي الحجة، وخطبة الغدير التي ألقاها ﷺ مُنَصِّبا عليا عليه السلام خليفة للنبي ﷺ بأمر السماء.

---

(١)بحار الأنوار ٢١ : ٤٠٥.

(٢)العقد الفريد ٤ : ٥٧ ، الطبقات الكبرى ٢ : ١٨٤، الخصال: ص ٤٨٧، بحار الأنوار ٢١: ٤٠٥. للمزيد من التفصيل راجع: موسوعة الغدير للعلاّمة الأميني، ج ١.

خلاصة البحث

كان العام العاشر عام حجّة الوداع، أو حجّة البلاغ التي أتمّ فيها الرسول ﷺ الحجج البالغة على جميع المسلمين، وجعلهم أمام مسؤولياتهم الربانية، وأعدّهم للدور القادم بعد وفاته، لحمل مشعل الإسلام في ربوع الأرض بقيادة المعصومين عليهم السلام من أهل بيت الوحي والرسالة، علي بن أبي طالب والأحد عشر من بنيه.

إختبارات البحث

١. متى وقعت حجة الوداع؟

٢. وضح ما جرى في حجة الوداع بصورة عامة.

٣. عدد أهم الأمور التي نص عليها رسول الله ﷺ في حجة الوداع.

٤. ما أهمية حجة الوداع بالنسبة إلى الإسلام والمسلمين؟

٥. ما الذي جاء في حجة الوداع في مجال الحقوق المختلفة؟

البحث رقم (٢٢)

الرسول القائد ومستقبل الرسالة والدولة الإسلامية

أهداف البحث

١. توضيح أحداث الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشرة للهجرة.

٢. توجيه وقوع حادثة غدير خم.

٣. إستيعاب أهمية أحداث غدير خم على المستوى السياسي.

٤. بيان الأحداث التي أعقبت تعيين الوصي.

٥. تقدير حكمة القيادة النبوية الإلهية.

مقدمة البحث

دخلنا البحث السابق في الكلام عن حجة الوداع وما وصى به النبي ﷺ المسلمين من وصايا أمرت السماء بإبلاغها للمسلمين، ولم يبق إلا أمر لا بد للنبي من إبلاغه، وإلا فما بلغ رسالته سبحانه وتعالى، وهو الأمر بتنصيب علي عليه السلام وصيا وخليفة وقيادة من بعده ﷺ، وهو ما قام به يوم الثامن عشر من ذي الحجة، في طريقه عائدا بعد إتمام الحجة.

المطلب الأول: تعيين الوصي والقيادة النائبة

أتم المسلمون حجّهم الأكبر وهم يحفّون بالنبي ﷺ، وقد أخذوا مناسكهم عنه، وقرّر ﷺ أن يعود إلى المدينة، ولمّا بلغ موكب الحجيج العظيم «رابغ» قرب «غدير خم»، وقبل أن يتفرّق الحجيج إلى بلدانهم من هذه المنطقة، نزل الوحي الإلهي بآية التبليغ قائلا: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَه وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾[1].

إنّ هذا الخطاب الإلهيّ كان يأمر الرسول بأمر مهّم، ويجعل على عاتقه مسؤولية

---

(١)المائدة: ٦٧.

عظيمة. فأيّ تبليغ طُلب من الرسول إنجازه وهو لم يقم به بعد، وقد أمضى النبي ﷺ مايقارب ثلاثة وعشرين عاماً يبلّغ آيات الله وأحكامه، ويدعو الناس إلى دين الله، وقد نال ما نال من عظيم المحن والبلاء والجهد، كي يقال له: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَه﴾؟!

وهنا، أصدر النبي ﷺ أوامره بأن تقف القوافل حتى يلحق آخرها بأوّلها، في يوم شديد الحر ،كان يضطر المرء فيه أن يغطّي رأسه ويقي قدميه من شدة حرّ الرمضاء، ليتلو عليهم أمر السماء، ويكمل تبليغ الرسالة الخاتمة. إنّها الحكمة الإلهية بأن يتّم التبليغ في هذا المكان، وفي هذا الظرف، كي يبقى عالقاً في وجدان الأمّة حيّاً في ذاكرتها على مرّ الزمن، حفاظاً على الرسالة والأُمّة الإسلامية.

وجمعت الرحال، وصعد عليها النبي ﷺ، بعد أن صلّى في جموع المسلمين، فحمد الله وأثنى عليه، وقال بصوت رفيع يسمعه كل من حضر:

«أيّها الناس، يوشك أن اُدعى فأجيب، وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك بلّغت ونصحت وجاهدت، فجزاك الله خيراً. قال ﷺ: ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حق، وأنّ الساعة آتية لاريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى، نشهد بذلك. قال ﷺ: اللهمّ اشهد.

ثم قال ﷺ: فإنّي فرطكم على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، وأنّ عرضه ما بين صنعاء وبُصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين.

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال ﷺ: الثقل الأكبر: كتاب الله، طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به لاتضلوا. والآخر: الأصغر: عترتي. وإن اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدموهما، فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما، فتهلكوا.

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب (عليه السلام)، حتى رُئي بياض إبطيهما، وعرفه الناس أجمعون. فقال (صلى الله عليه وآله): «أيها الناس، من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال (صلى الله عليه وآله): إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه، فعليّ مولاه ـ يقولها ثلاث مرات ـ.

ثم قال (صلى الله عليه وآله): اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وابغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار، ألا فليبلّغ الشاهد الغائب».

ثم لم يتفرّقوا حتّى نزل أمين وحي الله بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْاسْلاَمَ دِيناً﴾[1]، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتي، والولاية لعلي بعدي».

ثم أمر (صلى الله عليه وآله) أن تنصب خيمة لعلي (عليه السلام)، وأن يدخل عليه المسلمون فوجاً فوجاً ليسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعل الناس ذلك كلهم، وأمر أزواجه وسائر نساء المؤمنين ممّن معه أن يفعلن ذلك.

وكان في مقدمة المهنّئين أبو بكر وعمر بن الخطاب، كلٌ يقول: بخ بخ لك يابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة[2].

تفرّقت جموع الحجيج من غدير خم نحو العراق والشام واليمن، ويممّ النبي (صلى الله عليه وآله) بأصحابه صوب المدينة. وحمل الجميع وصية الرسول (صلى الله عليه وآله) بالقيادة النائبة، لتستمرّ حركة الرسالة الإسلامية بنهج تتعمق في النفوس، وتجتاز العقبات بعد أن

---

(١)المائدة: ٣.

(٢)راجع: تاريخ اليعقوبي ٣ : ١١٢. مسند أحمد ٤ : ٢٨١. البداية والنهاية ٥ : ٢١٣، وموسوعة الغدير ١ : ٤٣، ١٦٥، ١٩٦، ٢١٥، ٢٣٠، ٢٣٨، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٧، ٣٧٩، ٣٩٢، ٤٠٢، والجزء ١١ : ١٣١.

يرحل عنها صاحب الرسالة ﷺ، ويكون قد عيّن لصيانة رسالته وقيادة اُمّته شخصاً نموذجياً في حمل هموم الرسالة والحرص على نجاحها، لا تأخذه في الله لومّة لائم، ولم يشرك بالله طرفة عين.

المطلب الثاني: ظهور المتنبئين

بعد أن انبسط سلطان الدين الإلهي في ربوع الجزيرة وما والاها، وانحازت القبائل جميعاً إلى دولة الرسول ﷺ لما رأوه من العزة والاستقلال الذي اكتسبوه في ظلال دولته المباركة، ولما لاحظوه من حرصه على أن يكون خليفة في اُمته ودولته، والقائم على شؤون رسالته من اعتبره القرآن الكريم نفس الرسول العظيم[١]. فمن الطبيعي جدّاً للنفوس السليمة بفطرتها أن تخلص الولاء لهذا الرسول ودولته الفتيّة.

ولم يعد ذا بال أن يتمردّ بعض العرب ويرتدّ عن ولائه السياسي، بل العقيدي، وهو يرى النبيّ سلطاناً وحاكماً متنفّذاً ليس إلاّ، كما كان أبو سفيان يرى النبيّ كذلك.

غير أنّ الاذكياء من هؤلاء كانوا يرون صلاحهم في الخضوع لهذا الكيان الجديد، وكانوا يخطّطون للنفوذ إلى مراكز القوة في الدولة الجديدة، والأغبياء منهم بدأوا التمردّ على النبي ﷺ، طالبين منه أن يقسّم سلطانه.

إنّ الطمع في الشرف الذي نالته قريش يوم أصبح منها محمّد نبياً ـ كما ظنّ الجاهلون ـ كان ممّا دفع البعض لأن يدّعي النبوة، فهذا مسيلمة يكتب للنبي ﷺ ويدّعي النبوة، ليشارك النبي ﷺ في سلطان الأرض، ولمّا وقف النبي ﷺ على مضمون الرسالة، إلتفت إلى من حملها إليه وقال: «لولا أنّ الرسل لا تقتل، لضربت أعناقكما؛ لأنّكما أسلمتما من قبل وقبلتما برسالتي، فلِمَ اتّبعتما هذا الأحمق

(١)تقدمت آية المباهلة وقصّتها.

وتركتما دينكما؟».

ثم ردّ على مسيلمة الكذّاب برسالة بعثها إليه: جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب. السلام على من اتّبع الهدى، أمّا بعد، فإنّ الأرض لله، يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين»[1].

---

(١)السيرة النبوية ٢ : ٦٠٠ .

خلاصة البحث

تغافل بعض المؤرخين عن أهمّ قضيّة حدثت في أواخر حياة الرسول ﷺ، وحاول البعض تأويل ما أشارت إليه آية التبليغ وآية إكمال الدين وإتمام النعمة؛ جرياً مع السياسة التي تحكَّمت في شؤون المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ.

إنّ الصراع بين التيارات المختلفة على الخلافة، لا يبعد أن يكون هو العامل لجرأة المتنبئين وزعمهم النبوّة، تشبّهاً برسول الله ﷺ، ولم تفلح خطوات الرسول ﷺ للحيلولة دون التمردّ السياسي الذي كان يتوقعه حين نزلت عليه آية التبليغ. ولكنّ الله قد عصمه من الناس، واختبر أمّته أشدّ اختبار في التاريخ، ووعده النصر على الدين كله ولو كره المشركون.

إختبارات البحث

١. وضح مجمل أحداث الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشرة للهجرة.
٢. ما أهمية أحداث غدير خم على المستوى السياسي؟
٣. فسر آية التبليغ التي نزلت في غدير خم.
٤. ما هي الفقرات التي جاءت في خطبة النبي ﷺ بحيث تدل على تنصيب أمير المؤمنين خليفة له ﷺ؟
٥. وضح الأحداث التي جرت بعد نزول آية التبليغ.

البحث رقم (٢٣)

بداية السنة الحادية عشرة

أهداف البحث

١. تفسير قيام النبي ﷺ بالتعبئة العامة لغزو الروم بعد تعيين الوصي.
٢. بيان محاولة النبي ﷺ أن يوصي في أمر الخلافة بعد تبليغه الأمر بعد حجة الوداع.
٣. فهم سبب حيلولة بعض الصحابة بين النبي ﷺ وبين كتابة الوصية.
٤. ذكر ما جري على رسول الله في اللحظات الأخيرة.
٥. إستيعاب كارثية المنع من تدوين الوصية.

مقدمة البحث

على الرغم من أنه ﷺ أعلن بما لا شك بعده ولا ريب تنصيب علي عليه السلام قيادة نائبة بعده، إلا أن حساسية البعض من هذا التنصيب، ونفاق آخرين ممن لم يسلموا بل استسلموا، كانت تثير حفيظة النبي ﷺ، ما جعل تصفية الأجواء لتولي القيادة النائبة بعده ﷺ أمرا ضروريا، الأمر الذي أقدم عليه ﷺ بالأمر بإخلاء المدينة من المنافقين والوصوليين، فأمر إنفاذ جيش أسامة وتحته أكثر هؤلاء من كبار الصحابة.

إلا أن هؤلاء لم يرق لهم ذلك، فعصوا أمر النبي ﷺ الصريح في ذلك، بل عصوا حتى أمره بأن يأتوه بدواة يكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده أبدا، بل إن البعض قد انتهك حرمة النبي ﷺ حين اتهمه بأنه يهجر، مانعا من كتابة ذلك الكتاب، محتجا بأن القرآن كاف.

كل ذلك وغيره، سوف نتعرض له بالبحث والتحقيق في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

المطلب الأول: التعبئة العامّة لغزو الروم(١)

أبدى النبي ﷺ اهتماماً كبيراً للحدود الشمالية للدولة الإسلامية، حيث دولة الروم المنظمة وصاحبة الجيش القوي، وأمّا فارس، فلم تكن ذات أثر مُقلق؛ لأنّ علامات الانهيار كانت قد بدت عليها، كما أنّها لم تكن تمتلك عقيدة روحية تدافع عنها كالمسيحية لدى الروم.

على أنّ بعض عناصر الشغب والنفاق كانت قد أُجليت عن الدولة الإسلامية فاتّجهت إلى الشام، وكان وجود نصارى نجران في الجنوب أيضا عاملا سياسياً يدفع الروم لنصرتهم.

وكل هذه لم تكن عوامل آنيّة عاجلة تستدعي الاهتمام الكبير الذي ظهر واضحاً من إعداد النبي ﷺ لجيش كبير يضم وجوه كبار الصحابة ماخلا علّياً عليه السلام وبعض المخلصين معه.

من هنا، يظهر أنّ النبي ﷺ كان يريد أن يخلو الجو السياسي من أحداث تعيق استلام وصيّه علي بن أبي طالب عليه السلام زمام السلطة من بعده، بعد أن لمس أنّ تحسّساً وانزعاجاً من بعض الأطراف لتأكيده المستمر على مرجعيّة علي عليه السلام لإتمام مسيرة الرسالة الإسلامية، ليست بيعة الغدير ببعيدة عنه، فأراد النبي ﷺ أن تخلو المدينة من أيّ توتّر سياسي، ليتم لعلي عليه السلام ماخطّطّ من استلام مقاليد الخلافة من بعده، ولهذا، عقد النبي ﷺ لواء المسلمين، وسلّمه إلى اُسامة بن زيد، القائد الشاب الذي نصبه الرسول ﷺ بمغزى واضح وإشارة بليغة إلى أهمية الكفاءة في القيادة، وجعل تحت إمرته شيوخ الأنصار والمهاجرين. وقال ﷺ له: «سِر إلى موضع قتل أبيك، فأوطئهم الخيل، فقد ولّيتك هذا الجيش، فاغز صباحاً، وشنّ الغارة على أهل اُبنى».

---

(١)عقد الرسول الأكرم ﷺ اللواء لاُسامة في صفر عام (١١ هـ).

ولكنّ روح التمرد وقلّة الانضباط التي كانت تبدر من بعض المسلمين أخذت تعترض على التسليم لأمر النبي ﷺ، ولعلّها كانت جاهلة بالأهداف والمصالح العليا للإسلام، والتي قد عناها النبي ﷺ، وهو المعصوم المسدّد من قبل الله سبحانه، فقد كانت حركة الجيش الذي كان قد عسكر في «الجرف».

وبلغ النبي ﷺ ذلك، فغضب، وخرج وهو يلتحف قطيفة، وقد عصَّبَ جبهته بعصابة من ألم الحمّى التي أصابته، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

أما بعد، أيّها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري اُسامة؟! ولئن طعنتم في إمارتي اُسامة فقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وأيم الله، كان للإمارة خليقاً، وإنّ ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإنهما لمخيلان لكل خير[١]، واستوصوا به خيراً، فإنّه من خياركم[٢].

واشتدت الحمّى برسول الله ﷺ، ولم يشغله ثقل المرض عن الاهتمام الكبير منه لخروج الجيش، فكان يقول: «أنفذوا جيش اُسامة»[٣]لكل من يعوده من أصحابه، ويزيد إصراراً بقوله: «جهزوا جيش اُسامة، لعن الله من تخلف عنه»[٤].

وأوصل بعض المسلمين أنباء تردّي صحّة النبي ﷺ إلى معسكر المسلمين في الجرف، فرجع اُسامة يعود النبي ﷺ، فحثّه على المضيّ نحو هدفه الذي رسمه له، قائلا له: اُغدُ على بركة الله.

فعاد اُسامة مسرعاً لجيشه يحثّه على الخروج، ولكن المتقاعسين وذوي الأطماع في الخلافة تمكّنوا من عرقلة مسيرة الجيش، زاعمين أنّ النبي ﷺ يحتضر، بالرغم من إصرار الرسول ﷺ على التعجيل في المسير وعدم التخلّف عنه.

---

(١)بمعنى: أنّهما ممن يتفرّس فيهما كل خير. والخوليّ: هو الراعي الحسن القيام على المال. راجع المنجد مادة خلل.

(٢)الطبقات الكبرى ٢ : ١٣٦.

(٣)الطبقات الكبرى ٢ : ١٣٧.

(٤)الملل والنحل ١ : ٢٣.

المطلب الثاني: الوصية الأخيرة، والحيلولة دون كتابتها

ورغم ثقل الحمّى وألم المرض، خرج النبي ﷺ مستنداً على علي عليه السلام والفضل بن العباس ليصلّي بالناس، وليقطع بذلك الطريق على الوصوليين، كي لا يتخّذوها حجّة، ويقتنصوا الزعامة التي طمحوا لها من قبل، وقد عصوا الرسول ﷺ وتخلّفوا عن أمره بالخروج مع جيش اُسامة.

وحين أتمّ الصلاة، إلتفت إلى الناس قائلا: «أيها الناس! سُعّرت النار، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإنّي والله ما تمسكون عليّ بشيء، إني لم أحلّ إلا ما أحلّ الله، ولم اُحرّم إلا ماحرّم الله»(١).

فأطلق بقوله هذا تحذيراً آخر أن لايعصوه وإن لاحت في الاُفق نواياهم السيّئة التي ستجلب الويلات للاُمّة إذ يتزعّمها جهّالها.

واشتدّ المرض على النبي ﷺ، واجتمع الصحابة في داره، ولحق بهم من تخلّف عن جيش اُسامة، فلامهم النبي ﷺ، واعتذروا بأعذار واهية. وحاول النبي ﷺ أن يعرقل المؤامرة السياسية التي كان يتوقعها من بعد وفاته، فقال ﷺ للحاضرين عنده: إيتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لاتضلون بعده.

فقال عمر بن الخطاب: إنّ رسول الله قد غلبه الوجع(٢)، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله.

ووقع التنازع والاختلاف، وقالت النسوة من وراء الحجاب: إئتوا رسول الله ﷺ بحاجته. فقال عمر: أسكتن، فإنّكن صويحبات يوسف، إذا مرض، عصرتنّ أعينكن، وإذا صحّ، أخذتنّ بعنقه، فقال رسول الله ﷺ: هنّ خير منكم(٣). ثم قال ﷺ: قوموا عنّي، لاينبغي عندي التنازع.

---

(١)السيرة النبوية ٢ : ٦٥٤. الطبقات الكبرى ٢ : ٢١٥.

(٢)صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم. وكتاب الجهاد، باب جوائز الوفد.

(٣)الطبقات الكبرى ٢ : ٢٤٤. كنز العمال ٣ : ١٣٨.

وكم كانت الأُمّة بحاجة ماسّة لكتاب الرسول ﷺ هذا، حتى أنّ ابن عباس كان يأسف كلمّا يذكر ذلك، ويقول: الرزية كلّ الرزية ماحال بيننا وبين كتاب رسول الله[١].

ولم يصرّ نبي الرحمة على الكتاب بعد اختلافهم عنده؛ خوفاً من تماديهم في الإساءة ونكرانهم لما هو أكبر، فقد علم ﷺ بما في نفوسهم، وحين راجعوه ثانية بشأن الكتاب، قال ﷺ: «أَبَعْدَ الذي قلتم[٢]؟!»، وأوصاهم ثلاث وصايا...تذكر كتب التاريخ اثنتين منها، وهما: إخراج المشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفد كما كان يجيزهم، وتزعم نسيان الثالثة.

وعلّق السيد محسن الأمين على ذلك قائلا: والمتأمل لا يكاد يشكّ في أنّ الثالثة سكت عنها المحدّثون عمداً لا نسياناً، وأنّ السياسة اضطرتهم إلى السكوت عنها عمداً وتناسيها، وأنّها هي التي طلب الدواة والكتف ليكتبها لهم[٣].

المطلب الثالث: الزهراء عليها السلام تزور أباها ﷺ

وأقبلت الزهراء (عليها السلام) وهي تجرّ أذيالها بحزن، وتتطلع إلى أبيها وهو يوشك أن يلتحق بربّه، فجلست عنده، منكسرة القلب، دامعة العين، مختنقةً بعبرتها، وهي تردّد:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه *** ثمالَ اليتامى عصمة للأرامل

وفي هذه اللحظات، فتح النبي ﷺ عينيه من إغمائه، وقال بصوت خافت: يابنيّة! هذا قول عمّك أبي طالب، لاتقوليه، ولكن قولي: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى

---

(١)صحيح البخاري، كتاب العلم ١ : ٢٢ و ٢ : ١٤. الملل والنحل ١ : ٢٢، الطبقات الكبرى ٢ : ٢٤٤.

(٢)بحار الانوار ٢٢ : ٤٦٩.

(٣)أعيان الشيعة ١ : ٢٩٤.

عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[١].

وأشار النبي ﷺ إلى حبيبته الزهراء (عليها السلام) أن تدنو منه ليحدّثها، فانحنت عليه، فسارّها بشيء، فبكت، ثم سارّها ثانية، فضحكت. ممّا أثار فضول الحضور، وسألوها عن سرّ ذلك، فقالت (عليها السلام): ماكنت لأُفشي سرّ رسول الله ﷺ.

وسئلت الزهراء بعد وفاة النبي ﷺ عن ذلك ثانية، فقالت: أخبرني رسول الله ﷺ أنّه قد حضر أجله، وأنّه يقبض في وجعه هذا، فبكيت، ثم أخبرني أنّي أولّ أهله لحوقاً به، فضحكتُ[٢].

المطلب الرابع: اللحظات الأخيرة من عمر النبي ﷺ

وكان علي(عليه السلام) يلازم الرسول ﷺ كظلّه، حتى آخر لحظات حياته الشريفة، وهو يوصيه ويعلّمه ويضع سرّه عنده.

نعم، في الساعة الأخيرة، قال رسول الله ﷺ: أدعوا لي أخي ـ وكان ﷺ قد بعثه في حاجة، فجاءه بعض المسلمين فلم يعبأ بهم الرسول ﷺ، حتى جاء علي (عليه السلام)، فقال ﷺ له: اُدن مني. فدنا علي (عليه السلام)، فاستند إليه، فلم يزل مستنداً إليه يكلّمه، حتّى بدت عليه ﷺ علامات الاحتضار[٣]، وتوفّي رسول الله ﷺ وهو في حجر علي (عليه السلام) كما قد صرّح بذلك علي (عليه السلام) نفسه في إحدى خطبه[٤] الشهيرة.

---

(١)آل عمران: ١٤٤.

(٢)الطبقات الكبرى ٢ : ٢٤٧. الكامل في التاريخ ٢ : ٢١٩.

(٣)الطبقات الكبرى ٢ : ٢٦٣.

(٤)نهج البلاغة: الخطبة ١٩٧.

خلاصة البحث

تطلبت الحدود الشمالية للدولة الإسلامية إعداد جيش كبير من قبل النبي ﷺ يضم وجوه كبار الصحابة. إضافة إلى اقتضاء الجو السياسي خلوه من أحداث تعيق استلام القيادة من قبل أمير المؤمنين عليه السلام، حيث أنه ﷺ أحس انزعاجا من قبل بعض الأطراف. وسلم قيادة الجيش لأسامة بن زيد، ولكن روح التمرد من بعض المسلمين تشبثت بكون القائد شابا لتعترض على أمر النبي ﷺ، وغضب النبي ﷺ، ولامهم على ذلك، ولعن من تخلف عن جيش أسامة.

واشتدت الحمى برسول الله ﷺ، وسبب ذلك رجوع أسامة وعيادته للنبي ﷺ، فحثه ﷺ على المضي، فعاد أسامة يحث الجيش مع وجود تمكن ذوي الأطماع من عرقلة مسيرة الجيش، زاعمين احتضار النبي ﷺ.

إشتدت الحمى والألم على النبي ﷺ، واجتمع الصحابة ومن تخلف عن جيش أسامة، فلام النبي ﷺ من تخلف، وسعى أن يعرقل المؤامرة التي كان يتوقعها من بعد وفاته، فأمر بدواة وصحيفة ليكتب كتابا لا يضلون بعده. ولكن عمر حال دون ذلك؛ بحجة أن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وحسبنا كتاب الله.

وقد حضرت الزهراء (س) عند وفاة أبيها، واستند النبي ﷺ إلى علي عليه السلام إلى أن توفى في حجره.

إختبارات البحث

١.فسر قيام النبي ﷺ بالتعبئة العامة لغزو الروم بعد تعيين الوصي في غدير خم.

٢. ما هو سبب حيلولة بعض الصحابة بين النبي ﷺ وبين كتابة الوصية؟

٣. أذكر ما جري على رسول الله في اللحظات الأخيرة من عمره الشريف.

٤. لماذا لم يصر الرسول الأعظم ﷺ على كتابة الكتاب في مرض موته؟

٥. ما المقصود بقول ابن عباس: «الرزية كلّ الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله»؟

البحث رقم (٢٤)

الكتاب الذي لم يكتب (١)

أهداف البحث

١. بيان جهود بعض الصحابة للوصول إلى دفة الحكم والحيلولة دون تقلد أمير المؤمنين له.

٢. توضيح ما جرى من تنازع الصحابة عند النبي ﷺ في مرض موته وسبب ذلك.

٣. التعريف بالدوافع الكامنة خلف ما قاله الخليفة الثاني في ذلك اليوم: «ان رسول اللّه قد غلبه الوجعُ، حسبنا كتابُ اللّه».

٤. إدراك أن القرآن الكريم لا يغني بدون أحاديث النبي ﷺ وسيرته الشريفة.

٥. تفسير بعض التعصبات الخرقاء في توجيه ما صدر عن البعض من تعبيرات مشينة بحق النبي ﷺ في رزية الخميس.

مقدمة البحث

تُعدُّ الأيام الآخيرة من حياة رسول الاسلام ﷺ من اكثر حقول التاريخ الاسلامي أهميّة وحساسية ودقة.

لقد مرّ الاسلام والمسلمون في تلك الايام بساعات مؤلمة، وحرجة ألقت بظلالها على مجمل الحركة الإسلامية إلى يومنا هذا.

إن مخالفة بعض الصحابة الصريحة لأوامر النبي ﷺ، وتخلّفهم عن جيش اُسامة الذي ألح ﷺ على تشكيله وبعثه والإلتحاق به من قبل كبار الصحابة، كلُ ذلك كان يكشف عن نشاطات سرية تنبئ عن عزمهم المؤكد على الاستيلاء على زمام الحكومة والإمارة والقيادة السياسية في المجتمع الاسلامي بعد رحيل النبي ﷺ، وإزاحة الخليفة الذي نصبه في الغدير للإمارة عن مسند الحكم.

المطلب الأول: تخطيط النبي ﷺ لتولي علي عليه السلام قيادة الأمة

لقد كان النبي ﷺ نفسه عارفاً بنوايا بعض الصحابة في الإنقلاب على نحو الاجمال، ولهذا كان يصرّ على خروج جميع أعيان الصحابة في جيش اسامة ومغادرة المدينة فوراً لمقاتلة الروم، لكي يعطل بذلك خطتهم.

ولكن دهاة السياسة اعتذروا عن الخروج مع اُسامة بحجج ومعاذير معينة، لكي يستطيعوا تنفيذ خططهم ومآربهم الشريرة، بل وعرقلوا مسير الجيش المذكور حتى توفي رسول اللّه ﷺ.

فعادوا إلى المدينة – بعد توقّف دام ١٦ يوماً – على أثر تدهور صحة النبي واحتضاره، فلم يتحقق ما كان يريده ﷺ من تفريغ المدينة منهم، فلا يكون أحد منهم فيها يوم وفاته ليستطيع خليفته المنصوب للامارة يوم غدير خم (نعني: الامام علياً) من تسلم زمام الحكم دون منازع ومزاحم من المعارضين السياسيين.

ولم يكتف أولئك بالعودة إلى المدينة، بل حاولوا أن يحولوا دون أي عمل من شأنه أن يؤدي إلي دعم وتثبيت منصب الامام علي وخلافته لرسول اللّه بلا فصل، فحاولوا منع النبي ﷺ وصرفه عن البحث في هذه المسألة بشتى الوسائل والسبل.

فعمد رسولُ اللّه ﷺ ـ الذي عرف بالنشاط المشين لبعض زوجاته من بنات بعض اُولئك الصحابة ـ إلى الخروج إلى المسجد مع ما كان عليه من الحمّى والوجع، ووقف إلى جانب المنبر، وقال للناس بصوت عالٍ سُمِع خارج المسجد:

«أيُّها الناسُ، سُعّرت النار، وأقبَلت الفتَن كقِطَع الليلِ المظلم، وإنّي واللّه ما تمسَّكون عليّ بشيء، إني لم اُحلّ إلا ما أحلّ اللّه، ولم اُحرّم إلا ما حرّم اللّه»[١]

إنّ هذه العبارة تكشف عن القلَق الشديد الذي كان يحمله النبي ﷺ على مستقبل الاسلام بعد وفاته، فما هو المقصود – يا ترى – من النار التي سعرت؟

---

(١)السيرة النبوية ٢: ٦٥٤. الطبقات الكبرى ٢: ٢١٥ و ٢١٦.

أليست هي فتنة الاختلاف والافتراق التي كانت تنتظر المسلمين، والتي اشتعلت بعد وفاة رسول اللّه ﷺ وتعالى لهيبها، ولا يزال ذلك اللهيب مشتعلاً، وتلك النار مستعرة إلى يومنا هذا؟!

المطلب الثاني: الكتاب الذي لم يكتب

كان رسول اللّه ﷺ يعرف بما يجري من نشاطات خارج منزله للسيطرة على مقاليد الحكم، ولهذا، قرر ـ بغرض الحيلولة دون انحراف مسألة الخلافة عن محورها الأصلي ومنع ظهور الاختلاف والافتراق – أن يدعم مكانة عليّ ويعزز امارته وخلافته وخلافة أهل بيته؛ وذلك بأن يثبت الأمر في وثيقة حيّة وخالدة تضمن بقاء الخلافة في خطها الصحيح علاوة عما صدر بهذا الشأن منه ﷺ منذ الأيام الأولى للدعوة وإلى آخر أيامها.

من هنا يوم جاء بعض الصحابة لعيادته، اطرق برأسه إلى الارض ساعة، ثم قال بعد شيء من التفكير وقد التفت اليهم:

«إيتُوني بدواة وصحيفة، أكتُبُ لكم كتاباً لا تضلون بعده».

فبادر عمر وقال: إن رسول اللّه قد غلبه الوجعُ، حسبنا كتابُ اللّه».[1]

فناقش الحاضرون رأي عمر، فخالفه قوم وقالوا: هاتوا بالدواة والصحيفة ليكتب النبي ما يريد، وناصر آخرون عمر وحالوا دون الاتيان بما طلبه النبي، ووقع تنازع بينهم ،وكثر اللغط، فغضب رسول اللّه ﷺ بشدة لتنازعهم، ولما وجّه اليه من كلمة مهينة، وقال:

«قوموا عني، لا ينبغي عندي التنازع».

قال ابنُ عباس بعد نقل هذه الواقعة المؤلمة المؤسفة: «الرزيّة كلُّ الرزيّة ما حال

---

(١) الملل والنحل ١: المقدمة الرابعة: ٢٢.

بيننا وبين كِتاب رسول اللّه»[١] .

إن هذه الواقعة التاريخية قد نقلها فريق كبير من محدثي الشيعة والسنة ومؤرخيهم، وتعتبر روايتها - حسب قواعد فنّ الدراية والحديث - من الروايات المعتبرة الصحيحة، غاية ما في الأمر، إن أغلب محدّثي أهل السنة نقلوا كلام عمر بالمعنى لا باللفظ، ولم يوردوا نص الكلمات الجارحة النابية التي نطق بها في ذلك.

المطلب الثالث: تعصبات خرقاء

ولا يخفى أن الإحجام عن نقل نص عبارته ليس لأجل أن العبارات التي تفوه بها تعدّ إهانة لمقام النبوة، واستصغارا شنيعا به، بل ان هذا التصرف لأجل الحفاظ على مقام الخليفة ومكانته حتى لا يسيء الآخرون النظرة إليه اذا ما عرفوا بما قاله في حق رسول اللّه ﷺ.

من هنا، عندما بلغ أبو بكر الجوهري مؤلف كتاب "السقيفة" في كتابه إلى هذا الموضع من القضية، قال عند نقل كلام عمر هكذا: «وقال عمر كلمة معناها: أن الوجَع قد غلب على رسول اللّه»[٢] .

ولكن بعضاً آخر عندما يريد نقل ما قاله الخليفة لا يصرّح باسمه؛ حفظاً لمقامه، فيقول: فقالوا: «هجر رسولُ اللّه».[٣] .

إن من المسلّم أن مثل هذه العبارة الجارحة النابية لو صدرت عن أية شخصية مهما كان مقامها، لعُدَّت ذنباً لا يُغتفر؛ لأن النبي ﷺ ـ بنص القرآن ـ مصون من أي نوع من انواع الخطأ والاشتباه والهذيان، فهو لا ينطق إلا بالوحي.

إن اختلاف الصحابة لدى رسول اللّه الطاهر المعصوم ﷺ وفي محضره كان

---

(١)صحيح البخاري ١: ٢٢ و ج ٢: ١٤. صحيح مسلم ٢: ١٤. مسند أحمد ١: ٣٢٥. الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٤. الملل والنحل ١: ٢٢.

(٢)شرح نهج البلاغة ٢: ٢٠.

(٣)صحيح مسلم ١: ١٤. مسند أحمد ٢: ٣٥٥.

عملاً سيئاً ومشيناً، إلى درجة أن احدى أزواجه ﷺ اعترضت على هذه المخالفة وقالت من وراء حجاب: ألا تسمعون النبي ﷺ يعهدُ؟ إِئتوا رسول اللّه ﷺ بحاجته.

فقال عمر: أسكتن، فإنكن صويحبات يوسف. إذا مرض، عصرتُنَّ أعيُنكنَّ. واذا صحّ، أخذتُنَّ بعنُقه[١] .

إن بعض المتعصبين وإن التمس لمخالفة الخليفة لطلب النبي أعذاراً[٢]في الظاهر، إلا أنّه خطّأ كلامه الذي قال فيه «حسبنا كتاب اللّه»، واعتبره كلاماً غير صحيح، وصرّحوا جميعاً بأن الركن الأساسي للإسلام هو السنة النبوية، ولا يمكن أن يغني كتابُ اللّه الامة الاسلامية عن أحاديث رسول الاسلام ﷺ وأقواله.

ولكن الأعجب من كل ذلك، أن الدكتور «هيكل» مؤلف كتاب «حياة محمَّد»[٣]، وضمن دفاعه عن الخليفة، كتب يقول: «ما فتئ ابن عباس بعدها يرى أنهم أضاعوا شيئاً كثيراً بأن لم يسارعوا إلى كتابة ما أراد إملاءه. أمّا عمر، فظلّ ورأيه أن قال اللّه في كتابه الكريم: ﴿ما فَرَّطنَا في الكتابِ مِن شَيء﴾[٤] .

فلو أنه لاحظ ما قبل هذه الجملة القرآنية وما بعدها، لما فسرها بمثل هذا التفسير، ولما أيّد الخليفة في مقابل نصّ النبي المعصوم المطاع؛ لأن المقصود من الكتاب في الآية هو الكتاب التكويني، وصفحات الوجود، فإن لكل نوع من الأنواع

---

(١)كنز العمال ٣: ١٣٨. الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٤. وفي الطبقات: إن النبي قال (في الرد على عمر) : «هنَّ خير منكنَّ».

(٢)رد العلامة المجاهد السيد شرف الدين في كتاب المراجعات جميع هذه الاعذار بصورة رائعة. راجع: المراجعة ٨٦.

(٣)حياة محمَّد: ٥٠١.

(٤)الانعام: من الآية ٣٨.

في عالم الوجود صفحة من كتاب الصنع، وتشكل كل الصفحات غير المعدودة كتاب الخليقة والوجود واليك نص الآية:

﴿وَمَا مِن دَابَّة في الارض ولا طَائر يَطيرُ بجَناحَيه إلا أُمم أمثَالكُم ما فَرَّطنا في الكتاب مِن شيء ثُمَّ إلى ربِّهم يُحشرُونَ﴾[١] .

وحيث أن ما قبل الجملة التي استُدل بها يرتبط بخلقة الدواب والطبور، ويرتبط ما بعدها بموضوع الحشر في يوم القيامة يمكن القول بصورة قاطعة بان المراد من الكتاب في الجملة المستدل بها والذي لم يفرَّط فيه من شيء هو الكتاب التكويني، وصفحة الخلق.

ثم اننا لو قبلنا بأن المقصود من الكتاب هو القرآن الكريم، فان من المسلّم أن فهم هذا الكتاب – وبحكم تصريحه – يحتاج إلى بيان النبي وهدايته كما يقول:

﴿وأَنْزلْنَا إلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إلَيْهمْ ولَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

تأمل في هذه الآية، فانها لاتقول "لتقرأ" بل تقول بصراحة: "لتبيّن".

وعلى هذا الأساس، لو كان كتاب اللّه كافياً لم نحتج إلى توضيح النبي وبيانه احتياجاً شديداً[٣] .

ولو كان حقاً أن الأمة الاسلامية لا تحتاج إلى النبي، فلماذا كان حبر الأمة وعالمها الكبير ابن عباس يقول: يومُ الخميس، وما أدراك ما يوم الخميس، ثم تسيل دموعه، حتى رؤيت على خده كأنها نظام اللؤلؤ. وقال: قال رسول اللّه: إيتوني بالكتف والدواة ـ أو اللوح والدواة ـ أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً... فقالوا...[٤] .

---

(١)الانعام: من الآية ٣٨.

(٢)النحل: من الآية ٤٤.

(٣)بيان مدى حاجة القرآن إلى بيان النبي خارج عن نطاق هذا البحث، فاطلبه في محله.

(٤)مسند أحمد ١: ٣٥٥. صحيح البخاري: كتاب الجزية، ج ٤: ٦٥ـ ٦٦.

فمع هذا الحزن الذي كان يبديه ابن عباس، مضافاً إلى الإصرار الذي أظهره رسولُ اللّه، كيف يمكن القول بأن القرآن يغني الأُمة الاسلامية من هذه الوصية أو الكتاب الذي كان النبي يريد كتابته.

والآن، إذا كان النبي لم يوفق لكتابة الكتاب وإملائه، فهل يمكن أن نَحدس - في ضوء القرائن القطعية - ماذا كان ينوي النبيّ كتابته في هذا الكتاب الذي لم يكتب؟

خلاصة البحث

مخالفة بعض الصحابة الصريحة لأوامر النبي ﷺ، وتخلّفهم عن جيش أُسامة، كلُّ ذلك كان يكشف عن نشاطات سرية تنبئ عن عزمهم المؤكد على الإستيلاء على زمام الحكومة والإمارة والقيادة السياسية في المجتمع الاسلامي بعد رحيل النبي ﷺ، وإزاحة الخليفة الذي نصبه في الغدير للإمارة عن مسند الحكم.

وما يؤكد ذلك أيضا، حيلولتهم دون كتابة الرسول ﷺ للكتاب الذي أراد كتابته لكي لا يضلوا بعده أبدا، وذلك من خلال تعبيرات لا تليق وساحته ﷺ المقدسة، وإن حاول بعض المتعصبين توجيه ذلك بتوجيهات خرقاء.

إختبارات البحث

١. لماذا حاول بعض الصحابة الحيلولة دون وصول أمير المؤمنين إلى دفة الحكم؟

٢. وضح تنازع الصحابة عند النبي ﷺ في مرض موته، وسبب ذلك.

٣. ما هي الدوافع الكامنة خلف ما قاله الخليفة الثاني في ذلك اليوم: «إن رسول اللّه قد غلبه الوجعُ، حسبنا كتابُ اللّه»؟

٤. على ضوء ما حدث بعد وفاة النبي ﷺ من الانقلاب على الشرعية، كيف تفسر قوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾؟

٥. كيف ترد بعض التعصبات الخرقاء التي وردت في توجيه ما صدر عن البعض من تعبيرات مشينة بحق النبي ﷺ في رزية الخميس؟

البحث رقم (٢٥)

الكتاب الذي لم يكتب (٢)

أهداف البحث

١. بيان بعض ما وقع يوم (رزية الخميس) من أحداث.

٢. توجيه عدم إصرار النبي على كتابة الكتاب يوم رزية الخميس.

٣. توضيح الهدف من الكتاب الذي لم يكتب.

٤. إستيعاب إصرار البعض على عدم كتابة الكتاب من قبله صلى الله عليه وآله.

٥. إدراك أهمية الموضوع من خلال تلافي الأمر من قبله صلى الله عليه وآله بعد يوم الرزية.

مقدمة البحث

تقدم الكلام في البحث السابق عن جهود بعض الصحابة في الحيلولة دون وصول أمير المؤمنين عليه السلام إلى سدة الحكم وتطبيق الوصية الإلهية في ذلك.

كما مر ما قاموا به من منع رسول الله صلى الله عليه وآله من كتابة ما رامه من كتاب حين تنازع عنده القوم في مرض موته.

ونواصل الكلام في هذا الإطار في هذا البحث، فنتكلم عن توجيه عدم إصرار النبي على كتابة الكتاب ذلك اليوم، بالإضافة إلى البحث في الهدف الذي كان يسعى صلى الله عليه وآله للوصول إليه من وراء ذلك الكتاب

المطلب الأول: هدف النبي صلى الله عليه وآله من الكتاب

إن الطريقة الجديدة والقويمة في تفسير القرآن الكريم، والتي أصبحت اليوم موضع عناية المحققين والعلماء في هذا العصر، هي رفع إبهام الآية وإجمالها في موضوع معين بواسطة آية أُخرى تتحدث عن ذلك الموضوع ذاته ولكنها أوضح من الأولى دلالة ومفاداً، وبعبارة أُخرى: الإستعانة في تفسير آية بآية أُخرى.

إن هذه الطريقة لا تختصُّ بتفسير آيات القرآن، بل تنسحب على الأحاديث

والروايات الاسلامية أيضا؛ اذ يمكن رفع الاجمال عن حديث بحديث مشابه، لأن القادة الكبار يتحدثون في موضوع مهمّ وخطير بصورة مؤكدة ومكررة لا تتشابه ولا تتحد في دلالتها، فقد تكون دلالتها واضحة وقد يكون بيان المقصود فيها بالاشارة والكناية حسب المقتضيات.

قلنا: ان النبي ﷺ طلب من اصحابه وهو في فراش المرض دواة وصحيفة ليملي عليهم شيئاً لا يضلّون بعده أبداً، ثم تسبب التنازع الذي حدث بين الحاضرين في ان ينصرف عن كتابة ما أراد.

يمكن أن يسأل سائل: ماذا كان يريدُ رسول اللّه ﷺ كتابته في ذلك الكتاب.

إن الإجابة على هذا السؤال واضحة؛ لأنه مع أخذ الأصل الذي ذكرناه في مطلع البحث بنظر الاعتبار، يجب القول بأن هدف النبي لم يكن الا تعزيز الوصيّة ودعم خلافة الامام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وإمرته؛ والتأكيد على لزوم اتّباع أهل بيته الذي صرح به النبي ﷺ في الغدير وغيره.

وهذا المطلب يستفاد من حديث الثقلين المتفق عليه بين محدثي السنة والشيعة، لأن النبي ﷺ قال بشأن الكتاب الذي نوى كتابته:

إنه يبتغي كتابة شيء لا يضلون بعده ابداً. وقد جاءت هذه العبارة بعينها في حديث الثقلين اذ يقول رسولُ اللّه ﷺ معتبراً عدم الضلال بعده معلولاً لاتباع الكتاب والعترة إذ قال:

«إنّي تارك فيكمُ الثقلين، ما إن تمسكتُم بهما، لَن تضِلّوا: كتابَ اللّه، وعترتي أهلَ بيتي»[1].

ألا يمكن بعد ملاحظة هذين الحديثين والتشابه الموجود بينهما الحدسُ – بصورة قطعية – بأن ما كان يهدفه رسول اللّه ﷺ من طلب الدواة والصحيفة هو

(١)صحيح الترمذي ٥: ٣٢٨، ح ٣٨٧٤. جامع الأصول ١: ١٨٧. راجع المراجعات: المراجعة ٨.

مفاد كتابة حديث الثقلين، أو ما هو أعلى ممّا يفيده حديث الثقلين وهو تعزيز ودعم ولاية الامام علي عليه السلام وخليفته مباشرة وبلا فصل، وهو الذي عيّنه للإمارة والخلافة في الثامن عشر من شهر ذي الحجة عند مفترق طرق الحجاج المدنيين والعراقيين والمصريين والحجازيين وأعلن عن ذلك بصورة شفاهية.

هذا مضافاً إلى أن مخالفة من شكّل شورى الخلافة في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة رسول اللّه صلى الله عليه وآله ورشح رفيقه القديم للخلافة بصورة خاصة بعد رحيل رسول اللّه صلى الله عليه وآله إلى ربّه، وحصل هو بدوره على اُجرته عند موت الأوّل بصورة نقدّية وعينه للخلافة خلافاً لجميع القواعد والأصول، خير شاهدٍ على أن القرائن التي كانت في مجلس النبي وكلامه كانت تكشف عن أن النبي صلى الله عليه وآله كان يريد أن يملي على كاتبه امراً يتعلق بخلافة المسلمين والامارة والقيادة التي اثبتها لعلي وأهل بيته الطاهرين في أحاديثه وخطبه.

ولهذا، خالف القوم الحضور هذا المطلب بشدة، وحالوا دون الإتيان بالقلم والقرطاس بوقاحة، وخالفوا كتابة شيء، وإلا، فلماذا أصرّوا في مخالفتهم وعصيانهم وسوء أدبهم وارتكبوا ما ارتكبوا؟!

المطلب الثاني: عدم إصرار النبي صلى الله عليه وآله على كتابة الكتاب

كان بإمكان رسول اللّه صلى الله عليه وآله رغم معاكسات جماعة من أصحابه أن يطلب كاتبه ويكتب الكتاب الذي كان يريد، فلماذا لم يتصرف هكذا، ولم يستغل مكانته القويّة، بل امتنع عن ذلك؟

إن الإجابة على هذا السؤال واضحة: فلو أن النبي صلى الله عليه وآله كان يصرّ على كتابة الكتاب، لأصرّوا في الإساءة إلى النبي الذي قالوا عنه: إنه غلبه الوجع، أو هجر، ولعمد أنصارهم إلى إشاعة وبثّ هذا الأمر الرخيص، وصنعوا لإثباته الأفاعيل، فكانت تتسع رقعة الإساءة إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله في هذه الحالة وتستمرّ، فتفقد الرسالة أثرها المنشود.

من هنا عندما قال البعض للنبي – ملافاة لما لحق به من الأذى – أبعد الذي قلتم؟ فقال:

«أبعد الذي قلتم؟ لا، ولكن أُوصيكم بأهل بيتي خيراً»[١].

المطلب الثالث: تلافي الأمر وتداركه من قبله ﷺ

إن مخالفة بعض الصحابة الصريحة وإن صرفت النبي عن الكتابة، إلاّ أنه بلّغ مقصوده من طريق آخر، فهو – بشهادة التاريخ – وعلى الرغم مما كان يعانيه المرض والوجع الشديدين، خرج إلى المسجد وهو متوكئ على علّي بن أبي طالب وميمونة مولاته، فجلس على المنبر، ثم قال:

«يا أيّها الناسُ، إني تارك فيكم الثقلين».

وسكت، فقام رجل، فقال: يا رسولُ اللّه، ما هذان الثقلان؟ فغضب حتى احمرّ وجهُه، ثم سكن، قال:

«ما ذكرتهما إلا وأنا أُريد أن أخبركم بهما، ولكن رَبوتُ، فلم أستطع، سبب طرفه بيد اللّه، وطرف بأيديكم، تعلمون فيه كذى، ألا وهو القرآن، والثقل الأصغر: أهل بيتي».

ثم قال:

«وأيمُ اللّه، إني لأقولُ لكم هذا ورجال في أصلاب أهل الشرك أرجى عندي من كثير منكم».

ثم قال:

«واللّه، لا يحبُّهم عبد إلا أعطاهُ اللّه نوراً يومَ القيامة حتى يرد عليَّ الحوض، ولا يبغضهُم عبد إلا احتجب اللّه عنه يوم القيامة»[٢].

---

(١)بحار الأنوار ٢: ٤٦٩، نقلاً عن الارشاد واعلام الورى.

(٢)بحار الأنوار ٢٢، نقلاً عن مجالس المفيد.

هذا، وقد روى ابن حجر العسقلاني تدارك ما فات بصورة اُخرى، ولا تنافي بين الصورتين إذ يمكن وقوع كليهما.

إنه يقول: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله لاصحابه، وقد امتلأت بهم الحجرة، وهو في مرضه الذي قبض فيه:

«أيّها الناس، يوشَك أن اُقبض قبضاً سريعاً، فيُنطلَق بي، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم. ألا إنّي مخلف فيكم كتاب اللّه ربي عزّ وجل وعترتي أهل بيتي». ثم أخذ بيد علي عليه السلام، فقال:

«هذا عليٌّ مع القرآن والقرآنُ مع علي، خليفتان نصيران، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض فأسألهُما ماذا خلّفت فيهما»[1] .

فمع أن رسول اللّه صلى الله عليه وآله ذكر حديث الثقلين[2] قبل مرضه في مواضع متعددة وبألفاظ مختلفة، ولفتَ نظر الناس إلى أهميّة هذين الثقلين، ولكنه لفت الأنظار مرة اُخرى وهو في فراش المرض أمام جمع اصحابه الذين حالوا دون كتابة ما اراد إلى عدم افتراق القرآن والعترة يمكن الحدسُ بأن الهدف من التكرار هو تدارك ما فات من كتابة الكتاب الذي لم يُوفَق لكتابته.

---

(١)الصواعق المحرقة: الباب ٩ من الفصل الثاني: ٥٧ . كشف الغمة: ٤٣.

(٢)حديث الثقلين من الروايات المتفق عليها بين الشيعة والسنة، وقد نقل عن الصحابة بأكثر من ٦٠ طريقاً. يقول ابن حجر العسقلاني في الصواعق، ص ١٣٦: وقد خصص المرحوم مير حامد حسين الهندي قسماً من موسوعته "العبقات" بذكر أسناد حديث الثقلين ودلالته. وقد طبعت في ستة أجزاء مؤخراً.

خلاصة البحث

لم يكن هدف النبي ﷺ من كتابة الكتاب الذي لم يكتب، إلا تعزيز الوصيّة ودعم خلافة الامام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وإمرته؛ والتأكيد على لزوم اتباع أهل بيته، الذي صرح به النبي صلّى اللّه عليه وآله في الغدير وغيره.

لو أن النبي ﷺ كان يصرّ على كتابة الكتاب، لأصرّوا على الإساءة إلى النبي، الذي قالوا عنه أنه غلبه الوجع أو هجر، ولعمد أنصارهم إلى إشاعة هذا الأمر الرخيص وبثّه، وفعلوا لإثباته الأفاعيل، فكانت تتسع رقعة الإساءة إلى رسول اللّه ﷺ في هذه الحالة وتستمرّ، فتفقد الرسالة أثرها المنشود.

إن مخالفة بعض الصحابة الصريحة وإن صرفت النبي عن الكتابة، إلاّ أنه بلّغ مقصوده من طريق آخر، فقد خرج إلى المسجد على الرغم من مرضه الشريف، فذكر الثقلين ووجوب التمسك بهما.

إختبارات البحث

١. كيف توجه عدم إصرار النبي على كتابة الكتاب يوم رزية الخميس؟

٢. وفق ما يقتضيه التأمل والعقل السليم، هل يمكنك أن تشخص الهدف من الكتاب الذي أراد النبي ﷺ أن يكتبه؟

٣. ما هو السر في إصرار البعض على عدم كتابة الكتاب من قبله ﷺ؟

٤. كيف تلافى ﷺ كارثة منع بعض الصحابة كتابته للكتاب يوم الخميس بعد ذلك؟

٥. لو لم يحصل التلافي منه ﷺ لما حصل يوم الخميس، فهل يجوز للبعض عدم قبول أمير المؤمنين خليفة له ﷺ؟ بين سبب ذلك.

البحث رقم (٢٦)

من معالم الرسالة الإسلامية الخاتمة

أهداف البحث

١. التعريف بما بعث به النبي محمد صلى الله عليه وآله.

٢. إدراك سهولة الشريعة الإسلامية وسماحتها.

٣. تثمين سمو التعاليم الإسلامية.

٤. بيان الخطوط العامة للقرآن الكريم.

٥. توضيح بعض أحكام الشريعة الإسلامية، وبعض الأسس التي تقوم عليها.

مقدمة البحث

بعد أن تكلمنا عن تاريخ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من زوايا عدة، فإن من المناسب التعرض إلى بعض معالم الرسالة الإسلامية الخالدة التي أنقذ بها البشرية من الظلام والظلم الذي كانت تعيشه.

المطلب الأول: ما بعث به النبي محمد صلى الله عليه وآله [1]

بعث الله تعالى نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله على حين فترة من الرسل، خاتماً للنبيين وناسخاً لشرائع من كان قبله من المرسلين، إلى الناس كافة: أسودهم وأبيضهم، عربيهم وعجميهم، وقد ملئت الأرض من مشرقها إلى مغربها بالخرافات والسخافات والبدع والقبائح وعبادة الأوثان.

فقام صلى الله عليه وآله في وجه العالم كافة، ودعا إلى الايمان بإله واحد خالق رازق مالك لكل أمر، بيده النفع والضر، لم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل ولم يتخذ صاحبة، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

بعثه آمراً بعبادته وحده لا شريك له، مبطلاً عبادة الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا

---

(١)للإطلاع على تفصيلات أكثر في هذا المجال، راجع للمؤلف: الطريق إلى النعيم.

تنفع ولا تعقل ولا تسمع ولا تدفع عن أنفسها ولا عن غيرها ضراً ولا ضيماً، متمماً لمكارم الأخلاق حاثاً على محاسن الصفات آمراً بكل حسن ناهياً عن كل قبيح.

المطلب الثاني: سهولة الشريعة الإسلامية وسماحتها

واكتفى من الناس بأن يقولوا: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويصوموا شهر رمضان، ويحجوا البيت، ويلتزموا بأحكام الإسلام. وكان قول هاتين الكلمتين (لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله)، يكفي لأن يكون لقائله ما للمسلمين وعليه ما عليهم.

المطلب الثالث: سمو التعاليم الإسلامية

وبعث بالمساواة في الحقوق بين جميع الخلق، وأنّ أحداً ليس خيراً من أحد إلا بالتقوى. وبالأُخوّة بين جميع المؤمنين وبالكفاءة بينهم: تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وبالعفو العام عمن دخل في الإسلام.

وسنّ شريعة باهرة وقانوناً عادلاً تلقّاه عن الله تعالى، فكان هذا القانون جامعاً لأحكام عباداتهم ومعاملاتهم وما يحتاجونه في معاشهم ومعادهم وكان عبادياً إجتماعياً سياسياً أخلاقياً لا يشذّ عنه شيء مما يمكن وقوعه في حياة البشر مستقبلاً ويحتاج اليه بنو آدم، فما من واقعة تقع ولا حادثة تحدث إلاّ ولها فى الشريعة الإسلامية أصل مسلّم عند المسلمين ترجع اليه.

على أن العبادات في الدين الإسلامي لا تتمحض لمجرد العبادة، ففيها منافع بدنية وإجتماعية وسياسية، فالطهارة تفيد النظافة، وفي الصلاة رياضة روحية وبدنية، وفي صلاة الجماعة والحج فوائد إجتماعية وسياسية ظاهرة، وفي الصوم فوائد صحية لا تنكر، والإحاطة بفوائد الأحكام الإسلامية الظاهرة فضلاً عن الخفية أمر متعذّر أو عسير.

ولما في هذا الدين من محاسن، ومن موافقة أحكامه للعقول وسهولتها، وسماحتها ورفع الحرج فيه، والاكتفاء بإظهار الشهادتين، ولما في تعاليمه من

السمو والحزم والجد، دخل الناس فيه أفواجاً، وساد أهله على أعظم ممالك الأرض، واخترق نوره شرق الأرض وغربها، ودخل جميع أقاليمها وأقطارها تحت لوائه، ودانت به الأمم على اختلاف عناصرها ولغاتها.

ولم يمض إلا زمن قليل، حتى أصبح ذلك الرجل الذي خرج من مكة مستخفياً وأصحابه يعذّبون ويستذلون ويفتنون عن دينهم، يعتصمون تارة بالخروج إلى الحبشة مستخفين، وأُخرى بالخروج إلى المدينة متسللين، يدخل مكة بأصحابه هؤلاء في عمرة القضاء، ظاهراً لا يستطيعون دفعه ولا منعه، ولم تمض إلاّ مدة قليلة حتى دخل مكة فاتحاً لها، وسيطر على أهلها من دون أن تراق محجمة دم، بل ولا قطرة دم، فدخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً، وتوافدت عليه رؤساء العرب ملقيةً إليه عنان طاعتها، وكان من قبل هذا الفتح بلغ من القوة أن بعث برسله وسفرائه إلى ملوك الأرض، مثل كسرى وقيصر ومن دونهما، ودعاهم إلى الإسلام، وغزى بلاد قيصر مع بُعد الشقة، وظهر دينه على الدين كله كما وعده ربه، حسبما صرّح تعالى بذلك في سورة النصر والفتح وغيرهما، وكما تخبرنا بذلك كتب التاريخ.

ولم يقم هذا الدين بالسيف والقهر كما يصوّره من يريد الوقيعة فيه، بل كما أمر الله تعالى: ﴿أدْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

ولم يحارب أهل مكة وسائر العرب حتى حاربوه وأرادوا قتله وأخرجوه، وأقر أهل الأديان التي نزلت بها الكتب السماوية على أديانهم، ولم يجبرهم على الدخول في الإسلام.

المطلب الرابع: القرآن الكريم

وأنزل الله تعالى على نبيّه حين بعثه بالنبوّة قرآناً عربيّاً مبيّناً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد أعجز النبي ﷺ به البلغاء، وأخرس الفصحاء، وتحدّاهم فيه، فلم يستطيعوا معارضته وهم أفصح العرب،بل واليهم تنتهي الفصاحة والبلاغة.

---

(١)النحل: ١٢٥ .

وقد حوى هذا الكتاب العزيز المنزل من لدن حكيم عليم من أحكام الدين، وأخبار الماضين، وتهذيب الأخلاق، والأمر بالعدل، والنهي عن الظلم، وتبيان كل شيء، ما جعله يختلف عن كل الكتب، حتّى المنزّلة منها، وهو ما يزال يتلى على كر الدهور ومر الأيام وهو غض طري، يحيّر ببيانه العقول، ولا تملّه الطباع مهما تكررت تلاوته وتقادم عهده.

وقد كان القرآن الكريم معجزة في ما أبدع من ثورة علمية وثقافية في ظلمات الجاهلية الجهلاء، وقد أرسى قواعد نهضته على منهج علمي قويم، فحثّ على العلم، وجعله العامل الأوّل لتسامي الإنسان نحو الكمال اللائق به، وحثّ على التفكير والتعقّل والتجربة والبحث عن ظواهر الطبيعة والتعمق فيها لاكتشاف قوانينها وسننها، وأوجب تعلّم كل علم تتوقف عليه الحياة الإجتماعية للإنسان، واهتم بالعلوم النظرية من كلام وفلسفة وتاريخ وفقه وأخلاق، ونهى عن التقليد واتباع الظن وأرسى قواعد التمسك بالبرهان.

وحثّ القرآن على السعي والجد والتسابق في الخيرات، ونهى عن البطالة والكسل، ودعا إلى الوحدة ونبذ الفرقة، وشجب العنصرية والتعصبات القبلية الجاهلية.

وأقرّ الإسلام العدل كأساس في الخلق والتكوين والتشريع والمسؤولية وفي الجزاء والمكافأة، وهو أوّل من نادى بحق المساواة بين أبناء الإنسان أمام قانون الله وشريعته، وأدان الطبقية والتمييز العنصري، وجعل ملاك التفاضل عند الله أمراً معنويّاً هو التقوى والاستباق إلى الخيرات، من دون أن يجعل هذا التفاضل سبباً للتمايز الطبقي بين أبناء المجتمع البشري.

وبالغ الإسلام في حفظ الأمن والمحافظة على الأموال والدماء والأعراض، وفرض العقوبات الشديدة على سلب الأمن، بعد أن شيّد الأرضية اللازمة لاستقرار الأمن والعدل، وجعل العقوبة آخر دواء لعلاج هذه الأمراض الإجتماعية بنحو ينسجم مع الحرية التي شرّعها للإنسان.

ومن هنا، كان القضاء في الشريعة الإسلامية مرتكزاً على إقرار العدل والأمن وإحقاق الحقوق المشروعة مع كل الضمانات اللازمة لذلك.

واعتنى الإسلام بحفظ الصحة والسلامة البدنية والنفسية غاية الاعتناء، وجعل تشريعاته كلها منسجمة مع هذا الأصل المهم في الحياة.

المطلب الخامس: الواجبات والمحرمات في الشريعة الإسلامية

ترتكز الواجبات والمحرّمات في الشريعة الإسلامية على أُسس فطرية واقعية، واُمور تستلزمها طبيعة الأهداف السامية للشريعة التي جاءت لإخراج هذا الإنسان من ظلمات الجاهلية وهدايته إلى نور الحق والكمال، ولا تحتاج الإنسانية إلى شيء يرتكز عليه الكمال البشري إلاّ وأوجبته الشريعة الإسلامية على الإنسان وهيّأت له سبل الوصول إليه، وحرّمت كل شيء يعيق الإنسان عن السعادة الحقيقية المنشودة له، وسدّت كل منافذ السقوط إلى هوّة الشقاء.

وأباحت الطيبات ولذائذ الحياة الدنيا وزينتها ممّا لا يخلّ باُصول الشريعة ومدارج الكمال البشري، وحدّدت قنواتها حين حدّدت الأهداف السامية، وحرّمت ما يضرّ وأوجبت ما ينبغي للإنسان امتثاله.

ومع ذلك كله، فقد اعتبرت الشريعة مكارم الأخلاق أهدافاً أساسيّة ينبغي للإنسان الذكي اللبيب أن يحصل عليها في هذه الحياة الدنيا، ليسعد بها في الدنيا ويحيا بها في الآخرة ذات الحياة الأبدية الدائمة.

واعتنى الإسلام بالمرأة اعتناءً بالغاً، وجعلها ركن العائلة، وأساس السعادة في الحياة الزوجية، وشرّع لها من الحقوق والواجبات ما يضمن لها عزّتها وكرامتها وتحقيق سعادتها وسعادة أبنائها ومجتمعها الإنساني.

وصفوة القول: إنّ الإسلام لم يغفل عن تشريع كل ما يحتاجه المجتمع البشري في تكامله وارتقائه.

خلاصة البحث

بعث الله تعالى نبيّه محمّداً ﷺ على حين فترة من الرسل، خاتماً للنبيين وناسخاً لشرائع من كان قبله من المرسلين إلى الناس كافة، متمماً لمكارم الأخلاق، حاثاً على محاسن الصفات، آمراً بكل حسن، ناهياً عن كل قبيح.

واكتفى ﷺ من الناس بأن يقولوا: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، وأن يلتزموا بأحكام الإسلام. فدخل الناس فيه أفواجاً، وساد أهله على أعظم ممالك الأرض. بدون القيام بالسيف والقهر كما يصوّره من يريد الوقيعة فيه، بل بالحكمة والموعظة الحسنة.

وأنزل الله تعالى على نبيّه حين بعثه بالنبوّة قرآناً عربيّاً مبيّناً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كان معجزة في ما أبدع من ثورة علمية وثقافية في ظلمات الجاهلية الجهلاء، وقد أرسى قواعد نهضته على منهج علمي قويم.

وبالغ الإسلام في حفظ الأمن، والمحافظة على الأموال والدماء والأعراض، وأقرّ العدل كأساس في الخلق والتكوين والتشريع والمسؤولية، وفي الجزاء والمكافاة.

ترتكز الواجبات والمحرّمات في الشريعة الإسلامية على اُسس فطرية واقعية واُمور تستلزمها طبيعة الأهداف السامية للشريعة.

إختبارات البحث

١. أقرّ الإسلام العدل كأساس في الخلق والتكوين والتشريع والمسؤولية، وفي الجزاء والمكافأة. ما المقصود بذلك؟

٢. كيف ترتكز الواجبات والمحرّمات في الإسلام على اُسس فطرية واقعية؟

٣. بين عناية الإسلام بالمرأة اعتناءً بالغاً.

٤. لم يغفل الإسلام عن تشريع كل ما يحتاجه المجتمع البشري في تكامله وارتقائه. كيف تثبت ذلك؟

٥. ما معنى سعة الشريعة الإسلامية وشمولها؟

البحث رقم (٢٧)

من تراث خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله (١)

أهداف البحث

١. بيان على ما أسفرت عنه نبوته صلى الله عليه وآله.

٢. التعريف ببعض ما وصلنا من تراث سيد المرسلين صلى الله عليه وآله.

٣. إدراك منزلة كل من القرآن والسنة والفرق بينهما.

٤. فهم واستيعاب ما جرى على السنة الشريفة بعد عصر النبي صلى الله عليه وآله.

٥. تثمين موقف أهل البيت عليهم السلام من المنع من تدوين الحديث.

مقدمة البحث

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ (١).

لقد تجلت لنا ــ من خلال دراسة التاريخ الاسلامي ــ الثمار العظيمة لهذه البعثة الإلهية لخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله، حيث أسفرت نبوته عن أمور كثيرة لا بد من التعرض لها والإطلاع عليها للإستفادة منها الإستفادة المناسبة.

ولعظم الدور الذي تؤديه السنة الشريفة، فإننا سوف نعرج مرة أخرى على ما جرى عليها في هذا البحث، على الرغم من إطلالتنا السريعة في ما سبق على هذا الموضوع.

المطلب الأول: ما أسفرت عنه نبوة نبينا صلى الله عليه وآله

أسفرت نبوة نبينا صلى الله عليه وآله عن أمور كثيرة، منها:

١ــ رسالة إلهية شاملة قام بتبليغها إلى البشرية عامّة.

٢ــ اُمّة مسلمة تحمل مشعل الرسالة وعبير النبوة إلى سائر الاُمم.

---

(١)الجمعة: ٢ .

٣ـ دولة اسلامية ذات كيان سياسي مستقل ونظام إلهي فريد.

٤ـ قيادة معصومة تخلف الرسول القائد وتمثّله خير تمثيل.

واذا قصرنا النظر على التراث المسموع أو المكتوب والمدوّن، وكان تعريفنا لتراث الرسول الخاتم ﷺ بأنه: كل ما قدّمه إلى البشرية والأُمة الاسلامية من عطاء مقروء أو مسموع، فينبغي لنا أن نصنّف ما قدّمه إليهم إلى صنفين:

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ السنّة الشريفة.

ويشترك العطاءان بأنهما من فيض السماء على الانسان بتوسط هذا الرسول الكريم. فهما وحي الله على قلب محمد ﷺ الذي لم ينطق عن الهوى.

ويتميّز القرآن الحكيم أولاً بأن شكله ومحتواه (نصّه ومضمونه) معاً من الله تعالى، فالصياغة إلهية معجزة كما أنّ مضمونه كذلك. على أن جمعه وتدوينه ـ كما هو الصحيح والثابت تاريخياً ـ قد تمّ في عصر الرسول نفسه وقد تواتر إلينا نصّه بشكل كامل غير محرّف.

المطلب الثاني: الوثائق التاريخية على تدوين القرآن في عصره ﷺ

والوثائق التاريخية الدالّة على تدوين النص القرآني في عصر الرسول ﷺ غير قليلة، نكتفي بنص قرآني وآخر غير قرآني على ذلك.

فالأول: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾. [1]

والثاني: ما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث قال: «... ما نزلت على رسول الله ﷺ آية من القرآن إلاّ أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطّي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصّها

---

(١)الفرقان: ٥ .

وعامّها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت من كتاب الله ولا علماً أملاه عليّ وكتبته منذ دعا لي بما دعا»[١].

والمسلمون جميعاً متفقون على أن النبي ﷺ بلّغ القرآن كاملاً، وأن القرآن المتداول اليوم بين المسلمين هو الذي كان متداولاً في عهد النبي ﷺ لم يُزَد فيه شيء ولم ينقص منه شيء.

وأمّا السنة الشريفة والحديث النبوي، فهو بشريّ الصياغة إلهيّ المضمون، ويتميّز بالفصاحة الكاملة وتتجلى فيه عظمة الرسول وكماله وعصمته والتسديد الإلهي له.

ومن هنا، كان القرآن الكريم هو المصدر الأوّل للتشريع، والينبوع الاساسي للمعرفة التي تحتاجها البشرية على مدى الحياة. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾[٢].

واعتبر القرآن الكريم السُنّة الشريفة ثاني مصدر للتشريع الربّاني، حيث اعتبرت سنّة النبي الكريم مصدراً تشريعياً تالياً للقرآن؛ باعتبار النبي ﷺ مفسّراً للذكر الحكيم، وأُسوة حسنة يُقتدى بها، وعلى الناس أن يأخذوا بأوامره وينتهوا عن نواهيه[٣].

المطلب الثالث: ما لقيته السنة النبوية بعد عصر الرسول ﷺ

ولكن السنّة النبوية ـ وللأسف ـ لقيت بعد عصر الرسول ﷺ ـ وبالذات عصر الخلفاء الأوائل ـ وضعاً سيئاً؛ حيث أقدم أبو بكر وعمر على منع تدوين حديث

---

(١) الكافي ١: ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) البقرة: من الآية ١٢٠ .

(٣) النحل: ٤٤ . والأحزاب: ٢١. والحشر: ٧ .

الرسول ﷺ، وقاما بحرق ما دوّنه بعض الصحابة بحجة أن ذلك النهي جاء منهما ـ ومن عمر بالذات ـ حرصاً منهما على القرآن الكريم؛ لأن تدوين السنّة والاهتمام بها يؤدي بالتدريج إلى الغفلة عن القرآن، أو إلى ضياع القرآن من حيث التباسه بالحديث.

ولكن أهل البيت وأتباعهم وكثير من المسلمين قد تعاملوا مع سنّة الرسول ﷺ التعامل اللائق بها من الاحترام والتقديس، مستلهمين ذلك من القرآن الكريم، ومن هنا، أخذوا يتداولونها حفظاً وتحديثاً وتدويناً وتطبيقاً بالرغم من الحظر الرسمي للتدوين. الذي كان لسبب آخر ـ كما يبدوـ غير ما ذكر من الأسباب. حيث خالف العلماء والخلفاء في ما بعد ذلك الحظر وراحوا يحثّون على التدوين.

المطلب الرابع: أول من بادر إلى تدوين السنة الشريفة

وأول من بادر إلى تدوين السنة الشريفة واعتنى بها أشدّ الاعتناء هو ربيب الرسول ﷺ ووصيّه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. قال: «وقد كنت أدخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) كل يوم دخلة، وكل ليلة دخلة، فيخليني فيها، أدور معه حيثما دار.

وقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري... وكنت إذا سألته أجابني، واذا سكتّ وفنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت على رسول الله ﷺ آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليّ، فكتبتها بخطّي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها...، وما ترك شيئاً علّمه الله من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي كان أو يكون منزلاً على أحد قبله، من طاعة أو معصية إلا علّمنيه، وحفظته فلم أنس حرفاً واحداً...»[1].

وتمثّلت مدوّنات الامام عليّ عليه السلام مما أملاه عليه الرسول ﷺ في ما يسمّى

---

(١)بصائر الدرجات: ١٩٨. الكافي ١: ٦٢ ـ ٦٣ .

بكتاب علي وما يسمّى بالجامعة أو الصحيفة.

قال أبو العباس النجاشي المتوفى سنة (٤٥٠ هـ): أخبرنا محمد بن جعفر (النحوي التميمي، وهو شيخه في الإجازة)، مسنداً إلى عذافر الصيرفي، قال: كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر عليه السلام، فجعل يسأله، وكان أبو جعفر عليه السلام له مكرّماً، فاختلفا في شيء، فقال أبو جعفر عليه السلام: يا بني، قم فأخرج كتاب علي عليه السلام، فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً، ففتحه، وجعل ينظر، حتى أخرج المسألة، فقال أبو جعفر عليه السلام: هذا خط علي عليه السلام وإملاء رسول الله ﷺ، وأقبل على الحكم، وقال: يا أبا محمد، إذهب أنت وسلمة وأبو المقدام حيث شئتم يميناً وشمالاً، فوالله، لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرائيل عليه السلام[1].

وعن إبراهيم بن هاشم مسنداً إلى أبي جعفر عليه السلام: في كتاب علي كل شيء يحتاج إليه، حتى أرش الخدش[2].

المطلب الخامس: صحيفة عليّ عليه السلام

وأما صحيفة عليّ عليه السلام أو الجامعة، فهي مدوّنة أُخرى لعلي عليه السلام على جلد طوله سبعون ذراعاً، فعن أبي بصير عليه السلام: أنه قال له الإمام الصادق عليه السلام في ما قال له: «وإن عندنا الجامعة، صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ﷺ وإملائه، من فلق فيه، وخط علي عليه السلام يمينه، فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج إليه الناس، حتى الارش في الخدش»[3].

هذا هو موقف أهل البيت عليهم السلام من السنّة الشريفة.

المطلب السادس: الموقف الحكومي الرسمي من السنة

وأما الموقف الحكومي الرسمي في خلافة الشيخين، فقد ترك آثاراً سلبية

---

(١)تاريخ التشريع الاسلامي: ٣١.

(٢)تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٢.

(٣)المصدر السابق.

كبيرة؛ حيث استمرّ هذا الحظر إلى ما لا يقلّ عن قرن واحد، وأدّى إلى ضياع كثير منها، وفتح الباب أمام تسرّب الإسرائيليات إلى مصادر الثقافة عند المسلمين، كما وأنتج انفتاح باب الرأي والإستحسان على مصراعيه، حتى غدا الرأي الشخصي مصدراً من مصادر التشريع، بل قد قدّمه البعض حتى على نصوص السنّة النبوية الشريفة؛ إذ لم يصمد كثير من النصوص أمام النقد العلمي. وهذا قد أدّى بدوره إلى شحّة النصوص النبوية الصحيحة عند أهل السنّة، وعدم وفائها بما تحتاجه الأُمة في عصورها المقبلة.

المطلب السابع: وقوف أهل البيت عليهم السلام أمام هذا التيّار

ولكن أهل البيت عليهم السلام قد وقفوا أمام هذا التيّار الجارف بكل حزم، واستطاعوا أن يحفظوا السنّة الشريفة من الضياع عند المؤمنين من خلال توجيهاتهم، وحسب ما تقتضيه إمامتهم وخلافتهم الشرعية، فإنّ أُولى مهامّ الإمام والخليفة المنصوص هو حفظ الشريعة ونصوصها من الضياع.

ومن هنا، لزم على الباحث عن السنّة النبوية الرجوع إلى مصادر السنّة عند أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، فإنهم أدرى بما في البيت.

المطلب الثامن: ما تغطيه السنة الشريفة

والسنة الشريفة عند أهل البيت عليهم السلام تغطّي جميع أبواب العقيدة والفقه والأخلاق والتربية، وكل ما تحتاجه البشرية في كل مجالات الحياة.

وبعبارة مختصرة: تغطي عناصر الشريعة الإسلامية الثلاثة: العقائد، والأخلاق، والأحكام الفرعية الفقهية.

وقد صرّح الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حفيد الرسول الأعظم بهذه الحقيقة فقال: «ما من شيء إلاّ وفيه كتاب أو سُنّةٌ»[1].

---

(١) الكافي ١: ٤٨.

خلاصة البحث

أسفرت نبوة نبينا ﷺ عن أمور كثيرة، منها:

١ـ رسالة إلهية شاملة قام بتبليغها إلى البشرية عامّة.

٢ـ اُمّة مسلمة تحمل مشعل الرسالة وعبير النبوة إلى سائر الاُمم.

٣ـ ودولة اسلامية ذات كيان سياسي مستقل ونظام إلهي فريد.

٤ـ وقيادة معصومة تخلف الرسول القائد وتمثّله خير تمثيل.

تشير الوثائق التاريخية إلى تدوين النص القرآني في عصر الرسول ﷺ.

لقيت السنّة النبوية بعد عصر الرسول ﷺ وضعاً سيئاً، إلا أن أهل البيت وأتباعهم أخذوا يتداولونها حفظاً وتحديثاً وتدويناً وتطبيقاً بالرغم من الحظر الرسمي للتدوين. بدءا بربيب الرسول ﷺ ووصيّه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأما الموقف الحكومي الرسمي في خلافة الشيخين، فقد ترك آثاراً سلبية كبيرة، بملاحظة أن السنة الشريفة تغطّي كل ما تحتاجه البشرية في كل مجالات الحياة.

إختبارات البحث

١. بين بعض ما أسفرت عنه نبوته ﷺ.

٢. تكلم عن منزلة كل من القرآن والسنة.

٣. بأي اعتبار تكون السنة المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم؟

٤. ما الذي جرى على السنة الشريفة بعد عصر النبي ﷺ؟

٥. متى جمع القرآن لأول مرة؟ وعلى يد من؟

البحث رقم (٢٨)

من تراث خاتم المرسلين ﷺ (٢)

أهداف البحث

١. بيان بعض نماذج تراث خاتم المرسلين ﷺ.

٢. إدراك قيمة العقل والعلم في الإسلام من خلال بعض ما أثر عنه ﷺ، وبعض الآيات القرآنية المباركة.

٣. التعريف بالقرآن والسنة كمصدرين من مصادر التشريع الإسلامي.

٤. إدراك الدور المهم الذي يلعبه كل من القرآن والسنة كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي.

مقدمة البحث

تعرضنا في البحث السابق إلى تراث خاتم المرسلين ﷺ، فتكلمنا عما أسفرت نبوته ﷺ عنه، كما اطلعنا بصورة سريعة على جملة من المطالب في هذا المجال، من قبيل: منزلة كل من القرآن والسنة والفرق بينهما، وما جرى على السنة الشريفة بعد عصر النبي ﷺ، وموقف أهل البيت عليهم السلام من ذلك.

وأما في هذا البحث، فإننا سنتعرض إلى نماذج حية من تراث خاتم المرسلين ﷺ، وذلك في مجال العقل والعلم، ومجال مصادر التشريع.

المطلب الأول: العقل والعلم

إهتم الرسول ﷺ بالعقل أشدّ الاهتمام، فعرّفه، وبيّن وظيفته ودوره في الحياة، على مستوى التكليف والمسؤولية، وعلى مستوى العمل والجزاء، كما بيّن عوامل رشده وتكامله، فقال:

«إن العقل عقالٌ من الجهل، والنفس مثل أخبث الدوّاب، فإن لم يعقل حارت، فالعقل عقالٌ من الجهل، وإن الله خلق العقل، فقال له: أقبل فأقبل، وقال له: أدبر فأدبر، فقال له الله تبارك وتعالى: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعظم منك ولا

أطوع منك، بك اُبدي واُعيد، لك الثواب وعليك العقاب.

فتشعّب من العقل الحلم، ومن الحلم العلم، ومن العلم الرشد، ومن الرشد العفاف، ومن العفاف الصيّانة، ومن الصيّانة الحياء، ومن الحياء الرزانة، ومن الرزانة المداومة على الخير، وكراهية الشر، ومن كراهية الشرّ طاعة الناصح. فهذه عشرة أصناف من أنواع الخير، ولكل واحد من هذه العشرة الأصناف عشرة أنواع...»[1].

واهتم الرسول الرائد ﷺ بالعلم والمعرفة، مبيّناً دور العلم في الحياة وقيمته اذا ما قيس إلى سائر أنواع الكمال، فقال:

«طلب العلم فريضة على كل مسلم، فاطلبوا العلم من مظانِّه، واقتبسوه من أهله، فإنّ تعليمه لله حسنة، وطلبه عبادة، والمذاكرة به تسبيح، والعمل به جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة إلى الله تعالى؛ لأنّه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل الجنّة، والمؤنس في الوحشة، والصاحب في الغربة والوحدة، والمحدِّث في الخلوة، والدليل على السرّاء والضرّاء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاّء. يرفع الله به أقواماً، فيجعلهم في الخير قادة، تُقتبس آثارهم، ويُهتدى بفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، وترغب الملائكة في خلّتهم. بأجنحتها تمسحهم، وفي صلاتها تبارك عليهم. يستغفر لهم كل رطب ويابس، حتى حيتان البحر وهوامّه، وسباع البر وأنعامه. إن العلم حياة القلوب من الجهل، وضياء الأبصار من الظُّلمة، وقوة الأبدان من الضعف. يبلغ بالعبد منازل الأخيار، ومجالس الأبرار، والدرجات العُلى في الدنيا والآخرة. الذكر فيه يُعدَل بالصيام، ومدارسته بالقيام ... .

وصفة العاقل أن يحلم عمّن جهل عليه، ويتجاوز عمّن ظلمه، ويتواضع لمن هو دونه، ويسابق من فوقه في طلب البر. وإذا أراد أن يتكلم تدبّر، فإن كان خيراً تكلم فغنم، وإن كان شرّاً سكت فسلم، وإذا عرضت له فتنة استعصم بالله، وأمسك

---

(١)راجع تمام الحديث في تحف العقول، باب مواعظ النبي وحكمه. راجع أيضا: كلمة الرسول الأعظم: ٩١.

يده ولسانه، وإذا رأى فضيلة انتهز بها. لايفارقه الحياء، ولا يبدو منه الحرص، فتلك عشر خصال يُعرف بها العاقل.

وصفة الجاهل أن يظلم من خالطه، ويتعدّى على من هو دونه، ويتطاول على من هو فوقه. كلامه بغير تدبّر، إن تكلّم، أثم، وإن سكت، سها، وإن عرضت له فتنة، سارع إليها، فأردته، وإن رأى فضيلة، أعرض عنها، وأبطأ عنها. لا يخاف ذنوبه القديمة، ولا يرتدع في ما بقي من عمره من الذنوب. يتوانى عن البرّ، ويبطئ عنه، غير مكترث لما فاته من ذلك أو ضيّعه، فتلك عشر خصال من صفة الجاهل الذي حُرِم العقل»[1].

المطلب الثاني: مصادر التشريع

لقد رسم خاتم الرسل صلى الله عليه وآله للناس جميعاً طريق السعادة الحقيقية، وضمن لهم الوصول إليها فيما إذا التزموا بالتعليمات التي بيّنها لهم. ويتلخّص طريق السعادة عند الرسول صلى الله عليه وآله بالتمسك بأصلين أساسيين لا غنى بأحدهما عن الآخر، وهما: الثقلان، حيث قال:

«أيّها النّاس، إنّي فرطكم، وأنتم واردون عليّ الحوض، ألا وإنّي سائلكم عن الثقلين، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما؟ فإن اللّطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتى يلقياني، وسألت ربي ذلك، فأعطانيه، ألا وإنّي قد تركتهما فيكم: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، لا تسبقوهم، فتفرّقوا، ولا تقصروا عنهم، فتهلكوا، ولا تعلّموهم، فإنهم أعلم منكم...، ألا وإن علي بن أبي طالب أخي، ووصيّي، يقاتل بعدي على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله»[2]

أولا: القرآن الكريم ودوره المتميّز

وأفصح النبي صلى الله عليه وآله ببليغ بيانه عن عظمة القرآن الكريم، مبيّناً دوره في الحياة،

---

(١)بحار الأنوار ١: ١٧١. تحف العقول : ٢٨.

(٢)أعيان الشيعة ٢: ٢٢٦. تاريخ اليعقوبي ٢: ١٠١ ـ ١٠٢ .

وقيمة التمسك التامّ به، حيث خاطب عامّة البشرية قائلاً:

«أيّها الناس، إنكم في دار هدنة، وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، فقد رأيتم الليل والنهار، والشمس والقمر، يبليان كل جديد، ويقرِّبان كلّ بعيد، ويأتيان بكل وعد ووعيد، فأعدّوا الجهاز لبعد المجاز. إنّها دار بلاء وابتلاء، وانقطاع وفناء، فإذا التبست عليكم الأُمور كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفّع، وماحل مصدّق. من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النّار، ومن جعله الدليل يدلّه على السبيل. وهو كتاب فيه تفصيل، وبيان وتحصيل. هو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم الله، وباطنه علم الله تعالى، فظاهره أنيق، وباطنه عميق، له تخوم، وعلى تخومه تخوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، مصابيح الهدى، ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليُجلْ جال بصره، وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، ويتخلّص من نشب؛ فإن التفكّر حياة قلب البصر، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنّور، فعليكم بحسن التخلّص، وقلة التربص»[1].

ثانيا: أهل البيت عليهم السلام أركان الدين

وعرّف الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله الثقل الكبير ـ أي: أهل بيت الرسالة: عليٌ وبنوه الأحد عشر ـ بأنواع التعريف، وكان مما قاله في آخر خطبة خطبها:

«يا معشر المهاجرين والأنصار، ومن حضرني في يومي هذا، وفي ساعتي هذه، من الجنّ والإنس، فليبلغ شاهدكم الغائب: ألا قد خلّفت فيكم كتاب الله. فيه النّور، والهدى، والبيان، ما فرّط الله فيه من شيء، حجة الله لي عليكم. وخلّفت فيكم العلم الأكبر، علم الدين، ونور الهدى، وصيّي: علي بن أبي طالب، ألا وهو حبل الله، فاعتصموا به جميعاً، ولا تفرقوا عنه، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ

---

(١)تفسير العياشي : ١/ ٢ ـ ٣ ، كنز العمّال٢/٢٨٨ : ، الحديث ٤٠٢٧.

أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾».[١]

أيّها الناس، هذا عليّ بن أبي طالب، كنز الله، اليوم وما بعد اليوم، من أحبّه وتولاّه اليوم وما بعد اليوم، فقد أوفى بما عاهد عليه، وأدّى ما وجب عليه، ومن عاداه اليوم وما بعد اليوم، جاء يوم القيامة أعمى وأصمّ، لا حجّة له عند الله.

أيّها الناس، لا تأتوني غداً بالدنيا، تزفّونها زفّاً، ويأتي أهل بيتي شعثاء غبراء، مقهورين مظلومين، تسيل دماؤهم أمامكم، وبيعات الضلالة والشورى للجهالة في رقابكم.ألا وإن هذا الأمر له أصحاب وآيات، قد سمّاهم الله في كتابه، وعرّفتكم، وبلّغتكم ما أرسلت به إليكم، ولكنّي أراكم قوماً تجهلون. لا ترجعنّ بعدي كفّاراً مرتدّين، متأوّلين للكتاب على غير معرفة، وتبتدعون السّنّة بالهوى؛ لأنّ كل سنّة وحديث وكلام خالف القرآن فهو ردّ وباطل.

القرآن إمام هدى، وله قائد يهدي إليه، ويدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة. وهو وليّ الأمر بعدي، ووارث علمي وحكمتي، وسرّي وعلانيتي، وما ورّثه النبيّون من قبلي، وأنا وارث ومورث، فلا يكذبنّكم أنفسكم.

أيّها الناس، الله الله في أهل بيتي؛ فإنّهم أركان الدين، ومصابيح الظلم، ومعدن العلم؛ عليّ أخي، ووارثي، ووزيري، وأميني، والقائم بأمري، والموفي بعهدي على سنّتي. أوّل النّاس بي إيماناً، وآخرهم عهداً عند الموت، وأوسطهم لي لقاءً يوم القيامة، فليبلّغ شاهدكم غائبكم ألا ومن أمّ قوماً إمامة عمياء، وفي الأمة من هو أعلم، فقد كفر.

أيّها النّاس، ومن كانت له قبلي تبعةٌ فيما أنا، ومن كانت له عدة، فليأت فيها عليّ بن أبي طالب، فإنّه ضامن لذلك كلّه، حتى لا يبقى لأحد عليّ تباعة».[٢]

---

(١)آل عمران: ١٠٣ .

(٢)آخر خطبة لرسول الله صلى الله عليه وآله. راجع: بحار الأنوار ٢: ٤٨٤ ـ ٤٨٧.

خلاصة البحث

لقد اهتم الرسول ﷺ بالعقل أشدّ الاهتمام، فعرّفه وبيّن وظيفته ودوره في الحياة: على مستوى التكليف والمسؤولية، وعلى مستوى العمل والجزاء، كما بيّن عوامل رشده وتكامله.

واهتم الرسول الرائد ﷺ أيضا بالعلم والمعرفة، مبيّناً دور العلم في الحياة وقيمته اذا ما قيس إلى سائر أنواع الكمال.

لقد رسم خاتم الرسل ﷺ للناس جميعاً طريق السعادة الحقيقية وضمن لهم الوصول اليها فيما اذا التزموا بالتعليمات التي بيّنها لهم. ويتلخّص طريق السعادة عند الرسول ﷺ بالتمسك بأصلين أساسيين لاغنى بأحدهما عن الآخر وهما الثقلان.

وأفصح النبي ﷺ ببليغ بيانه عن عظمة القرآن الكريم مبيّناً دوره في الحياة وقيمة التمسك التامّ به.

وعرّف الرسول الخاتم ﷺ الثقل الكبير ـ أي: أهل بيت الرسالة: عليٌ وبنوه الأحد عشر ـ بأنواع التعريف.

إختبارات البحث

١. إهتم الرسول ﷺ بالعقل أشدّ الاهتمام، بيّن ذلك.

٢. أذكر بعض ما جاء عنه ﷺ في مجال الاهتمام بالعلم والمعرفة.

٣. بماذا يتلخّص طريق السعادة عند الرسول ﷺ؟

٤. أفصح النبي ﷺ ببليغ بيانه عن عظمة القرآن الكريم، مبيّناً دوره في الحياة، وقيمة التمسك التامّ به، أذكر بعض ما أثر عنه في هذا المجال.

٥. أذكر بعض ما جاء عنه ﷺ في أهل بيته.

البحث رقم (٢٩)
من تراث خاتم المرسلين ﷺ (٣)

أهداف البحث

١. بيان عقيدة أن الخالق لا يوصف.
٢. التعريف بشروط التوحيد ورحمة الله.
٣. بيان عقيدة لا جبر ولا تفويض في ما جاء في كلماته ﷺ.
٤. توضيح ما جاء في كلماته ﷺ في مجال تعيين علي عليه السلام خليفة بعده.
٥. بيان أصول التشريع الإسلامي في تراث الرسول الأعظم ﷺ.

مقدمة البحث

بعد أن تعرضنا في البحوث السابقة إلى تراث الرسول الأعظم ﷺ وبعضا من نماذج ذلك التراث، لا بد ـ لكي يكتمل تاريخ هذا النبي العظيم ـ من إلقاء نظرة ولو سريعة إلى أصول العقيدة التي جاء بها ﷺ، فالعقيدة الإسلامية هي العقيدة الأكمل في جملة العقائد التي مرت على البشرية، فهي عقيدة إلهية خاتمة، من أخذ بها نجى، ومن لم يأخذ هوى، كما لا بد من التعامل معها بدقة متناهية فلا نقع في الإفراط والتكفير أو التفريط وأمركة الإسلام والشريعة الإسلامية.

المطلب الأول: الخالق لا يوصف

الخالق لا يوصف إلاّ بما وصف به نفسه، وكيف يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به؟! جلّ عمّا يصفه الواصفون، ناء في قربه، وقريب في نأيه، كيّف الكيفيَّة فلا يقال له كيف؟ وأيَّن الأين فلا يقال له أين؟ هو منقطع الكيفوفيَّة والأينونيَّة، فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً

أحد[(١)].

المطلب الثاني: شروط التوحيد

«إذا قال العبد: «لا إله إلاّ الله»، فينبغي أن يكون معه تصديق وتعظيم، وحلاوة وحرمة، فإذا قال: «لا إله إلاّ الله» ولم يكن معه تعظيم، فهو مبتدع. وإذا لم يكن معه حلاوة فهو مراء. وإذا لم يكن معه حرمة فهو فاسق»[(٢)].

المطلب الثالث: رحمة الله

«إن رجلين كانا في بني إسرائيل، أحدهما مجتهد في العبادة والآخر مذنب، فجعل يقول المجتهد: أقصر عمّا أنت فيه، فيقول: خلّني وربي، حتى وجده يوماً على ذنب استعظمه، فقال: أقصر، قال: خلّني وربي، أبُعثت عليّ رقيباً؟ فقال: والله، لا يغفر الله لك، ولا يدخلك الجنة. فبعث الله إليهما ملكاً، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: اُدخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي؟ فقال: لا يا رب، قال: إذهبوا به إلى النّار»[(٣)].

المطلب الرابع: لا جبر ولا تفويض

«إن الله لا يطاع جبراً، ولا يعصى مغلوباً، ولم يهمل العباد من المملكة، ولكنه القادر على ما أقدرهم عليه، والمالك لما ملّكهم إياه؛ فإن العباد إن ائتمروا بطاعة الله، لم يكن منها مانع، ولا عنها صاد، وإن عملوا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبينها، فعل، وليس من شاء أن يحول بينك وبين شيء ولم يفعله فأتاه الذي فعله، كان هو الذي أدخله فيه».

المطلب الخامس: الخاتمية

«فُضِّلت على الأنبياء بستّ: اُعطيت جوامع الكلم، ونُصرت بالرعب من مسيرة

---

(١)بحار الانوار : ٢ / ٩٤ .

(٢)كلمة الرسول الأعظم : ٣٠ .

(٣)كلمة الرسول الأعظم : ٣١ .

شهر، وأُحلّت لي الغنائم. وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً. وأُرسلت إلى الخلق كافّة. وخُتم بي النبيّون»[١]

المطلب السادس: إصطفاؤه سبحانه وتعالى له صلى الله عليه وآله

«إن الله اصطفى من وُلد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً. واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءُوف رحيم﴾»[٢].

المطلب السابع: الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله

«يا عمّار، إنّه سيكون بعدي هنات، حتى يختلف السيف في ما بينهم، وحتى يقتل بعضهم بعضاً، وحتى يبرأ بعضهم من بعض، فإذا رأيت ذلك، فعليك بهذا الأصلع عن يميني: عليّ بن أبي طالب، فإن سلك الناس كلّهم وادياً، وسلك عليٌّ وادياً، فاسلك وادي عليّ، وخلّ عن الناس.

يا عمّار، إن عليّاً لا يردّك عن هدى، ولا يدلّك على ردى.

يا عمّار، طاعة عليّ طاعتي، وطاعتي طاعة الله»[٣].

«من ظلم عليّاً مقعدي هذا بعد وفاتي، فكأنّما جحد نبوّتي، ونبوّة الأنبياء قبلي»[٤].

المطلب الثامن: فضل عليّ عليه السلام

هناك الكثير مما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في فضائل علي عليه السلام، وقد مر كثير منها في هذا البحث والبحوث المتقدمة، وإليك أحد الأحاديث في ذلك: «لولا أ نّني

---

(١)المصدر السابق ١٦: ٣٢٤ .

(٢)كلمة الرسول الأعظم : ٣٥ . راجع: بحار الأنوار ٦: ٣٢٣.

(٣)مجمع البيان ٣: ٥٣٤ .

(٤)المصدر السابق،عن كتاب شواهد التنزيل للحاكم أبي القاسم الحسكاني .

أشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرُّ بملأ منهم إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك»[١].

المطلب التاسع: الأئمة بعد رسول الله ﷺ

«الأئمة بعدي من عترتي بعدد نقباء بني إسرائيل، وحواريي عيسى، من أحبهم فهو مؤمن، ومن أبغضهم فهو منافق، هم حجج الله في خلقه، وأعلامه في بريّته».[٢]

المطلب العاشر: أئمة الحق

«يا علي، أنت الإمام والخليفة بعدي، وأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضيت، فابنك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن، فالحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسين، فابنه عليّ بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليّ، فابنه محمّد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمّد، فابنه جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى جعفر، فابنه موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى موسى، فابنه عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى علي، فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمد، فابنه عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى عليّ، فابنه الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن، فالقائم المهدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يفتح الله به مشارق الأرض ومغاربها، فهم أئمة الحق، وألسنة الصدق، منصورٌ من نصرهم، مخذول من خذلهم»[٣].

---

(١)الإرشاد ١: ١٦٥. قاله لأمير المؤمنين بعد ما فتح الله على يديه في غزوة ذات السلاسل.

(٢)كفاية الأثر: ١٦٦.

(٣)كفاية الأثر : ١٩٥ ـ ١٩٦، عن الحسين بن علي، عن ...، عن سهل بن سعد الأنصاري قال: سئلت فاطمة بنت رسول الله ﷺ عن الأئمة، فقالت: كان رسول الله ﷺ يقول لعلي: ... وروى نصّين آخرين عن جابر الأنصاري. فراجع.

المطلب الحادي عشر: النبيّ ﷺ يبشّر بالمهديّ عليه السلام

روى أحمد عن النبي ﷺ، أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً، ثمّ يخرج من عترتي من يملأها قسطاً وعدلا... »[١].

وجاء عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه، قال: دفع النبي ﷺ الراية يوم خيبر إلى علي، ففتح الله على يده، ثم في غدير خم أعلم الناس أنه مولى كل مؤمن ومؤمنة. وساق الحديث، وذكر شيئاً من فضائل علي وفاطمة والحسن والحسين، إلى أن قال: «أخبرني جبرئيل أنهم يُظلمون بعدي، وأنّ ذلك الظلم يبقى حتى إذا قام قائمهم وعلت كلمتهم واجتمعت الأُمة على محبتهم، وكان الشانئ لهم قليلاً، والكاره لهم ذليلاً، وكثر المادح لهم، وذلك حين تغيّر البلاد، وضعف العباد، واليأس من الفرج، فعند ذلك يظهر القائم المهدي من ولدي بقوم يظهر الله الحق بهم، ويخمد الباطل بأسيافهم ـ إلى أن قال ـ: «معاشر الناس، أبشروا بالفرج، فإن وعد الله حق لا يخلف، وقضاءه لا يرد، وهو الحكيم الخبير، وإن فتح الله قريب»[٢].

المطلب الثاني عشر: أصول التشريع الإسلامي في تراثه ﷺ

ورد الكثير من أصول التشريع الإسلامي في تراث الرسول الأعظم ﷺ، نتعرض لأهمها ضمن العناوين التالية:

أ . خصائص الاسلام

للإسلام خصائص عديدة، نذكر منها:

١ ـ علو الإسلام وعدم علو غيره عليه.

٢ ـ جب الإسلام ما قبله.

٣ ـ سعة الناس في ما لم يعلموا.

---

(١)راجع: مسند أحمد ٣: ٤٢٥ ، الحديث ١٠٩٢٠ .

(٢)ينابيع المودّة : ٤٤٠. راجع أيضا: المصدر السابق : ٤٣٠، عن أبي داود في صحيحه ٤: ٨٧.

٤ ـ رفع الخطأ والنسيان وما استكره عليه.

ب . العلم ومسؤولية العلماء

وأما في مجال العلم ومسؤولية العلماء في تراثه ﷺ، فمنه ما يلي:

١ ـ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّة.

٢ ـ من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار.

٣ ـ من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار.

٤ ـ من أفتى بما لا يعلم لعنته ملائكة السماء والأرض.

ج . قواعد عامة للسلوك الاسلامي

ومن جملة القواعد العامة للسلوك الاسلامي، ورد عنه ﷺ الكثير، منه:

١ ـ لا رهبانية في الإسلام.

٢ ـ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٣ ـ لا دين لمن لا تقيّة له.

٤ ـ إنّما الأعمال بالنّيات.

د . خطوط عامة في القضاء والمحاكمات

وأما في مجال القضاء والمحاكمات، فقد أثر عنه ﷺ الكثير، منه:

١ ـ إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران.

٢ ـ إقرار العقلاء على أنفسهم جائز.

٣ ـ البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر.

٤ ـ لا يمين إلاّ بالله.

هـ . العبادات في خطوطها العريضة

وأما بالنسبة إلى الخطوط العامة للعبادات، فقد جاء عنه ﷺ الكثير، منه:

١ ـ عمود الدين الصلاة.

٢ ـ خذوا عني مناسككم.

٣ ـ صلّوا كما رأيتموني اُصلّي.

٤ ـ زكّوا أموالكم تقبل صلاتكم.

و. من اصول النظام العائلي

وأما النظام العائلي، فقد أولاه الرسول الأكرم اهتماما خاصا؛ لما تشكله الأسرة من لبنة مهمة في بناء المجتمع والشخص، ومن ذلك:

١ ـ النكاح سنّتي، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي.

٢ ـ تناكحوا، تناسلوا، فإني اُباهي بكم الاُمم يوم القيامة.

٣ ـ تزوّجوا ولا تطلّقوا؛ فإنّ الطلاق يهتزّ منه عرش الرحمن.

٤ ـ تخيّروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم.

ز. نقاط مضيئة من النظام الإقتصادي الإسلامي

وأما النظام الإقتصادي، فقد شمل تراثه ﷺ منه الكثير، من ذلك:

١ ـ العبادة سبعة أجزاء أفضلها طلب الحلال.

٢ ـ الفقه ثم المتجر.

٣ ـ ملعون من ألقى كلّه على الناس.

٤ ـ إبدأ بمن تعول.

ح. من أصول التعايش الإجتماعي

يمثل التعايش الإجتماعي ركنا من أركان المجتمع الإنساني المتكامل، ولهذا، فقد أولي الإهتمام الكبير في كلماته ﷺ، وهذه جملة من تلك الكلمات:

١ ـ قتال المؤمن كفر، وأكل لحمه معصية.

٢ ـ حرمة المؤمن ميّتاً كحرمته حيّاً.

٣ ـ المؤمنون إخوة، تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم.

٤ ـ سباب المؤمن فسوق.

خلاصة البحث

العقيدة الإسلامية هي العقيدة الأكمل في جملة العقائد التي مرت على البشرية، فهي عقيدة إلهية خاتمة، من أخذ بها نجى، ومن لم يأخذ هوى، كما لا بد من التعامل معها بدقة متناهية فلا نقع في الإفراط والتكفير أو التفريط وأمركة الإسلام.

ومن جملة الخطوط العامة للعقيدة الإسلامية:

١ـ أن الخالق لا يوصف.

٢ـ لا جبر ولا تفويض.

٣ـ أن الإمامة والقيادة بعد ﷺ لعلي عليه السلام والأئمة المعصومين من ولده؛ فقد جاء عنه ﷺ الكثير من الكلمات في مجال بيان فضل عليّ والأئمة عليهم السلام، وتبشيره بالمهدي عليه السلام.

كما اطلعنا في هذا البحث على جملة من كلماته ﷺ حول أصول التشريع الإسلامي في مجالات مختلفة، كمجال العبادات والعائلة والإقتصاد وغيرها.

إختبارات البحث

١. ما هي شروط التوحيد؟

٢. وضح المقصود بعقيدة لا جبر ولا تفويض في ما جاء في كلماته ﷺ.

٣. أذكر بعض ما جاء في كلماته ﷺ في مجال تعيين علي عليه السلام خليفة بعده.

٤. بين بعض أصول التشريع الإسلامي في تراث الرسول الأعظم ﷺ.

٥. أذكر بعض ما أثر عنه ﷺ من البشارة بالمهدي (عج).

البحث رقم (٣٠)

من فضائل خاتم النبيين ﷺ ومظاهر شخصيته (١)

أهداف البحث

١. تعداد بعض ما جاء من فضائله ﷺ في القران الكريم.

٢. إدراك عظم منزلته ﷺ عند سيد الوصيين عليه السلام، من خلال بعض ما أثر عنه من نصوص.

٣. التأسي به ﷺ من خلال مطالعة بعض سيرته ﷺ الذاتية.

٤. التأسي به ﷺ من خلال مطالعة سيرته الإجتماعية.

٥. إدراك أهمية تخلق القيادة بأخلاقه ﷺ.

مقدمة البحث

إتصف النبي ﷺ بجملة كبيرة من محاسن الأخلاق، ما جعله قدوة لغيره، وما جعله سبحانه يصفه بأنه على خلق عظيم، وبعد أن تعرضنا في البحوث السابقة إلى جملة من تراث رسول الله ﷺ، وإلى الخطوط العريضة للعقيدة الإسلامية الحقة التي جاء بها، كان لا بد من التعرض أيضا إلى بعض فضائل خاتم النبيين ﷺ ومظاهر شخصيته، فكان هذا البحث وما بعده.

المطلب الأول: خاتم النبيين في القران الكريم

لقد كان محمد بن عبد الله ﷺ موصوفا بكمال الصفات ومكارم الأخلاق التي ميزته عن جميع من عاصره أو سبقه أو لحقه، وبذلك أصبح أفضل النبيين، وقد جاء التصريح بكمالاته في نصوص القران الكريم.

أما كمال عقله وعظيم خلقه، فقد نص عليه قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ*وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ*وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١]

---

(١)القلم: ٢ـ ٤.

وأما عبوديته لله تعالى، فيدل عليه قوله عز وجل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾.[(١)]

وأما شرح صدره فيشير إليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.[(٢)]

ويدل على انقياده التام لله، وخوفه وخشيته منه قوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.[(٣)]

ويشهد له قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ ولا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾.[(٤)]

ويشهد لرقة قلبه، ورأفته ورحمته للعالمين، وحرصه على هداية الخلق إلى الله تعالى قول الله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.[(٥)]

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.[(٦)]

ويدل على عفوه وصفحه قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.[(٧)]

ويدل على بصيرته واستقامته على الهدى الرباني قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إلى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.[(٨)]

---

(١)الإسراء: من الآية١.

(٢)الإنشراح:١.

(٣)يونس: من الآية١٥.

(٤)الأحزاب:٣٩.

(٥)الأنبياء:١٠٧.

(٦)التوبة:١٢٨.

(٧)المائدة: من الأية ١٥.

(٨)يوسف:١٠٨.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَادْعُ إلى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدىً مُسْتَقِيمٍ﴾.[(١)] وقوله تعالى: ﴿فَتوكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾.[(٢)]

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.[(٣)]

ويدل على أميته وتحريره للإنسانية من الأغلال قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[(٤)]

وأما الإعتدال والوسطية في سلوكه ونهجه، فيشير إليه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾.[(٥)]

وأما أنه نموذج الكمال البشري، فيدل عليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾. [(٦)]

ويشهد لولايته على الخلق، وتقدمه عليهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾. [(٧)]

كما يشهد لشدته على الجاحدين والكافرين قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١)الحج: من الآية٦٧.

(٢)النمل:٧٩.

(٣)التوبة:٣٣.

(٤)الأعراف:١٥٧.

(٥)البقرة: من الأية ١٤٣.

(٦)الأحزاب:٢١.

(٧)المائدة: من الآية٥٥.

وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.[١]

ويدل على فصاحته واشعاعه الدائم وهدايته للناس قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إلى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾.[٢]

المطلب الثاني: خاتم النبيين ﷺ في نصوص سيد الوصيين عليه السلام

١ـ قال علي عليه السلام واصفا النبي ﷺ: «حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله شهيدا وبشيرا ونذيرا، خير البرية طفلا، وأنجبها كهلا. أطهر المطهرين شيمة، وأجود المستمطرين ديمة».[٣]

٢ـ «إختاره من شجرة الأنبياء، ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، وسرة البطحاء. ومصابيح الظلمة، وينابيع الحكمة... طبيب دوار بطبه، قد أحكم مراهمه... متتبع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة».[٤]

٣ـ «وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المجتبى من خلائقه، والمعتام[٥]لشرح حقائقه، والمختص بعقائل كراماته، والمصطفى لكرائم رسالاته، والموضحة به أشراط الهدى، والمجلو به غربيب العمى».[٦]

٤ـ «أما بعد، فإن الله سبحانه بعث محمدا ﷺ وليس أحد من العرب يقرأ كتابا، ولا يدعي نبوة. فساق الناس حتى بوأهم محلتهم، وبلغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم، واطمأنت صفاتهم».[٧]

---

(١)الفتح: من الآية٢٩.

(٢)الأحزاب: ٤٥، ٤٦.

(٣)نهج البلاغة: الخطبة ١٠٥.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٨.

(٥)المعتام: المختار .

(٦) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٨.

(٧) المصدر السابق: الخطبة ٣٣.

٥ـ «بعثه والناس ضلال في حيرة. وخابطون في فتنة. قد استهوتهم الأهواء، واستزلتهم الكبرياء، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزال من الأمر، وبلاء من الجهل. فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة».(١)

٦ـ «والمعلن الحق بالحق، والدافع جيشات الاباطيل. والدامغ صولات الأضاليل. كما حمل فاضطلع قائما بأمرك، مستوفزا في مرضاتك، غير ناكل عن قدم، ولا واه في عزم. واعيا لوحيك، حافظا لعهدك، ماضيا على نفاذ امرك، حتى أورى قبس القابس، وأضاء الطريق للخابط، وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن، وأقام موضحات الاعلام، ونيرات الأحكام. فهو أمينك المأمون، وخازن علمك المخزون، وشهيدك يوم الدين».(٢)

٧ـ «إمام من اتقى، وبصر من اهتدى».(٣)

٨ـ «فجاهد في الله المدبرين عنه، والعادلين به».(٤)

٩ـ «وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، دعا إلى طاعته، وقاهر أعداءه جهادا على دينه. لا يثنيه عن ذلك اجتماع على تكذيبه، والتماس لإطفاء نوره».(٥)

١٠ـ «فتأس بنبيك الأطيب الأطهر صلى الله عليه وآله، فإن فيه أسوة لمن تأسى، وعزاء لمن تعزى، وأحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه، والمقتص لأثره. قضم الدنيا قضما، ولم يعرها طرفا... عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها... ولقد كان صلى الله عليه وآله يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله... فأعرض

---

(١)المصدر السابق: الخطبة ٩٥.

(٢)نهج البلاغة: الخطبة ٧٢.

(٣)المصدر السابق: الخطبة ١١٦.

(٤)المصدر السابق: الخطبة ١٣٣.

(٥)نهج البلاغة: الخطبة ١٩٠.

عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه، لكي لا يتخذ منها رياشا[١]، ولا يعتقدها قرارا، ولا يرجو فيها مقاما... خرج من الدنيا خميصا[٢]، وورد الآخرة سليما».[٣]

المطلب الثالث: لمحة عن سيرته ﷺ الذاتية

عن الحسن بن علي عليه السلام: أن هند بن أبي هالة وصف النبي ﷺ قائلا: «... يبدر من لقيه بالسلام... كان متواصل الأحزان، دائم الفكر، طويل السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، يتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير، دمثا، ليس بالجافي ولا بالمهين، تعظم عنده النعمة وإن دقت، لا يذم منها شيئا، غير أنه كان لا يذم دواقا ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعوطي الحق، لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له،... جل ضحكه التبسم...».[٤]

المطلب الرابع: لمحة عن سيرته ﷺ الإجتماعية

وروى الحسين بن علي عليه السلام عن أبيه عليه السلام حديثا يصف فيه السيرة الإجتماعية لجده ﷺ:

«فإذا أوى إلى منزله، جزأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه، ثم جزء جزأه بينه وبين الناس... وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين....

وكان يخزن لسانه إلا عما يعنيه، ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم،

---

(١)الرياش : اللباس الفاخر.

(٢)أي: خالي البطن كناية عن عدم التمتع بالدنيا.

(٣)نهج البلاغة: الخطبة ١٦٠.

(٤) معاني الأخبار.

ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويهونه، معتدل الأمر، غيرمختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، ولا يقصر عن الحق ولا يجوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة للمسلمين وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة ومؤازرة.

فسألته عن مجلسه، فقال: كان صلى الله عليه واله لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن، وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطى كل جلسائه نصيبه، ولا يحسب من جلسائه أن أحدا أكرم عليه منه، من جالسه صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرجع إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه خلقه وصار لهم أبا، وصاروا عنده في الخلق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء، وصدق وأمانة، ولا ترتفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تنثى فلتاته... وكان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب ولا فحاش، ولا عياب ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، فلا يؤيس منه، ولا يخيب فيه مؤمليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدا، ولا يعيره، ولا يطلب عثراته، ولا عورته.

ولا يتكلم إلا في ما رجا ثوابه، إذا تكلم، أطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت، تكلموا... ويصبر للغريب على الجفوة في مسألته ومنطقه حتى أن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها، فارفدوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد كلامه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام... وكان سكوته على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكر».[١]

---

(١) سنن النبي ﷺ: ١٤، ١٧.

خلاصة البحث

وصف الله نبيه محمدا ﷺ بأكمل الصفات الانسانية، فجعله سيد المرسلين وخاتمهم، والقدوة التي يتأسى بها الخلق، ليصلوا إلى مرفأ الكمال، كما فصل تعالى للمتأسين به فضائله ومظاهر شخصيته الكريمة.

كما وصف أهل البيت عليهم السلام ـ الذين هم أدرى بما في البيت ـ سيدهم الأمين على رسالة ربه بكلمات جامعة، تصور كمالاته ومناقبه التي جعلته أسوة للمتأسين، وعلما للمهتدين، وقد تولت هذه النصوص الواردة عنهم تصوير أدبه الرفيع، وسيرته الفردية والإجتماعية المثلى.

إختبارات البحث

١. أذكر بعض ما جاء من فضائله ﷺ في القران الكريم.

٢. ما أهمية تخلق القيادة بأخلاقه ﷺ؟

٣. تكلم عن سيرته ﷺ الذاتية.

٤. عرف بسيرة النبي ﷺ الإجتماعية.

٥. أذكر بعض ما أثر عن سيد الوصيين عليه السلام في مجال عظم منزلته ﷺ عنده عليه السلام.

البحث رقم (٣١)

من فضائل خاتم النبيين ﷺ ومظاهر شخصيته (٢)

أهداف البحث

١. وصف علم رسول الله ﷺ.
٢. التأسي به ﷺ في عبادته.
٣. الوقوف على مقدار ثقته ﷺ المطلقة بالله.
٤. الإطلاع على شجاعته ﷺ الفائقة.
٥. التأسي به ﷺ في زهده عديم النظير.

مقدمة البحث

تكلمنا في البحث السابق عن جملة من فضائل خاتم النبيين ﷺ ومظاهر شخصيته، ونواصل في هذا البحث الحديث في هذا المجال، فنتطرق إلى جملة أخرى من تلك الفضائل مع مستنداتها.

المطلب الأول: الأمي العالم

مما تميز به خاتم النبيين ﷺ أنه لم يتعلم القراءة والكتابة عند معلم بشري، ولم ينشأ في بيئة علمية، وإنما نشأ في مجتمع جاهلي، ولم يكذب أحد هذه الحقيقة التي نادى بها القرآن العظيم.[١]

وقد نشأ أيضا في قوم من أشد الأقوام جهلا، وأبعدهم عن العلوم والمعارف حتى سمي ذلك العصر بالعصر الجاهلي. ومع ذلك، فقد جاء بكتاب يدعو إلى العلم والثقافة، وتنشيط الفكر والتعقل، واحتوى على صنوف المعارف.

لقد بدأ الرسول الأكرم ﷺ بتعليم الناس الكتاب والحكمة[٢] وفق منهج بديع،

---

(١)العنكبوت: ٤٨، والنحل: ١٠٣.

(٢)الجمعة :٢.

حتى أنشأ حضارة فريدة، إخترقت الشرق والغرب بعلومها ومعارفها.

فهو أمي، ولكنه كان يكافح الجهل والجاهلية وعبادة الأصنام، كما جاء بدين قيم إلى البشرية، وبشريعة عالمية تتحدى الجميع على طول الزمن. ولذا، فهو معجزة بنفسه في علمه ومعارفه، وجوامع كلمه، ورجاحة عقله، وثقافته ومناهج تربيته. ومن هنا قال الله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. [(١)]

لقد أوحى الله إليه ما لم يكن يعلم، وعلمه الكتاب والحكمة حتى أصبح نورا وسراجا منيرا، وبرهانا وشاهدا، ورسولا مبينا، وناصحا أمينا، ومذكرا ومبشرا ونذيرا.[(٢)]

فهو الذي شرح الله له صدره، وأعده لقبول الوحي، والقيام بمهمة الإرشاد في مجتمع كانت تسيطر عليه العصبية البغيضة والأنانية الجاهلية، فكان أسمى قائد عرفته البشرية في مجال الدعوة والتربية والتعليم.

المطلب الثاني: أول المسلمين، وسيد العابدين

إن الخضوع المطلق لله تعالى خالق الكون ومبدع الوجود، والتسليم التام لعظيم قدرته ونفاذ حكمته، والعبودية الإختيارية الكاملة تجاه الإله الأحد الفرد الصمد، هي القمة الأولى التي لا بد لكل إنسان أن يجتازها، كي يتهيأ للإجتباء والإصطفاء الإلهي.

وقد شهد القرآن الكريم لهذا النبي العظيم ﷺ الذي فاق النبيين في كل شيء حتى قال عنه: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[(٣)]، إنه وسام الكمال الذي حازه هذا العبد الصادق.

وتجلت هذه العبودية الصادقة في أفعاله وأقواله ﷺ حتى قال: «وقرة عيني في الصلاة» [(٤)]، فقد حببت إليه كما حبب الماء إلى الضمآن، فإذا شرب روي،

---

(١)الأعراف: من الآية١٥٨.

(٢)المائدة: ١٥. الأحزاب: ٤٦. النساء: ١٧٤. الفتح: ٨. الزخرف: ٢٩. الأعراف: ٦٨. الغاشية: ٢١. الإسراء: ١٠٥. المائدة: ١٩.

(٣)الأنعام: ١٦٣.

(٤)أمالي الطوسي، ج٢، ص١٤١.

ولكنه ﷺ لم يرتو من الصلاة؛ إذ كان ينتظر وقتها ويشتد شوقه للوقوف بين يدي ربه عز وجل، وكان يقول لمؤذنه: «أرحنا يا بلال».[١] وروي أنه كان يحدث أهله ويحدثونه، فإذا دخل وقت الصلاة فكأنه لم يعرفهم ولم يعرفوه.[٢]

وكان إذا صلى يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل، ويبكي حتى يبتل مصلاه؛ خشية من الله عز وجل[٣] وكان يصلي حتى تنتفخ قدماه، فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فيقول: «أفلا أكون عبدا شكورا؟»[٤]

وكان يصوم شعبان ورمضان وثلاثة أيام من كل شهر[٥] كما كان إذا دخل شهر رمضان يتغير لونه، وتكثر صلاته، ويبتهل في الدعاء[٦] وإذا دخل العشر الأواخر منه شد المئزر، واجتنب النساء، وأحيا الليل، وتفرغ للعبادة.[٧]

وكان ﷺ يقول: « الدعاء مخ العبادة، وسلاح المؤمن، وعمود الدين، ونور السماوات والأرض»[٨].

وقد كان دائم الإتصال به سبحانه وتعالى، دائم الإنشداد إليه بالضراعة والدعاء في كل عمل كبير أو صغير، بل إنه كان يستغفر الله كل يوم سبعين مرة، ويتوب إليه سبعين مرة من غير ذنب.[٩]

ولم يستيقظ من نوم قط إلا خر ساجدا[١٠]، وكان يحمد الله تعالى في كل يوم

---

(١)بحار الأنوار، ج٨٣، ص ١٦.

(٢)أخلاق النبي وآدابه: ٢٥١،٢٠١.

(٣)المصدر السابق.

(٤)سنن النبي: ٣٢.

(٥)أخلاق النبي: ١٩٩.

(٦)وسائل الشيعة ٤: ٣٠٩.

(٧)سنن النبي: ٣٠٠.

(٨)الكافي ٤: ١٥٥.

(٩)المحجة البيضاء ٢: ٢٨١ـ ٢٨٤.

(١٠)بحار الأنوار ١٦: ٢١٧.

ثلاثمئة وستين مرة، ويقول: «الحمد لله رب العالمين كثيرا على كل حال»[١]. ولقد كان دؤوبا على قراءة القرآن وشغوفا به.

المطلب الثالث: الثقة المطلقة بالله تعالى

قال الله تعالى مؤكدا لرسوله ﷺ ثقته بربه: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[٢]، وقال أيضا: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ *الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ* وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾.[٣]

وروي عن جابر أنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله. فجاء رجل من المشركين، وسيف رسول الله معلق بالشجرة، فاخترطه، وقال للرسول ﷺ: أتخافني؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله، فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله السيف، فقال: من يمنعك مني؟ فقال:كن خير آخذ، فقال: تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟ قال: لا، ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، فأتى أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس.[٤]

المطلب الرابع: الشجاعة الفائقة

قال الله تعالى مخبرا عن صفات رسله: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾.[٥]

أما الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي طأطأ له فرسان العرب، فقد قدم لنا وصفا دقيقا لشجاعة رسول الله ﷺ حيث يقول: «كنا إذا احمر البأس، ولقي القوم

---

(١)المصدر السابق.

(٢)الزمر: من الآية٣٦.

(٣)الشعراء:٢١٧ـ ٢١٩.

(٤)صحيح مسلم ٤: ٤٦٥.

(٥)الأحزاب: ٣٩.

القوم، اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أدنى من القوم منه».[١]

كما وصف المقداد ثبات رسول الله ﷺ يوم أحد بعد أن تفرق الناس وتركوا رسول الله وحده قائلا: «والذي بعثه بالحق، إن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلّم زال شبراً واحداً، إنه لفي وجه العدو، وتثوب إليه طائفةٌ من أصحابه مرة وتتفرق عنه مرة، فربما رأيته قائماً يرمي عن قوسه أو يرمي بالحجر حتى تحاجزوا».[٢]

المطلب الخامس: زهد عديم النظير

قال تعالى لرسوله الكريم:﴿وَلا تَمُدَّنَ عَيْنَيْكَ إلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.[٣]

وقد صدق رسول الله في تركه للدنيا وزخارفها، وزهد فيها حتى روي عن أبي أمامة عن النبي ﷺ انه قال: «عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّى لِيَجْعَلَ لِى بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا قُلْتُ لاَ يَا رَبِّ وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا... فإذا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ».[٤]

وقال ابن عباس: «كان رسول الله يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير.

وعن أنس بن مالك أن فاطمة جاءت بكسرة خبز إلى النبي ﷺ فقال: «ما هذه الكسرة يا فاطمة؟ قالت: قرص خبز، فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة، فقال: أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام».[٥]

---

(١)فضائل الخمسة من الصحاح الستة ١: ١٣٨.

(٢)المغازي ١: ٢٣٩ـ ٢٤٠.

(٣)طه:١٣١.

(٤)سنن الترمذي ٤: ٥١٨، ٥٠١.

(٥)الطبقات (لابن سعد) ١: ٤٠٠.

خلاصة البحث

لقد حبى الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بجملة كبيرة من الصفات الكريمة التي لم تجتمع في نبي من الأنبياء السابقين؛ فقد كان عالما، عابدا، زاهدا، شجاعا....

إختبارات البحث

١. صف علم رسول الله ﷺ.
٢. تكلم عن عبادته ﷺ.
٣. تكلم عن ثقته ﷺ المطلقة بالله.
٤. عرف بشجاعته ﷺ الفائقة.
٥. لماذا كان ﷺ من الزاهدين؟

البحث رقم (٣٢)

دولة سيد المرسلين ﷺ (١): التأسيس

أهداف البحث

١. بيان الأسس التي قامت عليها دولة الرسول ﷺ.

٢. توضيح الخطوات العملية التي مارسها الرسول ﷺ لتأسيس دولته.

٣. تعداد المظاهر الدالة على ظهور دولة إسلامية بالمصطلح المعاصر على يدي الرسول العظيم ﷺ.

٤. بيان دور القرآن الكريم والسيرة النبوية في قيام الدولة الجديدة.

٥. إستيعاب أهمية الخطوات العملية التي قام بها النبي الأكرم ﷺ.

مقدمة البحث

قامت الدولة الإِسلامية الأُولى بقيادة خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ بعد أَن استكملت عناصر تكوين الدولة في أحدث مفاهيمها المعاصرة، وهي:

الشعب، والسلطة المعترف بها من قبل الشعب، والقوانين الواحدة لجميع أَفراد الشعب من دون تمييز بين فرد وآخر.

وهذا ما ستتكلم عنه في هذا البحث، لنترك الكلام في ملامح هذه الدولة إلى البحوث التالية.

المطلب الأول: النواة الأولى للدولة الإِسلامية

لقد تكوّنت النواة الأُولى للدولة الإِسلامية ـ على المستوى العملي التطبيقي ـ عند إِنجاز بيعة العقبة الثانية بين النبي ﷺ ووفد (الأَوس) و(الخزرج) إلى موسم الحج في (مكّة).

وقد تمت هذه البيعة قبل أَشهر من هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، بعد هجرة المسلمين المكيّين تدريجاً إليها قبل ذلك.

وقد كان مضمون هذه البيعة تعاقداً على تأسيس سلطة سياسية بما لهذه الكلمة من معنى مألوف، تحكم مجتمعاً سياسياً ملتزماً.

وقد لاحظ النبي ﷺ، وممثّلو أهل (يثرب)، أنَّ هذا المجتمع وحكومته سيدخلان في عداوات سياسية وحروب مع قريش وغيرها؛ بسبب المضمون العقائدي لهذا المجتمع(١).

وقد أقامت هذه السلطة السياسية على أساس الإِسلام نظاماً للحياة، وللمجتمع. وقد كانت بيعة العقبة الأُولى ـ قبل ذلك بعام ـ قد تضمنّت إِسلام المبايعين من أَهل (يثرب)، والتزامهم بنشر الإِسلام بين أَهلها.

فكأنّ بيعة العقبة الأُولى تمثل الأَساس الأيديولوجي ـ العقائدي للبيعة الثانية، والمدخل إلى تكوين قاعدة أَوليّة للإِسلام في (يثرب)، تولى مبعوث النبي ﷺ (مصعب بن عمير) مع المبايعين إِعدادها، ومثلت (بيعة العقبة الثانية) التعبير السياسي ـ التنظيمي لهذا المضمون.

وبالبيعة وما ترتب عليها من قرار بالهجرة إلى المدينة، وهجرة المسلمين المكيين إليها، ولد المجتمع السياسي الإِسلامي على أَساس عقائدي هو الإِسلام، بما يقتضيه ذلك من التزام بالدعوة إليه، والدفاع عنه، وعن قيمه التي يجسدها المنتمون إليه في المجتمع الجديد.

وقد ولد هذا المجتمع من اللحظة الأُولى خارج حدود العرف الجاهلي، فقد حلّت المصالحة بين القبائل اليثربيّة المتحاربة.

المطلب الثاني: القرآن الكريم والدولة الجديدة

وعبّر القرآن عن هذا الواقع الجديد بين هذه القبائل بتسمية تعبّر عن المضمون

---

(١)السيرة النبوية، لإبن هشام ٢ : ٥٢.

العقيدي لها الذي حلَّ محل المضمون القبلي، وهي (الأَنصار)[١]، أَنصار الإِسلام، أَو أَنصار النبي ﷺ.

وقد اندمجت هذه القبائل ـ بما تحمله من مضمون عقيدي جديد، وعلى أَساس هذا المضمون ـ بالمسلمين المكيين الذين يحملون المضمون نفسه، وأَعطاها القرآن إِسماً عقيدياً مشتقاً من مضمونهم العقيدي بدل انتماءاتهم القبلية هو: (المهاجرون)[٢].

المطلب الثالث: التكوين العقيدي . السياسي . المجتمعي للشعب

لقد اندمج الجميع في تكوين عقيدي ـ سياسي ـ مجتمعي واحد مختلف تماماً عن تحالفات الجاهلية. وإِنْ كان هذا الاندماج بين هذه المجموعات في المشروع الإِسلامي لم يلغ التنوع القبلي، ولم يتم على حسابه، فقد بقيت التنوعات القبلية سائدة ومرعية، ولكن، دون أَنْ تشكل الزعامات القبلية مرجعاً، ودون أَنْ يكون عرفها شريعة. لقد تحدَّد المرجع بالنبي، وتحددت الشريعة بالإِسلام. ولعل هذا كان أَوّل تطبيق لمبدأ «التعارف ـ التعاون على البر والتقوى» الذي اعتبره الإِسلام أَسَاسَاً في الاجتماع البشري.

المطلب الرابع: تشكيل النبي ﷺ لأدوات السلطة الجديدة

وقد شكَّل النبي ﷺ أَدوات هذه السلطة الجديدة في هذه المرحلة من تشكيل الدولة، بنصب النقباء الإِثني عشر (ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج) على الأَوس والخزرج. وقد تَّم اختيارهم من قبل مجموعة (الأَوس) و(الخزرج) أَنفسهم في (العقبة الثانية)، ولم يفرضهم النبي ﷺ مع قدرته على ذلك، واستعداد القبيلتين لقبول ذلك منه ﷺ. ولعل هذا أَوّل مظهر من مظاهر تطبيق مبدأ الشورى

(١) و (٢)التوبة: ١٠١ و ١١٨ ـ النور: ٢٢ ـ الأَحزاب: ٦ ـ الحشر: ٨ ـ الممتحنة: ١٠.

الإسلامي في القيادة والحكومة.

وقد انضمَّ هؤلاء النقباء إلى المبعوث الذي وجّهه النبي ﷺ إلى المدينة منذ (بيعة العقبة الأُولى)، وهو (مصعب بن عمير بن هاشم). وقد شكّلوا جميعاً نواة السلطة الجديدة في المدينة، قبيل هجرة النبي ﷺ إليها.

ولدت الدولة الإِسلامية والحكومة الإِسلامية بوصول النبي ﷺ إلى المدينة، حيث باشر على الفور مهمّات القيادة والحكم السياسي إلى جانب مهمّات الرسالة والنبوة، وهي التبليغ والإِرشاد، وعلى أَساس كونه نبيّاً رسولا بالإِسلام.

فكان من أوّل الأَعمال التي قام بها ﷺ على المستوى التنظيمي العام، المؤاخاة بين المهاجرين والأَنصار[١]، التي كان لها إلى جانب مضمونها الأخلاقي مضمون حقوقي اقتصادي، هو التوارث بين المتآخين دون النسب والرحم. وقد نسخ هذا المضمون في ما بعد، وبقي المضمون الإيماني الذي يشتمل على البعد الأخلاقي، والعاطفي.

كما نظَّم ﷺ العلاقة بين المسلمين واليهود في المدينة، باعتبارهم يشكّلون جميعاً مجتمعاً سياسياً واحداً متنوعاً في انتمائه الديني ـ وهذه أوّل تجربة سياسية في التاريخ من هذا النوع[٢].

فوضع الصحيفة التي حدّدت بنودها العلاقات بين الطرفين، وحدّدت فيها الحقوق والواجبات لكلّ منهما، وعلى كلّ منهما تجاه الآخر، ونصّت بوضوح على أنَّ الحاكمية العليا هي للنبي ﷺ.

ومضى النبي ﷺ يصنع المجتمع والدولة على عين الله تعالى، وعلى هدي الوحي. ولم يمض وقت طويل حتى تكامل البناء التنظيمي للمجتمع حسب المرحلة وحاجاتها، وتوزّعت المهمّات فيه تحت سلطة النبي ﷺ باعتباره القائد والحاكم الأَعلى.

---

(١)السيرة النبوية، لإبن هشام ٢ : ٥٠٤ ـ ٥٠٧. الطبقات الكبرى ١ : ٢٣٢.

(٢)السيرة النبوية، لإبن هشام ٢ : ١١٩ ـ ١٢٣.

خلاصة البحث

كل الأَنشطة السياسية الداخلية، والخارجية، والعسكرية، والقضائية، والتعليمية، والمالية، والاقتصادية، والاجتماعية، مارسها النبي ﷺ بنفسه باعتباره قائداً وحاكماً على أَساس الشريعة الإِسلامية، وبسلطة مستمدّة من كونه نبيّاً رسولا، كما أَعطى ـ بصفته هذه ـ سلطة القيام ببعض هذه المسؤوليات لأَشخاص آخرين باعتبارهم نوّاباً عنه، ووكلاء له، وممثلين ومعاونين له، في القيام بمسؤوليات الحكم.

وبهذه الأَنشطة أَنشأَ دولة على أَساس الإِسلام، عقيدة وشريعة، ونظّم حياة الإِنسان المسلم ـ فرداً، وأَسرةً، وجماعةً، ومجتمعاً ـ فيها على هدى التشريع الإِسلامي. وحكم هذه الدولة وقادها طيلة حياته الشريفة.

وكان النبي ﷺ يبلّغ المسلمين بالوحي القرآني ما يرد فيه من تشريع وغيره.

إختبارات البحث

١. ما هي الأَسس التي قامت عليها دولة الرسول ﷺ؟

٢. ما هي الخطوات العملية التي مارسها الرسول ﷺ لتأسيس دولته؟

٣. عدد المظاهر الدالة على ظهور دولة إسلامية بالمصطلح المعاصر على يدي الرسول العظيم ﷺ.

٤. تكلم عن دور القرآن الكريم والسيرة النبوية في قيام الدولة الجديدة.

٥. ولدت الدولة الإِسلامية والحكومة الإِسلامية بوصول النبي ﷺ إلى المدينة، تكلم عن ذلك.

البحث رقم (٣٣)

دولة سيد المرسلين ﷺ (٢): الملامح

أهداف البحث

١. بيان الجانب الإداري في الدولة الإسلامية.

٢. توضيح الجانب الإقتصادي في الدولة الإسلامية.

٣. إستيعاب اهتمام الدولة الإسلامية بالجانب التبليغي.

٤. بيان الجانب القضائي في الدولة الإسلامية.

٥. فهم الجانب الدفاعي في الدولة الإسلامية.

٦. التعريف بالجانب الاجتماعي والسياسي للدولة الإسلامية.

مقدمة البحث

بعد أن اطلعنا على قيام الدولة الإسلامية الأُولى بقيادة خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ بعد أن استكملت عناصر تكوين الدولة في أحدث مفاهيمها المعاصرة في البحث السابق، تصل النوبة إلى الكلام عن أبرز ملامح هذه الدولة، الأمر الذي لا بد من التعرض إليه في تاريخ سيد المرسلين ﷺ، وكسب العبر والتجارب منه. علما بأن كل جانب من جوانب هذه الملامح يشكل موضوعا هاما وحساسا يستحق العشرات من الدراسات المستقلة، إلا أننا نكتفي هنا ببعض الإشارات والتلميحات، لنترك الباقي لمطالعة الطالب وبحثه.

المطلب الأول: ملامح دولة سيد المرسلين في الجانب الإداري

كوّن النبي ﷺ الجهاز الإداري الحكومي للدولة في المدينة وما حولها، وعلى امتداد الرقعة الإسلامية التي كانت تتوسع باستمرار نتيجة لنمو الاستجابة للدعوة إلى الإسلام، وللإنتصارات التي أَحرزها المسلمون على قريش وغيرها في حروبهم الدفاعية.

وقد حكم ﷺ المدينة وما حولها بصورة مباشرة. وكان يستعين بأشخاص يكلّفهم بمهّام محدّدة، أَو يوليهم مناصب معينة. وعيَّن العمال والممثلين

الشخصيين له في المناطق البعيدة عن المدينة (مكّة، والطائف، وصنعاء، وحضرموت، وغيرها) [١] ولم تستبعد المرأة من تولّي العمل العام.

فقد روى (ابن عبد البر) أنّ: (سمراء بنت نهيك الأسدية)، أدركت رسول الله ﷺ، وعمرت، وكانت تمرُّ بالأسواق، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتضرب الناس على ذلك بسوط معها.

وكان إذا غاب عن المدينة، عيَّن خليفة له عليها، ينوب عنه[٢].

وكان من تولوا إمارة المدينة (سعد بن عبادة، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، وأبو سلمة بن عبدالأسد، وزيد بن حارثة، وأبو لبابة، واستخلف علي بن أبي طالب عليه السلام في أخطر رحلاته ﷺ، وهي غزوة تبوك).

المطلب الثاني: ملامح دولة سيد المرسلين في الجانب الإقتصادي

عيّن ﷺ الجباة (عمَّال الصدقات) لجباية الزكاة، فكانوا يقومون بقبض الزكاة. وعيّن مسؤولين عن (إبل الصَّدقة) واهتم بسلامة الخيل المعدّة للجهاد، وحمى لها الحمى (المراعي الخاصّة) [٣].

وكان بعض المكلفين بالجباية مقيمين في مناطقهم وقبائلهم، وبعضهم كان يرسل من المدينة للقيام بهذه المهمة كما هو الظاهر من صحيح (عبدالله بن سنان)، عن الإمام الصادق عليه السلام في بيان فرض الزكاة لمّا نزلت آية: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ

---

(١)راجع: الإصابة: ٥٤٠.

ومن المهمّات التي أسندت إلى المرأة: مهمّة التمريض والعناية بالجرحي. فقد روى ابن هشام في السيرة النبويّة، وغيره، أنّ النبي ﷺ قد نصب خيمة لامرأة من قبيلة أسلم يُقال لها: (رفيدة)، كانت تداوي الجرحى. وقال ﷺ حين أصيب (سعد بن معاذ) بالسهم في (الخندق): «إجعلوه في بيت رفيدة حتى أعوده عن قريب». راجع: أعلام النساء. والطب عند العرب.

(٢)راجع: السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢٢٠ ـ ٢٣٠.

(٣)روى البخاري عن ابن عباس أنّ النبي ﷺ حمى (النقيع) لخيل المسلمين. والنقيع موضع على عشرين فرسخاً من المدينة، وهو صدر (وادي العقيق)، وهو أخصب واد هناك.

صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا...﴾[١] في شهر رمضان، قال: «..ثم وجّه عمال الصدقة وعمال الطسوق»[٢] كما أنّه أخذ خمس الغنائم الذي هو ضريبة الدولة على غنائم الحرب والأموال المصادرة من الأعداء المحاربين. وجبى الجزية ممّن صالحهم من أهل الكتاب كـ (أهل نجران)، و(أهل البحرين) الذين أرسل إليهم (أبا عبيدة بن الجراح)، و(معاذ ابن جبل) أرسله إلى (اليمن). كما تولّى مهمّة استيفاء الأموال (الجزية، والزكاة) من العمال، الإمام علي بن أبي طالب في (اليمن) و(نجران).

وكان من المعلوم أنَّ هذا المال (مال عام) ينفق على أنشطة الدولة الدفاعية والاجتماعية، وليس ملكاً خاصاً للنبي. ونشأ مصطلح (مال الله) للدلالة على أنَّ أموال الضرائب هي أموال عامّة تملكها الأمّة، وتديرها وتنفقها الحكومة.

وتصدّى النبي ﷺ لظاهرة الاحتكار والمحتكرين مراراً عديدة[٣]

المطلب الثالث: ملامح دولة سيد المرسلين في جانب الدعوة والتبليغ

خصّص ﷺ جماعة من الصحابة لكتابة الوحي القرآني، وكتابة الرسائل، والترجمة، وجعل مركزاً لتعليم القرآن في المدينة وهي (الصفّة) في مدخل المسجد النبوي، وكان ممن تولى الإقراء فيها (عبادة بن الصامت)، وسماها (الواقدي): (دار القرّاء).

وكان النبي ﷺ يتولى بنفسه مهمّات الدعوة والتبليغ في المدينة بصورة ثابتة، وحيث حلّ في خارجها إذا غزا. وأمّا في خارج المدينة فقد عين الدعاة والمبلّغين، فكان يرسل من أعيان الصحابة أشخاصاً إلى القبائل والمدن الأخرى، يقومون بمهمّات التبليغ والدعوة إلى الإسلام، وتعليم القرآن.

---

(١)التوبة: ١٠٣.

(٢)الوسائل ٦: أبواب: مايجب فيه الزكاة، الباب ٨، ح ١ .

(٣)للإطلاع على نصوص الإحتكار ومصادرها، يراجع: الإحتكار في الشريعة الإسلامية، محمد مهدى شمس الدين.

وكان من مبعوثيه للدعوة وتعليم القرآن (مصعب بن عمير)، و(معاذ بن جبل)، أرسله ﷺ إلى أهل مكّة، و(عمر بن حزم الحضرمي) إلى أهل (نجران)، وكانت (الشفاء بنت عبد الله، أمّ سليمان) تعلّم النساء القراءة والكتابة، كما روى ذلك (أبو الدرداء).

المطلب الرابع: ملامح دولة سيد المرسلين في الجانب القضائي

تولّى النبي ﷺ في المدينة مسؤولية القضاء بين الناس في جميع ماكانوا فيه يختلفون من شؤون عائلية، ومالية، وجرائم قتل، واعتداء. ونفّذ العقوبات، والتعزيرات، والحدود في المجرمين، كما تولّى القضاء في المدينة واليمن علي بن أبي طالب. ومن الذين تولّوا القضاء (معاذ بن جبل) و(معاذ بن نوفل) و(أبو موسى الأشعري) في اليمن، و(راشد بن عبدالله).

وعيّن القضاة في الأماكن البعيدة عن المدينة، فكان يرسل إليها بعض فقهاء الصحابة ليتولوا مهمّة القضاء بين الناس، ومن ذلك إرساله علياً عليه السلام إلى اليمن.

المطلب الخامس: ملامح دولة سيد المرسلين في الجانب الدفاعي

في المسألة العسكرية، نظّم النبي ﷺ المدينة على أساس عسكري، وكونّ من شعبها مجتمع حرب، فقسّم المسلمين في المدينة إلى عرافات، وجعل على كلّ عشرة عريفاً[1].

وجعل من جميع الذكور البالغين جنوداً، وكوّن منهم الجيوش وقادها إلى المعارك، وخاض الحروب الدفاعية كلّها، وعيّن القادة وأمراء السرايا، وأرسلهم في مهمّات عسكرية واستطلاعية. واعتمد في تقدير القوّة العسكرية على الأحصاء فقد روى (البخاري)، عن (حذيفة بن اليمان)، أنّ رسول الله ﷺ قال: «اكتبوا لي من يلفظ بالإِسلام من الناس، فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل».

ويبدو أنّ ماعرف بعد بـ(ديوان الجُنْد) وضعت نواته في عهده ﷺ.

---

(١)الطبري ٤ : ١٥٨.

كما يبدو أنّ سجلات الجند (الذكور البالغين) كانت تراجع باستمرار ليضاف إليها كلّ من بلغوا خمس عشرة سنة كما تدل على ذلك رواية (الترمذي) عن (ابن عمر)، أو رواية (ابن عبدالبر) في (الاستيعاب)، عن (سمرة بن جندب).

وأوْلى عناية خاصّة بمسألة توفير السلاح الذي تملكه الدولة، فكان يشتري السلاح، ويستعيره، ويستأجره.

المطلب السادس: ملامح دولة سيد المرسلين في الجانب الإجتماعي

لم يقتصر الأمر في المسألة الاجتماعية على التوعية الإنسانية والموعظة وتربية المسلمين على خلق البر والإحسان فقط، وإنّما عمل وفقاً للتشريع الإسلامي على ايجاد مجتمع الكفاية والعدل، وخصّص ﷺ جزءاً من الأموال العامّة للإنفاق على الأيتام، والمعوزين، والعاجزين عن العمل، بعد أنْ جعل من العمل واجباً وشرفاً.

ووضع الأسس وفقا للتشريع الإسلامي، تلك الأسس التي رفعت من المستوى الإنساني والاجتماعي للرقيق. كما ووضع التشريعات المرحلية إلى إلغاء الرق.

وغيّر ﷺ وضع المرأة فرفع من شأنها المعنوي، وموقعها في المجتمع بما هي إنسان.

المطلب السابع: ملامح دولة سيد المرسلين في جانب العلاقات الخارجية

كما وضع النبي ﷺ أسس العلاقات الخارجية مع الأقوام والدول الأخرى، فأنشأ علاقات مع نصارى (نجران) وبعض القبائل الأخرى. وأوفد السفراء إلى الدول الأجنبية (مصر، وفارس، وبيزنطة، والغساسنة) وغيرها. وعقد المعاهدات، وهادن بعض الجماعات والقبائل، ورفض الهدنة مع البعض الآخر.

وعامل الخارج المسلم على الأساس الذي ذكرناه سابقاً، فجعل الهجرة إلى (دار الإسلام) واجباً على كلّ مسلم مقيم خارج (دار الإسلام) [١].

---

(١)في الإجتماع السياسي الإسلامي: ١٥٩ ـ ١٦٩.

خلاصة البحث

لدولة رسول الله ﷺ ملامح يمكن وصفها في الجوانب التالية: ففي الجانب الإداري تولى بنفسه الحكومة، وكان يستعين بأشخاص لمهام محددة أو خلفاء على المدينة في غيابه عنها.

وفي الجانب الاقتصادي، عين الجباة والمسؤولين عن إبل الصدقة والمراعي لها. وكان ينفق بيت المال على الأنشطة الدفاعية والاجتماعية. وتصدى أيضا لظاهرة الاحتكار مرارا عديدة.

وفي الجانب التبليغي، تولى بنفسه ذلك في المدينة بصورة ثابتة، إلى جانب تعيين كتاب الوحي والرسائل والمترجمين، وتخصيص الصفة لتعليم القرآن، كما أرسل المبعوثين للدعوة وتعليم القرآن.

وأما الجانب القضائي، فتولى ذلك أيضا بنفسه في المدينة، وعين آخرين للقضاء في الأماكن الأخرى.

وأما الجانب الدفاعي، فقد قسم المسلمين إلى عرافات، وجعل على كل عشرة عريفا، كما وضع نواة ديوان الجند في عهده.

وفي الجانب الاجتماعي، إعتمد الكفاية والعدل. ورفع شأن المرأة، ووضع التشريعات المرحلية لإلغاء الرق.

وفي العلاقات الخارجية، عقد المعاهدات، وهادن، وأرسل السفراء إلى الدول.

إختبارات البحث

١. تكلم عن الجانب الإداري في الدولة الإسلامية.
٢. عرف بالجانب الإقتصادي للدولة الإسلامية.
٣. بين اهتمام الدولة الإسلامية بالجانب التبليغي.
٤. كيف اهتمت الدولة الإسلامية بالجانب القضائي؟
٥. عرف بالجانب الإجتماعي والسياسي للدولة الإسلامية.



الفصل الثاني

تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام

البحث رقم (٣٤)

تاريخ أمير المؤمنين علي عليه السلام

أهداف البحث

١. بيان التقسيم الكلي لتاريخ أمير المؤمنين عليه السلام.
٢. ذكر تاريخ مولده وألقابه عليه السلام.
٣. التعريف بمكونات شخصيته عليه السلام.
٤. توضيح البعد المعنوي من شخصيته عليه السلام.
٥. تثمين شخصيته عليه السلام وتقديرها.

مقدمة البحث

يعتبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عند عامّة المسلمين على اختلاف مذاهبهم ـ سنةً وشيعة ـ الصحابّي المقبول لدى كل الإتجاهات والمذاهب التي خطّأت خط الخلافة الذي اُشيدت دعائمه بعد الرسول صلى الله عليه وآله، والاتجاهات التي صححّت هذا الخط، معتبرة الإمام عليّاً رابع الخلفاء الراشدين.

هذا فضلا عن كونه من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وابن عم الرسول صلى الله عليه وآله، وأخيه، ووصيّه، والإمام من بعده على اُمّته لدى كثير من المسلمين.

ويمكن أن نتناول حياة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من خلال عهدين متميزين، هما:

١ـ فترة حياة النبي صلى الله عليه وآله.
٢ـ ما بعد حياة النبي صلى الله عليه وآله، والذي ينقسم بدوره إلى الفترتين التاليتين:
أـ فترة الخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان.
ب ـ فترة حكومته هو عليه السلام.

وسوف نتناول تاريخ الإمام علي عليه السلام من خلال التقسيم السابق إن شاء الله

تعالى، علما بأننا لن نطيل الوقوف في الكلام في حياته ﴿عليه السلام﴾ في فترة حياة النبي؛ اعتمادا على ما نقلناه في البحوث السابقة في هذا المجال.

المطلب الأول: ميلاده وأسماؤه وألقابه ﴿عليه السلام﴾

أولا: مولده ﴿عليه السلام﴾

ولد ﴿عليه السلام﴾ بمكة في البيت الحرام يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة، ولم يولد قط في بيت الله تعالى مولود سواه، لا قبله ولا بعده، وهذه فضيلة خصه الله تعالى بها؛ إجلالا لمحله ومنزلته وإعلاء لرتبته.

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وكانت من رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بمنزلة الأم، وربي في حجرها، وكانت من سابقات المؤمنات إلى الإيمان، وهاجرت معه إلى المدينة، وكفنها النبي ﴿صلى الله عليه وآله﴾ عند موتها بقميصه، ليدرأ به عنها هوام القبر، وتوسد في قبرها، لتأمن بذلك من ضغطة القبر، ولقنها الإقرار بولاية ابنها كما اشتهرت به الرواية. فكان أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ هاشميا من هاشميين.[١]

ثانيا: أسماؤه وألقابه ﴿عليه السلام﴾

وأسماؤه في كتب الله تعالى المنزلة كثيرة، وكنيته المشهورة: أبو الحسن، وقد كني أيضا: بأبي الحسين، وأبي السبطين، وأبي الريحانتين. وكناه رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بأبي تراب لما رآه ساجدا معفرا وجهه في التراب[٢]. ولقبه: أمير المؤمنين، خصه النبي ﴿صلى الله عليه وآله﴾ به لما قال: «سلموا على علي بإمرة المؤمنين».[٣]

---

(١)انظر : الكافي ١ : ٣٧٦ و ٣٧٧. الإرشاد ١ : ٥ . التهذيب ٦ : ١٩. أسد الغابة ٥ : ٥١٧. الرياض النضرة ٣ : ١٠٤. الفصول المهمة: ٣٠.

(٢)الكافي ١ : ٢٣١. عيون أخبار الرضا ﴿عليه السلام﴾ ٢ : ٦٨ ، ٣١٢. الإرشاد ١ : ٨ ٤. أمالي المفيد : ١٨ ، ٧. أمالي الطوسي ١ : ٢٩٥ و ٣٤٠ .مناقب ابن شهرآشوب ٣ : ٥٣ .

(٣)أنظر : أمالي الصدوق : ٩١، ذيل حديث ٦. بشارة المصطفى: ١٨ و ١٦٥. اليقين لابن طاووس : ١٠. مناقب الخوارزمي : ٤٢ ، ٢٣١ .

كما وقد لقبه رسول الله (صلى الله عليه وآله): سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وسيد الأوصياء، وسيد العرب.[١]

وهو أخو رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ووزيره، ووصيه، وخليفته في أمته، وصهره على ابنته الزهراء البتول فاطمة سيدة نساء العالمين، وهو المرتضى، ويعسوب المؤمنين.

ثالثا: عمره (عليه السلام) حين أسلم

أسلم (عليه السلام) وهو ابن عشر سنين[٢]، فقد صحت الرواية عنه (عليه السلام) أنه قال: «بعث النبي (صلى الله عليه وآله) يوم الإثنين، فأسلمت يوم الثلاثاء»[٣].

المطلب الثاني: مكوّنات شخصيّة أمير المؤمنين (عليه السلام)

تعود شخصية كلّ إنسان ـ حسب مايرى علماء النفس ـ إلى ثلاثة عوامل هامّة لكلّ منها نصيب وافر في تكوين الشخصية وأثر عميق في بناء كيانها.

وكأنّ الشخصية الاِنسانية لدى كل إنسان أشبه بمثلث يتألّف من اتّصال هذه الاَضلاع الثلاثة بعضها ببعض، وهذه العوامل الثلاثة هي: الوراثة، والتعليم والثقافة، والبيئة والمحيط.

إنّ كلّ ما يتّصف به المرء من صفات حسنة أو قبيحة، عالية أو وضيعة تنتقل إلى الاِنسان عبر هذه القنوات الثلاث، وتنمو فيه من خلال هذه الطرق.

على أنّنا يجب أن لاننسى دور إرادة الاِنسان نفسه وراء هذه العوامل الثلاثة.

لم يكن الاِمام علي (عليه السلام) بصفته بشراً بمستثنى من هذه القاعدة؛ فقد ورث الاِمام

---

(١)انظر : أمالي الصدوق : ١٩، ذيل حديث ٦. بشارة المصطفى: ١٨ و ١٦٥، اليقين لابن طاووس : ١٠ ، مناقب الخوارزمي : ٤٢ ، ٢٣١.

(٢)الكافي ١: ٣٧٦ ، تاج المواليد: ٩٠. مناقب ابن شهر آشوب ٣ : ٣٠٧.

(٣)تفسير القمي ١ : ٣٧٨. مسند أبي يعلى ١ : ٣٤٨ ، ٤٤٦. الأوائل لأبي هلال العسكري : ٩١. مستدرك الحاكم ٣ : ١١٢ عن انس بن مالك ، ووافقه الذهبي في ذيل المستدرك. تاريخ ابن عساكر – ترجمة الإمام علي (عليه السلام) – ١ : ٥ ، ٧٩ ، صحيح الترمذي ٥ : ٦٤٠ ، ٣٧٢٨ عن أنس بن مالك، إلا أنه فيه «وصلى علي» بدل «فأسلمت».

أمير المؤمنين عليه السلام جانباً كبيراً من شخصيته النفسية والروحية والأخلاقية من هذه العوامل والطرق الثلاثة، وإليك التفصيل:

أولا: علي عليه السلام والوراثة من الأبوين

لقد انحدر الاِمام علي من صلب والد عظيم الشأن، رفيع الشخصيّة هو أبوطالب، ولقد كان أبو طالب زعيم مكّة، وسيّد البطحاء، ورئيس بني هاشم، وهو إلى جانب ذلك،كان معروفاً بالسماحة والبذل والجود والعطاء والعطف والمحبّة والفداء والتضحية في سبيل الهدف المقدّس، والعقيدة التوحيديّة المباركة.

فهو الذي تكفّل رسول الله منذ توفّي جدّه وكفيله الاَوّل عبدالمطلب وهو آنذاك في الثامنة من عمره، وتولّى العناية به والقيام بشؤونه، وحفظه وحراسته في السفر والحضر، بإخلاص كبير واندفاع وحرص لانظير لهما، بل وبقي يدافع عن رسالة التوحيد، والدين الحق الذي جاء به النبي الكريم صلى الله عليه وآله ويقوم في سبيل إرساء قواعده ونشر تعاليمه بكل تضحية وفداء، و يتحمّل لتحقيق هذه الاَهداف العليا كلّ تعب ونصب وعناء.

وقد انعكست هذه الحقيقة وتجلّى موقفه هذا في كثير من أشعاره وأبياته المجموعة في ديوانه بصورة كاملة. من قبيل:

ليعلم خيار الناس أنّ محمّداً * نبيّ كموسى والمسيح ابن مريم

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً * رسولاً كموسى خُطّ في أوّل الكتب[1]

إنّ من المستحيل أن تصدر أمثال هذه التضحيات التي كان أبرزها محاصرة بني هاشم جميعاً في الشعب، ومقاطعتهم القاسية، من دافع غير الاِيمان العميق بالهدف والشغف الكبير بالمعنوية، الذي كان يتّصف به أبوطالب؛ إذ لا تستطيع مجرّد الوشائج العشائرية، وروابط القربى، أن توجد في الاِنسان مثل هذه الروح التضحويّة.

وأمّا أُمّه، فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهي من السابقات إلى الاِسلام

---

(١) مجمع البيان ٤: ٣٧.

والاِيمان برسول الله صلى الله عليه وآله. وقد كانت قبل ذلك تتّبع ملّة إبراهيم.

إنّها المرأة الطاهرة التي لجأت ـ عند المخاض ـ إلى المسجد الحرام، وألصقت نفسها بجدار الكعبة وأخذت تقول: «يا ربّ، إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّي مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم وإنّه بنى البيت العتيق، فبحقّ الذي بنى هذا البيت وبحق المولود الذي في بطني إلاّ ما يسّرت عليّ ولادتي». فدخلت فاطمة بنت أسد الكعبة ووضعت عليّاً هناك.[1]

تلك فضيلة نقلها قاطبة المؤرّخين والمحدّثين، كما نقلها ثلّة كبيرة من علماء السنّة وصرّحوا بأنها متواترة[2]، لم يسبق لها مثيل.[3]

ثانيا: الإمام عليّ عليه السلام وتربيته في حجر النبيّ صلى الله عليه وآله

وأمّا التربية الروحية والفكرية والأخلاقية، فقد تلقّاها عليه السلام في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي الضلع الثاني من أضلاع شخصيته الثلاثة.

ولا يتجاوز هذا القسم من حياته الشريفة عشر سنوات؛ لاَنّ اللّحظة التي ولد فيها عليّ عليه السلام لم يكن النبيّ صلى الله عليه وآله قد تجاوز فيها الثلاثين من عمره المبارك، هذا مع العلم بأنّه صلى الله عليه وآله قد بعث بالرسالة في سنّ الاَربعين. وعلى هذا الأساس، لم يكن الاِمام عليّ عليه السلام قد تجاوز السنة العاشرة من عمره يوم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بالرسالة، وتوّج بالنبوّة.

إنّ أبرز الحوادث في حياة الاِمام عليّ عليه السلام هو تكوين الشخصية العلوية، وتحقّق الضلع الثاني من المثلّث الذي تقدم بواسطة النبيّ الاَكرم، وفي ظلّ ما أعطاه صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام من أخلاق وأفكار.

وتحقيقاً لهذا الهدف السامي، تولّى النبي الكريم صلى الله عليه وآله بنفسه تربية عليّ عليه السلام

---

(١)كشف الغمّة ١: ٦٠.

(٢)شرح عينية عبد الباقي العمري: ١٥.

(٣)مروج الذهب ٢: ٣٤٩. شرح الشفاء للقاضي عياض ١: ١٥١ وغيرهما. راجع أيضا: الغدير ٦: ٢٢.

بعد ولادته، وذلك عندما أتت فاطمة بنت أسد بوليدها عليه السلام إلى الرسول صلى الله عليه وآله عندما أخذ النبي عليّاً ليتكفل به،[1] فلقيت من رسول الله حبّاً شديداً لعليّ، حتّى أنّه قال لها: «إجعلي مهده بقرب فراشي»، وكان صلى الله عليه وآله يطهّر علياً في وقت غسله، ويوجره اللّبن عند شربه، ويحرّك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويلاحظه، ويقول: «هذا أخي، ووليّي، وناصري، وصفيّي، وذخري، وكهفي، وصهري، ووصيّي، و زوج كريمتي، وأميني على وصيّتي، وخليفتي.[2]

ولقد كانت الغاية من هذه العناية أن يتمّ توفير الضلع الثاني في مثلّث الشخصية بواسطته صلى الله عليه وآله، وأن لا يكون لأحد غيره صلى الله عليه وآله دخل في تكوين الشخصية العلوية.

وقد ذكر الإمام عليّ عليه السلام ما أسداه الرسول الكريم إليه، وما قام به تجاهه في تلكم الفترة إذ قال: «وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخَصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد، يضمّني إلى صدره، ويَكنُفني في فراشه، ويمسُّني جسدَه، ويُشمّني عَرْفَه، وكان يمضغ الشيء ثمّ يُلقمنيه.[3]

وهذا علي عليه السلام يشير إلى تلك الرعاية النبويّة، بقوله: «ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أُمّه، يرفع لي كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالإقتداء به».[4]

ثالثا: البيئة الرسالية وشخصية علي عليه السلام

ولو أضفنا الأمرين المتقدمين إلى ما أخذه من بيئة الرسالة والإسلام من أفكار وآراء رفيعة، وتأثّر بها، أدركنا عظمة الشخصية العلوية من هذا الجانب.

ومن هنا، يحظى الإمام عليه السلام بمكانة مرموقة لدى الجميع؛ مسلمين وغير مسلمين؛ لما كان يتمتّع به من شخصية سامقة، وخصوصيات خاصّة يتميّز بها.

---

(١)بحار الأنوار ٣٥: ٤٤. سيرة ابن هشام ١: ٢٤٦.

(٢)كشف الغمة ١: ٦٠.

(٣)نهج البلاغة، الخطبة (١٩٢) المسمّاة بالخطبة القاصعة.

(٤)نهج البلاغة ـ شرح عبده ـ ٢: ١٨٢.

قال عمر بن الخطّاب: «عقمت النساء أن يلدن مثل عليّ بن أبي طالب».[١]

ويقول جورج جرداق الكاتب المسيحي اللبناني المعروف:

«وماذا عليك يا دنيا لو حشدت قواك فأعطيت في كلّ زمن عليّاً بعقله وقلبه ولسانه وذي فقاره».[٢]

هذه الأَبعاد التي ألمحنا إليها هي الأبعاد الطبيعية للشخصية العلوية.

المطلب الثالث: البعد المعنوي لشخصيّة علي عليه السلام

غير أنّ أبعاد شخصية الاِمام عليّ عليه السلام لا تنحصر في الاَبعاد الثلاثة المتقدمة؛ فإنّ لاَولياء الله بعداً رابعاً، داخلاً في هويّة ذاتهم، وحقيقة شخصيتهم، وهذا البعد هو الذي ميّزهم عن سائر الشخصيات، وأضفى عليهم بريقاً خاصّاً، ولمعاناً عظيماً، ألا وهو البعد المعنوي الذي ميّز هذه الصفوة عن الناس، وجعلهم نخبة ممتازة وثلّة مختارة من بين الناس؛ وهو كونهم رسل الله وأنبياءه، أو خلفاءه وأوصياء أنبيائه.

فلاَجل ذلك يقف المرء في تحديد الشخصيات الاِلهية على شخصية مركّبة من بعدين: طبيعي وإلهي، ولا يقدر على توصيفها إلاّ بنفس ما وصفهم به الله سبحانه، وقد نزلت في حقّ الاِمام أميرالمؤمنين عليه السلام آيات عديدة، ووردت روايات كثيرة.

---

(١)الغدير ٦: ٣٨.

(٢)الاِمام علي صوت العدالة الاِنسانية ١: ٤٩.

خلاصة البحث

يمكن أن نتناول حياة الإمام علي عليه السلام من خلال عهدين متميزين هما:

ـ فترة حياة النبي صلى الله عليه وآله.

ـ ما بعد حياة النبي صلى الله عليه وآله.

ولد عليه السلام بمكة في البيت الحرام يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة، ولم يولد قط في بيت الله تعالى مولود سواه لا قبله ولا بعده.

أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وأبوه أبو طالب بن عبد المطلب زعيم مكّة، وسيّد البطحاء، ورئيس بني هاشم.

أسماؤه عليه السلام في كتب الله تعالى المنزلة كثيرة، وكنيته المشهورة أبو الحسن، ولقبه الذي لقبه به النبي صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين.

تعود شخصية كلّ إنسان ـ حسب مايرى علماء النفس ـ إلى ثلاثة عوامل هامّة لكلّ منها نصيب وافر في تكوين الشخصية وأثر عميق في بناء كيانها، وهي:

ـ الوراثة.

ـ التعليم والثقافة.

ـ البيئة والمحيط.

وقد تولّى النبي الكريم صلى الله عليه وآله بنفسه تربية عليّ عليه السلام بعد ولادته.

إختبارات البحث

١. بين التقسيم الكلي لتاريخ أمير المؤمنين عليه السلام.

٢. ما هي مكونات الشخصية الثلاثة لكل إنسان؟

٣. عرف بمكونات شخصية أمير المؤمنين عليه السلام.

٤. تكلم عن البعد المعنوي من شخصية أمير المؤمنين عليه السلام.

٥. كيف أثرت شخصية النبي صلى الله عليه وآله في صياغة شخصية أمير المؤمنين عليه السلام؟

البحث رقم (٣٥)

قيادة الأمة الإسلامية بعد النبي صلى الله عليه وآله

أهداف البحث

١. بيان النظريتين المطروحتين في مجال القيادة بعد النبي صلى الله عليه وآله.

٢. توضيح الزاوية التاريخية في بحث تعيين نوع القيادة بعد النبي صلى الله عليه وآله.

٣. فهم العنصرين الفاعلين في الزاوية التاريخية للبحث.

٤. إستيعاب إثبات الظروف التاريخية لنظرية التنصيص.

٥. إستيعاب إثبات المستندات التاريخية الصحيحة لنظرية التنصيص.

مقدمة البحث

لا شكّ في أنّ الدين الإِسلامي دين عالميّ، وشريعة خاتمة، وقد كانت قيادة الاُمّة الإِسلامية من شؤون النبيّ الاكرم صلى الله عليه وآله ما دام على قيد الحياة، وطبع الحال يقتضي أن يوكل مقام القيادة بعده إلى أفضل أفراد الاُمّة وأكملهم.

إنّ في هذه المسألة؛ وهي كون منصب القيادة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله منصبا تنصيصيّا تعيينيّا أو انتخابيّا اتّجاهين: حيث ترى الشيعة أنّ مقام القيادة منصب تنصيصيّ، ولابدّ أن يُنصّ على خليفة النبيّ من السماء، بينما يرى أهل السنّة أنّ هذا المنصب انتخابيّ جمهوريّ؛ أي: أنّ على الاُمّة أن تقوم بعد النبيّ باختيار فرد من أفرادها للإِدارة.

وأصل البحث في المسألة المتقدمة يقع على عاتق علم الكلام والعقائد، إلا أن هذا لا يعني ارتفاع مسؤولية الباحث التاريخي في هذا المجال؛ فإن من الممكن ـ بل اللازم ـ بحث المسألة المتقدمة من زاوية تاريخية ما دمنا نتكلم في التاريخ، بمعنى: أن نقوم بالحكم بين الإتجاهين السابقين على وفق عنصرين مهمين تاريخيين:

العنصر الأول: الظروف السائدة في عصر الرسالة.

العنصر الثاني: ما ورد في المسألة من وقائع ومستندات تاريخية.

وهذا ما سنحاول القيام به بمنتهى الموضوعية في هذا البحث.

المطلب الأول: الظروف السائدة في عصر الرسالة تقتضي التنصيص

إنّ تقييم الأَوضاع السياسية داخل المنطقة الإِسلامية وخارجها في عصر الرسالة، يقضي بأنّ خليفة النبيّ ﷺ لابدّ أن يعيَّـن من جانب الله تعالى، ولا يصحّ أن يوكل هذا إلى الأُمّة؛ فإنّ المجتمع الإِسلامي كان مهدّداً على الدوام بالخطر الثلاثي (الروم ـ الفرس ـ المنافقون) بشنّ الهجوم الكاسح، وإلقاء بذور الفساد والإختلاف بين المسلمين.

كما أنّ مصالح الأُمّة كانت توجب أن تتوحّد صفوف المسلمين في مواجهة الخطر الخارجي، وذلك بتعيين قائد سياسي من بعده، وبذلك يسدّ الطريق على نفوذ العدو في جسم الأُمّة الإِسلامية والسيطرة عليها، وعلى مصيرها. وإليك بيان وتوضيح هذا المطلب:

أولا: خطر الإمبراطورية الرومانية

لقد كانت الإِمبراطورية الرومانيّة أحد أضلاع الخطر المثلّث الذي يحيط بالكيان الإِسلامي، ويهدّده من الخارج والداخل، وكانت هذه القوّة الرهيبة تتمركز في شمال الجزيرة العربية، وكانت تشغل بال النبي القائد على الدوام، حتّى إنّ التفكير في أمر الروم لم يغادر ذهنه وفكره حتّى لحظة الوفاة، والالتحاق بالرفيق الأَعلى.

وكانت أوّل مواجهة عسكرية بين المسلمين والجيش المسيحي الرومي وقعت في السنة الثامنة من الهجرة في أرض فلسطين، وقد أدّت هذه المواجهة إلى استشهاد القادة العسكريين البارزين الثلاثة وهم: «جعفر الطيار» و«زيد بن حارثة» و«عبد الله بن رواحة»، ولقد تسبّب انسحاب الجيش الإِسلامي بعد استشهاد القادة المذكورين إلى تزايد جرأة الجيش القيصري المسيحي، فكان يخشى بصورة متزايدة أن تتعرّض عاصمة الإِسلام للهجوم الكاسح من قبل هذا الجيش.

من هنا، خرج رسول الله ﷺ في السنة التاسعة للهجرة على رأس جيش كبير جدّاً إلى حدود الشام؛ ليقود بنفسه أيّة مواجهة عسكرية، وقد استطاع الجيش في

هذا الرحلة الصعبة المضنية أن يستعيد هيبته الغابرة، ويجدّد حياته السياسية، غير أنّ هذا الإنتصار المحدود لم يقنع رسول الله ﷺ، فأعدّ قُبيل مرضه جيشاً كبيراً من المسلمين بإمرة «أُسامة بن زيد»، وكلّفهم بالتوجّه إلى حدود الشام.

ثانيا: الإمبراطورية الفارسية

أمّا الضلع الثاني من المثلث الخطير الذي كان يهدّد الكيان الإسلامي، فكان الإمبراطورية الإيرانية (الفارسية) وقد بلغ من غضب هذه الإمبراطورية على رسول الله ﷺ ومعاداتها لدعوته، أن أقدم إمبراطور إيران «خسرو برويز» على تمزيق رسالة النبي ﷺ، وتوجيه الإهانة إلى سفيره بإخراجه من بلاطه، والكتابة إلى واليه على اليمن بأن يوجّه إلى المدينة من يقبض على رسول الله ﷺ ، أو يقتله إن امتنع.

و«خسرو» هذا وإن قتل في زمن رسول الله ﷺ إلاّ أنّ استقلال اليمن ـ التي رزخت تحت استعمار الامبراطورية الإيرانية ردحاً طويلاً من الزمان ـ لم يغب عن نظر ملوك إيران آنذاك، وكان غرور أُولئك الملوك وتجبّرهم وكبرياؤهم لا يسمح بتحمّل منافسة القوة الجديدة (القوة الإسلامية) لهم.

ثالثا: المنافقون

والخطر الثالث كان خطر حزب النفاق، الذي كان يعمل بين صفوف المسلمين على تقويض دعائم الكيان الإسلامي من الداخل، إلى درجة أنّهم قصدوا اغتيال رسول الله ﷺ في طريق العودة من تبوك إلى المدينة. [١]

ولقد قام أبو سفيان بن حرب بعد وفاة رسول الله ﷺ بمكيدة مشؤومة لتوجيه ضربة إلى الأُمّة الإسلامية من الداخل، وذلك عندما أتى علياً عليه السلام، عارضا عليه أن يبايعه ضدّ من عيّنه رجال السقيفة، ليستطيع بذلك تشطير الأُمّة الإسلامية الواحدة إلى شطرين متحاربين متقاتلين، فيتمكّن من التصيّد في الماء العكر، ولكنّ الإمام

---

(١)أشارت إلى ذلك الآية الكريمة ٣٠ من سورة الطور: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾.

علياً عليه السلام أدرك بذكائه البالغ نيّات أبي سفيان الخبيثة، فرفض مطلبه، وقال له كاشفاً عن دوافعه ونيّاته الشريرة: «والله، ما أردت بهذا إلاّ الفتنة، وإنّك ـ والله ـ طالما بغيت للإِسلام شرّا. لاحاجة لنا في نصيحتك».[1]

ولقد بلغ دور المنافقين التخريبي من الشدّة بحيث تعرّض القرآن لذكرهم في سور عديدة هي: سورة آل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والعنكبوت، وغيرها.

فهل مع وجود مثل هؤلاء الأعداء الخطرين والأقوياء الذين كانوا يتربّصون بالإِسلام الدوائر، ويتحيّنون الفرص للقضاء عليه، يصحّ أن يترك رسول الله أُمّته الحديثة العهد بالإِسلام، الجديدة التأسيس، من دون أن يعيّـن لهم قائداً دينياً سياسياً؟!!

إنّ المحاسبات الإجتماعية تقول: إنّه كان من الواجب أن يمنع رسول الإِسلام بتعيين قائـد للأُمّة، ظهور أيّ اختلاف وانشقاق فيها من بعده، وأن يضمن استمرار وبقاء الوحدة الإِسلامية بإيجاد حصن قويّ وسياج دفاعي متين حول تلك الأُمّة.

إنّ تحصين الأُمّة، وصيانتها من الحوادث المشؤومة، والحيلولة دون مطالبة كلّ فريق «الزعامة» لنفسه دون غيره، لم يكن ليتحقّق، إلاّ بتعيين قائد للأُمّة، لا تركها للأقدار.

المطلب الثاني: الوثائق والمستندات التاريخية تثبت التنصيص

إنّ هذه المحاسبة الاجتماعية المنطقية تهدينا إلى صحّة نظرية «التنصيص على القائد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله»، ولعلّه لهذه الجهة ولجهات أُخرى طرح رسول الإِسلام مسألة الخلافة في الأيام الأُولى من ميلاد الرسالة الإِسلامية، وظلّ يواصل طرحها والتذكير بها طوال حياته حتّى الساعات الأخيرة منها، حيث عيّـن خليفته ونصّ عليه بالنصّ القاطع الواضح الصريح في بدء دعوته، وفي نهايتها.

ولا بأس ببيان كلا هذين المقامين ولو باختصار:

أولا: النبوّة والإمامة توأمان

بغضّ النظر عن الأدلّة العقلية والفلسفية التي تثبت صحّة الرأي الأوّل بصورة

---

(١)الكامل في التاريخ ٢: ٢٢٢. العقد الفريد ٢: ٢٤٩.

قطعيّة، هناك أخبار وروايات وردت في المصادر المعتبرة تثبت صحّة الموقف والرأي الذي ذهب إليه علماء الشيعة وتصدّقه، فقد نصّ النبيّ ﷺ على خليفته من بعده في الفترة النبوية من حياته مراراً وتكراراً، وأخرج موضوع الإمامة من مجال الانتخاب الشعبي والرأي العام.

فهو لم يعيّن (ولم ينصّ على) خليفته ووصيّه من بعده في أُخريات حياته فحسب، بل بادر إلى التعريف بخليفته ووصيّه منذ بدء الدعوة يوم لم ينضو تحت راية رسالته بعدُ سوى بضعة عشر من الأشخاص، وذلك يوم أُمر من جانب الله العليّ القدير أن ينذر عشيرته الأقربين من العذاب الإلـهي الأليم، وأن يدعوهم إلى عقيدة التوحيد قبل أن يصدع برسالته للجميع، ويبدأ دعوته العامة للناس كافة.

فجمع أربعين رجلاً من زعماء بني هاشم وبني المطلّب، ثمّ خطب فيهم، فقال:

«أيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟»

فأحجم القوم، وقام عليّ عليه السلام وأعلن مؤازرته وتأييده له، فأخذ رسول الله ﷺ برقبته، والتفت إلى الحاضرين، وقال: «إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم».[1]

وقد عرف هذا الحديث عند المفسّـرين والمحدّثين: بـ «حديث يوم الدار» و«حديث بدء الدعوة».

على أنّ رسول الله ﷺ لم يكتف بالنصّ على خليفته في بدء رسالته، بل صرّح في مناسبات شتّى في السفر والحضر، بخلافة عليّ عليه السلام من بعده، ولكن لا يبلغ شيء من ذلك في الأهمية والظهور والصراحة والحسم ما بلغه حديث الغدير.

ثانيا: قصة الغدير

أ ـ أصل القصة

لمّا انتهت مراسم الحجّ في العام العاشر للهجرة، وتعلّم المسلمون مناسك الحجّ من رسول الله، قرّر رسول الله ﷺ الرحيل عن مكّة، والعودة إلى المدينة، فأصدر

---

(١)تاريخ الطبري ٢: ٢١٦. الكامل في التاريخ ٢: ٦٢ و ٦٣.

أمراً بذلك، ولمّا بلغ موكب الحجيج العظيم إلى منطقة «رابغ» التي تبعد عن «الجحفة» بثلاثة أميال، نزل أمين الوحي جبرئيل على رسول الله ﷺ بمنطقة تدعى «غدير خم»، وخاطبه بالآية التالية:

﴿يأيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إلَيْك مِنْ ربّك وإنْ لمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتهُ وَالله يَعْصِمُك مِنَ النّاسِ﴾.[1]

إنّ هذا الخطاب الإلهي كان يأمر الرسول بأمر مهّم ويجعل على عاتقه مسؤولية عظيمة. فأيّ تبليغ طُلب من الرسول إنجازه وهو لم يقم به بعد؟ وقد أمضى النبي ﷺ مايقارب من ثلاثة وعشرين عاماً يبلّغ آيات الله وأحكامه ويدعو الناس إلى دين الله، وقد نال مانال من عظيم المحن والبلاء والجهد، كي يقال له: «وإن لم تفعل فما بلغت رسالته»؟!

من هنا، أصدر رسول الله ﷺ أمره بالتوقّف، فتوقّف طلائع ذلك الموكب العظيم، والتحق بهم من تأخر.

لقد كان الوقت وقت الظهيرة، وكان المناخ حارّاً إلى درجة كبيرة جدّاً، وكان الشخص يضع قسماً من عباءته فوق رأسه والقسم الآخر منها تحت قدميه، وصنع للنبيّ ﷺ مظلّة، وكانت عبارة عن عباءة أُلقيت على أغصان شجرة (سمرة)، وصلّى رسول الله ﷺ بالحاضرين الظهر جماعة وفيما كان الناس قد أحاطوا به صعد ﷺ على منبر وخطب في الناس رافعاً صوته، وكان من جملة ما قاله ﷺ:

«أمّا بعد؛ أيّها الناس إنّي أُوشك أن أُدعى فأُجيب، وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت وجهدت، فجزاك الله خيراً.

قال ﷺ: ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟

---

(١)المائدة: ٦٧.

قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال صلى الله عليه وآله: اللّهمّ اشهد.

ثمّ قال صلى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً.

فنادى منادٍ: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، وما الثقلان؟

قال صلى الله عليه وآله: كتاب الله سبب طرف بيد الله، وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به؛ والآخر عترتي، وإنّ اللّطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا.

وهنا أخذ بيد عليّ عليه السلام ورفعها، حتى رؤي بياض آباطهما، وعرفه الناس أجمعون، ثمّ قال: «أيّها الناس، من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

فقال صلى الله عليه وآله: «إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه. [١]، اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحب من أحبّه، وابغض من بغضه، وأدر الحق معه حيث دار.[٢]

فلمّا نزل من المنبر، استجازه حسّان بن ثابت شاعر عهد الرسالة في أن يفرغ ما نزل به الوحي في قالب الشعر، فأجازه الرسول، فقام وأنشد:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم * بخمّ وأكرم بالنبيّ مناديا

يقول فمن مولاكم ووليّكم * فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

إلهك مولانا وأنت وليّنا * ولم ترَ منّا في الولاية عاصيا

فقال له قم يا عليّ فإنّني * رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليّه * فكونوا له أنصار صدق ومواليا

هناك دعا: اللّهمّ وال وليّه * وكن للذي عادى عليّاً معاديا

---

(١)لقد كرّر النبيّ صلى الله عليه وآله هذه العبارة ثلاث مرات دفعاً لأيّ التباس أو اشتباه.

(٢)للوقوف على مصادر هذا الحديث المتواتر، راجع: موسوعة الغدير، للعلاّمة الأميني.

ب ـ مستندات القصة

هذه هي واقعة الغدير استعرضناها لك على وجه الاِجمال، وهي بحقّ واقعة لايسوغ لاَحد إنكارها بأدنى مراتب التشكيك والقدح، فقد تناولها بالذكر أئمّة المؤرّخين أمثال: البلاذري، وابن قتيبة، والطبري، والخطيب البغدادي، وابن عبدالبرّ، وابن عساكر، وياقوت الحموي، وابن الاَثير، وابن أبي الحديد، وابن خلّكان، وغيرهم.

كما ذكره أيضا أئمّة الحديث أمثال: الاِمام الشافعى، وأحمد بن حنبل، وابن ماجة، والترمذي، والنسائي، وأبو يعلي الموصلي، والبغوي، والطحّاوي، والحاكم النيسابوري، إلى غير ذلك من أعلام المحدثّين الذين يقصر المقال عن عدّهم وحصرهم.

كما تعرّض له كبار المفسرين، فقد ذكره: الطبري، والثعلبي، والواحدي ـ في أسباب النزول، والقرطبي، وغيرهم.

وذكره من المتكلّمين طائفة جمّة في خاتمة مباحث الاِمامة وإن ناقشوا نقضاً وإبراماً في دلالته كالقاضي أبي بكر الباقلاني في تمهيده، والقاضي عبد الرحمن الاِيجي في مواقفه، والسيد الشريف الجرجاني في شرحه، وغيرهم.

ج ـ عناصر خلود القصة

أراد المولى عزّوجلّ أن يبقى حديث الغدير غضّاً طرياً على مرّ الاَجيال، ويرجع ذلك إلى أُمور ثلاثة:

١ـ إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد هتف به في مزدحم غفير يربو على عشرات الآلاف من وجوه الصحابة وأعيان الاُمّة، وأمر بتبليغ الشاهد الغائب ليكونوا كافّة على علم وخبر بما تمّ إبلاغه.

٢ـ إنّ الله سبحانه قد أنزل في تلك المناسبة آيات تلفت نظر القارىَ إلى الواقعة عندما يتلوها وإليك الآيات:

أ ـ ﴿يا أيُّها الرَّسُولُ بَلّغْ مَا أُنْزِلَ إلَيْك مِنْ ربّك وإنْ لمْ تَفْعَلْ فَما بَلّغْتَ رِسالَتهُ

وَالله يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾.[(١)]

وقد ذكر نزولها في واقعة الغدير طائفة من المفسّرين يربو عددهم على الثلاثين، وقد ذكر العلاّمة البحّاثة المحقّق الأميني في كتاب «الغدير» نصوص عبارات هؤلاء، فليرجع إليه.

ب ـ ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾.[(٢)]

وقد نقل نزول الآية جماعة منهم يزيدون على ستّة عشر.

ج ـ ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ الله ذِي المَعارِجِ﴾.[(٣)]

وقد ذكر أيضا نزول هذه الآية جماعة من المفسّـرين ينوف على الثلاثين.

٣ـ إنّ الحديث منذ صدوره من منبع الوحي، تسابقت الشعراء والأُدباء على نظمه، وإنشاده في أبيات وقصائد امتدّت رقعتها منذ عصر انبثاق ذلك النصّ في تلك المناسبة إلى عصرنا هذا، وبمختلف اللغات والثقافات.

يقول زيد بن أرقم: كان أوّل من صافح النبي ﷺ وعليّاً: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وباقي المهاجرين والأنصار، وباقي الناس.[(٤)]

فالحمد لله الذي جعلنا من المتمسّكين بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١)المائدة: ٦٧.

(٢)المائدة: ٣.

(٣)المعارج: ١ـ٣.

(٤)راجع تاريخ اليعقوبي ٣: ١١٢. مسند أحمد ٤: ٢٨١. البداية والنهاية ٥: ٢١٣. موسوعة الغدير ١: ٤٣، ١٦٥، ١٩٦، ٢١٥، ٢٣٠ ... .والجزء: ١١: ١٣١.

خلاصة البحث

ترى الشيعة أنّ مقام القيادة منصب تنصيصيّ، بينما يرى أهل السنّة أنّ هذا المنصب انتخابيّ جمهوريّ.

إنّ تقييم الأَوضاع السياسية داخل المنطقة الإِسلامية وخارجها في عصر الرسالة يقضي بأنّ خليفة النبىّ ﷺ لابدّ أن يعيَّــن من جانب الله تعالى.

طرح رسول الإِسلام مسألة الخلافة في الأَيام الأُولى من ميلاد الرسالة الإِسلامية، وظلّ يواصل طرحها والتذكير بها طوال حياته حتّى الساعات الأَخيرة منها.

أراد المولى عزّوجلّ أن يبقى حديث الغدير غضّاً طرياً على مرّ الأَجيال، ويرجع ذلك إلى جملة من الأُمور .

إختبارات البحث

١. بين النظريتين المطروحتين في مجال القيادة بعد النبي ﷺ.

٢. وضح الزاوية التاريخية في بحث تعيين نوع القيادة بعد النبي ﷺ.

٣. ما هما العنصران الفاعلان في الزاوية التاريخية للبحث في تعيين نوع القيادة بعد النبي ﷺ؟

٤. كيف تثبت الظروف التاريخية نظرية التنصيص في القيادة بعده ﷺ؟

٥. بين كيف أن المستندات التاريخية الصحيحة تثبت نظرية التنصيص على في القيادة بعده ﷺ.

البحث رقم (٣٦)

الإنقلاب على الشرعية: أحداث السقيفة المشؤومة

أهداف البحث

١. بيان أحداث سقيفة بني ساعدة بعد وفاته صلى الله عليه وآله.

٢. إستيعاب الدور الذي قام به بعض الصحابة في الإنقلاب على الشرعية.

٣. توضيح ما احتج به بعض الأصحاب لتقلد مقاليد الأمور بعده صلى الله عليه وآله.

٤. بيان كيفية أخذ البيعة للخليفة الأول.

٥. إستيعاب موقف الإمام علي عليه السلام من عدم إعلان الثورة.

مقدمة البحث

تناولنا في البحث السابق بعض الخطوط العامة في حياة الإمام علي عليه السلام، وما ينبغي التعرض له الآن هو أهم حدث بدأ بوفاة النبي صلى الله عليه وآله، وهو حدث ما يسمى بالسقيفة؛ الحدث الذي كان له التأثير المهم على الإسلام والمسلمين إلى يومنا هذا؛ بوصفه الإنحراف الأعنف عن خط الرسالة المحمدية الشريفة.

المطلب الأول: أحداث السقيفة[1]

لم يكن حول النبي صلى الله عليه وآله في اللحظات الأخيرة من حياته سوى عليّ عليه السلام وبني هاشم، وقد علم الناس بوفاته من الضجيج وعويل النساء، فأسرعوا، وتجمّعوا في المسجد وخارجه وهم في حالة من الارتباك والدهشة لا يحيرون جواباً إلاّ البكاء والنواح، وهم على هذه الحالة وإذا بموقف غريب يصدر من عمر؛ إذ خرج

---

(١)لم يكتب في السقيفة وأحداثها بصورة تحقيقية تحليلية موضوعية في السنين الأخيرة كما كتبه أخونا العلامة المحقق الشيخ إياد المنصوري في كتابه النفيس: (المنهج العلمي في تقييم أفعال الصحابة)، لذا، نوصى كل باحث موضوعي ينشد الحقيقة بموضوعية وهدوء بمطالعة هذا الكتاب النفيس.

بعد أن دخل على رسول الله ﷺ والسيف في يده يهزّه، ويقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله قد مات، إنّه والله ما مات، ولكنّه قد ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران[١].

ولم يهدأ عمر حتى وصل أبو بكر[٢] إلى بيت رسول الله ﷺ، فكشف عن وجه النبيّ، وخرج مسرعاً، وقال: أيّها الناس، من كان يعبد محمّداً، فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإنّ الله حيّ لا يموت، ثمّ تلا الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ...﴾[٣].

ثمّ خرج عمر وأبو بكر وأبو عبيدة الجرّاح من البيت الذي فيه جثمان النبي المبارك، وتركوه إلى عليّ وأهل بيته المفجوعين بوفاته، وقد أذهلهم المصاب عن كلّ شيء، وقام عليّ وأهل بيته عليهم السلام بتجهيز النبيّ والصلاة عليه ودفنه، وفي الوقت نفسه، كانت قد عقدت الأنصار اجتماعاً لها في سقيفة بني ساعدة لتدبير أمر الخلافة.

ما إن سمع عمر خبر اجتماع الأنصار في السقيفة؛ حتى أتى منزل رسول الله ﷺ وفيه أبو بكر، فأرسل إليه أن اُخرج إليّ، فأجابه بأنّه مشغول، فأرسل إليه عمر ثانيةً أن اُخرج فقد حدث أمر لا بدّ أن تحضره.

فخرج إليه أبو بكر، فمضيا مسرعين نحو السقيفة ومعهما أبو عبيدة، ومن ثَمّ لحقهم آخرون، فأدركوا الأنصار في ندوتهم ولمّا يتمّ بعدُ الاجتماع، ولم ينفضّ أصحابه، فتغيّر لون سعد بن عبادة، واُسقط ما في أيدي الأنصار، وساد عليهم الوجوم والذهول.

وافتتح أبو بكر الحديث باُسلوب لبق، فخاطب الأنصار باللطف، ولم يستعمل

---

(١)الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٣.

(٢)يروى أنّ أبا بكر كان في «السنح» وهو محل يبعد عن المدينة بميل واحد أو أكثر قليلاً.

(٣) آل عمران: ١٤٤.

في خطابه أيّة كلمة مثيرة، فقد قال: «نحن المهاجرون أوّل الناس إسلاماً، وأكرمهم أحساباً، وأوسطهم داراً، وأحسنهم وجوهاً، وأمسّهم برسول الله ﷺ رحماً، وأنتم إخواننا في الإسلام، وشركاؤنا في الدين، نصرتم وواسيتم، فجزاكم الله خيراً، فنحن الأُمراء، وأنتم الوزراء، لا نفتات عليكم بمشورة، ولا نقضي دونكم الأُمور».

فقال الحباب بن المنذر بن الجموح انتصارا للأنصار: يا معشر الأنصار، إملكوا عليكم أمركم، فإنّ الناس في ظلّكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولا يصدر أحد إلاّ عن رأيكم، أنتم أهل العزّة والمنعة، وأُولو العدد والكثرة، وذوو البأس والنجدة، وإنّما ينظر الناس ما تصنعون، فلا تختلفوا فتفسد عليكم أُموركم، فإن أبى هؤلاء إلاّ ما سمعتم، فمنّا أمير ومنهم أمير».

فقال عمر: هيهات، لا يجتمع سيفان في غمد، والله، لا ترضى العرب أن تؤمّركم ونبيّها من غيركم، ولا تمتنع العرب أن تولّي أمرها من كانت النبوّة منهم، فمن ينازعنا سلطان محمّد ونحن أولياؤه وعشيرته؟!

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار، إملكوا أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم؛ فاجلوهم من هذه البلاد، وأنتم أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيافكم دانَ الناس بهذا الدين، أنا جذيلها المحكك، وعُذيقها المرجَّب، أنا أبو شبل في عرينة الأسد، والله، إن شئتم لنعيدها جذعة.

وهنا، تأزّم الموقف، وكاد أن يقع الشرّ بين الطرفين، فوقف أبو عبيدة بن الجرّاح ليَحُول دون ذلك، ويتدارك الفشل، فقال بصوت هادئ مخاطباً الأنصار: «يا معشر الأنصار، أنتم أوّل من نصر وآوى، فلا تكونوا أوّل من بدّل».

وانسلت كلماته هادئةً إلى النفوس، فسادَ الصمت لحظات على الجميع، فاغتنمها بشير بن سعد لصالح المهاجرين هذه المرّة، يدفعه لذلك حَسده لسعد بن عبادة فقال: يا معشر الأنصار، ألا إنّ محمّداً من قريش، وقومه أولى به، وأيم الله، لا

يراني الله اُنازعهم هذا الأمر.

فاغتنم المهاجرون الثلاثة هذه الثغرة في جبهة الأنصار، فقال أبو بكر: هذا عمر وأبو عبيدة، بايعوا أيّهما شئتم[١]، وقال عمر: يا أبا عبيدة، إبسط يدك اُبايعك، فأنت أمين هذه الاُمّة[٢]، فقال أبو بكر: يا عمر، إبسط يدك نبايع لك، فقال عمر: أنت أفضل منّي، قال أبو بكر: أنت أقوى منّي، قال عمر: قوّتي لك مع فضلك، إبسط يدك اُبايعك[٣]، فلمّا بسط يده ليبايعاه، سبقهما بشير بن سعد، فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير، عَقَّتك عقاق، أنفِستَ على ابن عمّك الإمارة؟

ولمّا رأت الأوس ما صنع بشير وما تطلب الخزرج من تأمير سعد؛ قال بعضهم لبعض وفيهم اُسيد بن خضير وكان نقيباً: والله، لئن وليتها الخزرج مرّة؛ لازالت عليكم بذلك الفضيلة أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر، فانكسر على سعد والخزرج ما أجمعوا عليه، وأقبل أصحاب اُسيد يبايعون أبا بكر[٤]، وقالت بعض الأنصار: لا نبايع إلاّ عليّاً[٥].

ثم أقبل أبو بكر والجماعة التي تحيط به يزفّونه إلى المسجد زفاف العروس[٦]، والنبيّ ﷺ لازال ملقىً على فراش الموت، وعمر يهرول بين يديه وقد نبر حتى أزبد شدقاه، وجماعته تحوطه وهم متّزرون بالأُزر الصنعانية، لا يمرّون بأحد إلاّ خبطوه وقدّموه، فمدّوا يده، فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه، شاء ذلك أو أبى[٧].

---

(١)الإمامة والسياسة ١: ١٥. تاريخ الطبري ٢: ٤٥٨. الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٥.

(٢)الطبقات الكبرى ٣: ١٨١.

(٣)تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٧٠.

(٤)الكامل في التاريخ ٢: ٣٣٠.

(٥)تاريخ الطبري ٢: ٤٤٣ .

(٦)شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٨ .

أبى[1].

المطلب الثاني: إفرازات مؤتمر السقيفة

وقد كان لمؤتمر السقيفة عدة إفرازات، منها:

١ـ الاستبداد بالرأي والقرار، فقد استهان المشاركون في السقيفة بوصايا رسول الله ﷺ للمسلمين بالاهتمام بعترته الطاهرة، واستخفّوا بأوامره المصرّحة بلزوم الاقتداء بهم والتمسّك بحبلهم.

٢ـ لم تكن البيعة جامعة لأهل الحلّ والعقد، الذي يعتبر شرطاً أساسياً في حصول الإجماع، وفي مشروعية الانتخاب إن كانت القضية انتخابية كما قد يدعى.

٣ـ إستعمال العنف والقسوة في طريقة أخذ البيعة من المسلمين؛ فإنّ كثيراً من المسلمين قد أُرغموا عليها، وقد لعبت دِرّة عمر في سبيل تحقيقها وإيجادها دوراً كبيراً.

٤ـ تحويل مفهوم النبوّة الرّبانية وخلافة الرسول ﷺ إلى مفهوم السلطة العشائرية، التي تستمد قوّتها وشرعيتها من انتخاب أبناء العشيرة وليس من نصوص الشريعة المقدّسة.

٥ـ هيّأ اجتماع السقيفة الأرضيّة المناسبة لتجاوز وجود الأُمّة، وتجاوز رأيها السياسي بعد السقيفة.

المطلب الثالث: عليّ عليه السلام ومؤتمر السقيفة

لقد وصل خبر اجتماع السقيفة إلى بيت النبيّ ﷺ، حيث يجتمع عليّ عليه السلام وبنو هاشم والمخلصون من الصحابة حول جسد رسول الله ﷺ، فقال العباس عمّ الرسول لعليّ: يا ابن أخي، اُمدد يدك اُبايعك، فيقال: عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله، فلا يختلف عليك اثنان.

---

(١)شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢١٩.

فقال عليه السلام: يا عمّ، وهل يطمع فيها طامع غيري؟!

قال العباس: ستعلم.

غير أنّ الإمام عليه السلام لم يكن ليخفى عليه ما كان يجري في الساحة من مؤامرات آنذاك، فأجابه بصريح القول: «إنّي لا أُحبّ هذا الأمر من وراء رِتاج»[١].

وروي أيضا: أنّه لمّا اجتمع الناس على بيعة أبي بكر، أَقبل أبو سفيان وهو يقول: والله، إنّي لأرى عجاجةً لا يطفئها إلاّ دم، يا آل عبد مناف، فيم أبو بكر من أُموركم؟! أين المستضعفان: عليّ والعباس؟ وقال: أبا حسن، إبسط يدك أُبايعك، فأبى عليّ عليه السلام عليه، وزجره، وقال: إنّك والله ما أردت بهذا إلاّ الفتنة، وإنّك طالما بغيت الإسلام شرّاً، لا حاجة لنا في نصيحتك[٢]. ولمّا بويع أبو بكر، قال أبو سفيان: ما لنا ولأبي فصيل، إنما هي بنو عبدمناف.

فقيل له: إنّه قد ولّى ابنك، قال: وَصَلَته رحم[٣].

المطلب الرابع: أقطاب المعارضة لمؤتمر السقيفة

كان من الطبيعي أن تبرز أطراف معارضة لنتائج السقيفة، التي لم تتمتّع بالأهليّة الكافية والأحقيّة في الزعامة، فبرزت ثلاثة أطراف:

الأوّل: الأنصار، باعتبارهم كتلة سياسية واجتماعية كبيرة لابدّ من حسابها في ميزان الترشيح والانتخاب، فنازعوا الخليفة الفائز وصاحبيه في سقيفة بني ساعدة، ووقعت بينهم المنازعة التي انتهت بفوز قريش.

الثاني: الأُمويّون، الذين كان لديهم مطمع سياسيّ كبير في نيل نصيب مرموق من الحكم، واسترجاع شيء من مجدهم السياسي في الجاهلية، وعلى رأسهم أبو

---

(١)الإمامة والسياسة: ٢١. والرِتاج: الباب المغلق.

(٢)تاريخ الطبري ٢: ٤٤٩. الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٦.

(٣)المصدران السابقان.

سفيان، وقد تعامل معهم أبو بكر وحزبه وفق معرفتهم بطبيعة النفس الأُموية وشهواتها السياسيّة والمادية.

الثالث: الهاشميّون وأخصّاؤهم، كعمار وسلمان وأبي ذر والمقداد رضوان الله عليهم، وجماعات كثيرة من الناس الذين كانوا يرون البيت الهاشمي صاحب الحقّ الشرعي بالخلافة، وهو الوارث الطبيعي لرسول الله ﷺ بحكم نصّ الغدير ومناهج السياسة التي كانوا يألفونها.

وكان بوسعه عليه السلام أن يتحرّك محتجّاً أمام أرباب السقيفة بمبدأ القرابة الذي يعدّ ورقة رابحة بيده، حتى ألمح لذلك بقوله عليه السلام: «احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة». وكان السواد الأعظم من الناس يقدّسون أهل البيت ويحترمونهم لذلك السبب، وبالتالي، سيدفع السلطة الحاكمة إلى أزمة سياسية حرجة لا مخرج منها، بيد أنّه عليه السلام كان أسمى من ذلك وأجلّ، حيث قدّم المصلحة الإسلامية العليا على كلّ المصالح الخاصة.

المطلب الخامس: خطوات السلطة لمواجهة المعارضة

وأما خطوات السلطة لمواجهة المعارضة التي أبداها البعض لأحداث السقيفة، فمنها:

١ـ إنّ السلطة الجديدة أخذت على المعارضين أنّ مخالفتهم الخليفة الجديد ليس إلاّ إحداثاً للفتنة المحرّمة في شريعة الإسلام.

أنّ عمر هدّد بحرق بيت الإمام عليّ عليه السلام وإن كانت فاطمة عليها السلام فيه[1]، ومعنى هذا: أنّ فاطمة وغيرها من آل محمد ﷺ ليس لهم حرمة تمنعهم عن أن يتّخذ الجهاز الحاكم الطريقة نفسها معهم.

---

(١)بحار الأنوار ٤٣: ١٩٧.

٢ـ عزل كلّ العناصر التي تميل إلى بني هاشم، فقد روي أنّ أبا بكر عزل خالد بن سعيد بن العاص عن قيادة الجيش الذي وجّهه لفتح الشام بعد أن أسندها إليه، لا لشيء إلاّ لأنّ عمر نبّهه إلى نزعته الهاشمية، وميله إلى آل محمد، وذكّره بموقفه المعارض لهم بعد وفاة رسول الله ﷺ(١).

٣ـ إضعاف القدرة الإقتصادية للإمام عليّ (عليه السلام)، خشية أن يستثمرها الإمام في الدعوة لاستعادة حقّه الشرعي في الخلافة، فقام الخليفة بمصادرة فدك من الزهراء (عليها السلام)؛ لعلمه أنّها (عليها السلام) كانت سنداً قوياً لقرينها في دعوته إلى نفسه.

فقد روي أنّه لمّا استقرّ الأمر لأبي بكر، بعث إلى وكيل الزهراء على فدك فأخرجه منها واستولى عليها ، واحتجّ بحديث لم يروه غيره، وهو أنّه سمع النبيّ ﷺ يقول: «إنّا معاشرَ الأنبياء لا نورّث، ما تركناه صدقة»، فالنبيّ لا يورث، وإنّما ميراثه في المساكين وفقراء المسلمين(٢).

المطلب السادس: محاولة إرغام الإمام (عليه السلام) على البيعة

ذكر بعض المؤرّخين أنّ عمر أتى أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟ يا هذا، لم تصنع شيئاً ما لم يبايعك عليّ! فابعث إليه حتى يبايعك.

فأجمعوا آراءَهم على إرغام الإمام (عليه السلام) وقسره على البيعة لأبي بكر، فأرسلوا قوة عسكرية، فأحاطت بداره، فدخلوا داره بعنف(٣)، وأخرجوه منها بصورة لا تليق بمكانة شخص قال عنه رسول الله ﷺ: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنـّه لا نبيّ بعدي».

وجيء به إلى أبي بكر، فصاحوا به بعنف: بايع أبا بكر، فأجابهم الإمام بمنطق

---

(١)تاريخ الطبري ٢: ٥٨٦.

(٢)راجع: سنن البيهقي ٦: ٣٠١ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢١٨ ـ ٢٢٤. دلائل الصدق للمظفر ٣: ٣٢.

(٣) الإمامة والسياسة : ٣٠. تاريخ الطبري ٢: ٤٤٣.

الواثق الجريء الشجاع: «أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا أُبايعكم، وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبيّ ﷺ وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً! ألستم زعمتم للأنصار أنّكم أولى بهذا الأمر منهم لمّا كان محمّد ﷺ منكم، فأعطوكم المقادة، وسلّموا إليكم الإمارة؟ وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله ﷺ حيّاً وميّتاً، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، وإلاّ فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون»[١].

فثار ابن الخطّاب بعد أن أعوزته الحجّة في الردّ على الإمام، فسلك طريق العنف قائلاً له: إنّك لست متروكاً حتى تبايع، فزجره الإمام قائلاً: «إحلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم يردده عليك غداً، والله يا عمر، لا أقبل قولك، ولا أُبايعه»[٢].

وخاف أبو بكر من تطوّر الأحداث في غير ما يحب، وخشي من عواقب غضب الإمام، فقال له: إن لم تبايع، فلا أُكرهك، ثمّ تكلّم أبو عبيدة بن الجرّاح محاولاً تهدئة الإمام عليّ عليه السلام وكسب ودّه، فقال:

يا ابن عم، إنّك حديث السنّ، وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأُمور، ولا أرى أبا بكر إلاّ أقوى على هذا الأمر منك، وأشد احتمالاً واضطلاعاً به، فسلّم لأبي بكر هذا الأمر، فإنّك إن تعش ويطل بك بقاء، فأنت لهذا الأمر خليق، وبه حقيق، من فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك[٣].

المطلب السابع: بطل العقيدة بعد رسول الله ﷺ

إذا كانت مواقف الإمام عليّ عليه السلام كلّها رائعة؛ فموقفه من الخلافة بعد رسول الله ﷺ من أكثرها روعةً، فالعقيدة الإلهية تريد في كلّ زمان بَطَلاً يفتديها بنفسه ونفيسه، ويعزّز به المبدأ، وهذا هو الذي بعث بعليّ إلى فراش الموت، وبالنبيّ ﷺ إلى مدينة النجاة يوم الهجرة، ولم يكن ليتهيّأ للإمام عليه السلام في محنته بعد وفاة أخيه الرسول ﷺ

---

(١)الإمامة والسياسة: ٢٨.

(٢)أنساب الاشراف ١: ٥٨٧. شرح نهج البلاغة ٢: ٢ ـ ٥.

(٣)شرح نهج البلاغة ٢: ٢ ـ ٥ و ١: ١٣٤ .

أن يضحّي لها كلا ولديه الحسن والحسين؛ لأنه لو ضحّى بنفسه في سبيل توجيه الخلافة إلى مجراها الشرعي في رأيه؛ لما بقي بعده من يمسك الخيط من طرفيه، وسبطا رسول الله ﷺ طفلان لا يتهيّأ لهما من الأمر ما يريد.

كانت الثورة العلويّة في تلك الظروف إعلاناً لمعارضة دموية تتبعها معارضات دموية ذات أهواء شتّى، وكان فيها تهيئة لظرف قد يغتنمه المشاغبون، ثمّ المنافقون.

ولم تكن ظروف المحنة تسمح لعليّ بأن يرفع صوته وحده في وجه الحكم القائم، بل لتناحرت وتقاتلت مذاهب متعدّدة الأهداف والأغراض، ويضيع بذلك الكيان الإسلامي في اللحظة الحرجة التي يجب أن يلتفّ المسلمون فيها حول قيادة موحّدة، ويركّزوا قواهم فيها لصدّ ما كان يترقّب أن تتمخّض عنه الظروف الدقيقة من فتن وثورات[١].

ومن هنا، كان على الامام عليّ عليه السلام أن يختار الطريق الوسط؛ ليحقّق أكبر قدر ممكن من الأهداف الرسالية التي جعله الرسول ﷺ وصيّاً عليها.

ومن هنا، نعرف أن الرسول ﷺ كان قد أعدّ للإمام عليّ عليه السلام خطّتين، أو خطّة واحدة ذات مرحلتين، فالمرحلة الأولى هي نصبه إماماً شرعياً وخليفةً له بشكل رسمي بعد الإعلان الصريح وأخذ البيعة له من المسلمين، وإتمام الحجّة على جميع من حضر وغاب عن مشهد يوم الغدير.

وأما المرحلة الثانية، فقد كانت بعد إعراض الأمّة، أو عدم انقيادها للأُطروحة النبويّة الإلهية، وتتمثل هذه المرحلة بالصبر والحزم والتخطيط العملي الواقعي لعمل تربوي جذري في ظلّ الدولة الإسلامية الفتيّة، ريثما تُهيَّأ الظروف اللازمة لاستلام الحكم وتحقيق تلك الأُطروحة، لتتحقّق جميع الأهداف الممكنة لتطبيق هذه الشريعة الخالدة تطبيقاً صحيحاً رائعاً.

---

(١) فدك في التاريخ، الشهيد السيد محمد باقر الصدر: ١٠٢ ـ ١٠٥.

خلاصة البحث

قام عليّ وأهل بيته عليهم السلام بتجهيز النبيّ والصلاة عليه ودفنه، وفي الوقت نفسه كانت الأنصار قد عقدت اجتماعاً لها في سقيفة بني ساعدة لتدبير أمر الخلافة. والتحق بهم عمر وأبو بكر وأبو عبيدة، فوقع خلاف شديد بين هؤلاء الثلاثة والأنصار بشأن القيادة بعده صلى الله عليه وآله.

إحتج عمر وغيره على الأنصار بالقرابة من رسول الله لأخذ الخلافة للمهاجرين، فأفلحوا بذلك وبالمكر في تفريق جموع هؤلاء وأخذ الإمرة منهم. فتحول مفهوم النبوّة الرّبانية وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله إلى مفهوم السلطة العشائرية، وتهيأت الأرضيّة المناسبة لتجاوز وجود الأُمّة ورأيها السياسي.

وكان من الطبيعي أن تبرز أطراف معارضة لنتائج السقيفة، فبرز الأنصار، والأُمويّون، والهاشميّون وأخصّاؤهم، وجماعات كثيرة من الناس الذين كانوا يرون البيت الهاشمي صاحب الحقّ الشرعي بالخلافة.

وقد واجهت السلطة المعارضين بخطوات مختلفة، وصلت إلى العنف والقمع.

ولم تكن ظروف المحنة تسمح لعليّ بأن يرفع صوته وحده في وجه الحكم القائم، ومن هنا، كان عليه عليه السلام أن يختار الطريق الوسط؛ ليحقّق أكبر قدر ممكن من الأهداف الرسالية التي جعله الرسول صلى الله عليه وآله وصيّاً عليها.

إختبارات البحث

١. تكلم باختصار عن أحداث سقيفة بني ساعدة بعد وفاته صلى الله عليه وآله.

٢. ما هو الدور الذي قام به عمر في تنصيب أبي بكر خليفة بعده صلى الله عليه وآله؟

٣. بين ما احتج به بعض الأصحاب لتقلد مقاليد الأمور بعده صلى الله عليه وآله.

٤. صف كيفية أخذ البيعة للخليفة الأول.

٥. كيف توجه موقف الإمام علي عليه السلام من عدم إعلان الثورة بعد اغتصاب الخلافة؟

البحث رقم (٣٧)

أمير المؤمنين عليه السلام والخلفاء الثلاثة (١)

أهداف البحث

١. بيان سيرة أمير المؤمنين عهد أبي بكر.
٢. توضيح كيفية تولي عمر للخلافة بوصية أبي بكر.
٣. بيان سيرة أمير المؤمنين عهد عمر.
٤. إستيعاب مواقف أمير المؤمنين عهد الخليفتين الأول والثاني.
٥. توضيح مهزلة الشورى التي أمر بها عمر أيامه الأخيرة وأهدافها.

مقدمة البحث

بعد أن تناولنا في البحث السابق بعض الخطوط العامة في حياة الإمام علي عليه السلام، وأهم حدث بدأ بوفاة النبي صلى الله عليه وآله، وهو مؤتمر السقيفة بما له من إفرازات مخيفة، ننتقل الآن إلى الفترة التي عاشها أمير المؤمنين عليه السلام مع الخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان، وأهم الخطوط العامة في تلك الفترة، وسنتناول في هذا البحث تاريخ الأمير في عهد الخليفتين الأول والثاني، لكي نؤجل الكلام في تاريخه عليه السلام عهد الثالث إلى البحث التالي.

المطلب الأول: عليّ عليه السلام في عهد أبي بكر

قال الإمام عليه السلام: «فو الله، ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنّهم مُنَحّوهُ عنّي من بعده، فما راعني إلاّ انثيال الناس إلى أبي بكر يبايعونه، فأمسكت بيدي، حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمّد، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به أعظم من فوت ولايتكم التي هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتقشّع

السحاب، فنهضت في تلك الأحداث، حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه»[١].

إن كانت بيعة أبي بكر قد استلبت حقّ الإمام في إدارة شؤون الأُمّة مباشرة واضطرّته إلى أن يعتزل إلى حين، فإنّ وصايا الرسول ﷺ له، وعهده إليه بالتكليف الإلهي برعاية الأُمّة، ثمّ حرصه العميق على الرسالة الإسلامية والمجتمع من التمزّق والضياع، جعل من أمير المؤمنين القدوة المُثلى للمدافعين عن الكيان الإسلامي في كل الميادين.

من هنا، وقف علي عليه السلام ليدلي بآرائه الصائبة، موضّحاً قواعد الدين الصحيحة في كلّ موقف يستعصي على الماسكين بزمام إدارة الدولة في زمن عصيب، وفي أُمّة لم تترسّخ العقيدة الإلهية في نفوس أبنائها، فكان عليّ عليه السلام ميزان القضاء والإفتاء في شؤون الحياة الإسلامية، من قضاء واجتماع وإدارة في عهد أبي بكر وما تلاه من فترات حكم الخلفاء.

وقف علي عليه السلام ليدافع عن المدينة، ويصدّ هجوم المرتدّين عن الإسلام، ومعه الصفوة من الصحابة الذين ساندوه في محنته.

وصيّة أبي بكر إلى عمر بالخلافة!

لم تطل أيّام أبي بكر، فقد ألمّت به الأمراض، وأشرف على الموت، وقد صمّم على أن يولي عمر الخلافة من بعده، فاعترض أكثر المهاجرين والأنصار، وأعلنوا كراهيّتهم لهذا القرار؛ لما علموا من خشونة أخلاق عمر، وسوء تعامله مع الناس[٢]، لكنّ أبا بكر أصرّ على موقفه.

ثمّ إنّ أبا بكر أحضر عثمان بن عفّان لوحده ليكتب عهده لعمر، فقال له:

---

(١)نهج البلاغة: الكتاب ٦٢.

(٢)الإمامة والسياسة: ٣٦. تاريخ الطبري ٢: ٦١٨. الكامل في التاريخ ٢: ٤٢٥.

«اُكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أما بعد.. ثمّ اُغمي على أبي بكر، فكتب عثمان: فإنّي قد استخلفت عليكم عمر بن الخطّاب، ولم آلكم خيراً، ثمّ أفاق أبو بكر، فقال: إقرأ عليّ، فقرأ عليه، فكبّر أبو بكر، وقال: أراك خِفتَ أن يختلف الناس إن مُتُّ في غشيتي، قال: نعم، قال: جزاك الله خيرا»[1].

وقال الإمام علي عليه السلام ناقداً لخلافة الشيخين:

«أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدر عنّي السيل، ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا، أرى تُراثي نهباً، حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده، فيا عجباً، بينا هو يستقيلها في حياته[2]، إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدّما تشطّرا ضرعيها، فصيّرها في حوزة خشناء، يغلظ كلمها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها»[3].

لقد فرض أبو بكر عمر فرضاً على المسلمين، وكأنّ له الوصاية عليهم حيّاً وميّتاً، وذلك بقوله: «إستخلفت عمر بن الخطاب عليكم، فاسمعوا له وأطيعوا»، رغم أنّه رأى الغضب ظاهراً في وجوه الكثيرين من الصحابة.

لقد ناقض نفسه في دعواه بالسير على منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّه كان يدّعي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله توفّي ولم يعهد لأحد في شأن الخلافة، في حين نجده يوصي لصاحبه عمر من بعده.

---

(١)الكامل في التاريخ ٢: ٤٢٥.

(٢)إشارة إلى قول أبي بكر: أقيلوني، فلست بخيركم. راجع: تذكره الخواص: ٦٢.

(٣)نهج البلاغة: الخطبة ٣.

المطلب الثاني: علي ﷺ في عهد عمر [(١)]

أولا: تولي عمر الخلافة بوصية أبي بكر

مهّد أبو بكر كرسيّ الخلافة لعمر بن الخطاب، فتولاّها بسهولة ويسر دون معارضة تذكر من أقطاب المهاجرين والأنصار، وقد قبض على زمام الحكم بقوة، وساس الأُمّة بشدّة، حتى تحامى لقاءه أكابر الصحابة[(٢)].

لقد ساهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في الحياة العامّة عهد عمر ما وسعه من جهد، وأدّى ما عليه من تكليف في مجالات التعليم والتفقيه والقضاء بصورة أوسع من دوره في عهد أبي بكر؛ حيث اقتضت الضرورة ذلك، فقد اتّسعت رقعة البلاد الإسلامية، واستجدّت أحداث جديدة طارئة كان يعجز عنها الخليفة الجديد وكلّ من معه من الصحابة، ولم يكن يجد لها حلولاً إلاّ ممّن عصمه الله عن الذنب والخطأ، ولذا، كان عمر يقف متصاغراً أمام أمير المؤمنين، ويحترم رأيه، ويمضي حكمه وقراره، حتى روي عنه لأكثر من مرّة وفي أكثر من موقف حرج قوله: «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن»[(٣)].

فقد روي أنّ عمر أراد أن يرجم امرأةً مجنونةً اُتّهمت بالزنا، فردّ الإمام عليّ ﷺ قضاء عمر، وذكّره بحديث رسول الله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاث: عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبيّ حتى يعقل»، حينذاك، قال عمر: «لولا عليّ، لهلك عمر»[(٤)].

---

(١)كان استخلاف عمر بن الخطاب في جمادى الآخرة عام (١٣) هـ.

(٢)تاريخ الطبري ٢: ٦١٧ و ٦١٨.

(٣)اُسد الغابة ٤: ٢٢. تهذيب التهذيب ٧: ٢٩٦. تاريخ دمشق ٣: ٣٩، حديث ١٠٧١. الرياض النضرة ٢: ١٩٧. كنز العمال ٥: ٨٣٢.

(٤)تذكرة الخواص: ٨٧ . كفاية الطالب: ٩٦. فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٢: ٣٠٩.

ثانيا: ملامح من سيرة عمر[(١)]

ولنتعرض إلى جملة قليلة من ملامح سيرة الخليفة الثاني، كما نقلها المؤرخون:

١ـ الشدّة والقسوة في التعامل مع الناس، وفرض السلطان بالعنف والقوة، فخافه القريب والبعيد، وكان من شدته أنّ امرأةً جاءت تسأله عن أمر، وكانت حاملاً، ولشدّة خوفها منه أجهضت حملها.

كما أن قصّته مع جبلّة وعنفه معه معروفة، ممّا سبب ارتداد جبلّة وهروبه إلى بلاد الروم[(٢)].

٢ ـ عدم مساواته في العطاء بين المسلمين، فقد ميّز بينهم على أساس غير مشروع من النبيّ صلى الله عليه وآله ولا موجّه في القرآن، بل على أساس عصبي[(٣)]، وكان من آثاره أن ظهرت الطبقية في العهود التي تلته، فنشط النسّابون لتدوين الأنساب وتصنيف القبائل بحسب اُصولها، ممّا أدّى إلى حنق الموالي على العرب، وكراهيتهم لهم، والتفتيش عن مثالبهم.

٣ ـ إستثناء معاوية من المحاسبة والمراقبة التي كان يشدّدها على ولاته، وتركه على هواه يعمل ما يشاء لسنين طويلة، ممّا أعان معاوية على طغيانه، واستقلاله بالشام في عهد عثمان، كما اُثر عنه قوله في توجيه تصرفات معاوية: إنه كسرى العرب[(٤)].

ثالثا: مهزلة الشورى التي ابتدعها عمر

إذا كانت بيعة السقيفة فلتة وقى الله المسلمين شرها ـ كما قال عمر ـ فإنّ وصيّة الخليفة الأول لعمر كانت استهزاءً عملياً بوصية الرسول الرسول صلى الله عليه وآله.

---

(١)راجع: النص والاجتهاد للسيد شرف الدين: ١٤٨.

(٢)الطبقات الكبرى ٣: ٢٨٥. تاريخ الطبري ٣: ٢٩١. العقد الفريد ٢: ٥٦.

(٣)تاريخ الطبري ٣: ٢٩١ و ٢٩٢.

(٤)المستدرك على الصحيحين ٤: ٤٧٩. كنز العمال ٦: ٣٩.

وأما الشورى التي ابتدعها عمر، فهي ثالث مهزلة سياسية في نفس خط مواجهة وصية الرسول ﷺ، وإبعاد أهل بيته عن الحكم والقيادة.

وإليك إجمال القصّة:

لمّا يئس عمر من حياته وأيقن برحيله عن الدنيا أثر الطعنات التي أصابته، قيل له: إستخلف علينا، قال: والله، لا أحملكم حيّاً وميّتاً، ثمّ قال: إن أستخلف، فقد استخلف من هو خير منّي ـ يعني أبا بكر ـ وإن أدَع، فقد وَدَع من هو خير منّي ـ يعني النبيّ ﷺ ـ[1]، ثمّ أبدى أسفه وحسرته على بعض من شاركه مسيرته للخلافة، فقال: لو كان أبو عبيدة حيّاً، لاستخلفته؛ لأنّه أمين هذه الأُمّة، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً، لاستخلفته؛ لأنّه شديد الحبّ لله، فقيل له: يا أمير المؤمنين، لو عهدت عهداً.

قال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم، أن أنظر فأُولّي رجلاً أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ ـ وأشار إلى الإمام عليّ عليه السلام ـ ورهقتني غشية، فرأيت رجلاً دخل جنّة قد غرسها، فجعل يقطف كلّ غضّة ويانعة فيضمّه إليه، ويصير تحته، فعلمت أنّ الله غالب أمره، ومتوفّ عمر، فما أُريد أن أتحمّلها حيّاً وميّتاً عليكم. هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ﷺعنهم: إنّهم من أهل الجنّة، وهم: عليّ وعثمان وعبد الرحمن وسعد والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، فليختاروا منهم رجلاً، فإذا ولّوا والياً، فأحسنوا مؤازرته وأعينوه[2].

وأمرهم أن يحبس هؤلاء الستّة حتى يولّوا أحدهم خلال أيام ثلاثة، وأن يضرب عنق المخالف لاتّفاق الأغلبية أو الجناح المخالف للذي فيه عبد الرحمن بن عوف، وأن يصلّي صهيب بالناس ثلاثة أيام حتى تجتمع الأُمّة على خليفة، وطلب أن

---

(١)الإمامة والسياسة: ٤١ . قد عرفت سابقاً أنّ النبي ﷺ قد عيّن خليفته مراراً، كيوم الإنذار لعشيرته الأقربين، وغدير خم وغيرهما .

(٢)تاريخ الطبري ٣: ٢٩٣. الكامل في التاريخ ٣: ٦٦.

يحضر شيوخ الأنصار، وليس لهم من الأمر شيء[١].

رابعا: موقف علي عليه السلام من الشورى

وما إن خرج الإمام عليه السلام من عند عمر؛ حتى تلقّاه عمّه العباس، فبادره قائلاً: يا عمّ، لقد عُدِلَتْ عنّا.

وصدق تفرّس الإمام عليه السلام؛ فقد آلت الخلافة إلى عثمان بتواطؤ عبد الرحمن.

لقد دخل الامام عليه السلام مع الباقين في الشورى وهو يعلم بما ستؤول إليه، محاولة منه لإظهار تناقض عمر ومن سار على نهجه عند وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، حين كان يرى أنّه لا تجتمع الخلافة والنبوّة في بيت واحد، أمّا الآن، فقد رشّح الإمام عليه السلام للخلافة.

روي عن أمير المؤمنين قوله: «ولكنّي أدخل معهم في الشورى لأنّ عمر قد أهّلني الآن للخلافة، وكان قبل ذلك يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ النبوّة والإمامة لا يجتمعان في بيت، فأنا أدخل في ذلك لأُظهر للناس مناقضة فعله لروايته»[٢].

وبايع الإمام عليه السلام عثمان بن عفّان؛ سعياً منه إلى لإصلاح الأُمّة وتوجيهها، وحفاظا على كيانها، فلم يبخل على الأُمّة بالنصيحة والهداية والتربية، فإن أُبعدت الخلافة عنه عليه السلام، فإنّه لم يدّخر وسعاً إلاّ وبذله، يوضّح الحقّ ويُرشد إليه، ويهدي إلى السبيل الصحيح ويدلّ عليه، ويعين الحاكم حين يعجز، ويعلّمه إذ يجهل، ويردعه إذ يطيش.

---

(١) المصدران السابقان. طبقات ابن سعد ٣: ٢٦١. الإمامة والسياسة: ٤٢.

(٢)شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ١٨٦.

خلاصة البحث

إن كانت بيعة أبي بكر قد استلبت حقّ الإمام في إدارة شؤون الأُمّة مباشرة واضطرّته إلى أن يعتزل إلى حين، فإنّ وصايا الرسول ﷺ له وعهده إليه بالتكليف الإلهي برعاية الأُمّة ثمّ حرصه العميق على الرسالة الإسلامية والمجتمع من التمزّق والضياع جعل من أمير المؤمنين القدوة المُثلى للمدافعين عن الكيان الإسلامي في كل الميادين.

من هنا وقف علي عليه السلام ليدلي بآرائه الصائبة في عهد أبي بكر وعمر، موضّحاً قواعد الدين الصحيحة في كلّ موقف يستعصي على الماسكين بزمام إدارة الدولة في زمن عصيب.

وقد مهّد أبو بكر كرسيّ الخلافة لعمر بن الخطاب، فتولاّها بسهولة ويسر دون معارضة تذكر من أقطاب المهاجرين والأنصار، وقد قبض على زمام الحكم بقوة وساس الأُمّة بشدّة، حتى تحامى لقاءه أكابر الصحابة.

إبتدع عمر مهزلة الشورى لمواجهة وصية الرسول ﷺ، وإبعاد أهل بيته عن الحكم والقيادة.

إختبارات البحث

١. تكلم عن سيرة أمير المؤمنين عليه السلام عهد أبي بكر باختصار.
٢. صف كيفية تولي عمر للخلافة بعد أبي بكر.
٣. بين سيرة أمير المؤمنين عليه السلام عهد عمر.
٤. كيف توجه مواقف أمير المؤمنين عليه السلام عهد الخليفتين الأول والثاني؟
٥. تكلم عن مهزلة الشورى التي أمر بها عمر أيامه الأخيرة، وعن أهدافها.

البحث رقم (٣٨)

أمير المؤمنين عليه السلام والخلفاء الثلاثة (٢)

أهداف البحث

١. بيان وصف أمير المؤمنين عليه السلام لعهد عثمان.

٢. توضيح نظرة الأمويين من الخلافة الإسلامية.

٣. تعداد بعض ملامح حكم عثمان.

٤. فهم الإفرازات السلبية لحكومة عثمان في الأُمّة.

٥. إستيعاب مواقف أمير المؤمنين في عهد عثمان.

مقدمة البحث

تقدم في البحث الماضي تاريخ أمير المؤمنين في عهد الخليفتين الأول والثاني، ومواقفه المشرفة في عهديهما، ونتعرض اليوم إلى تاريخه عليه السلام في عهد عثمان، وما أفرزته خلافة عثمان وتسلط بني أمية على رقاب المسلمين.

المطلب الأول: أمير المؤمنين عليه السلام يصف عهد عثمان

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام واصفاً عهد عثمان:

«إلى أن قام ثالثُ القوم، نافجاً حضنيه بين نَثيله ومعتلَفِه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خِضْمَةَ الإبل نِبْتَةَ الربيع، إلى أن انتكث عليه فتلُه، وأجهز عليه عملُه، وكبَتْ به بِطْنَتُه»[1].

وما إن فرضه ابن عوف بأمر عمر خليفة للمسلمين، حتى جاءوا به يزفّونه إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، ليعلن سياسة حكومته الجديدة، وما أعدّ من مواقف لمستجدات الأُمور؛ صعد على المنبر، فجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يجلس فيه أبو بكر ولا عمر؛ إذ كان أبو بكر يجلس دونه

(١)نهج البلاغة: من الخطبة الشقشقية.

بمرقاة، وعمر كان يجلس دونه أيضا بمرقاة، وتكلّم الناس في ذلك، فقال بعضهم: اليوم ولد الشرّ[(١)].

ولم يستطع أن يتكلّم، فقال: أمّا بعد، فإنّ أول مركب صعب، وما كنا خطباء، وسيعلم الله، وإنّ امرأً ليس بينه وبين آدم إلاّ أب ميّت لموعوظ[(٢)].

وقال اليعقوبي: فقام مليًّا لا يتكلّم، ثم قال: إن أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام يشقّق الخطب، وإن تعيشوا فسيأتيكم الخطْب، ثم نزل[(٣)].

المطلب الثاني: نظرة الأمويين للخلافة الإسلامية

بعد أن تمّت بيعة عثمان؛ أقبل أبو سفيان إلى دار عثمان بن عفان وقد غصّت بأهله وأعوانه، تسودهم نشوة النصر والفوز بالحكم، وقد بدت على ملامحه علامات الفرح والسرور، تعلو شدقه بسمة حقود شامت، ففي الأُفق تلوح بوادر الاستعلاء بعدما أذلّ كبرياءَهم الإسلام، فأدار وجهه يميناً وشمالاً قائلاً للحاضرين المجتمعين في دار عثمان: أفيكم أحد من غيركم؟ فأجابوه بالنفي، فقال: يا بني اُميّة، تلقّفوها تلقّف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان، ما من جنّة ولا نار، ولا حساب ولا عقاب... ولقد كنت أرجوها لكم، ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة[(٤)].

ثمّ سار إلى قبر سيّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، فوقف على القبر، وركله برجله، وقال: يا أبا عمارة، إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا يتلعّبون به[(٥)].

---

(١)تاريخ اليعقوبي ٢: ١٦٣. البداية والنهاية ٧: ١٦٦. تاريخ الخلفاء: ١٦٢.

(٢)راجع: الموفقيات ٢: ٢.

(٣)تاريخ اليعقوبي ٢: ١٦٣.

(٤) مروج الذهب ١: ٤٤٠ .

(٥)راجع: الغدير ٨ : ٢٧٨. الاستيعاب ٢: ٦٩٠. تاريخ ابن عساكر ٦: ٤٠٧. الأغاني ٦: ٣٣٥.

لقد استشرى الفساد ودبَّ في أجهزة الدولة بصورة علنية مكشوفة، وانتقلت العدوى إلى فئات المجتمع الإسلامي، فوقف الإمام معلناً رفضه واستنكاره على عثمان بصورة علنية، ووقف معه الصحابة الأجلاّء، أمثال: عمّار بن ياسر وأبي ذر، بل حتّى الذين وقفوا موقف المعارض لخلافة أمير المؤمنين لم يرضوا على عثمان سوء إدارته وفساد حكومته.

المطلب الثالث: ملامح حكم عثمان

إن عثمان وصل إلى الحكم وقد تجاوز السبعين عاماً، وكان وصولاً لأرحامه ولوعاً بحبّهم وإيثارهم، فقد روي عنه قوله: لو أن بيدي مفاتيح الجنّة لأعطيتها بني اُميّة حتى يدخلوا من عند آخرهم.

كما أنّ عثمان عاش غنيّاً مترفاً قبل الإسلام، وظلّ على غناه في الإسلام، فلم يكن ليتحسّس معاناة الفقراء وآلام المحرومين، فكانت شخصيته مزدوجة في التعامل مع الجماهير المحرومة التي تطالبه بالعدل والسوية، فيعاملها بالشدّة والقسوة، كما في تعامله مع عبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وأبي ذر، وغيرهم.

وأمّا من جهة أقربائه، فقد أدناهم وقلّدهم الاُمور [(١)].

وكان عثمان ضعيفاً أمام مروان بن الحكم، يسمع كلامه، وينفّذ رغباته، حتى أنّه عندما تألّبت الأمصار على عثمان وتأزّمت الأوضاع؛ تدخّل الإمام ليهدّئ الحالة ويرجع الثائرين ـ الذين جاءوا يطالبون بإصلاح السياسة الإدارية والمالية وتبديل الولاة ـ إلى بلدانهم، وأخذ من عثمان شرطاً أن لا يطيع مروان بن الحكم وسعيد بن العاص.

---

(١)تاريخ اليعقوبي ٢: ١٦٠. تاريخ الطبري ٣: ٤٤٥. أنساب الأشراف للبلاذري ٥: ٤٩. حلية الأولياء ١: ١٥٦. شيخ المضيرة أبو هريرة: ١٦٦. الغدير ٨: ٢٣٨ ـ ٢٨٦. النص والاجتهاد: ٣٩٩.

ولكن، بمجرد أن هدأت الأوضاع؛ عاد مروان وحرّض عثمان على أن يخرج وينال من الثوار، فخرج إليه الإمام عليّ عليه السلام مغضباً، فقال: «أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلاّ بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الضعينة يُقاد حيث يُسار به؟ والله، ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه».[١]

وأمّا سياسة عثمان المالية، فقد كانت امتداداً لسياسة عمر، من إيجاد الطبقية، وتقديم بعض الناس على بعض في العطاء، إلاّ أنّها أكثر فساداً من سياسة سابقه، فقد أثرى بني اُميّة ثراءً فاحشاً.

لقد نقم المسلمون على عثمان، وتصلّب خيار الصحابة في مواقفهم تجاه انحراف الخليفة وجهازه الحاكم، وفي قبال ذلك أمعن عثمان بالتنكيل بالمعارضين والمندّدين بسياسته المنحرفة، وبالغ في ذلك دون أن يرعوي لصحابة رسول الله، فمن ذلك أنّ أباذر الصحابيّ الجليل أكثَرَ من اعتراضه على مساوئ عثمان، فسيّره إلى الشام، ولم يطق معاوية وجوده، فأرجعه إلى المدينة، واستمرّ أبو ذر بجهاده وإنكاره السياسة الاُمويّة، فضاق عثمان به ذرعاً، فقرّر نفيه إلى الربذة، ومنع الناس من توديعه.

المطلب الرابع: الإفرازات السلبية لحكومة عثمان في الأمّة

لقد كان لحكومة عثمان عدة إفرازات سلبية، منها:

١ـ إنّ حكومة عثمان ابتعدت عن نهج الشريعة الإسلامية، فعطّلت الحدود وأشاعت الفساد وتهاونت في محاسبة المسؤولين عن ذلك، وهذا ما فسح المجال لشيوع الفوضى في السلوك الاجتماعي وبثّ روح التمرّد على القانون.[٢]

٢ـ ركّزت حكومة عثمان على روح العصبية القبلية التي شرّعها أبو بكر في

---

(١)الطبري ٣: ٣٩٧ .

(٢)الأغاني ٧: ١٧٩.

نهجه السياسي القبلي، وأصبح بنو أُميّة جبهة سياسية قويّة لها توجّهها المناوئ للإسلام وخصوصاً لخطّ آل البيت عليهم السلام فأصبحوا فيما بعد العقبة الرئيسة أمام حكم الإمام عليّ عليه السلام، حيث تكتّلوا حول معاوية بن أبي سفيان في مواجهة الإمام عليه السلام.

٣ـ اعتبرت حكومة عثمان أنّ الحكم حقّ موهوب لهم ولا يحقّ لأحد انتزاعه، واتخذوه وسيلةً لإرضاء رغباتهم المنحرفة وشهواتهم الشيطانية، ولم تجعل من الحكم وسيلةً للإصلاح الاجتماعي ونشر الرّسالة الإسلامية في بقاع الأرض.[١]

٤ـ خلقت حكومة عثمان طبقة كبيرة من الأثرياء[٢] تتضرّر مصالحها مع الحكومة القائمة في مواجهةِ حكومة تطالب بتطبيق الحقّ والشرع، ممّا أدّى إلى تحرّك قطعات المسلمين الفقراء للمطالبة بالقوّة في إصلاح النظام المالي وتطوير الحياة الاقتصادية وتنظيم الدخل الفردي.

٥ـ إنّ استعمال العنف والقوّة والشدّة والقسوة في التعامل مع المعترضين وإهانتهم ولّد ردّة فعل معاكسة للثورة على النظام القائم عسكرياً، وكان مقتل عثمان نقطة تحوّل في الصراعات الدائرة بين وجهات نظر المسلمين، فعمل السيف عمله في أفراد الأُمّة وأجّجه وزاد فيه تعنّت بني أُمية ومن والاهم على تحدّي الحقّ ورغبة الأُمّة في الإصلاح.

٦ـ من نتائج الثورة على عثمان أن وجدت فئات مسلّحة من مختلف الأقطار الإسلامية لا زالت تحيط بالمدينة تنتظر مصير الحكومة، كما أنّ الأحداث أثبتت وشجّعت على تحرّك الجماهير لتغيير الحكم بالقوّة، وهذا يعتبر ورقةَ ضغط قويّةً تؤثّر على الحكم الجديد.

---

(١)الطبقات الكبرى ٣: ٦٤. تاريخ الطبري ٥: ٣٤١ ـ ٣٤٦.

(٢)مروج الذهب ٢: ٣٤٢.

خلاصة البحث

إستشرى الفساد ودبَّ في أجهزة الدولة بصورة علنية مكشوفة، وانتقلت العدوى إلى فئات المجتمع الإسلامي، فوقف الإمام معلناً رفضه واستنكاره على عثمان بصورة علنية، ووقف معه الصحابة الأجلاّء أمثال: عمّار بن ياسر وأبي ذر، بل حتّى الذين وقفوا موقف المعارض لخلافة أمير المؤمنين لم يرضوا على عثمان سوء إدارته وفساد حكومته.

ولقد كان لحكومة عثمان جملة من الإفرازات السلبية في الأُمّة، من قبيل: الإبتعاد عن نهج الشريعة الإسلامية، وتركيز الحكومة على روح العصبية القبلية التي شرّعها أبو بكر في نهجه السياسي القبلي، فأصبح بنو اُميّة جبهة سياسية قويّة لها توجّهها المناوئ للإسلام. كما اعتبرت حكومة عثمان أنّ الحكم حقّ موهوب لهم لا يحقّ لأحد انتزاعه منهم، كما خلقت هذه الحكومة طبقة كبيرة من الأثرياء تقابل طبقة أكبر منها من الفقراء والمعوزين.

إختبارات البحث

١. ما هو وصف أمير المؤمنين عليه السلام لعهد عثمان؟
٢. ما هي نظرة الأمويين للخلافة الإسلامية؟
٣. أذكر بعض ملامح حكم عثمان.
٤. ما هي الإفرازات السلبية لحكومة عثمان في الأُمّة؟
٥. كيف يمكن تفسير مواقف أمير المؤمنين عليه السلام في عهد عثمان؟

البحث رقم (٣٩)

البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام، وإصلاحاته الجذرية

أهداف البحث

١. بيان كيفية بيعة المسلمين لأمير المؤمنين عليه السلام.

٢. توضيح العقبات التي كانت في طريق حكومة الإمام عليه السلام

٣. وصف سياسة الإمام عليه السلام الإصلاحية.

٤. فهم الخطوط العامة للسياسة الإصلاحية للإمام عليه السلام.

٥. تقدير جهود الإمام عليه السلام في إحياء الشريعة الإسلامية.

مقدمة البحث

بعد أن تناولنا في البحث السابق بعض الخطوط العامة في حياة الإمام علي عليه السلام في الفترة التي مع الخلفاء الثلاثة، أبي بكر وعمر وعثمان، ننتقل في هذا البحث وما بعده إلى أهم تلك الخطوط في فترة توليه عليه السلام للخلافة، وذلك بعد قتل عثمان

المطلب الأول: بيعة المسلمين للإمام عليّ عليه السلام[1]

تحرّكت جماهير المسلمين بإصرار نحو الإمام عليّ عليه السلام لتضغط عليه كي يقبل قيادتها، ولكنّ الإمام عليه السلام استقبل الجماهير المندفعة بوجوم وتردّد، فقد حُرِم منها وهو صاحبها، وجاءته بعد أن امتلأت الساحة انحرافاً، والأُمّة تردّياً، وتجذّرت فيها مشاكل تستعصي دون النجاح في المسيرة، فقال لهم: «لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم، فمن اخترتم، رضيت به، فاختاروا»[2].

---

(١)تمّت بيعة الإمام عليّ عليه السلام في ذي الحجّة عام (٣٥) هـ

(٢)تاريخ الطبري ٣: ٤٥٠.

وقال ﴿عليه السلام﴾: «لا تفعلوا، فإنّي أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً»[١].

وأوضح لهم الإمام ﴿عليه السلام﴾ ما سيجري، فقال: «أيّها الناس، أنتم مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم به القلوب، ولا تثبت له العقول...»[٢]، وأمام إصرار الجماهير على توليته الأمر، قال لهم: «إنّي إن أجبتُكم، ركبتُ بكم ما أعلم... وإن تركتموني، فإنّما أنا كأحدكم، ألا وإني من أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم»[٣]

وتكاثرت جموع الناس نحو الإمام، وقد وصف ﴿عليه السلام﴾ توجّههم نحوه مطالبين قبوله بالخلافة بقوله: «فما راعني إلاّ والناس كعرف الضبع، ينثالون عليَّ من كلّ جانب، حتى لقد وطئ الحسنان، وشقّ عطفاي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم»[٤].

لم يكن الإمام حريصاً على السلطان، بل كان حرصه أن ينقذ ما بقي من الأُمّة، وأن يحافظ على الشريعة الإسلامية نقيّةً من الشوائب والبدع، فَقبلَ أن يتولّى أمر الخلافة، ولكنّه أخَّر القبول إلى اليوم الثاني، وأن تكون بيعة الجماهير علنيةً في المسجد، رافضاً بذلك اُسلوب بيعة السقيفة والتوصية والشورى، وفي الوقت ذاته، ليعطي الأُمّة فرصةً اُخرى، كي تمتحن عواطفها وقرارها في الخضوع له، فقد ضَيَّعَتْ في ما سبق نصوص النبيّ ﴿صلى الله عليه وآله﴾ على خلافته، فانحرفت.

ومن هنا، نسمعه ﴿عليه السلام﴾ يقول: «والله، ما تقدّمت عليها ـ أي: الخلافة ـ إلاّ خوفاً من أن ينزو على الأُمّة تيسٌ علج من بني اُميّة، فيلعب بكتاب الله عز وجل»[٥].

وما إن أقبل الصباح؛ حتى حفّت الجماهير بالإمام ﴿عليه السلام﴾ تسير نحو المسجد، فاعتلى المنبر، وخاطب الجماهير قائلا: «يا أيّها الناس، إنّ هذا أمركم، ليس لأحد

---

(١)المصدر السابق.

(٢)نهج البلاغة: الكلمة (٩٢).

(٣)المصدر السابق.

(٤)نهج البلاغة: الخطبة (٣) المعروفة بالشقشقية.

(٥)عن أنساب الأشراف ١ : ق ١، ١٥٧ .

فيه حقّ إلاّ من أمَّرْتُم، وقد افترقنا بالأمس وكنت كارهاً لأمركم، فأبيتم إلاّ أن أكون عليكم، ألا وإ نّه ليس لي أن آخذ درهماً دونكم، فإن شئتم، قعدت لكم، وإلاّ، فلا آخذ على أحد...».

فهتفت الجماهير بصوت واحد: نحن على ما فارقناك عليه بالأمس.. وقالوا: نبايعك على كتاب الله، فقال ﴿عليه السلام﴾: اللّهمّ اشهد عليهم[(١)].

وتدافع الناس كالموج المتلاطم إلى البيعة، فكان أوّل من بايع طلحة بيده الشلاّء، والذي سرعان ما نكث بها عهد الله وميثاقه، وجاء بعده الزبير، فبايع، ثمّ بايعه أهالي الأمصار، وعامّة الناس من أهل بدر والمهاجرين، والأنصار عامّة.

كانت بيعة الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ أول حركة انتخاب جماهيرية، ولم يحضَ أحد من الخلفاء بمثل هذه البيعة، وبلغ سرور الناس ببيعتهم أقصاه، لكنّنا نجد أنّ فئة قليلة اتّسمت بالإنحراف عن الحقّ والجبن في مواجهته بدأت ترتدّ عن بيعتها.

لقد كان تخلّفهم خرقاً لإجماع الأُمّة وتحدّياً لبيعتها، وبذلك فتحوا باباً جديدة في تأجيج الفتنة واستمرار الصراع الداخلي، ومن هؤلاء المتخلّفين: سعد ابن أبي وقّاص، وعبد الله بن عمر، ومعاوية بن أبي سفيان، وغيرهم[(٢)].

وأما موقف الإمام ﴿عليه السلام﴾ من هؤلاء، فإنّه عدم التعرّض لأحد منهم بأيّ سوء، وتركهم وحالهم في الأُمّة، لهم ما للناس، وعليهم ما على الناس.

المطلب الثاني: عقبات في طريق حكومة الإمام ﴿عليه السلام﴾

وقد كان هناك عقبات كثيرة في طريق حكومة الإمام ﴿عليه السلام﴾، منها:

١ـ وصل الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ إلى الحكم بعد ربع قرن من عزله عن ممارسة الحكم الإسلامي وقيادة الأُمّة والدولة.

---

(١)أنساب الأشراف ٥: ٢٢.

(٢)تاريخ الطبري ٣: ٤٥٢.

فطوال الفترة السابقة، أَلِفَ الناس أن يروا الإمام محكوماً لا حاكماً، محكوماً لأُناس أقلّ كفاءةً وشأناً منه.

٢ـ كما أنّ عدداً من الشخصيات تنامى لديها الشعور بالمنافسة وبلوغ قمّة السلطة لتحقيق أغراضها الشخصية، فالزبير في السقيفة كان يدافع عن حقّ الإمام عليه السلام مقابل الفئات المندفعة نحو السلطة، ثمّ نجده اليوم ينازع الإمام على السلطة، ومعاوية الطليق ابن الطليق أصبح بعد هذه المدّة مناوئاً قويّاً يهدّد كيان الدولة.

٣ـ أنّ العناصر التي وقفت ضدّ الإمام على الخطّ المنحرف كان أغلبها ممّن له صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا ممّا انخدع به أعداد كبيرة من المسلمين، وعقّد الأمر على نجاح حكومته عليه السلام، واستمراره في الحكم.

٤ـ أنّ الإمام عليه السلام استلم دولة مترامية الأطراف، فإنّها تمتد إلى شمال أفريقيا وأواسط آسيا، إضافةً إلى تمام الجزيرة والعراق والشام، وقد دخل في الإسلام أقوام من غير العرب، وهؤلاء المسلمون الجدد فتحوا عهدهم مع الإسلام في ظلّ حكومة غير معصومة.

وكان على حكومة الإمام القيام بمهامّ رئيسية في أقصر وقت مع وجود الصراع الداخلي ومنها ما نتناوله في المطالب التالية.

المطلب الثالث: سياسة الإمام عليه السلام الإصلاحية

أولا: الخطوط العامة للسياسة الإصلاحية

وأما بالنسبة إلى سياسة الإمام علي عليه السلام الإصلاحية، فقد كان من خطوطها العامة ما يلي:

١ـ هدم الكيان الطبقي الذي أنشأه الخلفاء.

وذلك عبر الخطوات التالية:

أ ـ المساواة في العطاء بين المسلمين جميعاً، متّبعاً في ذلك سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله التي أهملها من كان قبله من الخلفاء، وقد أوضح في خطبته سياسة

التوزيع النابعة من حكم الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.[(١)]، فقال:

«ألا وأيّما رجل استجاب لله وللرسول، فصدّق ملّتنا، ودخَل في ديننا، واستقبل قبلتنا؛ فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يُقسّم بينكم بالسويّة، لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتّقين عند الله غداً أحسن الجزاء، وأفضل الثواب»[(٢)].

ب ـ إسترجاع الأموال المنهوبة من بيت المال في عهد عثمان، فقد أعلن الإمام أنّ الأموال المأخوذة بغير حقّ ـ وما أكثرها في عهد عثمان ـ لابدّ أن ترجع إلى بيت المال، حيث كانت الأموال الطائلة عند طبقة محيطة بالخليفة، أو أنّ عثمان كان يعطيها ليستميلها إليه. فقال عليه السلام: «ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان، وكلّ مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحقّ لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تُزوج به النساء، ومُلك به الإماء، وفرّق في البلدان، لرددته، فإنّ في العدل سعةً، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق»[(٣)].

أنّ طلحة والزبير جاءا إلى الإمام عليه السلام يعترضان على ذلك، فقالا: إنّ لنا قرابةً من نبي الله، وسابقةً، وجهاداً، وإنّك أعطيتنا بالسوية، ولم يكن عمر ولا عثمان يعطوننا بالسوية، كانوا يفضّلونا على غيرنا.

فقال عليه السلام: فهذا كتاب الله، فانظروا ما لكم من حقّ فخذوه، قالوا: فسابقتنا؟ قال عليه السلام: أنتما أسبق منّي؟ قالا: لا، فقرابتنا من النبيّ صلى الله عليه وآله؟ قال عليه السلام: أقرب من قرابتي؟ قالا: لا، فجهادنا؟ قال عليه السلام: أعظم من جهادي؟ قالا: لا، قال عليه السلام: فوالله، ما

(١)الحجرات: من الآية١٣.

(٢) بحار الأنوار: ٣٢: ١٧ـ ١٨.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة (١٥).

أنا في هذا المال وأجيري إلاّ بمنزلة سواء[١].

ج ـ المساواة أمام حكم الله تعالى:

لم يكن الإمام ﴿عليه السلام﴾ غافلاً عن تطبيق أحكام الشريعة في عهد من سبقه من الخلفاء، فكان يحكم ويفصل بالحقّ والعدل، إذ يعجز غيره، وما أن استلم زمام اُمور الدولة؛ حتى ضرب أروع صنوف العدل، وسلك أوضح سبل الحقّ، مظهراً عدل الشريعة الإلهية، وقدرة الإسلام على إقامة دولة تنعم بالحرية والأمان والعدل.

ومواقف الإمام ﴿عليه السلام﴾ في هذا المجال كثيرة، وما كان يتحرّج أن يجري القانون على نفسه وأهل بيته وأصحابه، فقد ترافع مع اليهودي إلى شريح القاضي ليفصل بينهم في درع افتقده ﴿عليه السلام﴾[٢].

وقد كانت أحكام الإمام في فصل القضاء نابعة من عمق الشريعة وسعة علم الإمام باُمور الدين والدنيا، وتدلّ على العصمة في الفكر والعمل.

٢ ـ التنظيم الإداري وإعادة السيطرة المركزية للدولة:

وذلك من خلال ما يلي:

أ ـ قيام الإمام ﴿عليه السلام﴾ بإعفاء الولاة الذين عيّنهم عثمان من مناصبهم، ونصب ولاة كانوا جديرين بهذه المهمّة، وهم محلّ ثقة المسلمين، فأرسل عثمان بن حنيف الأنصاري بدلاً عن عبد الله بن عامر إلى البصرة، وعلى الكوفة أرسل عمارة بن شهاب بدلاً عن أبي موسى الأشعري، وعلى اليمن عبيد الله بن عبّاس بدلاً عن يعلى بن منبه (منية، أمية)، وعلى مصر قيس بن سعد بن عبادة بدلاً عن عبد الله بن سعد، وعلى الشام سهل بن حنيف بدلاً من معاوية بن أبي سفيان.

ب ـ وفي عملية اختيار الولاة الجدد، كان الإمام ﴿عليه السلام﴾ دقيقاً وموضوعياً وحريصاً

---

(١) بحار الأنوار٤١ : ١١٦.

(٢)السنن الكبرى١٠ : ١٣٦. تاريخ دمشق ٣: ١٩٦. وقد وردت مواقف الإمام هذه في عدّة مصادر منها: الأغاني ١٦: ٣٦. البداية والنهاية ٨: ٤. الكامل في التاريخ ٣: ٣٩٩. الصواعق المحرقة: ٧٨.

على تطبيق الشريعة الإسلامية بجهازه الإداري الجديد، وقد أعاد الثقة للأنصار بأنفسهم، ورفع معنويّاتهم، إذ أشركهم في الحكم.

ج ـ حاول الإمام فرض سيطرة الخلافة المركزية على ولاية الشام بعد أن امتنع معاوية فيها عن البيعة، فدفع الراية إلى ولده محمد بن الحنفية، وولّى عبد الله بن عبّاس على ميمنته، وعمر بن أبي سلمة على الميسرة، ودعا أبا ليلى بن عمر بن الجرّاح فجعله على مقدّمة الجيش، وخطب في أهل المدينة وحثّهم على القتال، ولكن حال دون التحرّك وصول خبر خروج طلحة والزبير على حكم الإمام إلى البصرة، بعد أن كانا قد استأذناه في الخروج للعمرة فأذن لهم، وكان قد حذّرهم من نكث البيعة[1].

٣ـ تقديم المثل الأعلى للإسلام والصورة الحقيقية لطبيعة وشكل الحكم والمجتمع الإسلامي، وقد ظهر هذا واضحاً في فترة حكومة الإمام عليه السلام، وعلى هذا الأساس استند قبول الإمام للحكم بعد أن رفضه، فقد مارس دور القائد السياسي المحنّك، والحاكم العادل، ونموذج الإنسان الذي صاغته الرسالة الإسلامية، وكان مثالاً يُحتذى به لبلوغ هدف الرسالة، فهو المعصوم عن الخطأ والزلل والدنس في الفكر والعمل والسيرة.

٤ـ تربية وبناء ثلّة صالحة من المسلمين تُعين الإمام عليه السلام في حركته الإصلاحية والتغييرية، وذلك عبر تحرّكها في وسط الأُمّة، لإنضاج أفكارها، وتوسيع قاعدة الفئة الواعية الصالحة، وتستمر في مسيرها عبر التاريخ، لتتواصل الأجيال اللاحقة في العمل وفق النهج الإسلامي[2].

٥ـ إحياء سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، والاهتمام بالقرآن تلاوةً وحفظاً وتفسيراً وتدويناً، إذ هما عماد الشريعة، ولابدّ أن تدرك الأُمّة حقائق القرآن والسنّة كما

---

(١)تاريخ الطبري ٣: ٤٦٩.

(٢)أهل البيت: تنوّع أدوار ووحدة هدف: ٥٩ ـ ٦٩.

شُرّعت، وكما أُريد لها أن تفهمها.

ثانيا: جهود الإمام عليه السلام في إحياء الشريعة الإسلامية

كان الإمام عليّ عليه السلام يرى أن من أوليّات مهامّه ـ بعد غياب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ـ صيانة الشريعة المقدسة من الزيغ والانحراف، ورعاية شؤون الدّولة الإسلامية حتى تستمر من دون تلكؤ أو توقّف، وقد بذل جهده في ذلك أثناء حكم الخلفاء، متغاضياً بمرارة وألم عن حقّه في إدارة شؤون الأُمّة مباشرة، وما أن أمسك زمام الحكم؛ حتى خطا خطوات عظيمة في إحياء سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي الدعوة إلى الحياة في ظلّها، واهتم اهتماماً كبيراً بالقرآن الكريم وتفسيره، وتربية الأُمّة، وإصلاح الفساد أَينما وجد، ويمكننا أن نلحظ الخطوات التي قام بها الإمام عليّ عليه السلام كما يلي:

١ـ فتح باب الحوار والسؤال عن القرآن والسنّة وكلّ ما يتعلّق بالشريعة المقدّسة أمام الجماهير المسلمة، وبصورة علنية وعامّة، من دون أن يتردّد حتى في جواب مخالفيه وأعدائه الحاقدين عليه.

٢ـ الإهتمام بالقرّاء، مراعياً لشؤونهم، ومتّبعاً فيهم سنّة الرسول صلى الله عليه وآله في التعليم، فكان تعليم قراءة القرآن مقروناً بتعلّم ومعرفة ما فيه من العلم والعمل والتفقّه في أحكام الدين.

٣ـ الإهتمام بقراءة المسلمين من غير العرب، أو من الذين لا يحسنون اللغة العربية بصورة صحيحة، فوضع علم النحو لتقويم اللسان عن اللحن في الكلام[١].

٤ـ دعا الإمام عليه السلام إلى رواية السنّة النبوية وتدوينها ومدارستها، فكان يقول: «قيّدوا العلم بالكتابة»[٢] كما أمر عليه السلام بالبحث في علوم السنّة، فقال: «تزاوروا،

---

(١)الأغاني ١٢: ١٣. الفهرست: ٥٩. وفيات الأعيان ٢: ٢١٦.

(٢)الطبقات الكبرى ٦: ١٨٦. تدوين السنّة الشريفة: ١٣٧.

وتدارسوا الحديث، ولا تتركوه يدرس»[١].

٥ـ ركّز الإمام على مصدرية القرآن والسنّة في التشريع والأحكام، وأدان المصادر الأُخرى، كالاستحسان والقياس وغيرهما ممّا لا يكون مصدراً شرعياً للأحكام الإلهية[٢].

كما أحيى الإمام ﷺ سنّة رسول الله ﷺ في سيرته العبادية والأخلاقية، فعالج البدع التي طرأت على الشريعة نتيجة اجتهاد وإبداع من سبقه من الخلفاء[٣].

وحين استلم أمير المؤمنين ﷺ الخلافة؛ إحتفّت به جماعة من المؤمنين الأوفياء الأشدّاء، فازداد الإمام ﷺ اعتناءً بهم، فأعدّهم إعداداً رسالياً خاصاً، وأودعهم علوماً شتّى في مختلف نواحي الحياة، وقام هؤلاء الصحابة الأجلاّء بدورهم في دعم الرسالة الإسلامية، ومساندة الإمامة، والمحافظة على الشريعة من الزيغ والإنحراف والاندثار، فكانت مواقفهم رائعة وبطولية مقابل الحكّام الطواغيت والمتسلّطين بغير حقّ على اُمور المسلمين، ومن هؤلاء: مالك الأشتر، وكميل بن زياد النخعي، ومحمد بن أبي بكر، وحجر بن عدي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وصعصعة بن صوحان العبدي، ورشيد الهجري، وهاشم المرقال، وقنبر، وسهل بن حُنيف، وغيرهم.

---

(١) كنز العمال : ١٠، الحديث ٢٩٥٢٢.

(٢) نهج البلاغة : الخطبة (١٢٥) .

(٣) صحيح مسلم: كتاب صلاة التراويح. مسند أحمد ٥: ٤٠٦. صحيح البخاري: كتاب الخمس : باب ٥، الحديث ٢٩٤٤. سنن أبي داود ٢: ٢، الحديث ١٦٢٢.

خلاصة البحث

كانت بيعة الإمام عليّ عليه السلام أول حركة انتخاب جماهيرية، إلا أن عقبات كثيرة كانت كامنة في طريق حكومته عليه السلام، منها: وصوله عليه السلام إلى الحكم بعد ربع قرن من عزله عن ممارسة الحكم الإسلامي وقيادة الأُمّة والدولة، الأمر الذي أفرز آثارا كارثية كثيرة على مرور الزمان.

وأما بالنسبة إلى سياسة الإمام علي عليه السلام الإصلاحية، فمن خطوطها العامة: هدم الكيان الطبقي، والتنظيم الإداري وإعادة السيطرة المركزية للدولة، وتربية وبناء ثلّة صالحة من المسلمين تُعين الإمام عليه السلام في حركته الإصلاحية والتغييرية. هذا علاوة على إحياء سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله والاهتمام بالقرآن، وفتح باب الحوار والسؤال عن القرآن والسنّة وكلّ ما يتعلّق بالشريعة المقدّسة أمام الجماهير المسلمة وبصورة علنية وعامّة.

كما أنّ الإمام عليه السلام أحيى سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله في سيرته العبادية والأخلاقية، فعالج البدع التي طرأت على الشريعة نتيجة اجتهاد وإبداع من سبقه من الخلفاء.

إختبارات البحث

١. صف أحداث بيعة المسلمين لأمير المؤمنين عليه السلام.
٢. ما هي العقبات التي كانت في طريق حكومة الإمام عليه السلام؟
٣. كيف تصف سياسة أمير المؤمنين عليه السلام الإصلاحية؟
٤. ما هي الخطوط العامة للسياسة الإصلاحية للإمام عليه السلام؟
٥. تكلم عن أهمية جهود الإمام عليه السلام في إحياء الشريعة الإسلامية.

البحث رقم (٤٠)

حركات التمرد على الشرعية (١)

الناكثون (١)

أهداف البحث

١. تعداد مثيري الفتن في عهد أمير المؤمنين عليه السلام.

٢. فهم الجامع المشترك بين مثيري الفتن على اختلاف مشاربهم.

٣. توضيح موقف عائشة من خلافة أمير المؤمنين عليه السلام.

٤. التعريف بجهود معاوية لإثارة الفتنة.

٥. بيان جهود عائشة في وقوع الفتنة والحرب في البصرة.

مقدمة البحث

بعد أن تناولنا في البحث السابق بعض الخطوط العامة في حياة الإمام علي عليه السلام في أول فترة تسلمه للخلافة، وما قام به من إصلاحات جذرية، نتعرض في هذا البحث وما بعده إلى حركات التمرد التي تعرض لها الإمام في فترة خلافته، بدءا بمن سماهم النبي صلى الله عليه وآله نفسه بالناكثين.

المطلب الأول: مثيرو الفتن

كانت بيعة الناس لأمير المؤمنين عليه السلام بمنزلة صاعقة حلّت بقريش وكلّ من يكنّ العداء للإسلام؛ فحكومة الإمام هي امتداد لحكومة رسول الله صلى الله عليه وآله التي أذلّت الظلم والعدوان والبغي، وجاءت بالعدل والمساواة والحقّ والفضيلة، وحطّمت المصالح الاقتصادية القائمة على الربا والاحتكار والاستغلال، فعزّ على كثير من كبار قريش أن يكونوا على قدم المساواة مع أيّ مواطن آخر من أيّ فئة كانت في حكومة الإمام عليّ عليه السلام، الذي طالت إصلاحاته ولاة عثمان.

وقد كان كلّ من طلحة والزبير يرى نفسه قريناً لأمير المؤمنين عليه السلام، بعدما

رشّحهما عمر للخلافة، فكان يتوقّع كلّ منهما أن يلي حكومة جزء كبير من البلاد الإسلامية على أقلّ تقدير زمان خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، كما كان لعائشة المقام المرموق لدى الخلفاء السابقين؛ حيث كانت تتحدّث كما تشاء، وهي الآن تعلم أن لا مجال لها في حكومة تعتمد القرآن والسنّة مصدراً ودستوراً للتشريع والتنفيذ.

كما كان معاوية يتصرّف في الشام تصرّف الحاكم المطلق المتفرّد، والطامع في السيادة الإسلامية العظمى، وكان جادّاً في تولّي اُمور الاُمّة الإسلامية بصورة تامّة، فكانت المفاجأة لجميع هؤلاء بقرارات الإمام وتخطيطه للإصلاح الشامل، إضافةً إلى تضرّر مجموعة أو مجموعات كانت تستغل مناصبها في عهد عثمان، وهي الآن قد فقدت مصدر ثرواتها.

لهذا كله، إجتمعت آراؤهم وأهواؤهم على إثارة الفتن؛ للحيلولة دون استقرار الحكم الجديد، ولم يكن تقلّب الوضع السياسي ووجود العناصر المعادية للاتّجاه الصحيح لمسيرة الحكومة الإسلامية غريباً على الإمام عليّ عليه السلام؛ فقد أخبره النبي صلى الله عليه وآله بتمرّد بعض الفئات على حكمه، وعهد إليه بقتالهم، كما أ نّه قد سمّاهم له بالناكثين والقاسطين والمارقين[1].

المطلب الثاني: عائشة تعلن التمرّد على حكومة الإمام علي عليه السلام

أولا: موقف عائشة المتناقض

كان موقف عائشة من عثمان غريباً متناقضاً لا يليق بمقام امرأة تعدّ من نساء النبي صلى الله عليه وآله، فكانت تردّد قولها: «أقتلوا نعثلاً»، وتحرّض الناس على التمرّد عليه، وعلى قتله[2].

وقد خرجت من المدينة إلى مكّة أثناء محاصرة عثمان من قبل الثوار وهي

---

(١)مستدرك الحاكم ٣: ١٣٩. تاريخ بغداد ٨: ٣٤٠. مجمع الزوائد ٩: ٢٣٥. كنز العمال ٦: ٨٢.
(٢)شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢١٥. كشف الغمة ٣: ٣٢٣.

تتوقّع النهاية السريعة لعثمان، ومن ثمَّ فوز قريبها طلحة بالخلافة، والاستيلاء على الحكم.

وحين فوجئت بأنّ الأمر قد استقرّ ـ بعد بيعة الناس إلى الإمام عليّ عليه السلام، كرّت راجعة نحو مكّة بعد أن كانت قد عزمت على الرجوع إلى المدينة[1]، وأعلنت حزنها وتظلّمها على عثمان، فقيل لها: أنتِ التي حرّضت على قتله، فاختلقت عذراً واهياً، فقالت: إنّهم استتابوه، ثمّ قتلوه[2]. وكأنّها كانت حاضرة تشهد مقتله.

وأعلنت السيدة عائشة حربها ضدّ الإمام عليّ عليه السلام في خطابها الذي ألقته في مكّة محرّضة أتباعها على الحرب[3].

ثانيا: عائشة تحاول خداع أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله

وطمعت عائشة في توسيع جبهتها ضدّ الإمام عليّ عليه السلام، فحاولت مخادعة أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله للخروج معها ضدّ الإمام، فامتنعن من ذلك، وحاولت اُمّ سلمة أن تنصحها عسى أن ترجع عن غيّها، وتجنّب الاُمّة البلاء والدماء، فقالت لها: إنّك كنت بالأمس تحرّضين على عثمان، وتقولين فيه أخبث القول، وما كان اسمه عندك إلا نعثلاً، وإنّك لتعرفين منزلة عليّ بن أبي طالب عند رسول الله صلى الله عليه وآله، أفاُذكّرك؟ قالت اُمّ سلمة: أتذكرين يوم أقبل عليه السلام ونحن معه، حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال خلا بعليّ يناجيه، فأطال، فأردت أن تهجمي عليهما، فنهيتك، فعصيتِني، فهجمتِ عليهما، فما لبثتِ أن رجعت باكية، فقلتُ: ما شأنك؟ فقلتِ: إنّي هجمت عليهما وهما يتناجيان، فقلتُ لعليّ: ليس لي من رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ يوم من تسعة أيام، أفما تدعني يا ابن أبي طالب ويومي؟ فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله عليَّ وهو غضبان محمرّ الوجه، فقال: «إرجعي وراءك، والله، لا يبغضه أحدٌ من

---

(١)الكامل في التاريخ ٣: ٢٠٦.

(٢)المصدر السابق.

(٣)تاريخ الطبري ٣: ٤٧٤.

أهل بيتي، ولا من غيرهم من الناس، إلاّ وهو خارج من الإيمان»، فرجعتِ نادمة ساخطة؟ قالت عائشة: نعم، أذكر ذلك، قالت اُمّ سلمة: أيّ خروج تخرجين بعد هذا؟ فقالت عائشة: إنّما أخرج للإصلاح بين الناس، وأرجو فيه الأجر إن شاء الله، فقالت اُمّ سلمة: أنتِ ورأيكِ، فانصرفت عائشة عنها[١].

المطلب الثالث: جهود معاوية في تأجيج الفتنة

وبدأ معاوية تحرّكه السياسي لتأجيج الفتنة المشتعلة بسبب مقتل عثمان، ومن ثَمَّ ليستثمرها لصالحه، فخاطب الزبير وطلحة بصيغة تحرّك فيهما الأطماع والرغبات للدخول في الصراع الجديّ ضدّ الإمام عليه السلام، فتزداد الفتنة في العاصمة المركزية. فكتب رسالة إلى الزبير خاطبه فيها بإمرة المؤمنين، وأنه قد أخذ له البيعة من أهل الشام[٢].

ولمّا وصلت رسالة معاوية إلى الزبير؛ خفّ لها طرباً، واطمأنّ إلى صدق نيّة معاوية، واتفق هو وطلحة على نكث بيعة الإمام والخروج عليه، فأظهرا الحسرة والتأسّف على بيعتهما للإمام، مردّدين: بايعنا مكرهين، وما إن وصلت إلى أسماعهما صيحة السيدة عائشة محرّضة على الإمام؛ حتى اجتهدا في إيجاد الحيلة للخروج إليها.

وروي أنّهما جاءا يطلبان من الإمام المشاركة في الحكم، فلم يتوصّلا إلى شيء، فقرّرا الالتحاق بعائشة، ثمّ عادا ثانية إلى الإمام عليه السلام ليستأذناه للخروج للعمرة، فقال لهما الإمام عليه السلام: «نعم، والله، ما العمرة تريدان، وإنّما تريدان أن تمضيا لشأنكما»[٣]. وروي أ نّه عليه السلام قال لهما: «بل تريدان الغدرة»[٤].

---

(١)شرح النهج لابن أبي الحديد ٦: ٢١٧. بحار الأنوار ٣٢: ١٤٩.

(٢)شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ٢٣١.

(٣)الإمامة والسياسة: ٧٠.

(٤)شرح النهج ١: ٢٣٢.

لقد أجمع رأي الخارجين على بيعة الإمام عليه السلام في بيت عائشة في مكّة بعد أن كانوا متنافرين متحاربين في عهد عثمان، فضمّ الاجتماع الزبير وطلحة ومروان بن الحكم، على أن يتّخذوا من دم عثمان شعاراً لتعبئة الناس لمحاربة الإمام عليّ عليه السلام، فرفعوا قميص عثمان كشعار للتمرّد والعصيان، وأنّ الإمام عليّاً عليه السلام هو المسؤول عن إراقة دم عثمان، لأنّه آوى قتلته، ولم يقتصّ منهم، وقرّروا أن يكون زحفهم نحو البصرة لاحتلالها واتّخاذها مركزاً للتحرّك ومنطلقاً للحرب، حيث أنّ معاوية يسيطر على الشام، والمدينة لا زالت تعيش حالة الإضطراب[١].

المطلب الرابع: تحرّك عائشة باتجاه البصرة

مضت عائشة في خطّتها لإثارة الفتنة، فحشدت أعداداً من الناس، وجهّزهم يعلى بن منية بمستلزمات الحرب، من السيوف والإبل التي سرقها من اليمن عندما عزله الإمام عنها، وقدم عليهم عبد الله بن عامر بمال كثير من البصرة سرقه أيضا[٢]. وجهّزوا لعائشة جملها المسمّى (عسكر)، وقد احتفّ بها بنو اُميّة وهي تتقدّم أمام الحشد الزاخر متوجّهين نحو البصرة، تسبقهم كتبهم التي أرسلوها إلى عدد من وجوه البصرة، يدعونهم فيها للخروج على بيعة الإمام عليه السلام بدعوى المطالبة بدم عثمان[٣].

ووصل الجيش إلى مكان يقال له: «الحوأب»، فتلقّتهم كلاب الحيّ بنباح وعواء، فذعرت عائشة، وسألت محمد بن طلحة عن المكان، فقالت: أيّ ماء هذا؟ فأجابها: ماء الحوأب يا اُمّ المؤمنين.. فهلعت، وصرخت: ما أراني إلاّ راجعة، قال: لِمَ، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لنسائه: كأنّي بإحداكنّ قد نبحها كلاب الحوأب،

---

(١)تاريخ الطبري ٣: ٤٧١ .

(٢)الإمامة والسياسة: ٧٩. الكامل في التاريخ ٣: ٢٠٧ .

(٣)الإمامة والسياسة: ٨٠ الكامل في التاريخ ٣: ٢١٠.

وإيّاك أن تكوني يا حميراء[١]. ثمّ ضربت عضد بعيرها، فأناخته، وقالت: ردّوني، أنا والله صاحبة ماء الحوأب، فأناخوا حولها يوماً وليلة، وجاءها عبد الله بن الزبير، فحلف لها بالله أنّه ليس ماء الحوأب، وأتاها ببيّنة زور من الأعراب، فشهدوا بذلك[٢]. فكانت أوّل شهادة زور في الإسلام.

المطلب الخامس: عائشة تدخل البصرة

حاول عثمان بن حنيف والي الإمام عليه السلام على البصرة أن يثني عائشة ومَن معها من غيّهم لتجنّب وقوع القتال، فأرسل إليهم عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي ليحاججوا عائشة ومن معها ببطلان موقفهم، ولكن محاولات الرجلين باءت بالفشل، فقد كانت عائشة ومعها طلحة والزبير مصرّين على نيّتهم في إثارة الفتنة وإعلان الحرب[٣].

وأقبلت عائشة ومن معها حتى انتهوا إلى «المربد»، فدخلوا من أعلاه، وخرج إليهم عثمان بن حنيف ومن معه من أهل البصرة، فتكلّم طلحة والزبير وعائشة يحرّضون الناس على الخروج على بيعة الإمام عليه السلام بدعوى الثأر لعثمان، فاختلف الناس بين معارض ومؤيّد.

إفتتن الناس بقدوم عائشة على البصرة، فبين منكر ومؤيّد ومصدّق ومكذّب افترقت جماهير البصرة، وتأزّم الموقف، فاصطدم الناس، واقتتلوا على فم السكّة، ولم يحجز بينهم إلاّ الليل، وكان عثمان بن حنيف لا يريد إراقة الدماء، ويجنح للسلم، وينتظر قدوم الإمام عليّ عليه السلام إلى البصرة، فلمّا عضّت الحرب الطرفين؛ تنادوا للصلح، فكتبوا كتاباً لعقد هدنة مؤقّتة، على أن يبعثوا رسولاً إلى المدينة

---

(١)الإمامة والسياسة: ٨٢ أخرج الحديث أحمد في مسنده ٦: ٥٢١. شرح النهج لابن أبي الحديد ٢: ٤٩٧.

(٢) الإمامة والسياسة: ٨٢. مروج الذهب ٢: ٣٩٥.

(٣)تاريخ الطبري ٣: ٤٧٩. الكامل في التاريخ ٣: ٢١١ .

يسأل أهلها، فإن كان طلحة والزبير اُكرها على البيعة؛ خرج ابن حنيف عن البصرة، وإلاّ، خرج عنها طلحة والزبير[1].

وعاد كعب بن مسور رسول الطرفين إلى المدينة بادّعاء اُسامة بن زيد أنّ طلحة والزبير بايعا مكرهين ومخالفة أهل المدينة لرأي اُسامة، فاستغلّها زعماء جيش عائشة، فهجموا في ليلة ذات رياح ومطر على قصر الإمارة حيث يتواجد عثمان بن حنيف، فقتلوا أصحابه، وأسروه، ونتفوا لحيته ورأسه وحاجبيه، ولكنّهم خافوا من قتله؛ لأنّ أخاه سهل بن حنيف كان والي الإمام على المدينة[2].

---

(١)الإمامة والسياسة: ٨٧ . تاريخ الطبري٣: ٤٨٣ و ٤٨٤. الكامل في التاريخ ٣: ٢١٥ .

(٢)الإمامة والسياسة: ٨٩ تاريخ الطبري ٣: ٤٨٤. مروج الذهب ٢: ٣٦٧.

خلاصة البحث

جمعت المصالح الشخصية والأحقاد كلا من طلحة والزبير وعائشة ومعاوية على حرب الإمام علي عليه السلام.

كان موقف أزواج النبي صلى الله عليه وآله ـ وخاصة أم سلمة ـ حازما إزاء حركة عائشة.

قام معاوية بتأجيج نار الحرب بين الطرفين. كما افتتن أهل البصرة في ما بينهم عند وصول جيش عائشة إليهم، حتى أنه وقعت الحرب بينهم.

إختبارات البحث

١. عدد مثيري الفتن في عهد أمير المؤمنين عليه السلام.

٢. ما هو الجامع المشترك بين مثيري الفتن عهد أمير المؤمنين عليه السلام على اختلاف مشاربهم؟

٣. تكلم عن موقف عائشة من خلافة أمير المؤمنين عليه السلام.

٤. ما هي الجهود التي بذلها معاوية لإثارة الفتنة عهد أمير المؤمنين عليه السلام؟

٥. ما هو دور عائشة في وقوع الفتنة وحرب الجمل؟

البحث رقم (٤١)
حركات التمرد على الشرعية (٢)
الناكثون (٢)

أهداف البحث

١. توضيح تحرّك الإمام ﴿عليه السلام﴾ للقضاء على التمرّد.
٢. وصف نصح الإمام ﴿عليه السلام﴾ للمتمرّدين.
٣. توضيح محاولات الإمام لمنع الحرب.
٤. إستيعاب مواقف الإمام المشرفة بعد المعركة.
٥. تعداد أسباب اتخاذ الإمام علي ﴿عليه السلام﴾ الكوفة عاصمة للدوالة الإسلامية.

مقدمة البحث

بدأنا في البحث الماضي الكلام عن حركات التمرد على الشرعية، فتكلمنا عن حركة الناكثين، وجهود مجموعة منهم في إعداد العدة لحرب الإمام ﴿عليه السلام﴾، متخذين قميص عثمان حجة للخروج عليه ﴿عليه السلام﴾. كما أوضحنا جهود عائشة وطلحة والزبير في هذا المجال، وتحركهم نحو البصرة، والفتنة التي أشعلوها هناك، تلك التي أدت إلى إشعال الحرب بين البصريين قبل وصول الإمام ﴿عليه السلام﴾ البصرة، وقتل الكثيرين منهم، وأسر والي أمير المؤمنين عليها، إبن حنيف.

ونواصل هذا البحث توضيح تاريخ هؤلاء الناكثين، وما جرى بينهم وبينه ﴿عليه السلام﴾، من معركة الجمل، وما تلاها من مواقف مشرفة من قبل الأمير ﴿عليه السلام﴾.

المطلب الأول: تحرّك الإمام ﴿عليه السلام﴾ للقضاء على التمرّد[1]

ما إن أُحيط الإمام ﴿عليه السلام﴾ علماً بحركة عائشة وطلحة والزبير نحو البصرة وإعلانهم العصيان، عدل عمّا كان يخطّط له لمعالجة موقف معاوية والشام،

---

(١)الإمامة والسياسة: ٧٤. تاريخ الطبري ٥: ٥٠٧.

فاتّجه ﴿عليه السلام﴾ نحو البصرة بجيش يضمّ وجوه المهاجرين والأنصار.

وصل الإمام ﴿عليه السلام﴾ إلى منطقة «الربذة»، فكتب إلى الأمصار يستمدّ العون ويوضّح الأمر، كي يتوصّل إلى إخماد نار الفتنة وحصرها في أضيق نطاق، فأرسل إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، ثمّ أرسل عبد الله بن عباس، فأبى أبو موسى الأشعري الاستجابة للإمام، ومارس دور المثبّط عن مناصرته ﴿عليه السلام﴾ في موقفه، ، فأرسل ﴿عليه السلام﴾ ولده الحسن وعمار بن ياسر، ثمّ تبعهم مالك الأشتر، فعزلوا أبا موسى، وتحرّكت الكوفة بكلّ ثقلها تنصر أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾، فلحقت به في «ذي قار».

ولم يتوقّف الإمام ﴿عليه السلام﴾ عن مراسلة طلحة والزبير وإيفاد الرسل إليهم، عسى أن يعودوا لرشدهم، ويدركوا خطورة فتنتهم، فيجنّبوا الأُمّة المصائب والبلايا وسفك الدماء، فأوفد إلى عائشة زيد بن صوحان وعبد الله بن عباس وغيرهما، فحاوروهم بالحجّة والدليل والعقل، حتى أنّ عائشة قالت لابن عباس: لا طاقة لي بحجج عليّ، فقال ابن عباس: لا طاقة لك بحجج المخلوق، فكيف طاقتك بحجج الخالق[1]؟!

المطلب الثاني: نصح الإمام ﴿عليه السلام﴾ للمتمرّدين

أكثَر الإمام ﴿عليه السلام﴾ من مراسلة طلحة والزبير بعد أن شارفت قواته على أبواب البصرة، فخشيت عائشة ومن معها من اقتناع قادتها وجموع الناس معها بحججه ﴿عليه السلام﴾؛ فخرجوا لملاقاته، فلمّا توقّفوا للقتال، أمر ﴿عليه السلام﴾ منادياً ينادي في أصحابه: لا يرمينّ أحد، ولا يطعن برمح، حتى أُعذر القوم، فأتّخذ عليهم الحجّة البالغة[2].

فلم يجد الإمام ﴿عليه السلام﴾ منهم إلاّ الإصرار على الحرب، ثمّ خرج الإمام ﴿عليه السلام﴾ إلى الزبير وطلحة، فوقفوا ما بين الصفّين، فقال الإمام ﴿عليه السلام﴾ لهما: لعمري لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً، إن كنتما أعددتما عند الله عذراً، فاتّقيا الله ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، أَلم أكن أخاكما في دينكما؟ تحرّمان دمي وأُحرّم

---

(١)الإمامة والسياسة: ٩٠. بحار الانوار ٣٢: ١٢٢ .

(٢)الإمامة والسياسة: ٩١. مروج الذهب ٢: ٢٧٠.

دمكما، فهل من حدث أحلّ لكما دمي؟

ثمّ قال (عليه السلام) لطلحة: أجئت بعرس رسول الله (صلى الله عليه وآله) تقاتل بها وخبّأت عرسك في البيت؟! أما بايعتني؟ ثمّ قال (عليه السلام) للزبير: قد كنا نعدّك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء عبد الله ففرّق بيننا، ثمّ قال (عليه السلام): أتذكر ـ يا زبير ـ يوم مررت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بني غنم، فنظر إليّ فضحك، وضحكت إليه، فقلتَ له: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال لك رسول الله (صلى الله عليه وآله): ليس بِمُزه ـ أي: ليس به زهو ـ لتقاتله وأنت له ظالم؟! قال الزبير: اللهم، نعم.

وروي: أنّ الزبير اعتزل الحرب، وقتل بعيداً عن ساحة الحرب بعد أن استعرت الفتنة[١]. كما أنّ طلحة قتله مروان بن الحكم في ساحة المعركة[٢].

كان الإمام (عليه السلام) طامحاً حتى آخر لحظة أن يرتدع الناكثون عن غيّهم، فلم يأذن بالقتال رغم ما شاهد من إصرار زعماء الفتنة على المضي في الحرب، فقال (عليه السلام) لأصحابه: «لا يرمينّ رجل منكم بسهم، ولا يطعن أحدكم فيهم برمح، حتى اُحدث إليكم، وحتى يبدؤوكم بالقتال والقتل»[٣].

وشرع أصحاب الجمل بالرمي، فقتل رجل من أصحاب الإمام، ثمّ قتل ثان وثالث، عندها أَذِنَ (عليه السلام)[٤] بالردّ عليهم، والدفاع عن الحقّ والعدل.

المطلب الثالث: إلتحام الجيشين

إلتحم الجيشان يقتتلان قتالاً رهيباً، فتساقطت الرؤوس، وتقطّعت الأيادي، واُثخنت الجراحات في الفريقين، ووقف (عليه السلام) ليشرف على ساحة المعركة، فرأى أصحاب الجمل يستبسلون في الدفاع عن جملهم، فنادى بأعلى صوته: «ويلكم،

---

(١)المصدران السابقان.

(٢)الطبقات الكبرى ٣: ١٥٨. الإمامة والسياسة: ٩٧.

(٣)شرح النهج ٩: ١١١.

(٤)الإمامة والسياسة: ٩٥.

اعقروا الجمل، فإنّه شيطان...». فهجم عليه السلام وأصحابه حتى وصلوا الجمل، فعقروه، ففرّ من بقي من أصحاب الجمل من ساحة المعركة، فأمر عليه السلام بعد ذلك بحرق الجمل وتذريّة رماده في الهواء، لئلاّ تبقى منه بقية يفتتن بها السذّج والبسطاء، ثمّ قال الإمام عليه السلام: لعنه الله من دابّة، فما أشبهه بعجل بني إسرائيل. ومدّ عليه السلام بصره نحو الرماد الذي تناثر في الهواء، فتلا قوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إلى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً﴾[١].

المطلب الرابع: مواقف الإمام عليه السلام بعد المعركة

كتب الله النصر لأمير المؤمنين عليه السلام على مخالفيه، ووضعت الحرب أوزارها، وانقشع غبار المعركة، ونادى منادي الإمام عليه السلام يعلن العفو العام: ألا لا يجهز على جريح، ولا يتبع مول، ولا يطعن في وجه مدبر، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، وأن لا يؤخذ شيء من أموال أصحاب الجمل إلاّ ما وجد في عسكرهم، من سلاح أو غيره ممّا استخدم في القتال، وما سوى ذلك، فهو ميراث لورثتهم[٢].

وأمر عليه السلام محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر أن يحملا هودج عائشة من بين القتلى وسط ساحة المعركة، وينحّياه جانباً، وأن يتعهّد محمد أمر اُخته عائشة، فلمّا كان من آخر الليل، أدخلها محمد البصرة، فأنزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي.

وأقام الإمام عليه السلام في ظاهر البصرة، ولم يدخلها، وأذن للناس في دفن موتاهم، فخرجوا إليهم فدفنوهم[٣]، ثمّ دخل عليه السلام مدينة البصرة، معقل الناكثين، فانتهى إلى المسجد، فصلّى فيه، ثمّ خطب في الناس، وذكّرهم بمواقفهم ومواقف الناكثين لبيعته، فناشدوه الصفح والعفو عنهم، فقال عليه السلام: «قد عفوت عنكم، فإيّاكم والفتنة، فإنّكم أوّل الرعيّة نكث البيعة، وشقّ عصا هذه الاُمّة». ثمّ أقبلت الجماهير ووجوه الناس لمبايعة الإمام عليه السلام[٤].

---

(١)طه : ٩٧ .

(٢)تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٢. مروج الذهب ٢: ٣٧١.

(٣)الكامل في التاريخ ٣: ٢٥٥.

(٤)تاريخ الطبري ٣: ٥٤٤. الإرشاد: ١٣٧ .

ثم دخل ﴿عليه السلام﴾ بيت المال في البصرة، فلمّا رأى كثرة المال، قال: «غُرّي غيري..»، وكرّرها مراراً، وأمر أن يقسّم المال بين الناس بالسوية، فنال كلّ فرد منهم خمسمائة درهم، وأخذ هو كأحدهم، ولم يبقَ شيء من المال، فجاءه رجل لم يحضر الوقعة يطالب بحصّته، فدفع إليه الإمام ما أخذه لنفسه، ولم يصب شيئاً[١].

ثمّ أمر أمير المؤمنين بتجهيز عائشة وتسريحها إلى المدينة، وأرسل معها أخاها وعدداً من النساء ألبسهنّ العمائم وقلّدهن السيوف لرعاية شؤونها، وأوصلنها إلى المدينة، ولكنّ عائشة لم تحسن الظنّ بأمير المؤمنين، وتصوّرت أنّ الإمام لم يرعَ حرمتها، وما إن علمت أنّ الإمام ﴿عليه السلام﴾ بعث معها النساء، أعلنت ندمها على خروجها وفشلها وإثارتها للفتنة، فكانت تكثر من البكاء[٢].

المطلب الخامس: الكوفة عاصمة الإمام علي ﴿عليه السلام﴾

بعد أن هدأت الأُمور تماماً، تحرّك الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾ نحو الكوفة، ليتّخذها مقرّاً بعد أن بعث إليهم برسالة أوضح فيها بإيجاز تفاصيل الأحداث[٣]، كما أنّ الإمام أمّر عبد الله بن عباس على البصرة، وشرح له كيفية التعامل مع سكّانها بعد الذي وقع بينهم[٤].

وكان لاختياره ﴿عليه السلام﴾ الكوفة عاصمةً جديدةً للدولة الإسلامية أسباب عديدة منها:

١ـ توسّع رقعة العالم الإسلامي، فكان لابدّ من أن تكون العاصمة الإدارية والسياسية للدولة في موقع يُعين الحكومة في التحرّك نحو جميع نقاط الدولة.

٢ـ إنّ الثقل الأكبر الذي وقف مع الإمام ﴿عليه السلام﴾ في القضاء على فتنة أصحاب الجمل هم كبار شخصيّات العراق ووجهاء الكوفة وجماهيرها.

٣ـ الظروف السياسية والتوتّرات الناجمة عن مقتل عثمان وحرب أصحاب الجمل، كلّ ذلك جعل الإمام ﴿عليه السلام﴾ يستقرّ في الكوفة، ليعيد الأمن والاستقرار للمنطقة.

---

(١)شرح النهج ١: ٢٥٠.

(٢)الإمامة والسياسة: ٩٨. مروج الذهب ٢: ٣٧٩. المناقب: ١١٥. التذكرة: ٨٠.

(٣)تاريخ الطبري ٣: ٥٤٥ ـ ٥٤٦.

(٤)تاريخ الطبري ٣: ٥٤٦.

خلاصة البحث

كان الإمام ﵇ طامحاً حتى آخر لحظة قبل نشوب القتال أن يرتدع الناكثون عن غيّهم، فلم يأذن بالقتال رغم ما شاهد من إصرار زعماء الفتنة على المضي في الحرب.

كان موقف الإمام بعد الحرب نبيلا إزاء الجميع، حتى أنه بذل لهم ما كان في بيت مال البصرة. كما أنه أرجع عائشة معززة إلى المدينة.

إختبارات البحث

١. وضح تحرّك أمير المؤمنين ﵇ للقضاء على التمرّد الذي وقع في عهده.

٢. صف نصح أمير المؤمنين ﵇ للمتمرّدين قبل الحرب.

٣. ما هي المحاولات التي بذلها أمير المؤمنين ﵇ لمنع الحرب؟

٤. تكلم عن مواقف أمير المؤمنين ﵇ المشرفة بعد المعركة.

٥. ما هي أسباب اتخاذ الإمام علي ﵇ الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية؟

البحث رقم (٤٢)
حركات التمرد على الشرعية (٣)
القاسطون

أهداف البحث

١. التعريف بالقاسطين وبمآربهم الدنيئة.
٢. توضيح محاولات الإمام عليه السلام الحيلولة دون وقوع الحرب.
٣. تقدير مواقف الإمام عليه السلام من مناوئيه وجيوشهم.
٤. توضيح سفه جيش معاوية وغبائهم.
٥. التعريف بسير حرب صفين وحيلة رفع المصاحف وقرار التحكيم.

مقدمة البحث

تناولنا في البحثين السابقين بعض حركات التمرد ضد حكم الإمام علي عليه السلام، والتي تمثلت بالناكثين لبيعته، ونواصل الكلام في هذا البحث في هذه الحركات الضالة المضلة، حيث نتناول حركة القاسطين.

المطلب الأول: التعريف بالقاسطين

ساورت المخاوف معاوية من استقرار الإمام في الكوفة ومضيّه عليه السلام في خطّته لتوحيد الدولة وبناء الحضارة الإسلامية على منهج القرآن والسنّة النبويّة، فسارع إلى الإستعانة بعمرو بن العاص؛ لما يتمتّع به من حيلة وغدر، وتوافق معه في العداء للإسلام وللإمام عليه السلام، ولم يتردّد عمرو طويلاً أمام رسالة معاوية، ولم يكن ليختار على طمعه في الدنيا شيئاً حتى لو كان دينه الذي يُدخله الجنّة[١].

وما إن وصل عمرو إلى الشام، حتى جعل يبكي ويولول كالنساء[٢]، مبتدئاً

---

(١)وقعة صفّين: ٣٤. الإمامة والسياسة: ١١٦. الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٥.
(٢)الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٤.

خطّته في تضليل الجماهير وخداعها، وبعد مراوغة ومكايدة بين معاوية وعمرو، تمّت المساومة على أن تكون حصّة عمرو ولاية مصر مقابل مواجهة الإمام ﴿عليه السلام﴾ ومحاربته، وكتب معاوية كتاباً بذلك[١].

المطلب الثاني: تحرك معاوية إلى الحرب

بعد تعبئة الشام للحرب؛ أخذ معاوية منهم البيعة، وكتب بالحرب كتاباً أرسله مع جرير[٢]، الذي أبطأ كثيراً على الإمام ﴿عليه السلام﴾، ثمّ سارع معاوية بتحريك قوّاته نحو أعالي الفرات في وادي صفّين؛ لاحتلالها، ومنع تقدّم قوات الإمام ﴿عليه السلام﴾، وحبس الماء عنهم، وتصوّر معاوية أنّ هذا أوّل نصر يحقّقه على الإمام ﴿عليه السلام﴾.

وطلب ﴿عليه السلام﴾ من معاوية أن يسمح لجيشه بالاستقاء بعد أن وصلوا متأخرين إلى صفّين، فأبى معاوية وجيشه ذلك، وأضرّ الظمأ كثيراً بأهل العراق، وازداد الضغط على الإمام ﴿عليه السلام﴾ لكسر الحصار، فأذن لهم بالهجوم على شاطئ الفرات، وتمّ إزاحة قوّات معاوية عن ضفّة النهر. ولكنّ الإمام ﴿عليه السلام﴾ لم يقابل أهل الشام بالمثل، ففسح لهم المجال لأخذ الماء دون معارضة[٣].

رغم أنّ الإمام ﴿عليه السلام﴾ أكثر من مراسلة معاوية، ورغم فتحه عدّة قنوات للحوار لمحاولة كسبه وإدخاله في بيعته، إلا أن ردّ معاوية كان الحرب والسعي للقضاء على الإمام وجيشه بكلّ وسيلة، بيد أنّ الإمام ﴿عليه السلام﴾ كان يأمل في محاولة سلمية أُخرى بعد أن استقرّ وجيشه ضفّة الفرات، فسادت هدنة مؤقّتة بعث خلالها الإمام ﴿عليه السلام﴾ مندوبين عنه إلى معاوية، وهم: بشير بن محصن الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي، فقال ﴿عليه السلام﴾ لهم: «إئتوا هذا الرجل ـ أي:

---

(١)وقعة صفّين: ٤٠. الإمامة والسياسة: ١١٧.

(٢)المصدر السابق: ٥٦.

(٣)مروج الذهب ٢: ٣٨٤. شرح النهج لابن أبي الحديد ٣: ٣٢٠. الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٣.

معاوية ـ وادعوه إلى الله، وإلى الطاعة والجماعة».

وما كان جواب معاوية إلاّ السيف والحرب، فقال للمندوبين: إنصرفوا من عندي، فليس بيني وبينكم إلاّ السيف[1].

المطلب الثالث: الحرب بعد الهدنة

جرت مناوشات بين الجيشين ولم تستعر الحرب بعدُ، فكانت تخرج الفرقة من كلا الطرفين فيقتتلان، وما أن حلّ شهر محرّم من عام (٣٧ هـ)، حتى حصلت موادعة بين الطرفين، حاول من خلالها الإمام عليه السلام التوصّل إلى الصلح، وكانت طروحاته عليه السلام هي الدعوة إلى السلم وجمع الكلمة وحقن الدماء، ودعوات معاوية وأهل الشام رفض بيعة الإمام عليه السلام والطلب بدم عثمان بن عفان[2].

واستمرّت الهدنة مدّة شهر واحد، ولمّا طالت فترة المناوشات؛ سئم الفريقان من ذلك، فعبّأ الإمام عليه السلام جيشه تعبئة عامة، وكذلك فعل معاوية، والتحم الجيشان في معركة رهيبة، وكان الإمام يوصي جنوده دائماً فيقول: «لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم، فأنتم ـ بحمد الله عزّ وجلّ ـ على حجّة». ثمّ قال: «فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم، فلا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثّلوا بقتيل»[3].

واستمرت الحرب بين كرٍّ وفرّ، حتى سقط خلالها أعداد كبيرة من المسلمين صرعى وجرحى بلغت عشرات الأُلوف.

المطلب الرابع: مقتل عمار بن ياسر

روي: أنّ عمار بن ياسر خرج بين الصفوف، فقال: إنّي لأرى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون، والله، لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات

---

(١)تاريخ الطبري ٣: ٥٦٩. الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٤.

(٢)وقعة صفّين: ١٩٥. تاريخ الطبري ٣: ٥٧٠ .

(٣)وقعة صفّين: ٢٠٢. تاريخ الطبري ٤: ٦.

هجر؛ لكنّا على الحقّ، وكانوا على الباطل. ثمّ تقدّم نحو جيش معاوية وهو يرتجز:

نحن ضربناكم على تنزيله *** واليوم نضربكم على تأويله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله *** ويذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحقّ إلى سبيله

فتوسّط فيهم ببسالته التي قاتل بها مع رسول الله ﷺ صادقاً مخلصاً، فاشتبكت عليه الرماح، فطعنه أبو العادية وابن جون السكسكي، وروي أنّهما اختصما في رأس عمار إلى معاوية، وعبد الله بن عمرو بن العاص جالس، فقال لهما: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول له: «يا عمّار، تقتلك الفئة الباغية»[1].

وسرى خبر استشهاد عمار بين الجيشين، فوقعت الفتنة بين صفوف جيش معاوية، لما يعلمونه من مكانة عمار ومن حديث الرسول ﷺ له... ولكنّ المكر والحيلة كانا بالمرصاد لكلّ ساذج جاهل، فأشاع معاوية أنّ الذي قتل عماراً من جاء به. وأذعن بسطاء أهل الشام لهذه الضلالة[2].

وروي: أنّ ذلك بلغه عليه السلام، فقال: ونحن قتلنا حمزة لأنّا أخرجناه إلى اُحد[3]؟!

المطلب الخامس: خدعة رفع المصاحف

إستمرّ القتال أياماً أظهر خلالها أصحاب الإمام صبرهم وتفانيهم من أجل انتصار الحقّ، ثمّ إنّ الإمام عليه السلام قام خطيباً يحثّ على الجهاد فقال: «أيّها الناس، قد بلغ بكم الأمر وبعدوّكم ما قد رأيتم، ولم يبق منهم إلاّ آخر نفس، وإنّ الاُمور إذا أقبلت، اعتبر آخرها بأوّلها.. وقد صبر لكم القوم على غير دين، حتى بلغنا منهم ما

---

(١)وقعة صفّين: ٣٤٠. تاريخ الطبري ٤: ٢٧. العقد الفريد ٤: ٣٤١، .

(٢)تاريخ الطبري ٥: ٦٥٣.

(٣)العقد الفريد ٤: ٣٤٣. تذكرة الخواص: ٩٠.

بلغنا، وأنا غاد عليهم بالغداة أُحاكمهم إلى الله عزّ وجلّ»[١].

فبلغ ذلك معاوية، وقد بدت الهزيمة على أهل الشام، فاستدعى عمرو بن العاص يستشيره، وقال له: إنّما هي الليلة حتى يغدو عليّ علينا بالفيصل، فما ترى؟

قال عمرو: أرى أنّ رجالك لا يقومون لرجاله، ولست مثله، وهو يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره، أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء، وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون عليّاً إن ظفر بهم، ولكن، ألقِ إليهم أمراً إن قبلوه اختلفوا، وإن ردّوه اختلفوا، اُدعهم إلى كتاب الله حكماً في ما بينك وبينهم[٢].

فأمر معاوية في الحال أن ترفع المصاحف على الرماح، ونادى أهل الشام: يا أهل العراق، هذا كتاب الله بيننا وبينكم، من فاتحته إلى خاتمته، من لثغور أهل الشام من بعد أهل الشام؟ ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق؟

وكانت هذه الدعوى المضلّلة كالصاعقة على رؤوس جيش الإمام، فهاج الناس وكثر اللغط بينهم، وقالوا: نجيب إلى كتاب الله ونُنيب إليه، وكان أشدّ الناس في ذلك أحد كبار قادة جيش الإمام عليّ، الأشعث بن قيس.

فقال لهم عليه السلام: «عباد الله، أمضوا على حقّكم وصدقكم وقتال عدوّكم، فإنّ معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن أبي مسلمة وابن أبي سرح والضحّاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالاً، ثمّ رجالاً، فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال، وَيْحَكُم! والله، ما رفعوها إلاّ خديعةً ووهناً ومكيدةً، إنّها كلمة حقّ يراد بها باطل».

فخاطبوا أمير المؤمنين باسمه الصريح قائلين: يا عليّ، أجب إلى كتاب الله عزّ وجل إذ دعيت إليه، وإلاّ، ندفعك برمّتك إلى القوم، أو نفعل كما فعلنا بابن عفّان.

---

(١)كتاب سليم بن قيس: ١٧٦. الكامل في التاريخ ٣: ٣١٠.

(٢)وقعة صفّين: ٣٤٧. تاريخ الطبري ٤: ٣٤.

ولم يجد الإمام (عليه السلام) مع المخدوعين سبيلاً، فقال: فإن تطيعوني، فقاتلوا، وإن تعصوني، فاصنعوا ما شئتم[١].

وكان في ساحة المعركة مالك الأشتر يقاتل ببسالة ويقين، حتى كاد أن يصل إلى معاوية، فقالوا لأمير المؤمنين: إبعث إلى الأشتر ليأتينّك.. ولكنّ الأشتر لم ينثنِ عن عزمه في القتال، لأنه يعلم أنّ الأمر خدعة، فهدّدوه بقتل الإمام (عليه السلام)، فعاد الأشتر يؤنّبهم، فقال لهم: خُدعتم والله فانخدعتم، ودُعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم، يا أصحاب الجباه السود، كنّا نظن أنّ صلاتكم زهادة إلى الدنيا وشوق إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلاّ إلى الدنيا من الموت.

وأقبل الناس يقولون: قد رضي أمير المؤمنين، والإمام (عليه السلام) ساكت لا يفيض بكلمة، مطرق الرأس، حزيناً، فقد انطلت الخديعة على جيشه فتمرّد عليه، ولم يعد باستطاعته أن يفعل شيئاً، وقد أدلى (عليه السلام) بما مني به بقوله: «لقد كنت أمسِ أميراً، فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت بالأمسِ ناهياً، فأصبحت اليوم منهيّاً»[٢].

المطلب السادس: خدعة التحكيم وصحيفة الموادعة

لم تتوقّف محنة الإمام (عليه السلام) بتخاذل الجيش، وكان بالإمكان أن يحقّق مكسباً سياسياً عن طريق المفاوضات التي دُعي إليها لو أطاعه المتمرّدون في اختيار الممثّلين عنه إلى التحكيم، فأراد الإمام (عليه السلام) ترشيح عبد الله بن عباس أو مالك الأشتر لما يعلم عنهما من إخلاص ووعي، وأصرّ المخدوعون على ترشيح أبي موسى الأشعري، فقال الامام (عليه السلام): «إنّكم قد عصيتموني في أوّل الأمر فلا تعصوني الآن، إنّي لا أرى أن أُولّي أبا موسى، فإنّه ليس بثقة، قد فارقني وخذّل الناس عنّي ـ بالكوفة عند الذهاب لحرب الجمل ـ ثمّ هرب منّي، حتى أمّنته بعد أشهر»[٣].

---

(١)وقعة صفّين: ٤٨١. تاريخ الطبري ٤: ٣٤ ـ ٣٥.

(٢)نهج البلاغة الخطبة ٢٠٨.

(٣)وقعة صفّين: ٤٩٩. تاريخ الطبري ٤: ٣٦. الكامل في التاريخ ٣: ٣١٩ .

وتمكّن معاوية وابن العاص من مأربهم في تفتيت جيش الإمام عليه السلام، يساعدهم في ذلك الأشعث بن قيس من داخل قوّات الإمام.

حضر عمرو بن العاص ممثّلاً عن أهل الشام بدون معارضة من أحد لتسطير بنود الاتّفاق مع أبي موسى الأشعري، ولم يقبل عمرو كتابة اسم «أمير المؤمنين» في الصحيفة، فقال الإمام عليه السلام: إنّ هذا اليوم كيوم الحديبية؛ إذ قال سهيل بن عمر للنبي: لست رسول الله، ثمّ قال عليه السلام: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: أما إنّ لك مثلها، ستعطيها وأنت مضطهد[1].

وأهمّ ما جاء في الصحيفة هو إعلان الهدنة ووقف القتال، وأن يلجأ الطرفان إلى كتاب الله وسنّة نبيّه لحلّ قضاياهم، وأُجّل البتّ في قرار الحكمين إلى رمضان (٣٧ هـ)، حيث كتبت الصحيفة في صفر من العام نفسه. والغريب أنّ مسألة الأخذ بثأر عثمان لم ترد ولو بإشارة بسيطة في كتاب الموادعة، مع أنّها اُسّ الفتنة التي تحرّك فيها معاوية وحزبه من أبناء الطلقاء![2]، واتّفقوا على أن يكون موضع اجتماع الحكمين «دومة الجندل».

قفل أمير المؤمنين راجعاً إلى الكوفة مثقلاً بالهموم والآلام، يرى باطل معاوية قد استحكم، وأمره أوشك أن يتمّ، وينظر إلى جيشه وقد فتّته التمرّد لا يستجيب لأمره.

ودخل الإمام عليه السلام الكوفة، فرأى لوعة وبكاء قد ساد جميع أرجائها حزناً على من قتل في صفّين، واعتزلت فرقة تناهز اثني عشر ألف مقاتل جيش الإمام، ولم يدخلوا الكوفة، فلحقوا بحروراء، وجعلوا أميرهم على القتال شبث بن ربعي، وعلى الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري، وخلعوا بيعة الإمام عليه السلام، يدعون إلى جعل الأمر شورى بين المسلمين.. وكان أمر هؤلاء قد بدأ منذ كتابة صحيفة الموادعة؛ إذ لم يعجبهم الأمر، فاعترضوا وقالوا: لانرضى، لا حكم إلاّ لله، واتّخذوه شعاراً لهم

---

(١)وقعة صفّين: ٥٠٨. شرح نهج البلاغة ٢: ٢٣٢.

(٢)تاريخ الطبري ٤: ٤٠.

رغم أنّهم هم الذين أصرّوا على الإمام ﷺ لقبول التحكيم.

وسعى أمير المؤمنين لمعالجة موقفهم بالحكمة والنصيحة، فأرسل إليهم عبد الله بن عباس، وأمره أن لا يعجل في الخوض معهم في جدال وخصومة، ولحقه الإمام ﷺ، فكلّمهم وحاجههم وفنّد كلّ دعاويهم، فاستجابوا له، ودخلوا معه إلى الكوفة[١].

المطلب السابع: إجتماع الحكمين وقرار التحكيم

حان الأجل الذي ضرب لاجتماع الحكمين، فأرسل الإمام ﷺ أربعمئة رجل عليهم شريح بن هاني، وبعث معهم عبد الله بن عباس ليصلّي بهم ويلي اُمورهم، وأبو موسى الأشعري معهم، وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمئة رجل من أهل الشام، حتى توافوا في دومة الجندل.

وقد سارع عدد من أهل الرأي والحكمة ممّن أخلصوا للإمام ﷺ بتقديم النصح والتحذير لأبي موسى، باذلين جهدهم في حمله على التبصرة والرويّة في اتّخاذ القرار، وخشية منهم من مكر عمرو وخداعه[٢].

إجتمع الحكمان: أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص، والأوّل يحمل الغباء السياسي وضعف الانتماء العقائدي وقلّة الولاء لإمامه عليّ ﷺ، والثاني هو الماكر المخادع ذو السجيّة الغادرة والطامع إلى إقصاء خطّ أهل البيت ﷺ تماماً عن الميدان السياسي، يدفعه لذلك طمعه في الملك، وشركته مع الطليق ابن الطليق معاوية.

ولم يطل الاجتماع طويلاً حتى تمكّن ابن العاص من معرفة نقاط الضعف في شخصية الأشعري والسيطرة عليه وتوجيهه نحو ما يريد، واتفق الإثنان في اجتماع مغلق على خلع الإمام عليّ ﷺ ومعاوية عن ولاية أمر المسلمين، واختيار عبد الله بن عمر بن الخطاب ليكون الخليفة المقترح.

---

(١)تاريخ الطبري ٤: ٥٤. الكامل في التاريخ ٣: ٤٢٦.

(٢)وقعة صفّين: ٥٣٤. شرح نهج البلاغة ٢: ٢٤٦.

وبادر ابن عباس محذّراً الأشعري من أن ينساق في لعبة ابن العاص، فقال له: ويحك، والله، إنّي لأظنّه قد خدعك إن اتّفقتما على أمر، فقدّمه فليتكلّم بذلك الأمر قبلك، ثمّ تكلّم أنت بعده، فإنّ عَمْراً رجل غادر، لا آمن من أن يكون قد أعطاك الرضا في ما بينك وبينه، فإذا قمت في الناس، خالفك.

فقام الأشعري، فخطب وخلع الإمام عليّاً عليه السلام، ثمّ انبرى عمرو، فخطب وأكّد خلع الإمام، وثبّت معاوية لولاية الأمر[1].

وبتلك الغدرة ظفر معاوية بالنصر، وعاد إليه أهل الشام يسلّمون عليه بإمرة المؤمنين، وأمّا أهل العراق، فغرقوا في الفتنة، وأيقنوا بضلال ما أقدموا عليه، وهرب أبو موسى إلى مكّة، ورجع ابن عباس وشريح إلى الإمام عليّ عليه السلام.

---

(١)تاريخ الطبري ٤: ٥٢. مروج الذهب ٢: ٤١١. الكامل في التاريخ ٣: ٣٢٢.

خلاصة البحث

ساورت المخاوف معاوية من استقرار الإمام في الكوفة ومضيّه عليه السلام في خطّته لتوحيد الدولة وبناء الحضارة الإسلامية على منهج القرآن والسنّة النبويّة، فسارع إلى الاستعانة بعمرو بن العاص لما يتمتّع به من حيلة وغدر، وتوافق معه في العداء للإسلام وللإمام عليه السلام.

لم يقابل الإمام عليه السلام أهل الشام بالمثل حين تمّ إزاحة قوّاته عن ضفّة النهر، ففسح لهم المجال لأخذ الماء دون معارضة.

وقد حاول الإمام كثيرا حقن الدماء والمنع من وقوع الحرب، إلا أن القاسطين لم يقبلوا بذلك حتى وقعت حرب صفين.

كادت الحرب تنتهي بانتصار جيش الإمام لولا خدعة رفع المصاحف التي لم يستمع فيها القوم لرأي الإمام عليه السلام.

كما أن القوم لم يستمعوا لرأي الإمام في تعيين الحكم عنهم فكانت النتيجة الإنكسار، وخلع أمير المؤمنين وتولية معاوية في حيلة احتالها عمرو بن العاص وانطلت على أبي موسى الأشعري.

إختبارات البحث

١. عرف بالقاسطين وبمآربهم الدنيئة.
٢. تكلم عن محاولات أمير المؤمنين عليه السلام الحيلولة دون وقوع حرب صفين.
٣. كيف توجه مواقف أمير المؤمنين عليه السلام من مناوئيه وجيوشهم في صفين؟
٤. صف سفه جيش معاوية وغبائهم.
٥. عرف ـ باختصار ـ بحيلة رفع المصاحف في حرب صفين وقرار التحكيم.

البحث رقم (٤٣)

حركات التمرد على الشرعية (٤)

المارقون

أهداف البحث

١. التعريف بالمارقين، وبسبب خروجهم.

٢. بيان ردّ الإمام عليه السلام على قرار الحكمين بعد حرب صفين.

٣. وصف عبث الخوارج، وأثر ذلك في وقوع حرب النهروان.

٤. وصف تحرك معاوية لاحتلال مصر.

٥. تفسير ظاهرة انهيار الأُمّة وتفكّكها عهد أمير المؤمنين عليه السلام.

٦. وصف آخر محاولات الإمام عليه السلام لإرجاع الأمة إلى المسار الصحيح.

مقدمة البحث

تناولنا في البحث السابق بعض حركات التمرد ضد حكم الإمام علي عليه السلام، والتي تمثلت بالناكثين والقاسطين، ونواصل الكلام في هذا البحث في هذا الحركات الضالة الخارجة على الشرعية، حيث نتناول حركة المارقين (الخوارج).

المطلب الأول: التعريف بالمارقين وسبب خروجهم

يمكن أن نقول: إن ظهور الخوارج إفراز طبيعي للصراع الدموي في الجمل وصفّين، لقد كان من أهمّ صفات الخوارج التحجّر والتمسّك بالظواهر، والتعصّب، والخشونة، وعدم التمييز بين الحقّ والباطل، كما كانوا سريعي التأثّر بالشائعات، فيتردّدون عند أدنى شكّ.

ويمكن أن نعزو ظهور الخوارج إلى ما يلي:

١ـ الإحباط النفسي والفشل في تحقيق النصر، وخصوصاً أنّ معارك الإمام عليه السلام ضد متمرّدين هم مسلمون في الظاهر، فلم يتمكّن الخوارج من فهم معالجة الإمام للمتمرّدين، ولم يتمكّنوا من تحمّل نتيجة التحكيم، في حين أنهم هم الذين

أجبروه على قبوله، ولم يواجهوا أنفسهم بمواقفهم المنحرفة، فسعوا إلى تحميل أوزار أخطائهم طرفا آخر غيرهم، ولم يكن ذلك الطرف إلاّ الإمام عليّ عليه السلام[١].

٢ـ إستغلالهم الحرية الفكرية التي فتحها الإمام عليه السلام لكي تمارس الأُمّة وعيها الرسالي، فقد روي أنّهم كانوا يعترضون على الإمام حتى أثناء خطبته بدعوى: «لا حكم إلاّ لله»، وما كان الإمام يجيبهم إلاّ بـ«كلمة حقّ يراد بها باطل». وقال الإمام عليه السلام لهم: «لكم عندنا ثلاث خصال: لا نمنعكم مساجد الله أن تصلّوا فيها، ولا نمنعكم الفيء ما كانت أيديكم في أيدينا، ولا نبدؤكم للحرب حتى تبدؤونا»[٢] فتحوّلت حركتهم من حالة فردية إلى حالة جماعية.

المطلب الثاني: ردّ الإمام عليه السلام على قرار الحكمين

ولمّا بلغ خبر التحكيم إلى الإمام عليه السلام، تألّم كثيراً، وخطب في الناس يحثّهم ويدلّهم على إصلاح الخطأ الذي تورّطوا فيه، وذكّرهم بنصحه لهم، فقال عليه السلام: «إنّ مخالفة الناصح الشفيق المجرّب تورث الحسرة، وتعقب الندامة، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأيي، لو كان يطاع لقصير أمر، فأبيتم عليَّ إباء المخالفين الجفاة، المنابذين العصاة، حتى ارتاب الناصح بنصحه، وضَنَّ الزند بقدحه، فكنت وإيّاكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى *** فلم تستبينوا النصح إلاّ ضحى الغد

ألا إنّ هذين الرجلين ـ أبا موسى الأشعري وابن العاص ـ اللّذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما، وأحييا ما أمات القرآن، واتّبع كلّ واحد منهما هواه بغير هدىً من الله، فحكما بغير حجّة بيّنة، ولا سنّة ماضية، واختلفا في حكمهما، وكلاهما لم يرشد، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين،

---

(١)تاريخ الطبري ٤: ٥٣ ـ ٥٨ .

(٢)تاريخ الطبري ٤: ٥٤. الكامل في التاريخ ٣: ٣٣٤. مستدرك الوسائل ٢: ٢٥٤.

إستعدوا وتأهّبوا للمسير إلى الشام، وأصبحوا في معسكركم إن شاء الله».[(١)]

وكتب الإمام إلى عبد الله بن عباس بأن يعبّئ أهل البصرة للإلتحاق بالإمام عليه السلام لقتال معاوية، فالتحقت جموع البصرة بالكوفة، ولكن عبث الخوارج الذين تجمّعوا من البصرة والكوفة متّجهين نحو النهروان، وفسادهم في الأرض، أقلق أصحابه عليه السلام من تركهم خلفهم لو توجّهوا إلى الشام، فطلبوا من الإمام القضاء على الخوارج أوّلاً[(٢)].

المطلب الثالث: عبث الخوارج ووقع الحرب

وكان من عبث الخوارج أنّهم قبضوا على عبد الله بن خباب وزوجته فقتلوه، وبقروا بطن امرأته، وألقوا ما فيها من دون مبرّر، وكذلك قتلوا الحارث بن مرّة العبدي رسول الإمام عليه السلام إليهم[(٣)].

ولمّا انتهى عليه السلام إليهم، بعث لهم رسولاً يطلب منهم قتلة عبد الله بن خباب، وقتلة رسوله الحارث بن مرّة، فردّوا عليه مجمعين: كلّنا قتلناهم، وكلّنا مستحلّ لدمائكم ودمائهم.

وبعث عليه السلام قيس بن سعد وأبا أيوب الأنصاري لينصحوا القوم، عساهم أن يفهموا واقع الأحداث، ويجنّبوا الأُمّة مزيداً من الدماء، ثمّ أتاهم الإمام عليه السلام، فقال:

«أيّتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللجاجة، وصدّها عن الحقّ الهوى، وطمع بها النزق، وأصبحت في الخطب العظيم، إنّي نذير لكم أن تصبحوا تلعنكم الأُمّة غداً صرعى بأثناء هذا الوادي، وبأهضام هذا الغائط، بغير بيّنة من ربّكم، ولا برهان مبين».

ثمّ بيّن لهم عليه السلام أنّه كره التحكيم وعارضه، وشرح سبب معارضته بوضوح لهم،

---

(١)تاريخ الطبري ٤: ٥٧.

(٢)تاريخ الطبري ٤: ٥٧ و ٥٨. البداية والنهاية ٧: ٢٨٦.

(٣)تاريخ الطبري ٤: ٦١. البداية والنهاية ٧: ٢٨٦. الفصول المهمة: ١٠٨.

ولكنّهم أنفسهم أجبروا الإمام على قبول التحكيم، وأنّ الحكمين لم يحكما بالقرآن والسنّة، وها هو الإمام يعدّ العدّة لملاقاة معاوية ثانية، فلا معنى لخروج المارقين، ولم يرعو المارقون لقول الإمام، وطالبوه بتكفير نفسه، وإعلان توبته، فقال عليه السلام:

«أصابكم حاصب، ولا بقي منكم آثر، أبعد إيماني برسول الله صلى الله عليه وآله وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهد على نفسي بالكفر؟!، لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين»، ثمّ انصرف عنهم، وتقدّم الخوارج، فاصطفّوا للقتال.. وعبّأ الإمام عليه السلام جيشه لملاقاتهم، وفي محاولة أخيرة، أمر الإمام أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج، ويقول لهم: «من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، إنّه لا حاجة لنا فيكم إلاّ في من قتل إخواننا».

فانصرفت منهم مجاميع كثيرة، وقال الإمام عليه السلام لأصحابه: كفّوا عنهم حتى يبدؤوكم بقتال.

وهجم الخوارج وهم يتصايحون: لا حكم إلاّ لله... الرواح الرواح إلى الجنّة، ولم تمضِ إلاّ ساعة حتى أُبيد أكثرهم، ولم ينجُ منهم إلاّ أقلّ من عشرة، ولم يُقتل من أصحاب الإمام إلاّ أقلّ من عشرة أشخاص[(١)].

ثم أمر الإمام عليه السلام بطلب «ذي الثُّدية» ـ أحد قادة الخوارج ـ وألحَّ في ذلك؛ لأنّ في ذلك مصداقاً لوصايا الرسول صلى الله عليه وآله بمقاتلة المارقين عن الدين الذين فيهم ذو الثدية[(٢)]. ولمّا وجدوه، أخبروا الإمام عليه السلام، فقال: «الله أكبر، ما كذبت ولا كذّبت، لولا أن تنكلوا عن العمل؛ لأخبرتكم بما قصّ الله على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم، عارفاً للحقّ الذي نحن عليه» وسجد عليه السلام شكراً لله[(٣)].

---

(١)نهج البلاغة: الخطبة ٥٩. ومروج الذهب ٢: ٣٨٥. البداية والنهاية ٧: ٣١٩.

(٢)صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم والتحريض على قتالهم.

(٣)تاريخ الطبري ٤: ٦٦. شرح نهج البلاغة ٢: ٢٦٦. البداية والنهاية: ٢٩٧.

المطلب الرابع: تحرك معاوية لاحتلال مصر

بعد مقتل عثمان بن عفان، ولّى أمير المؤمنين قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ولاية مصر، ثمّ كلّف محمد بن أبي بكر ليقوم مقام قيس بن سعد لرأي رآه عليه السلام، وبقيت مصر الجناح الآخر الذي يقلق معاوية، فما إن ساد الاضطراب والتخاذل في المجتمع الإسلامي بعد المعارك ونتائجها؛ تحرّك معاوية وعمرو بن العاص لاحتلال مصر، التي كانت ثمناً لجهود عمرو بن العاص لتخريب حكومة الإمام وتهديم الدين، وحاول عليه السلام أن يمدّ محمد بن أبي بكر بالعِدّة والعُدّة عند سماعه بزحف معاوية نحو مصر، فلم يلبث إلاّ قليلاً حتى أتت الأخبار باحتلال مصر واستشهاد محمد بن أبي بكر، وحزن الإمام عليه السلام على محمد[1]، ثمّ كان قد كلّف عليه السلام مالك الأشتر بولاية مصر، وكتب إليه عهده المشهور في إدارة الحكم وسياسة الناس، ولكن معاوية وما يملك من وسائل الشيطان والخداع تمكّن من دسّ السم لمالك، ما أدى إلى استشهاده رحمه الله[2].

المطلب الخامس: إنهيار الأُمّة وتفكّكها

ويمكننا أن نلحظ حال الأُمّة بعد خوض الإمام عليه السلام ثلاث معارك فيصلية لاجتثاث الفساد كما يلي:

١ـ مُني الإمام عليه السلام والأُمّة بفقد خيار الصحابة الواعين والمؤثِّرين في المجتمع وحركة الرسالة الإسلامية، الذين كان يمكن من خلالهم بناء الأُمّة الصالحة وفق نهج القرآن والسنّة بإشراف الإمام عليه السلام، وقد بلغ الحزن في نفس الإمام مبلغاً عظيماً، حيث نجده يقول في نعيه لهم:

«ما ضرّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفّين أن لا يكونوا اليوم أحياءً يسيغون الغصص ويشربون الرنق، قد والله لقوا الله فوفّاهم أُجورهم، وأحلّهم دار الأمن بعد

---

(١)شرح النهج لابن أبي الحديد ٦: ٨٨ .

(٢)تاريخ الطبري ٤: ٧٢.

خوفهم.. أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحقّ؟ أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على النيّة، واُبرد برؤوسهم إلى الفجرة؟».

ثمّ وضع يده على كريمته، فأطال البكاء ثمّ قال: «أَوِّه على إخواني الذين قرأوا القرآن فأحكموه، وتدابروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنّة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتّبعوه»[١].

٢ـ تمرّد الجيش وتفكّكه وظهور الضعف والسأم من الحرب، لكثرة مَن قتل من أهل العراق الذين يشكّلون العمود الفقري لفرق جيش الإمام ﷺ، ولم يتمكن ﷺ بما يملك من قدرة خطابية رائعة وحجّة بالغة أن يبعث الإندفاع والحزم في قاعدته الشعبية لمواصلة الحرب، وممّا زاد من تفتيت الجيش، عدم توقّف معاوية من مخاطبة زعماء القبائل والعناصر التي يبدو منها حبّ الدنيا، فمنّاهم بالأموال والهبات والمناصب إذا قاموا بكلّ ما يؤدي إلى إضعاف قوّة الإمام ﷺ وجماهيره المؤيدة، حتى أنّ الإمام ﷺ لم يستطع أن يعبّئ في معسكر النخيلة بعد معركة النهروان استعداداً لقتال معاوية، فقد تسلّل أغلب أفراد الجيش إلى داخل الكوفة، ممّا أدّى بالإمام ﷺ أن يلغي المعسكر ويؤجّل الحرب[٢].

٣ـ لقد أتاح الظرف الذي مرّ به الإمام ﷺ والاُمّة الإسلامية لمعاوية أن يقوم بشنّ غارات على أطراف البلاد الإسلامية، فمارس القتل والسبي والإرهاب، فبدأ بالهجوم على أطراف العراق، فأرسل النعمان بن بشير الأنصاري للإغارة على منطقة «عين التمر»، ووجّه سفيان بن عوف للإغارة على منطقة «هيت»، ثم على «الأنبار والمدائن»، والى «واقصة» وجّه معاوية الضحّاك بن قيس الفهري.. وفي كلّ مرّة يحاول الإمام ﷺ دعوة الجماهير لمقاومة غارات معاوية، فلم يلق الإستجابة

---

(١)شرح نهج البلاغة ١٠: ٩٩.

(٢)تاريخ الطبري ٤: ٦٧.

السريعة، وأدرك معاوية ضعف قوة حكومة الإمام عليه السلام وتزايد قوّته[١].

وبعث معاوية بسر بن اُرطاة للغارة على الحجاز واليمن، فعاث في الأرض فساداً وقتلاً للأبرياء[٢]، وبلغ الأسى والأسف في نفس الإمام عليه السلام مبلغاً عظيماً ممّا يفعل المجرمون، ومن تخاذل الناس عنه، فكان يصرّح بضجره من تخاذلهم وتقاعسهم، فقال: «اللّهمّ، إنّي قد مللتهم، وملّوني، وسئمتهم، وسئموني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً منّي».[٣]

المطلب السادس: آخر محاولات الإمام عليه السلام

بعد الاضطرابات المتعدّدة وتمكّن معاوية من الفساد ونشر الرعب في أطراف الدولة الإسلامية؛ عزم الإمام عليه السلام أن يقوم بحملة واسعة يستنهض فيها الاُمّة، فخاطب الجماهير وهدّدهم، فقال:

«أما إنّي قد سئمت من عتابكم وخطابكم، فبيّنوا لي ما أنتم فاعلون، فإن كنتم شاخصين معي إلى عدوّي، فهو ما أطلب وما اُحبّ، وإن كنتم غير فاعلين، فاكشفوه لي عن أمركم، فوالله لئن لم تخرجوا معي بأجمعكم إلى عدوّكم فتقاتلوه حتى يحكم الله بيننا وبينه وهو خيرالحاكمين، لأدعوّن الله عليكم، ثمّ لأسيرنّ إلى عدوّكم ولو لم يكن معي إلاّ عشرة»[٤].

وأيقظ هذا التهديد الحازم نفوس الناس، وأيقنوا أنّ الإمام عليه السلام سيخرج بنفسه وأهله وخاصّته إلى معاوية، وإن لم ينصروه، فسيلحق العار والذلّ بهم إلى يوم القيامة، فتحرّك وجهاء الناس للاستعداد لملاقاة معاوية والقضاء على الفساد، وخرج الناس إلى معسكراتهم في منطقة «النخيلة» خارج الكوفة، وتحرّكت بعض قطعات الجيش تسبق البقيّة مع الإمام عليه السلام الذي بقي ينتظر انقضاء شهر رمضان.

---

(١)الغارات للثقفي: ٤٧٦. تاريخ الطبري ٤: ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٢)الغارات للثقفي: ٤٧٦. تاريخ الطبري ٤: ١٠٦ .

(٣)نهج البلاغة: الخطبة (٢٥).

(٤)سيرة الأئمة الإثني عشر ١: ٤٥١، عن البلاذري في أنساب الأشراف .

خلاصة البحث

التحجّر والتمسّك بالظواهر والتعصّب والخشونة وعدم التمييز بين الحقّ والباطل، من أهمّ صفات الخوارج (المارقين). الذين يمكن أن نعزو ظهورهم إلى جملة من العوامل منها: الإحباط النفسي والفشل في تحقيق النصر، ومنها: استغلالهم الحرية الفكرية التي فتحها الإمام عليه السلام.

وقد بذل الإمام الكثير من المحاولات للمنع من حصول الحرب مع الخوارج، إلا أن كل تلك المحاولات لم تفلح، فوقعت الحرب، وانتصر جيش الإمام عليه السلام.

أدت حركات التمرد إلى انهيار الأُمّة وتفكّكها. وبعد الاضطرابات المتعدّدة وتمكّن معاوية من الفساد ونشر الرعب في أطراف الدولة الإسلامية، عزم الإمام عليه السلام أن يقوم بحملة واسعة يستنهض فيها الأُمّة.

إختبارات البحث

١. من هم المارقون؟ وما سبب خروجهم على أمير المؤمنين عليه السلام؟
٢. تكلم عن ردّ أمير المؤمنين عليه السلام على قرار الحكمين.
٣. صف عبث الخوارج وأثر ذلك في وقوع الحرب.
٤. تكلم عن تحرك معاوية لاحتلال مصر.
٥. كيف تفسر ظاهرة انهيار الأُمّة وتفكّكها عهد أمير المؤمنين عليه السلام؟

البحث رقم (٤٤)

أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: شهيد العقيدة والمحراب

أهداف البحث

١. تفسير مواقف المعادين لأمير المؤمنين عليه السلام.
٢. بيان حادثة اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام.
٣. تعداد بعض وصايا أمير المؤمنين عليه السلام. .
٤. إستيعاب أخلاق أمير المؤمنين عليه السلام من موقفه من قاتله.
٥. ربط الأحداث المختلفة التي أدت إلى اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام.

مقدمة البحث

تناولنا في البحوث السابقة حركات التمرد ضد حكم الإمام علي عليه السلام، والتي تمثلت بالناكثين والقاسطين والمارقين، الحركات التي أدت إلى انهيار الدولة والحالة الإجتماعية للأفراد، ما أدى بالتبع إلى ظهور الكثير من الأمراض الإجتماعية المختلفة، ونواصل الكلام في هذا البحث في ما بقي من حياة الإمام عليه السلام بعد تلك الحروب التي خاضها مع تلك الحركات.

المطلب الأول: زمر الشرّ تتواطأ

لقد تواطأت زمر الشرّ على أن لاتبقي للحقّ رايةً تخفق أو يداً تصول فتصلح، أو صوتاً يدوي فيكشف زيغ وفساد الظالمين والمنحرفين، فبالأمس كان أبوسفيان يمكر ويغدر ويفجر ويخطّط لقتل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، ووأد الرسالة الإلهية في مهدها، ولكنّ الله أبى إلاّ أن يتمّ نوره.

وها هو معاوية بن أبي سفيان يقبض نتائج انحراف السقيفة، ويتمّم مابدأه أبوه سعياً للقضاء على الرسالة الإسلامية، تعينه في ذلك قوى الشرّ والعمى، فخطّطوا لقتل ضمير الأُمّة الحيّ، وصوت الحقّ الهادر، وحامل لواء العدل، ومحيي الشريعة

المحمديّة السمحاء.

واجتمعت ضلالتهم على أن يطفئوا نور الهدى ليبقى الظلام يلفّ انحرافهم وفسادهم، فامتدّت يد الشيطان لتصافح ابن ملجم في عتمة الليل، وفي ختلة وغدرة هوت بالسيف على هامة طالما استدبرت الدنيا واستقبلت بيت الله وهي ساجدة، وغادرتها منها في تلك الحال.

لقد اغتالوا الحقّ يوم اغتالوا عليّاً عليه السلام، ولكنّه فاز إذ وفّى لربّه ودينه ونبيّه، فدوى صوته الأبدي في الآفاق: «فزت وربّ الكعبة». فاز إذ أقام الدين، وهدى للرشاد، وسار على الحقّ في اُمور العباد والبلاد، متّبعاً نبيّه، مستقيماً على سنّته، راعياً ذمّته في اُمّته، ماحقاً الباطل والبدعة.

لقد روّى علي ابن أبي طالب عليه السلام شجرة الإسلام المحمّدي الباسقة، والتي تعهّد إرواءها بدمه الطاهر الزكّي، وأوقف الانحراف عند حدّه بإيقاف حياته، لتواصل الاُمّة مسيرتها مع عَلَم آخر من أعلام آل محمد صلى الله عليه وآله، لتبدأ صفحة جديدة من البناء.

نعم، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «يا علي، أتدري من أشقى الأولين»؟ فقال عليّ عليه السلام: «الله ورسوله أعلم»، قال صلى الله عليه وآله: «عاقر النّاقة (ناقة صالح)»، ثمّ قال صلى الله عليه وآله: «أتدري من أشقى الآخرين»؟ فقال عليه السلام: «الله ورسوله أعلم»، قال صلى الله عليه وآله: «قاتلك».

لقد اجتمعت عصابة ضالّة على قتل أمير المؤمنين عليه السلام، لا يبعد أن كان محرّكها معاوية، واتفقوا أن يداهموا الإمام عند ذهابه لصلاة الفجر، فما كان أحد يجرؤ على مواجهة الإمام عليه السلام وجها لوجه.

ولمّا كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان من سنة أربعين للهجرة الشريفة؛ كان الإمام عليه السلام يكثر التأمل في السماء وهو يردّد: «ما كذبت ولا كذّبت، إنّها الليلة التي وعدت بها»[1]، وأمضى عليه السلام ليلته بالدعاء والمناجاة، ثمّ خرج إلى بيت الله

---

(١)الصواعق المحرقة: ٨٠. بحار الانوار ٤٢: ٢٣٠.

لصلاة الصبح، فجعل يوقظ الناس على عادته إلى عبادة الله، فينادي: «الصلاة... الصلاة».

ثمّ شرع عليه السلام في صلاته، وبينما هو منشغل يناجي ربّه؛ إذ هوى المجرم اللعين عبد الرحمن بن ملجم عليه بالسيف وهو يصرخ بشعار الخوارج «الحكم لله لا لك»، فوقع السيف على رأسه عليه السلام المبارك، فقدّ منه؛ فهتف الإمام عليه السلام: «فزت وربّ الكعبة»[1].

ولمّا علت الضجّة في المسجد؛ أقبل الناس مسرعين، فوجدوا الإمام عليه السلام طريحاً في محرابه، فحملوه إلى داره وهو معصّب الرأس، والناس يضجّون بالبكاء والعويل، واُلقي القبض على المجرم ابن ملجم، وأوصى الإمام عليه السلام ولده الحسن وبنيه وأهل بيته أن يحسنوا إلى أسيرهم، وقال: «النفس بالنفس، فإن أنا مُتّ، فاقتلوه كما قتلني، وإن أنا عشت، رأيت فيه رأيي»[2].

المطلب الثاني: وصيّة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام

ومضى سم السيف بأثره في جسد الإمام عليه السلام، فأيقن برحيله إلى الرفيق الأعلى، فعهد عهده إلى أهل بيته وأمته، وكان أول ماعهد بالإمامة إلى ولده الإمام الحسن عليه السلام لمواصلة المسيرة، ورعاية شؤون الرسالة الإسلامية، والأمّة، وأشهد على ذلك الحسين عليه السلام، ومحمداً، وعدداً من الصحابة المخلصين. ثمّ دفع إليه الكتب التي فيها العلم الذي توارثه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وسلاح رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال له: يابني، أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصي إليك، وأن أدفع إليك كتبي، وسلاحي، كما أوصى إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله...ثمَّ قال: يابني، أنت ولي الدم، فإن عفوت، فلك، وإن قتلت، فضربة مكان ضربة[3].

---

(١)الامامة والسياسة: ١٨٠. تاريخ دمشق ٣: ٣٦٧، ترجمة الإمام عليّ عليه السلام

(٢)مقاتل الطالبيين: ٢٢. شرح النهج ٦: ١١٨. بحار الأنوار ٤٢: ٢٣١.

(٣)أصول الكافي ١: ٢٩٧.

كما أوصى الإمام (عليه السلام) ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) وجميع أهل البيت بوصايا عامّة، فقال:

«أُوصيكما بتقوى الله، وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما، وقولا بالحقّ، واعملا للأجر، وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً، واعملا بما في الكتاب، ولا تأخذكما في الله لومة لائم»[١].

ولم يمهل الجرح أمير المؤمنين طويلاً، لشدّته وعظيم وقعته، فقد دنا الأجل المحتوم، وكان آخر ما نطق به، قوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[٢]، ثمّ فاضت روحه الطاهرة إلى جنّة المأوى.

المطلب الثالث: تأبين أمير المؤمنين علي (عليه السلام)

نهض الإمامان الحسن والحسين (عليهما السلام) بتجهيز أمير المؤمنين وما يترتّب عليهما من إجراءات الدفن من غسل وتكفين، ثمّ صلى الإمام الحسن (عليه السلام) على أبيه ومعه ثلّة من أهل بيته وأصحابه، ثمّ حملوا الجثمان الطاهر إلى مثواه الأخير، فدفن في النجف قريباً من الكوفة، وتمّت كلّ الإجراءات ليلاً[٣].

ثمّ وقف صعصعة بن صوحان يؤبّن الإمام (عليه السلام)، فقال:

«هنيئاً لك يا أبا الحسن! فلقد طاب مولدك، وقوي صبرك، وعظم جهادك، وظفرت برأيك، وربحت تجارتك، وقدمتَ على خالقك، فتلقّاك الله ببشارته، وحفّتك ملائكته، واستقررتَ في جوار المصطفى، فأكرمك الله بجواره، ولحقتَ بدرجة أخيك المصطفى، وشربت بكأسه الأوفى، فأسأل الله أن يمنّ علينا بإقتفائنا أثرك، والعمل بسيرتك، والموالاة لأوليائك، والمعاداة لأعدائك، وأن يحشرنا في

---

(١)تاريخ الطبري ٤: ١١٤. راجع أيضا نهج البلاغة : باب الكتب: ٤٧.

(٢)الصافات:٦١.

(٣)بحار الأنوار ٤٢: ٢٩٠.

زمرة أوليائك، فقد نلتَ ما لم ينله أحد، وأدركت ما لم يُدركه أحد، وجاهدت في سبيل ربّك بين يدي أخيك المصطفى حقّ جهاده، وقمت بدين الله حقّ القيام، حتى أقمتَ السنن، وأبرتَ الفتن، واستقام الإسلام، وانتظم الإيمان، فعليك منّي أفضل الصلاة والسلام».

ثمّ قال: «لقد شرّف الله مقامك، وكنت أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله نسباً، وأوّلهم إسلاماً، وأوفاهم يقيناً، وأشدّهم قلباً، وأبذلهم لنفسه مجاهداً، وأعظمهم في الخير نصيباً، فلا حرمنا أجرك، ولا أذلّنا بعدك، فوالله، لقد كانت حياتك مفاتح الخير، ومغالق الشر، وإنّ يومك هذا مفتاح كلّ شر، ومغلاق كلّ خير، ولو أنّ الناس قبلوا منك؛ لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولكنّهم آثروا الدنيا على الآخرة»[1].

---

(١)بحار الأنوار ٤٢: ٢٩٥.

خلاصة البحث

تواطأت زمر الشرّ على أن لاتبقي للحقّ رايةً تخفق، أو يداً تصول فتصلح، أو صوتاً يدوي فيكشف زيغ وفساد الظالمين والمنحرفين، فبالأمس كان أبوسفيان يمكر ويغدر ويفجر ويخطّط لقتل النبيّ الأكرم ﷺ ووأد الرسالة الإلهية في مهدها، ولكنّ الله أبى إلاّ أن يتمّ نوره.

وهاهو معاوية بن أبي سفيان يقبض على نتائج انحراف السقيفة، ويتمّم مابدأه أبوه سعياً للقضاء على الرسالة الإسلامية، تعينه في ذلك قوى الشرّ والعمى، فخطّطوا لقتل ضمير الأُمّة الحيّ، وصوت الحقّ الهادر، وحامل لواء العدل، ومحيي الشريعة المحمديّة السمحاء.

لقد اجتمعت عصابة ضالّة على قتل أمير المؤمنين عليه السلام لا يبعد أن كان محرّكها معاوية، واتفقوا أن يداهموا الإمام عند ذهابه لصلاة الفجر، فما كان أحد يجرؤ على مواجهة الإمام عليه السلام.

أوصى الإمام عليه السلام الحسن والحسين عليهما السلام وجميع أهل البيت بوصايا عامّة فقال:

«أُوصيكما بتقوى الله، وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما، وقولا بالحقّ، واعملا للأجر، وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً، واعملا بما في الكتاب، ولا تأخذكما في الله لومة لائم».

إختبارات البحث

١. كيف يمكن تفسير مواقف المعادين لأمير المؤمنين عليه السلام؟

٢. تكلم عن حادثة اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام.

٣. أذكر بعض وصايا أمير المؤمنين عليه السلام.

٤. كيف يفسر موقف أمير المؤمنين عليه السلام أخلاقه عليه السلام؟

٥. كيف يمكنك أن تربط بين الأحداث المختلفة التي أدت إلى اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام؟



الفصل الثالث

تاريخ فاطمة الزهراء عليها السلام

البحث رقم (٤٥)

تاريخ فاطمة الزهراء عليها السلام

عراقة النّسب، وخصوصيات النّشأة

أهداف البحث

١. بيان شخصية خديجة «أُمّ فاطمة» عليهما السلام واقترانها برسول الله صلى الله عليه وآله.
٢. بيان الاحترام المتبادل بين خديجة عليها السلام والنبي صلى الله عليه وآله.
٣. تقدير ما تحملته خديجة عليها السلام في سبيل الرسالة والدعوة.
٤. وصف الأمر الإلهي في خَلْق فاطمة عليها السلام.
٥. التعريف ببعض خصائص فاطمة عليها السلام.

مقدمة البحث

إنتهينا في البحث السابق من تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام، لتصل النوبة الآن إلى الكلام في تاريخ سيدة نساء العالمين، السيدة الزهراء عليها السلام، بادئين ذلك بسيرة أمها الطاهرة خديجة عليها السلام، وما بذلته هذه الروح الطاهرة في سبيل الرسالة المحمدية.

المطلب الأول: شخصية خديجة «أُمّ فاطمة» عليهما السلام

إنحدرت خديجة عليها السلام من أُسرة عريقة النسب، متمسّكة بدين إبراهيم عليه السلام، حريصة على الحفاظ على مفاهيمه وتعاليمه وقيمه، مناقضة للمجتمع الجاهلي في التفكير والعواطف والسلوك، فأبوها خويلد نازع تبّعاً ـ ملك اليمن ـ حين أراد أخذ الحجر الأسود إلى اليمن[1]، وحرص على بقائه، تمسّكاً منه بالمناسك الدينية.

وكان جدّها أسد بن عبد العُزّى أحد المبرّزين في حلف الفضول، حيث تعاقد وتعاهد مع بني هاشم وبني عبد المطّلب وبني زهرة على أن: لا يجدوا بمكّة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممّن دخلها من سائر الناس إلاّ أقاموا معه، وكانوا على

---

(١)السيرة النبويّة لابن كثير ١ : ٢٦٧.

من ظلمه، حتّى تردّ عليه مظلمته.[١]

فقد ساهم مساهمة فعّالة في نصرة المظلومين ومواجهة الظالمين ايماناً منه بالقيم الإنسانية التي أكّدتها شريعة إبراهيم عليه السلام.

فقد نشأت خديجة في أجواء دينية متعالية على مفاهيم الجاهلية وقيمها، فاجتمع لها النّسب الرفيع، والخُلق الكريم، وكانت ـ كما يقول المحدّثون ـ أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمها شرفاً[٢].

وكانت امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامتها[٣].

ولاجتماع خصائص الشرف والعفّة والكمال والعقل فيها؛ كانت تسمّى قبل البعثة بالطاهرة[٤].

وكانت عليها السلام متفاعلة مع الأخبار التي تبشِّر بظهور نبيّ في ذلك الوقت، فقد روي: إنّ نساء أهل مكّة اجتمعن في عيد لهنَّ في الجاهلية، فتمثّل لهنّ رجل، فلمّا قرب، نادى بأعلى صوته، يا نساء مكّة، إنّه سيكون في بلدكنّ نبيّ يقال له: أحمد، فمن استطاع منكنّ أن تكون زوجاً له، فلتفعل، فحصبنه إلاّ خديجة، فإنّها أعطت على قوله، ولم تعرض له[٥].

المطلب الثاني: إقتران خديجة عليها السلام برسول الله صلى الله عليه وآله

كانت الرغبة في الإقتران متبادلة بين خديجة عليها السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله، فهما من أوسط القبائل نسباً، ومن الموحّدين لله تعالى، ومن الرافضين لمفاهيم وقيم الجاهلية، ومن المختصّين بالخصائص الحميدة، والمزايا الصالحة، فهي تسمّى

---

(١)السيرة النبويّة لابن هشام ١ : ١٤١.

(٢)السيرة النبويّة لابن كثير ١ : ٢٦٣.

(٣)المصدر السابق.

(٤)الإصابة في تمييز الصحابة ٨ : ٦٠ .

(٥)المصدر السابق.

بالطاهرة، وهو صلى الله عليه وآله يُسمّى بالصادق الأمين، فلم يجد كلاهما كفؤاً له إلاّ في الآخر.

وتحوّلت هذه الرغبة المتبادلة إلى واقع، فكلّم رسول الله صلى الله عليه وآله عمّه أبا طالب بالأمر، فخطبها من أبيها أو من عمّها، وتمّ الزواج، ودخلت في بيته في اليوم التالي[١].

وفي رواية أنّها عليها السلام جعلت المهر من مالها[٢].

وكان زواجهما قبل البعثة بخمسة عشر عاماً، كما هو المشهور في كتب المؤرّخين والمحدّثين.

المطلب الثالث: خديجة عليها السلام وإرهاصات البعثة النبويّة

عاشت خديجة عليها السلام في أجواء تبشِّر بظهور نبيّ في مكّة، فقد كان أحبار اليهود، ورهبان النصارى، والكهّان من العرب، يتحدّثون عن بعثة نبيّ تقارب زمانه[٣].

وكان يهود خيبر أكثر من غيرهم تصريحاً باسم النبيّ المبعوث، فحينما كانوا يقاتلون قبيلة غطفان، كانوا يدعون بهذا الدعاء: اللهمّ نسألك بحقّ محمّد النبيّ الأُمّي الذي وعدتنا أن تخرجه في آخر الزمان إلاّ نصرتنا عليهم[٤].

وكانت هذه الأحداث والإرهاصات وغيرها مألوفة عند خديجة عليها السلام، التي تمتلك عقلاً واعياً، وكانت تتفاعل معها، وتنظر إلى زوجها بأنّ له شأناً في الحياة وبأنّه النبيّ المبعوث حسبما سمعته ورأته.

وكانت تقول له صلى الله عليه وآله: يا محمّد، إنّي لأَرجو أن يكون ذلك ـ إشارة إلى الأخبار المبشّرة بالنبيّ الخاتم ـ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يكتم ذلك[٥].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٩٧ ، ٣٩٨.

(٢) الكافي ٥: ٣٧٥.

(٣) السيرة النبويّة لابن كثير ١ : ٣٨٦.

(٤) المصدر السابق: ٢٩٢.

(٥) أعلام الورى: ٤٧ .

وهذه الأجواء جعلتها متطلّعة إلى السماء، إلى خالق النّاس وباعث الأنبياء والرسل، وكان لهذا التطلّع أثر في بناء شخصيّتها روحياً ونفسياً، لتكون في كنف السموّ والإرتقاء والتكامل.

المطلب الرابع: البعثة النبويّة

بُعث رسول الله ﷺ بعد أن أصبح عمره أربعين سنة، وأوّل من آمن به وصدّقه خديجة بنت خويلد وعليّ بن أبي طالب عليهما السلام [١].

وكانت تقيم الصلاة خلفه، وتؤدّي عبادتها كما علّمها رسول الله ﷺ، وفي تلك الظروف وقفت معه في دعوته، وآزرته على أمره [٢].

وكان بيتها منطلقاً للدّعوة، يجتمع فيه المسلمون وقتها، وقد بذلت أقصى جهودها من أجل إدامة حركة الدّعوة بمالها وراحتها وجميع إمكانياتها، حتّى قيل عنها: إنّها كانت له وزير صدق على الإسلام [٣].

وعاشت مع رسول الله ﷺ شريكةً له في السرّاء والضرّاء، وحملت معه الآلآم والآمال، من تكذيب واستهزاء (وغمز) القول.

وكانت تخفّف عنه الآلآم والهموم جراء تبعات الدّعوة، فيجد الأُنس والراحة والسرور في بيته، ويجد من يعينه ويؤازره ويسانده.

وكانت العلاقة بينها وبين رسول الله ﷺ علاقة ودّ ورحمة، ومن مزاياها عليها السلام أنّها كانت تعظّم رسول الله ﷺ، وتصدّق حديثه قبل البعثة وبعدها، ومن طاعتها له قبل البعثة أنّها رأت ميله إلى زيد بن حارثة، فوهبته له ﷺ [٤].

وفي المقابل، أحسن رسول الله ﷺ صحبتها، وكان ﷺ يحسن الثناء عليها

---

(١)تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٣.

(٢)السيرة النبويّة لابن هشام ١ : ٢٥٧.

(٣)المصدر السابق ٢ : ٥٧ .

(٤)الإصابة ٨ : ٦١ .

حتّى بعد وفاتها[1]، تكريماً لها ولمواقفها السامية من الإسلام ومن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي مثل هذه الأجواء ولدت فاطمة الزهراء عليها السلام، فكانت متكاملة في ثباتها العقلي والعاطفي وصحّتها النفسية والروحية.

المطلب الخامس: الأمر الإلهي في خَلْق فاطمة عليها السلام

تهيّأت للصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام أفضل بيئة صالحة، فالأب: رسول الله صلى الله عليه وآله والأُمّ: خديجة عليها السلام، فقد انحدر كلاهما من أسر طاهرة ذات شرف وعفّة، إضافة إلى الرعاية الإلهية في تكوينها وخلقها، وقد تظافرت الروايات عن هذه الرعاية والعناية الإلهية، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يشير إلى ذلك في مواطن عديدة.

فقد روي: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً بالأبطح إذ هبط عليه جبرئيل عليه السلام، فناداه: يا محمّد، العليّ الأعلى يقرؤك السلام، وهو يأمرك أن تعتزل خديجة أربعين صباحاً.

فلمّا كان تمام الأربعين، هبط ثانية، فقال: يا محمّد، العليّ الأعلى يقرؤك السلام، وهو يأمرك أن تتأهّب لتحيّته وتحفته.

فبينما النبيّ صلى الله عليه وآله كذلك، هبط ميكائيل عليه السلام ومعه طبق مغطّى بمنديل سندس، فوضعه بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله، وأقبل جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمّد، يأمرك ربّك أن تجعل اللّيلة إفطارك على هذا الطعام.

فأكل النبيّ صلى الله عليه وآله شبعاً، وشرب من الماء ريّاً، ثم قام ليصلّي، فأقبل عليه جبرئيل، وقال:

الصلاة محرّمة عليك في وقتك حتّى تأتي منزل خديجة.. فإنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ إلى على نفسه أن يخلق من صلبك في هذه اللّيلة ذريّة طيبّة.

فوثب صلى الله عليه وآله إلى منزل خديجة عليها السلام، ودخل فيه.

---

(١) الإصابة ٨ : ٦٢.

قالت خديجة عليها السلام:... ما تباعد عنّي النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى أحسست بحمل فاطمة في بطني[١].

ولا غرابة في هذه العناية الإلهية، ففاطمة عليها السلام هي مستودع الإمامة إلى يوم القيامة، فمنها سيّد شباب أهل الجنّة، ومنها زين العابدين، ومنها باقر علم النبيّ صلى الله عليه وآله، ومنها المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ويقيم الحكومة الإسلامية العالمية.

ولمّا حملت بالزهراء فاطمة عليها السلام، كانت إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من منزلها، تكلّمها وهي في ظلمة أحشائها، وتحدّثها وتؤانسها، ولما علم النبي صلى الله عليه وآله بذلك، تبسّم، ثم قال: يا خديجة، هذا أخي جبرئيل عليه السلام يخبرني أنّها ابنتي، وأنّها النّسمة الطاهرة المطهّرة، وأنّ الله تعالى أمرني أن أُسمّيها «فاطمة»، وسيجعل الله تعالى من ذريّتها أئمّة يهتدي بهم المؤمنون[٢].

المطلب السادس: فاطمة الوليدة

لمّا حضرت خديجة الولادة؛ أرسلت إلى نساء قريش أن يجئن إليها ليلينّ منها ما تلي النساء من النساء في مثل هذا الظرف الصّعب. فأرسلنّ إليها: عصيتنا ولم تقبلي قولنا، وتزوجت محمّداً يتيم أبي طالب، فقيراً لا مال له، فلا نأتي ولا نلي منك ما تلي النساء من النساء.

فاغتمّت خديجة لذلك غمّاً شديداً، فبينما هي كذلك، إذ دخل عليها أربع نسوة طوال كأنّهنّ من نساء بني هاشم، ففزعت منهنّ، فقالت إحداهنّ: لا تحزني يا خديجة، فإنّا رُسُلُ ربّك إليك، ونحن أخواتك، أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم، وهي رفيقتك في الجنّة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثم أخت موسى بن

---

(١)بحار الأنوار ١٦ : ٧٨ .

(٢)الثاقب في المناقب : ١٨٧ .

عمران، بعثنا الله تعالى إليك لنلي من أمرك ما تلي النساء من النساء.[(١)].

وقد إختلف المؤرّخون في تاريخ ولادة فاطمة الزهراء عليها السلام، إلاّ أن المشهور بين مؤرّخي الإمامية أنّها ولدت في يوم الجمعة، في العشرين من جمادى الآخرة، في السنة الخامسة من البعثة.

المطلب السابع: من خصائص فاطمة عليها السلام

من جملة خصائص فاطمة عليها السلام أنّها سمّيت بهذا الإسم من قبل الله تعالى قبل أن تولد ـ كما تقدّم ـ وعلّل رسول الله صلى الله عليه وآله هذه التسمية بالقول: إنّ الله عزّوجلّ قد فطمها وذريّتها من النّار يوم القيامة[(٢)].

والمقصود من ذريّتها: هم الأئمّة الأطهار كما هو ظاهر كثير من الروايات.

وفي رواية ثانية عن ابن عبّاس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: ابنتي فاطمة حوراء آدمية، لم تحض ولم تطمث، وإنّما سمّاها فاطمة، لأنّ الله فطمها ومحبيّها من النّار[(٣)].

وهذه الخصائص التي اختصّت بها فاطمة عليها السلام من انتسابها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة عليها السلام، وظروف تكوينها، وظروف الولادة وتسميتها من الله تعالى، جعلتها ذات شأن في الحياة الإسلامية، فكانت حلقة الوصل بين النبوّة والإمامة، فأبوها رسول الله صلى الله عليه وآله وزوجها وصيّه، وأبناؤها أئمّة المسلمين وقادة الإنسانية منذ بداية المسيرة الإسلامية، إلى أن تختم بحفيدها الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

---

(١)دلائل الإمامة: ٨ . نزهة المجالس ٢: ٢٢٧. بحار الأنوار ٦٠: ٨٠ أمالي الصدوق: ٤٧٠، ينابيع المودّة: ١٩٨.

(٢)ذخائر العقبى: ٢٦.

(٣)تاريخ بغداد ١٢: ٣٣١.

خلاصة البحث

إنحدرت خديجة عليها السلام أم فاطمة عليها السلام من أُسرة عريقة النسب، متمسّكة بدين إبراهيم عليه السلام، حريصة على الحفاظ على مفاهيمه وتعاليمه وقيمه، مناقضة للمجتمع الجاهلي في التفكير والعواطف والسلوك.

بُعث رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن أصبح عمره أربعين سنة، وأوّل من آمن به وصدّقه خديجة بنت خويلد وعليّ بن أبي طالب عليهما السلام، وفي تلك الظروف وقفت معه في دعوته، وآزرته على أمره، وكان بيتها منطلقاً للدّعوة، يجتمع فيه المسلمون وقتها، وقد بذلت أقصى

من جملة خصائص فاطمة عليها السلام أنّها سمّيت بهذا الإسم من قبل الله تعالى قبل أن تولد ـ كما تقدّم ـ وعلّل رسول الله صلى الله عليه وآله هذه التسمية بالقول: إنّ الله عزّوجلّ قد فطمها وذريّتها من النّار يوم القيامة.

إختبارات البحث

١. تكلم عن شخصية خديجة «أُمّ فاطمة» عليهما السلام.
٢. صف الاحترام المتبادل بين خديجة عليها السلام والنبي صلى الله عليه وآله.
٣. ما الذي تحملته خديجة عليها السلام في سبيل الرسالة والدعوة؟
٤. صف الأمر الإلهي في خَلْق فاطمة عليها السلام.
٥. أذكر بعض خصائص فاطمة عليها السلام.

البحث رقم (٤٦)

فاطمة عليها السلام: من الولادة إلى عام الأحزان

أهداف البحث

١. بيان خصائص والدي فاطمة عليها السلام وظروف نشأتها.
٢. وصف حال فاطمة عليها السلام حين مواجهة المشركين للأسرة النبوية.
٣. تقدير مواقف فاطمة عليها السلام حين الأزمات التي مرت بها الرسالة.
٤. بيان تأثير الظروف التي مرت بها فاطمة عليها السلام على تربيتها.
٥. تفسير مقولة أن فاطمة عليها السلام أم أبيها.

مقدمة البحث

بدأنا البحث السابق الكلام عن فاطمة عليها السلام، بنت الرسالة، وأم الأئمة الطاهرين، ومستودع العلم والمعرفة، ونتابع في هذا البحث هذه السيرة العطرة، فنمر على فاطمة وهي تكابد الآلام مع أبويها، وتقف المواقف العظيمة من والدها بعد ما كابد الأحزان، حتى كانت «أم أبيها».

المطلب الأول: خصائص الأبوين وظروف النّشأة

الأبوان هما نقطة البدء التي تزاول إنشاء وتنشئة العنصر الإنساني، ونقطة البدء المؤثِّرة في جميع مراحل الحياة.

وفي اُسرة الوالدين تجتمع الوراثة والمحيط التربوي لبناء شخصية الوليد المستقبلة.

فالوليد المنحدر من أبوين يحملان صفات فاضلة ومزايا كريمة، يكون مستعدّاً للإتّصاف بها، فالّنمو العقلي والعاطفي يتأثّر تأثّراً كبيراً بالعامل الوراثي، وحتّى العقائد والقيم والمواقف تتأثّر بالعوامل الوراثية، فهي تخلق في نفسه الواقعية أو السطحية في الإيمان بعقيدة معيّـنة. ودرجة التبنّي للأفكار والقيم تتأثّر

بالإستعدادات الروحية والنفسية للأبوين، وكذلك الإرادة تتناسب مع إرادة الأبوين في الإقدام أو التردّد في تبنّي عقيدة معيّنة، أو اتّخاذ المواقف العملية.

وتلعب التربة الأُسرية والإجتماعية متظافرة مع العامل الوراثي دوراً مهمّاً في بناء الشخصية.

والطفولة هي أهمّ المراحل التي يسرع فيها النّمو العقلي والعاطفي والسلوكي، والعادات التي تتكوّن أثناء هذه المرحلة يصعب تغييرها في فترات النّمو التالية، والأطفال غالباً ما يسيرون في النّهاية على الطريق الذي يحدّده الوالدان.

والأهمّ من جميع ذلك هو الرعاية الإلهية التي يخصّ الله تعالى بها بعض عباده الصالحين، وخصوصاً من يكون لهم شأن في تاريخ الإنسانية.

واجتمعت في فاطمة عليها السلام هذه العوامل الثلاثة، فالأب رسول الله صلى الله عليه وآله، المعصوم الذي امتاز بقمّة السموّ والتكامل، والأُمّ خديجة عليها السلام الطاهرة، إحدى سيّدات نساء العالمين، وقد ترعرعت عليها السلام في تلك الأُسرة التي ذابت في ذات الله تعالى، وأخلصت له تمام الإخلاص، وهبط الوحي في أجوائها، فكانت تفكّر لله وتعمل لله، وتراقب الله في كلّ صغيرة وكبيرة، والله تعالى يسدّدها ويرسم لها منهجها في الحياة.

والأهمّ من ذلك كانت الرعاية الإلهية واضحة المعالم في إعداد شخصية فاطمة عليها السلام منذ أوّل تكوينها، مروراً بمراحل النّشأة الأُولى، وكانت الآيات القرآنية تتلاحق في فضائلها وكراماتها ورعاية الله تعالى لها، فكانت عليها السلام ممّنْ عصمهم الله تعالى، فهي بنت معصوم، وزوجة معصوم، وأُمّ لمعصومين.

المطلب الثاني: مواجهة المشركين للأسرة النّبويّة

ولدت فاطمة عليها السلام بعد سنتين من إعلان رسول الله صلى الله عليه وآله لدعوته، في أجواء بدء الصراع والمواجهة بين رسول الله صلى الله عليه وآله ومشركي قريش، واكتفت قريش في حينها بدعوته صلى الله عليه وآله للكفّ عن الطعن بعقائدها الفاسدة، ثم تطوّر الموقف وطلبت قريش

من أبي طالب أن يكفّ رسول الله صلى الله عليه وآله عن معتقداتها وتسفيه أحلامها، أو يتخلّى عنه، لتتولّى قريش أمره، فكان جواب أبي طالب عليه السلام جواباً رفيعاً، مصحوباً بالردّ الجميل.

ولمّا مضى رسول الله صلى الله عليه وآله في دعوته لتوحيد الله تعالى وترك عبادة الأصنام؛ اشتدّ الأمر بينه وبين قريش، ووصل إلى حدّ التباعد والعداء، وأكثرت قريش ذكره صلى الله عليه وآله، وحضّ بعضهم بعضاً لمواجهة رسول الله صلى الله عليه وآله، وتطوّر الأمر إلى التهديد بالقتل.

وحينما لم يستطيعوا النّيل من رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ أغروا به سفهاءهم، فكذّبوه ورموه بالسحر والكهانة والجنون، وناله بعض الأذى منهم كالشتم وأشباهه[1].

وأخذ الصراع يسلك مسلكاً متوازناً بين الترغيب والترهيب، فحينما ساوموه على ترك الدّعوة، ووجدوه رافضاً للمساومة، هدّدوه صلى الله عليه وآله بالقول: وإنّا والله لا نتركك وما بلغت منّا حتّى نُهلكك أو تُهلكنا.

وحفظ الله تعالى رسوله من كلّ سوء بحماية أبي طالب وحمزة وعليّ وجعفر وبقيّة بني هاشم وبني المطّلب، هو ودعوته.

وفي مثل هذه الأجواء ولدت فاطمة عليها السلام وترعرعت، وعانت كما عانت أُسرتها من الأذى والتكذيب والإستهزاء، وكان لكلّ ذلك انعكاس على جميع أفراد الأُسرة النبويّة، حيث قضت أشهرها الأُولى في أجواء المواجهة.

المطلب الثالث: فاطمة عليها السلام والحصار والآهات

مرت علينا حادثة الحصار الاقتصادي الجائر من قبل المشركين للبيت الهاشمي، وكان ذلك في السنة السابعة من البعثة، وكان عمر فاطمة عليها السلام آنذاك أقلّ من سنتين، وهذا العمر ـ وخصوصاً بالنسبة للوليد المنحدر من أبوين عريقين في النسب والخصائص العقلية كرسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة ـ هو عمر البناء العقلي

---

(١)السيرة النبويّة لابن هشام ١: ٣٠٨ ، ٣١٢.

والعاطفي. والأطفال الأذكياء يستشعرون مايكتنفهم، ويتفاعلون عاطفياً مع الحوادث والصدمات، ويتحسّسون للهموم والآلام والآمال، ويتابعون ما يحيط بهم من أجواء عاطفية، من حيث الفرح والحزن، واللين والشدّة، والسرّاء والضرّاء.

فكانت عليها السلام تعاني من الجوع كما يعاني والداها عليهما السلام وسائر المحاصرين في شعب أبي طالب، وكانت ترى وتسمع صراخ الصبيان من الجوع والعطش.

وإضافة إلى ذلك كانت ترى المواقف العصيبة، حيث كان أبو طالب وأبناؤه يحرسون رسول الله صلى الله عليه وآله بالليل والنهار[1].

واستمرّ الحصار ثلاث سنين، حتّى ترك آثاره الوخيمة على المحاصرَين في الشِعب، وعاشت فاطمة عليها السلام تلك السنين الثلاث من أذىً ومرارة وقساوة حيث الجوع والعطش.

ولم تنعكس هذه المحنة على حياتها سلباً، بل عاشت حياة الأمل بانتصار الإسلام وانتكاس الشرك، وكانت تتطلّع إلى غد مشرق بإتمام الرسالة ورسوخها في واقع الحياة.

ثم شاهدت فاطمة عليها السلام معجزة أكل الأَرضَةَ لصحيفة المقاطعة، وأحست بالرعاية الإلهية لأبيها، وكان عمرها يوم ذاك خمسَ سنين، وهو سنّ التمييز والإدراك وفهم الأحداث والأوضاع من لدنها، فقد كانت هذه المعجزة مفتاحاً للسرور والرحمة ونسياناً لآلآم الماضي، وهي ترى أبويها في قمّة الصبر والتحمّل، فلا ضجر ولا سأم ولا شكوى من الحصار، وترى استسلامهما للإرادة الإلهية، وتعاليهما على الأذى والحرمان، لأنّ ذلك واقع في طريق الدعوة إلى الله.

فقد خرجت فاطمة عليها السلام من الحصار صابرة محتسبة، لأنّ عناية الله ترعاها، وكانت ترى أباها ـ في فترة الحصار ـ مستمرّاً في دعوته ليلاً ونهاراً وسرّاً وجهاراً،

---

(١)بحار الأنوار ١٩: ١. السيرة النبويّة لابن كثير ٢: ٤٤.

صادحاً بأمر الله لا يتّقي فيه أحداً من الناس[١].

وبعد معجزة أكل الإرضة لصحيفة المقاطعة، خفّف المشركون من أساليب المواجهة، واكتفوا بالمواجهة السياسية التي لا تتعدّى القول من تكذيب وتحذير واستهزاء.

واستمرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بدعوته، يبذل النصيحة لقومه، ويدعوهم إلى النّجاة ممّا هم فيه، وجعلت قريش، حين منعه الله منهم، تحذِّر الناس منه صلى الله عليه وآله ومن قدم عليها من العرب.

وفي مثل هذه الأوضاع، كانت فاطمة عليها السلام تشاهد ما يلقاه والدها من قريش، من تكذيب واستهزاء وافتراء، وكانت تتابع مسيرة الدعوة ـ وهي صغيرة ـ فيدخل الأمل في قلبها، وهي تشاهد دخول الناس في الإسلام أفراداً وجماعات، وكانت تتابع الآيات القرآنية وهي تتوالى في النزول على أبيها.

وكانت فاطمة عليها السلام تتابع هذه الأحداث وهي في الخامسة من عمرها، وتدرك حقيقة المواجهة وأساليبها، وتدرك خواء ووهن أساليب المشركين، وسفاهة عقولهم، والضعف الذي انتابهم بالطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكفّ عنهم وينفرد بالدعوة إلى الإسلام دون المساس بعقائدهم الفاسدة.

وكانت تتابع موقف رسول الله صلى الله عليه وآله الذي ينظر إلى مستقبل الرسالة وانتصارها باستسلام العرب والعجم لمن يحملها.

وهذه الأحداث جعلت فاطمة عليها السلام امرأة ذات شأن لمعايشتها لجميع الظروف، فكانت تدرك ماضي الرسالة وحاضرها ومستقبلها، وقد هيّأتها لتكون عالمة المستقبل في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد رحيله، ولتقود المواجهة مع من يتصدّى للخلافة وهو غير أهل لها بالأُسلوب الذي تعلّمته في نشأتها من رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١)السيرة النبوية لابن هشام ١: ٣٨٠.

ومن عمّ أبيها أبي طالب، الذي استطاع بإسلوبه النّاجح أن يحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله من أعدائه.

المطلب الرابع: فاطمة عليها السلام أم أبيها

في السنة العاشرة من البعثة توفيّت خديجة عليها السلام وأبو طالب (رضي الله عنه) في مدّة متقاربة، فتوالت على رسول الله صلى الله عليه وآله الأحزان بفقده لركنين أساسيين من أركان الرسالة.

ولمّا توفيّا، توجّع رسول الله واشتدّ حزنه، حتى قال صلى الله عليه وآله: إجتمعت على هذه الأُمّة في هذه الأيّام مصيبتان لا أدري بأيّهما أنا أشدّ جزعاً[١]!

وعظم ذلك على فاطمة عليها السلام لفقدانها أُمَّها وعمَّ أبيها، إضافةً إلى انعكاس حزن أبيها عليها، وجعلت عليها السلام تتعلّق برسول الله وهي تبكي، وتقول: أين أمّي؟ أين أمّي؟ فنزل جبرئيل، فقال: قل لفاطمة: إنّ الله تعالى بنى لأُمّك بيتاً في الجنّة من قصب لا نصب فيه ولا صخب[٢]

فتيتّمت فاطمة عليها السلام وهي صغيرة، إلا أنها كانت أيضا خَلَفَ خديجة المؤازرة والمسلّية لرسول الله صلى الله عليه وآله، فقد قامت مقامها في عاطفتها الجيّاشة وودّها وحبّها لرسول الله صلى الله عليه وآله، حتّى قيل عنها: كانت كُنيتها أم أبيها[٣].

ووصفها الذهبي قائلاً: كان النبيّ صلى الله عليه وآله يحبّها ويكرمها ويسرُّ إليها، ومناقبها غزيرة، وكانت صابرة ديّنة خيّرة مصونة قانعة شاكرة لله[٤].

ومن مراعاته صلى الله عليه وآله لها عليها السلام أنّه لم يتزوّج بعد خديجة إلاّ بعد ثلاث سنين من وفاتها.

---

(١)تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٥.

(٢)المصدر السابق.

(٣)الإستيعاب ٣: ٣٨٠. المعجم الكبير ٢٢: ٣٩٧.

(٤)سير أعلام النّبلاء ٢: ١١٩.

خلاصة البحث

إجتمعت في فاطمة عليها السلام جميع العوامل المؤثرة في التربية الحسنة الإلهية، فق ترعرعت في تلك الأُسرة التي ذابت في ذات الله تعالى، وأخلصت له تمام الإخلاص، كما كانت الرعاية الإلهية واضحة المعالم في إعداد شخصيتها عليها السلام منذ أوّل تكوينها

وفي أجواء مواجهة المشركين للأسرة النّبويّة ولدت فاطمة عليها السلام وترعرعت، وعانت كما عانت أُسرتها من الأذى والتكذيب والإستهزاء، وكان لكلّ ذلك انعكاس على جميع أفراد الأُسرة النبويّة، حيث كان لذلك أثر كبير في صقل شخصيتها، فجعلتها عليها السلام امرأة ذات شأن؛ لمعايشتها لجميع الظروف، فكانت تدرك ماضي الرسالة وحاضرها ومستقبلها، وقد هيّأتها لتكون عالمة المستقبل في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد رحيله، ولتقود المواجهة مع من يتصدّى للخلافة وهو غير أهل لها بالأُسلوب الذي تعلّمته في نشأتها من رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي السنة العاشرة من البعثة توفيّت خديجة عليها السلام وأبو طالب (رضي الله عنه) في مدّة متقاربة، فتوالت على رسول الله صلى الله عليه وآله الأحزان بفقده لركنين أساسيين من أركان الرسالة، وكانت فاطمة حاضرة مع أبيها، تعوضه حنان الأم الفقيدة، فكانت بحق «أم أبيها».

إختبارات البحث

١. بين خصائص والدي فاطمة عليها السلام وظروف نشأتها.
٢. صف حال فاطمة عليها السلام حين مواجهة المشركين للأسرة النبوية.
٣. تكلم عن مواقف فاطمة عليها السلام حين الأزمات التي مرت بها الرسالة.
٤. بين كيفية تأثير الظروف التي مرت بها فاطمة عليها السلام على تربيتها.
٥. ما المقصود بمقولة نبي الرحمة صلى الله عليه وآله بأن فاطمة عليها السلام أم أبيها؟

البحث رقم (٤٧)

فاطمة عليها السلام: من عام الأحزان إلى الإستقرار في المدينة

أهداف البحث

١. بيان مشاركة فاطمة في المحن المختلفة.
٢. وصف صبر فاطمة عليها السلام مع إستمرار الدعوة
٣. توضيح وعي فاطمة عليها السلام للإمامة.
٤. وصف هجرة فاطمة عليها السلام إلى المدينة.
٥. بيان ما مرت به فاطمة عليها السلام حين المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

مقدمة البحث

عشنا مع فاطمة وهي تشارك أباها المحن والمصاعب المختلفة التي صاغت شخصيتها وأثرت على تربيتها التي جعلتها في ما بعد أما للأئمة الأبرار، وحلقة الوصل بين النبوة والإمامة، وهذا ما سنواصل الكلام فيه في هذا البحث.

المطلب الأول: فاطمة بين الآلام والآمال

عاشت فاطمة عليها السلام مع أبيها صلى الله عليه وآله تتجاذبها عواطف شتّى، ففي أجواء عام الأحزان، حزنت على أمّها وعلى عمّ أبيها وناصره، وفي أجواء الحزن كان السرور والأمل المشرقان باديين عليها بعد أن سمعت وصيّة أبي طالب، حينما دعا بني عبد المطّلب وقال لهم: «إنّكم لن تزالوا بخير ما سمعتم قول محمّد، واتّبعتم أمره، فاتّبعوه، وصدّقوه تُرشدوا».(١)

وتبقى في أمل حينما ترى أنّ الله تعالى يرعى أباها في المحنة، ويوجّه سيرته في الحفاظ على نفسه وعلى دعوته، ففي ليلة موت أبي طالب نزل عليه جبرئيل

---

(١)سيرة ابن إسحاق: ٢٣٧.

وقال له: «أخرج منها، فقد مات ناصرك»[١] (٢).

وكانت تستمّد الصبر من أبيها الذي يوجّه نظرها إلى المستقبل المشرق، مستقبل الإنتصار، فتتعالى على الألم والحزن والمعاناة، وكانت سلوتها برسول الله ﷺ الذي أضفى عليها حنان الأب والاُمّ معاً، وعوّضها عن حرمانها بشدّة الإهتمام بها، وأدخل الإطمئنان في مشاعرها بأنّ ما فقدته قد التحق بالرفيق الأعلى ودخل جنّة الخلد ذات السرور الدّائم فرضوان الله على أُمّها.

المطلب الثاني: المشاركة في المحنة الجديدة

لمّا مات ناصر رسول الله ﷺ وحامي دعوته؛ نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتّى اعترضه سفيه من قريش فنثر على رأسه تراباً، فدخل ﷺ بيته، فاستقبلته فاطمة عليها السلام، وأخذت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: «لا تبكي يا بنيّة، فإنّ الله مانعٌ أباك»..

وكان يقول بين ذلك: «ما نالت منّي قريش شيئاً أكرهه حتّى مات أبو طالب».[٢]

فقد زرع رسول الله ﷺ في قلبها الأمل، وربطه بالحصن الحصين والركن الركين، بأنّ الله تعالى هو الحامي والحافظ له ﷺ، وبهذا الأمل استطاع ﷺ أن يخفّف وطأة المحنة على نفس فاطمة عليها السلام التي لا زالت صغيرةً في عمرها، كبيرةً في عقلها وروحها.

ولم تتوقّف أساليب قريش الدنيئة، فبينما رسول الله ﷺ ساجد في المسجد؛ ألقى بعضهم سلا جزور على رأسه وهم يتضاحكون، ولم يزل على ظهره حتّى جاءت فاطمة عليها السلام فطرحته عن ظهره، ثم أقبلت عليهم تخاطبهم بما يستحقّونه،

---

(١)شرح نهج البلاغة ١٤: ٧٠.

(٢)السيرة النّبويّة لابن هشام ٢ : ٥٧، ٥٨. سيرة المصطفى: ٢٠٥.

ولمّا أتمّ صلى الله عليه وآله صلاته، دعا عليهم، فاستجاب الله تعالى دعاءه.[(١)]

فكانت عليها السلام مع أبيها تشاركه في المحنة وتواجه السفهاء مواجهة شجاعة لا تهابهم وهي في مقتبل عمرها، لتكون جزءاً من الدعوة والرسالة كما أرادها رسول الله صلى الله عليه وآله.

المطلب الثالث: إستمرار الدعوة وصبر فاطمة عليها السلام

كانت فاطمة عليها السلام تشعر بالمسؤولية العظيمة تجاه رسول الله صلى الله عليه وآله وهي إدامة الدعوة وتقريرها في العقول والقلوب، فلم تتعلّق بأبيها، وهي لا زالت قريبة العهد باليُتم، فقد تركها صلى الله عليه وآله في البيت وخرج من مكّة إلى الطائف يدعو ثقيفاً إلى الإسلام، ويلتمس النّصرة منهم، فلم يستجيبوا له، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبّونه ويصيحون به، فعاد صلى الله عليه وآله إلى مكّة ثانية.[(٢)]

واستمرّ صلى الله عليه وآله في دعوته فكان يعرض نفسه على قبائل العرب، ويخبرهم أنّه نبيّ مرسل، ويسألهم أن يصدّقوه ويمنعوه حتّى يبيّن لهم ما بعثه الله به، فدعا كندة في منازلهم، ودعا أحد بطون كلب، وبني حنيفة، فلم يستجيبوا له.[(٣)]

وكانت فاطمة عليها السلام تتابع أباها في دعوته، وتستلهم منه روح الإقدام والمثابرة على العمل دون توقّف أو تردّد أو تلكّؤ، فتجده مستمرّاً في دعوته رغم الصعاب التي تواجهه من تكذيب واستهزاء، فيزرع الأمل في قلبها بنجاحه في دعوته لأنّ النجاح حليف المثابرة دون كلل أو ملل أو يأس، وكانت تصبر على غيابه عنها طويلاً، وتصبر معه على ما يعانيه من القبائل، فكانت تحمل معه همّ الدعوة متعالية على الهموم الذاتية الشخصية، منطلقة من الأُفق الأرحب في نجاح الدعوة وانتصار

---

(١)البداية والنهاية ٦ : ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٢)السيرة النّبويّة لابن هشام ٢ : ٦٠ ـ ٦٣.

(٣)المصدر السابق ٢ : ٢ : ٦٢ ـ ٦٦.

قيمها ورجالها في المستقبل.

وكانت هذه المرحلة مرحلة إعداد لفاطمة عليها السلام لتقف في مواجهة الإنحراف المستقبلي دون تردّد أو تراجع، مقتدية بأبيها ومستلهمة دروس الثبات والمثابرة منه صلى الله عليه وآله.

المطلب الرابع: الإمامة في وعي فاطمة عليها السلام

أدركت فاطمة عليها السلام من خلال سيرة أبيها صلى الله عليه وآله أنّ الإمامة من بعده هي نصّ وتعيين من الله تعالى، وليس لرسوله صلى الله عليه وآله أو للاُمّة أي دور في تعيينها، فرسول الله صلى الله عليه وآله في معترك الصراع القائم بينه وبين المشركين، وفي خضمّ الأحداث الصاخبة بتكالب جميع القرشيين لاستئصال الرسالة والرسول صلى الله عليه وآله، وحاجته إلى المعونة والنصرة لا يساوم على هذا المبدأ، فحينما يطلب منه بيحرة بن فراس أحد وجوه بني عامر بن صعصعة أن يكون أمر الخلافة والإمامة له من بعده في مقابل الدعم والإسناد؛ يجيبه صلى الله عليه وآله قائلاً: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء».

فيردّ عليه: أفتهدف نحورنا للعرب دونك؛ فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك.[1]

وقال له بنو كندة: إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك؟

فقال صلى الله عليه وآله: «إنّ الملك لله يجعله حيث يشاء».

فقالوا: لا حاجة لنا فيما جئتنا به.[2]

وفي زحمة هذه المواقف المبدئية، أدركت فاطمة عليها السلام أنّ الإمامة والخلافة والولاية هي أمر إلهي، ليس للناس دخل فيها، حتّى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يُمَنِّ ـ

---

(١)السيرة النّبويّة لابن هشام ٢ : ٦٦. تاريخ الطبري ٢: ٣٥٠. الكامل في التاريخ ٢: ٩٣. السيرة النبويّة لابن كثير ٢ : ١٥٨. السيرة الحلبية ٢ : ٣ .

(٢)السيرة النّبويّة لابن كثير ٢ : ١٥٩.

من كان بحاجة إلى نصرتهم ـ بها، وأكّد لهم أنّ الأمر إلى الله تعالى، فلو كان الأمر إليه لأجابهم بما يؤلّف قلوبهم لمؤازرته ونصرته، في ظروف المواجهة مع قريش والقبائل مع قلّة الناصر وضعف المعين من الناس، وقد تفاعلت هذه الحقيقة مع كيانها عليها السلام، فلم تتنازل عن تأكيدها بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وأثبتت لمن تصدّى للخلافة، بأنّ الله تعالى قد نصّب من نصّبه لإمامة وخلافة المسلمين.

المطلب الخامس: فاطمة عليها السلام والهجرة إلى المدينة

كانت مواقف الأنصار الذين بايعوا أباها صلى الله عليه وآله أملاً لفاطمة عليها السلام في دنّو الفرج والخلاص من الأذى والإضطهاد والمعاناة، وهي مقدّمة لانتصار الدعوة بكثرة أنصارها وأتباعها، والحصول على قاعدة واسعة في بلد آخر، وبقيت فاطمة عليها السلام تعيش الأمل وتتطلّع إلى الغد القريب الذي يهيّئ لرسول الله صلى الله عليه وآله الأجواء لتبليغ رسالته بحريّة واطمئنان.

أيقنت فاطمة عليها السلام بقرب الإنتصار، بعد نزول أوّل آية تأذن لرسول الله صلى الله عليه وآله بالحرب وقتال من اضطهد الدعوة عقيدةً وقيادةً وأتباعاً، وبدأت الدعوة تدنو من الإنفراج العملي، فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين بالهجرة إلى المدينة، فهاجر المسلمون أفراداً وجماعات، وبقي رسول الله صلى الله عليه وآله والأُسرة النبويّة في مكّة ليستعدّوا للهجرة في وقتها المناسب.

واجتمع المشركون في دار الندوة، وبعد تشاور طويل اتّفقوا على أن يأخذوا من كلّ قبيلة فتىً شابّاً ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وآله في آن واحد، ليضيع دمه في القبائل جميعاً.

فأخبره الوحي بذلك فخرج من منزله تاركاً عليّاً عليه السلام في فراشه للتّمويه على المشركين.

وبقيت فاطمة عليها السلام بين الآمال والآلام، وبين السرور والحزن، تأمل في الفرج وتتألّم خوفاً على أبيها صلى الله عليه وآله من أن يصاب بأذى أو مكروه قبل وصوله إلى المدينة.

وتجمَّع القوم في الدار التي فيها فاطمة عليها السلام، فلم تقلق من تجمّعهم، وإنّما كانت عواطفها منشدّة إلى أبيها.

واطمأنّت فاطمة عليها السلام على أبيها صلى الله عليه وآله بعد أن وصلتها أخبار المعاجز التي أنقذته من ملاحقة قريش له، حيث وصل بعضهم إلى الغار، واطمأنّت فاطمة عليها السلام وهدأت عواطفها بعد سماعها بوصوله عليه السلام إلى المدينة.

ولمّا وصل رسول الله صلى الله عليه وآله قُباء ـ وهي على أميال من المدينة ـ استقرّ فيها لينتظر عليّاً عليه السلام وفاطمة وبقيّة نساء بني هاشم، وبعث صلى الله عليه وآله مع أبي واقد اللّيثي كتاباً إلى عليّ عليه السلام يأمره بالقدوم عليه بعد ردّ الأمانات إلى أهلها، فلمّا وصل الكتاب تحرّك عليه السلام من ساعته وخرج بالنساء في وضح النهار.

ووصلت القافلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله باستقبالها، وفي حينها قال صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «يا علي، أنت أوّل هذه الأُمّة إيماناً بالله ورسوله، وأوّلهم هجرةً إلى الله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله، لا يحبّك ـ والذي نفسي بيده ـ إلاّ مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يبغضك إلاّ منافق أو كافر».[(١)]

المطلب السادس: فاطمة عليها السلام وموقف المؤاخاة

كانت فاطمة عليها السلام تتابع الأحداث والمواقف، ومن هذه المواقف التي اتّخذها رسول الله صلى الله عليه وآله في الأيّام الأُولى للهجرة أنْ آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، وقال لهم: تآخوا في الله أخوين أخوين.

ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب، فقال: «هذا أخي»[(٢)]

وكان صلى الله عليه وآله يختصّ بعليّ عليه السلام دون غيره، ويعلّمه مختلف العلوم ويناجيه كثيراً.

---

(١)دلائل الإمامة : ١١ .

(٢)سنن الترمذي ٥ : ٦٣٦، أُسد الغابة ٣: ٥٨٨، مختصر تاريخ دمشق ١٧: ٣١٢، فرائد السمطين ١: ١١٦، الصواعق المحرقة : ١٨٨ .

وكان لهذه المواقف دور كبير في إدراك فاطمة عليها السلام لعمق العلاقة الرسالية بين رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ ابن أبي طالب عليه السلام، وأنّها ليست علاقة نسب وقرابة، بل هي علاقة رسالية تمتدّ بامتداد السيرة لتتّصل الإمامة بالنبوّة.

وقد أدركت مقام عليّ عليه السلام ودوره في الرسالة الإسلامية، لذا تراها لا تتردّد حينما يخبرها رسول الله صلى الله عليه وآله بخطبة عليّ عليه السلام لها.

خلاصة البحث

كانت عليها السلام مع أبيها صلى الله عليه وآله تشاركه في المحنة وتواجه السفهاء مواجهة شجاعة لا تهابهم وهي في مقتبل عمرها، لتكون جزءاً من الدعوة والرسالة كما أرادها رسول الله صلى الله عليه وآله.

كانت فاطمة عليها السلام تشعر بالمسؤولية العظيمة تجاه رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت تتابع أباها في دعوته، وتستلهم منه روح الإقدام والمثابرة على العمل دون توقّف أو تردّد أو تلكّؤ.

كما أدركت عليها السلام من خلال سيرة أبيها صلى الله عليه وآله أنّ الإمامة من بعده هي نصّ وتعيين من الله تعالى، وليس لرسوله صلى الله عليه وآله أو للأُمّة أي دور في تعيينها، كما أدركت أنّ الإمامة والخلافة والولاية هي أمر إلهي، ليس للناس دخل فيها.

كانت فاطمة عليها السلام تتابع الأحداث والمواقف، ومن هذه المواقف المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ليستبقس عليا أخا له، الموقف الذي كان له دور كبير في إدراك فاطمة عليها السلام لعمق العلاقة الرسالية بين رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأنّها ليست علاقة نسب وقرابة، بل هي علاقة رسالية تمتدّ بامتداد السيرة لتّصل الإمامة بالنبوّة.

إختبارات البحث

١. صف مشاركة فاطمة عليها السلام لأبيها وللمسلمين في المحن المختلفة.
٢. تكلّم عن صبر فاطمة عليها السلام مع إستمرار الدعوة.
٣. عرّف بوعي فاطمة عليها السلام للإمامة.
٤. صِف هجرة فاطمة عليها السلام إلى المدينة.
٥. بيّن ما مرت به فاطمة عليها السلام حين المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

البحث رقم (٤٨)

فاطمة عليها السلام والحياة الزوجيّة

أهداف البحث

١. وصف الأمر الإلهي بزواج فاطمة عليها السلام

٢. بيان زهد أسرة فاطمة وشؤونها المتواضعة.

٣. بيان ولادة الحسنين عليهما السلام.

٤. التعريف بالإعداد الإلهي والنبوي لأُسرة فاطمة عليها السلام

٥. وصف الإعداد النبوي لدور فاطمة عليها السلام

مقدمة البحث

لازلنا في أجواء فاطمة عليها السلام وشخصيتها ومواقفها إلى جنب أبيها في المواقف الحساسة التي مرت بها الرسالة الإسلامية، ونواصل الكلام في هذه الأجواء، حيث الأمر الإلهي بزواجها من علي عليه السلام، وحيث الأسرة النموذجية في زهدها، وفي العناية الإلهية والنبوية بهذه الأسرة الشريفة.

المطلب الأول: الأمر الإلهي بزواج فاطمة عليها السلام

لم تنقطع يد الغيب عن رعاية فاطمة عليها السلام في جميع مراحل حياتها حتى زواجها عليها السلام، فقد رافقتها الرعاية والعناية الإلهية لتعدّها إعداداً رساليّاً، وتكون وحدها الوعاء الطاهر للسلالة الطاهرة، والمنبت الطيّب لسادات وأئمّة المسلمين، وهي وحدها عليها السلام حلقة الوصل بين النبوّة والإمامة.

وقد أكّد رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ أمر زواجها بيد الله تعالى، فقد خطبها أبو بكر، فقال صلى الله عليه وآله: «أنتظر بها القضاء»، وخطبها عمر، فقال صلى الله عليه وآله: «أنتظر بها القضاء»[1]، وخطبها عليّ عليه السلام، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ علياً يذكرك، فسكتت، فزوّجها».[2]

---

(١)الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ : ١٨. التنظم في تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٨٥ .

(٢)حلية الأولياء ٨ : ٢٠ .

وأكّد ﷺ أنّ زواجها من عليّ عليه السلام كان بأمر من الله تعالى، فقال: «إنّ الله أمرني أن أُزوّج فاطمة من عليّ».[١]

وحول خصوصية فاطمة عليها السلام في هذا المجال، قال ﷺ: «إنّما أنا بشر مثلكم، أتزوّج فيكم، وأُزوّجكم، إلاّ فاطمة، فإنّ تزويجها نزل من السماء».[٢]

وجمع رسول الله ﷺ المهاجرين والأنصار، وقال: «... إنّ الله أمرني أن أُزوّج فاطمة بعليّ، فأشهدكم أنّي قد زوّجته على أربعمئة مثقال من فضّة إنْ رضي بذلك».

ولما حضر عليّ قال له رسول الله ﷺ: «يا عليّ، إن الله أمرني أن أُزوّجك فاطمة، فقد زوجتكها على أربعمئة مثقال فضّة، إن رضيت». فقال عليّ عليه السلام: قد رضيت يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: أُبشّرك يا عليّ، فإنَّ الله ـ عزّوجلّ ـ قد زوّجكها في السماء من قبل أن أُزوّجكها في الأرض، ولقد هبط عَليَّ في موضعي ـ من قبل أن تأتيني ـ ملك من السماء، فقال: يا محمّد، إنّ الله عزّوجلّ اطّلع إلى الأرض اطّلاعة، فاختارك من خلقه، فبعثك برسالته، ثمّ اطّلع إلى الأرض ثانية، فاختار لك منها أخاً ووزيراً وصاحباً وختناً، فزوّجه ابنتك فاطمة، وقد احتفلت بذلك ملائكة السماء.

يا محمّد، إنّ الله عزّوجلّ أمرني أن آمرك أن تزوّج عليّاً في الأرض من فاطمة، وتبشّرهما بغلامين زكيّين نجيبين طاهرين خيّرين فاضلين في الدنيا والآخرة».[٣]

ولأهميّة هذا الزواج المبارك ودور الأُسرة المباركة في حركة الدعوة الإسلامية؛ إتّصلت السماء بالأرض، ليشارك الملائكة بهذا الزفاف المبارك، فعن ابن عبّاس قال: «كانت الليلة التي زفّت فيها فاطمة إلى عليّ عليه السلام، كان النبيّ ﷺ أمامها، وجبريل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك من خلفها،

---

(١)مجمع الزوائد ٩ : ٢٠٤. المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٨. نثر الدرّ ١: ١٨٢.

(٢)بحار الأنوار ٤٣: ١٤٥.

(٣)بحار الأنوار ٤٣: ١٢٧ .

يسبّحون الله ويقدّسونه حتّى طلع الفجر».[١]

وقد تمّ الزواج في ذي الحجّة من السنة الثانية من الهجرة، وقيل: في شوال، بعد الرجوع من معركة بدر.[٢]

وكان بيت عليّ عليه السلام متأخّراً عن بيت رسول الله صلى الله عليه وآله قليلاً، فحوّله صلى الله عليه وآله إلى جنب بيته.[٣]

المطلب الثاني: زهد الأُسرة وشؤونها المتواضعة

زهدت الأُسرة في ملذّات الحياة الدنيا؛ إيماناً منها بتقرير القيم المعنوية في الواقع، ولتقتدي بها سائر الأُسر، ومساهمة منها في التكافل الإجتماعي.

عن عليّ عليه السلام قال: «لقد تزوجت فاطمة وليس لنا فراش غير جلد كبش، ننام عليه بالليل، ونعلف عليه الناضح بالنهار، ومالي ولها خادم غيرها».[٤]

وقال عليه السلام: «كانت ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأكرم أهله عليه، وكانت زوجتي، فجرّت بالرحا حتّى أثرت الرحا بيدها، واستقت بالقربة حتّى أثرت القربة بنحرها، وقمّت البيت حتّى اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتّى تلوّثت ثيابها، وأصابها من ذلك ضرر».[٥]

والظاهر أنّها عليها السلام كانت تطحن وتوقد القدر لها ولغيرها من الأُسر المحرومة، فلو أنّها اكتفت بما تحتاجه، لم يصبها ما يصفه عليه السلام. فقال لها عليّ عليه السلام: يا فاطمة، هل عندك شيء؟ قالت: والذي عظّم حقّك، ما كان عندي منذ ثلاثة أيام شيء أُقريك به. فقال عليه السلام: أفلا أخبرتني؟ قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله نهاني عن أن

---

(١)ذخائر العقبى: ٣٢ .

(٢)كشف الغمّة ١ : ٣٦٤. أمالي الطوسي ١: ٤٢.

(٣)المنتظم ٣ : ٨٧ .

(٤)الطبقات الكبرى ٨ : ٢٢ .

(٥)حلية الأولياء ٢ : ٤١ .

أسألك شيئاً، فقال: «لا تسألي ابن عمّك شيئاً، إن جاء بشيء، وإلاّ، فلا تسأليه».(١)

وعوّضها رسول الله صلى الله عليه وآله عمّن يخدمها بأن علّمها التسبيحة الخالدة المسمّاة باسمها وقال: «أولا أدلّكِ على خير من ذلك: تسبّحين الله تعالى ثلاثاً وثلاثين، وتحمدينه ثلاثاً وثلاثين، وتكبّرينه أربعاً وثلاثين».(٢)

المطلب الثالث: ولادة الحسنين عليهما السلام

بعد عام من الزواج المبارك، ولد الإمام الحسن عليه السلام، في الخامس عشر من رمضان، سنة ثلاث للهجرة، فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن، وكنّاه أبا محمّد، ولم يكن يعرف هذا الاسم في الجاهلية.(٣)

وولد الحسين عليه السلام في شعبان سنة أربع للهجرة، فسمّاه رسول الله بهذا الاسم.

ووجّه رسول الله صلى الله عليه وآله الأنظار إلى هذين الوليدين، لتكون الأُمّة على علم بمقامهما ودورهما في حركة الرسالة. فقال صلى الله عليه وآله: «لكلّ بني أنثى عصبة ينتمون إليه، إلاّ ولد فاطمة، فأنا وليّهم، وأنا عصبتهم».(٤)

وجاءته فاطمة عليها السلام، وقالت: «يا رسول الله، هذان ابناك، فورّثهما شيئاً، فقال صلى الله عليه وآله: «أمّا الحسن، فله هيبتي وسؤددي، وأمّا حسين، فله جرأتي وجودي».(٥)

المطلب الرابع: الإعداد الإلهي لأُسرة فاطمة عليها السلام

فاطمة عليها السلام هي المحور والحلقة التي توصل النبوّة بالإمامة، فمن ذريّتها كان الأئمّة الأطهار عليهم السلام، لذا تجد أنّ هذه الأسرة ليست كسائر الأُسر، فقد أعدّها الله تعالى لتكون الإمتداد الطبيعي للنبوّة، تبعاً لقاعدة الإصطفاء الإلهي المتّبعة في سنن

---

(١)بحار الأنوار ٤٣ : ٣١.

(٢)حلية الأولياء ٢ : ٤١.

(٣)أُسد الغابة ١ : ٤٨٨ .

(٤)المعجم الكبير ٢٢ : ٤٢٣ .

(٥)المصدر السابق.

الأنبياء السابقين، حيث كانت قائمة على اصطفاء بعض الأُسر، كآل إبراهيم وآل عمران، وختمت بآل محمّد صلى الله عليه وآله، وآخرهم المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

ومن الإعداد الإلهي لهذه الأُسرة المباركة، أنْ أنزل الله تعالى آيات عديدةً في كتابه، لتقرأ على مسامع الناس إلى يوم القيامة، ويتشخّص من خلالها الدور الموكل إلى هذه الأُسرة لإدامة حركة الرسالة في واقع الحياة بعد انقطاع الوحي، من قبيل:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.[1] حيث قال ابن حجر الهيثمي: أكثر المفسّرين على أنّها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين، لتذكير ضمير عنكم وما بعده[2]

وقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.[3] حيث صحّ عن كعب بن عجزة قول: «لمّا نزلت هذه الآية، قلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلّم عليك، فكيف نصلّي عليك؟ فقال: قولوا: اللّهمّ صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد».[4]

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة العديدة.

المطلب الخامس: الإعداد النبوي لأُسرة فاطمة عليها السلام

قام رسول الله صلى الله عليه وآله بتهيئة الأذهان والعقول والقلوب للإرتباط بمنهج الأُسرة المتكوّنة من عليّ وفاطمة وابنيهما صلوات الله عليهم أجمعين، من خلال التركيز على مناقبها وفضائلها وخصائصها الذاتية، وما اختصّت به من دون سائر الأُسر في جميع مقوّماتها ومؤهّلاتها، ومن خلال القيام بخطوات عملية لتتوّجه الأنظار من خلالها إلى دور الأُسرة الريادي في حركة الرسالة، لتكون أقوال أفرادها ومواقفهم

---

(١) الأحزاب : ٣٣ .

(٢) الصواعق المحرقة : ٢٢٠ .

(٣) الأحزاب : ٥٦ .

(٤) الصواعق المحرقة : ٢٢٤ .

حجّةً على المسلمين في حياة رسول الله ﷺ وبعدها، وعلى امتداد الحركة التاريخية للمسلمين.

فقد دعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة والحسن والحسين، وجلّلهم بكساء، وقال: «اللّهمّ، هؤلاء أهل بيتي، اللّهمّ أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا».(١)

ومن وصاياه المتكرّرة: قوله ﷺ: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسكّتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله: حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».(٢)

ومثّلهم بسفينة نوح، فقال: «ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح... من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق».(٣)

فقد دعا ﷺ للإقتداء بهذه الأُسرة ومتابعتها في منهجها، للحيلولة دون الوقوع في الضلالة والغرق في مزالق الإنحراف.

ووجّه ﷺ الأنظار إلى المقام الشامخ لهذه الأُسرة في يوم القيامة، فقال: «إنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين في حظيرة القدس، في قبّة بيضاء سقفها عرش الرحمن».(٤)

ووجّه ﷺ الأنظار إلى موقع الأُسرة ودورها في الفرز والتمييز عند قيام الفتن واشتباه الأمر على الناس، فجعلها مقياساً لمعرفة الأشخاص والوجودات من حيث درجة القرب والبعد عن الإيمان والولاء. فقال في حقّ أفرادها: «أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم».(٥)

المطلب السادس: الإعداد النبوي لدور فاطمة عليها السلام

كان رسول الله ﷺ يوجّه الأنظار والعقول والقلوب إلى مقام فاطمة عليها السلام ودورها

---

(١)جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ٢٢: ٦. الدر المنثور ٦: ٦٠٣. مسند أحمد ٧: ٤١٦.

(٢)مسند أحمد ٣: ٣٩٤. سنن الترمذي ٥: ٦٦٣.

(٣)المستدرك على الصحيحين ٣: ١٥١. مجمع الزوائد ٩: ١٦٨. الجامع الصغير ٢: ٥٣٣.

(٤)مختصر تاريخ دمشق ٧ : ١٥.

(٥)مختصر تاريخ دمشق ٧ : ١٢٠.

الشامخ في حركة الرسالة، لتكون آراؤها ومواقفها مقياساً للحكم على آراء ومواقف الآخرين، في حالة التباس المفاهيم، واختلاط العناوين، وتأرجح المواقف.

ولم يكن هذا التوجيه عاطفة أبوية، لأنّه صلى الله عليه وآله لا يقول قولاً ولا يتّخذ موقفاً إلاّ بأمر من الله تعالى، أو موافقاً لما يريد، بل أنّه قول الرسالة وموقفها، ليكون حجّة على المسلمين.

فقد وجّه الأنظار إلى مقامها السامي، فقال: «خير نساء العالمين أربع: مريم وآسية وخديجة وفاطمة».[١]

وجعل أذاها أذىً له صلى الله عليه وآله، فقال صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما آذاها، ويغضبني ما أغضبها».[٢]

وجعل رضاها وغضبها تجسيداً ومصداقاً لرضا الله تعالى وغضبه، فقال: «إنّ الله يرضى لرضاكِ، ويغضب لغضبكِ».[٣]

وقال ابن عمر: إن النبيّ صلى الله عليه وآله كان إذا سافر، كان آخرَ الناس عهداً به فاطمة، وإذا قدم من سفر، كان أوّل الناس به عهداً فاطمة رضي الله عنها[٤]

وكان صلى الله عليه وآله يمرّ ببيت فاطمة طيلة ستّة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر، فيقول: «الصلاة يا أهل البيت»، ثمّ يقرأ آية التطهير.[٥]

فقد أراد صلى الله عليه وآله من هذا الإعداد أن يشخّص المسلمون الرجال والمواقف، ليحكموا عليها تعديلاً وتجريحاً، وليتّخذوا المواقف التي ترضي الله تعالى، من خلال الإقتداء بفاطمة وأُسرتها في مواقفهم من الأحداث التي ستجري في المستقبل القريب.

---

(١)المعجم الكبير ٢٢ : ٤٠٠.

(٢)الإصابة في تمييز الصحابة ٨ : ١٥٨ .

(٣)تنبيه الخواطر ٢ : ٢٣٠ .

(٤)مسند أحمد ٤ : ١٥٧ .

(٥)المصدر السابق.

خلاصة البحث

لم تنقطع يد الغيب عن رعاية فاطمة عليها السلام في جميع مراحل حياتها، فقد رافقتها الرعاية والعناية الإلهية لتعدّها إعداداً رساليّاً، وتكون وحدها الوعاء الطاهر للسلالة الطاهرة، والمنبت الطيّب لسادات وأئمّة المسلمين، وهي وحدها عليها السلام حلقة الوصل بين النبوّة والإمامة.

زهدت أُسرة فاطمة وعلي عليهما السلام في ملذّات الحياة الدنيا؛ إيماناً منها بتقرير القيم المعنوية في الواقع، ولتقتدي بها سائر الأُسر، ومساهمة منها في التكافل الإجتماعي.

من الإعداد الإلهي لهذه الأُسرة المباركة، أنْ أنزل الله تعالى آيات عديدةً في كتابه، لتقرأ على مسامع الناس إلى يوم القيامة، ويتشخّص من خلالها الدور الموكل إلى هذه الأُسرة لإدامة حركة الرسالة في واقع الحياة بعد انقطاع الوحي.

قام رسول الله صلى الله عليه وآله بتهيئة الأذهان والعقول والقلوب للإرتباط بمنهج الأُسرة، من خلال التركيز على مناقبها وفضائلها وخصائصها الذاتية، وما اختصّت به من دون سائر الأُسر في جميع مقوّماتها ومؤهّلاتها، ومن خلال القيام بخطوات عملية لتتوّجه الأنظار من خلالها إلى دور الأُسرة الريادي في حركة الرسالة.

إختبارات البحث

١. تكلم عن الأمر الإلهي بزواج فاطمة عليها السلام.
٢. بين زهد أسرة فاطمة وشؤونها المتواضعة.
٣. بين ولادة الحسنين عليهما السلام.
٤. عرف بالإعداد الإلهي والنبوي لأُسرة فاطمة عليها السلام
٥. كيف تصف الإعداد النبوي لدور فاطمة عليها السلام الحساس؟

البحث رقم (٤٩)

فاطمة عليها السلام في العهد المدني

أهداف البحث

١. إدراك أهمية قرب الزهراء عليها السلام من مصدر التلقّي عن السماء.

٢. بيان تاريخ الزهراء عليها السلام ومشاركتها في غزوتي أحُد والخندق.

٣. توضيح تاريخ الزهراء عليها السلام في فتح خيبر.

٤. وصف تاريخ الزهراء عليها السلام ومشاركتها وفتح مكة.

٥. التعريف بتاريخ الزهراء عليها السلام حين مأساة التمردّ على أوامر الرسول صلى الله عليه وآله.

مقدمة البحث

تابعنا البحثين الماضيين اهتمام السماء ومتابعتها تربية فاطمة عليها السلام لتكون على قدر المسؤولية التي خططت لها يد الإله تعالى، ونتابع في درسنا اليوم ما مرت به عليها السلام من تجارب وأحداث أدت كلها دورها المهم في تحملها عليها السلام لتلك المسؤولية العظيمة، ودفاعها عن الولاية الإلهية.

المطلب الأول: القرب من مصدر التلقّي

جعل رسول الله صلى الله عليه وآله منزل فاطمة عليها السلام بجنب منزله، وهذا يستلزم قربها من مصدر التلقّي والتوجيه؛ بالإطلاع على نزول الآيات القرآنية، ومعرفة وقت وأسباب النزول، ومعرفة تفسير القرآن وتأويلاته الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، والإطّلاع على السنّة النبويّة، ومعرفة العقائد والأحكام الإسلامية الصحيحة مباشرة، والإطّلاع على ما أخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله من أمور غيبية مستقبلية، فقد استطاعت ـ سلام الله عليها ـ بالتلقّي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن تشخّص الأحداث المستقبلية، وأن تتّخذ ما يناسبها من مواقف تبعاً لوصايا رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن تكون على اطّلاع واسع بأحوال الرجال والنساء من حيث قربهم وبعدهم عن الإيمان والولاء لرسول

الله ﷺ، وأن تطّلع على كثير من خصوصيات رسول الله ﷺ في تعامله مع أزواجه، ومع سائر الناس من مسلمين وغير مسلمين، وأن تطّلع على ما يخطّطه ﷺ من خطط عسكرية وسياسية واجتماعية.

فكانت مستودع علم رسول الله ﷺ وأسراره، في جميع ما يتعلّق بحركة الرسالة وإدامتها، وقد ساهمت مساهمة فعّالة في نشرها.

وقد رافقت رسول الله ﷺ في جميع أحواله ومواقفه ما عدا بعض الغزوات التي لا تستوجب حمل النساء معه.

المطلب الثاني: فاطمة عليها السلام في غزوة أحُد

تابعت فاطمة عليها السلام أحداث الغزوة منذ بدايتها حتّى نهايتها لأنّها إحدى المشاركات فيها.

ففي بداية الأمر استشار ﷺ أصحابه فاختلفوا، وخالفت الأكثرية رأيه ـ في البقاء في المدينة ـ فاستجاب لرأيهم[1]، وخرج خلافاً لرغبته، لتطييب خواطرهم.

وقبل بدء المعركة، أمر ﷺ خمسين من الرماة أن يتّخذوا موضعاً عسكرياً، وأمرهم بعدم الإنسحاب مها كانت نتيجة المعركة. وأعطى ﷺ لواء المهاجرين إلى عليّ عليه السلام، فكان له ولحمزة الدور الأكبر في القضاء على جموع المشركين، حيث قتل عليّ عليه السلام قائد كتيبة المشركين فانهزموا.[2]

ثم أعاد المشركون الكرّة بعد انسحاب الرماة من مواضعهم عصياناً لأمر رسول الله، وانتهت الكرّة بهزيمة المسلمين.

وكانت فاطمة عليها السلام تتابع أحداث المعركة، حيث كانت مع أربع عشرة امرأة

---

(١)المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣ : ١٦٢.

(٢)نفس المصدر ٣: ١٦٣، ١٦٥.

يحملن الطعام والشراب على ظهورهنّ، ويسقين الجرحى ويداوينهم.[١]

وقد أدركت عليها السلام أسباب الهزيمة؛ لمخالفة المسلمين أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان ذلك درساً لها في حياتها المستقبلية، أن لا تسكت عن مخالفة أوامره صلى الله عليه وآله وإن كانت بعد وفاته، لإدراكها جسامة الخسران الذي سيلحق بالمسلمين وبالإسلام جرّاء هذه المخالفة.

وأطّلعت عليها السلام في هذه المعركة على مقام زوجها الشامخ، وإعداده من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله ليكون خليفته من بعده، فقد كان حامل لوائه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أبصر جماعة من المشركين، قال لعليّ عليه السلام: إحمل عليهم، وكان عليه السلام يحمل على من تقدّم ويفرّقهم، حتّى هبط جبرائيل وقال:

يا رسول الله، هذه المواساة التي يحبّها الله تعالى. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّه منّي وأنا منه. فقال جبرائيل: وأنا منكما.

وسمعت فاطمة عليها السلام كما سمع الآخرون صوت جبرائيل يقول: «لا سيف إلاّ ذو الفِقار، ولا فتى إلاّ عليّ».[٢]

وبعد انسحاب المشركين، بعث رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً في أثرهم.[٣]

ومن خلال متابعة الأحداث؛ أدركت فاطمة عليها السلام مسؤوليتها المستقبلية، فوقفت مع عليّ عليه السلام بعد عزله عن مقامه وتنصيب أبي بكر في مقام الخلافة.

المطلب الثالث: فاطمة عليها السلام في غزوة الخندق

إشتركت فاطمة عليها السلام في غزوة الخندق سنة خمس للهجرة مع بعض النساء، وكانت ترسل الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وتستلهم الدروس والعبر من سيرته

---

(١)المغازي للواقدي ١ : ٢٤٩.

(٢)الكامل في التاريخ ٢ : ١٥٤.

(٣)الكامل في التاريخ ٢ : ١٦٠. المنتظم ٣: ١٧٢.

الزاهدة، فقد جاءته عليها السلام بكسرة من خبز، فقال: يا بنيّة، أما أنّها لأوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث.[١]

وقد اطّلعت عليها السلام على أساسيات العلاقة بين القائد وجنوده، فقد واساهم صلى الله عليه وآله في الطعام والشراب، وفي العمل معهم في حفر الخندق، وفي مشاركة أهله مع سائر النساء في هذه الغزوة.

واستطاعت عليها السلام من خلال متابعة أحداث المعركة أن تشخّص مقدرات الصحابة وولاءهم لله ولرسوله، ودرجات إيمانهم، واستعداداتهم من حيث التضحية وعدمها، فقد برز عمرو بن عبد ودّ العامري، وجعل يؤنّب المسلمين: أين جنّتكم التي تزعمون أنّه من قُتل منكم دخلها؟ فلم يبرز له إلاّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله لا يجيز له البراز، إلاّ في نداء عمرو الثالث، فأذن له، وانحسمت المعركة بقتل عمرو بسيف عليّ عليه السلام.

وقد أدركت فاطمة عليها السلام دور زوجها الريادي في عهد أبيها صلى الله عليه وآله وإعداده له لإمامة المستقبل، فقد برّز صلى الله عليه وآله الجوانب القيادية في شخصيته، ليوّجه أنظار المسلمين إلى إمامته من بعده، فقد جعل صلى الله عليه وآله الإيمان كلّه متجسّداً فيه، فحينما برز إلى عمرو قال صلى الله عليه وآله: «برز الإيمان كلُّه إلى الشركِ كلِّه».[٢]

وبعد هزيمة المشركين، قال صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «لو وزن اليوم عملك بعمل جميع أمّة محمّد، لرجح عملك على عملهم...».[٣]

وإذا كانت الشجاعة إحدى خصائص الإمام أو الخليفة، فقد لمست فاطمة عليها السلام هذه الخاصّية في زوجها دون غيره.

---

(١)ذخائر العقبى : ٤٧ .

(٢)شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٦١. تاريخ الخميس ١: ٤٦٨.

(٣)المستدرك على الصحيحين ٣ : ٣٢ .

المطلب الرابع: فاطمة عليها السلام في فتح خيبر

يُفهم من بعض القرائن التي أوردها ابن هشام في سيرته أنّ فاطمة عليها السلام رافقت أباها وزوجها في غزوة خيبر. (١)

وقد تابعت عليها السلام وقائع الغزوة وأحداثها، فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله إثنين من كبّار الصحابة أحدهما بعد الآخر، فرجعا مهزومَيْن، فقال صلى الله عليه وآله: «لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّه اللهُ ورسولُه، ويحبُّ اللهَ ورسولَه، يفتح الله على يديه وليس بفرّار». (٢)

فأعطى الراية عليّاً عليه السلام فدنا من الحصن، وتناول بابه فتترّس بها عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتّى كان فتح الله، ولم يستطع ثمانية رجال أن يحملوا الباب، ولم يحمله إلاّ أربعون منهم. (٣)

فكان الفتح على يد زوجها عليّ عليه السلام الذي عبّر عنه صلى الله عليه وآله بحبيب الله ورسوله، فلا غرابة أن تقف فاطمة عليها السلام في جانب زوجها تدافع عن حقّه بالخلافة، وقد شخّصت مواصفاته التي تجسّدت فيها صفات الإمام والخليفة المرتقب.

المطلب الخامس: فاطمة عليها السلام وفتح مكة

قبل فتح مكّة جاء أبو سفيان لتجديد عقد صلح الحديبية، فلم يجد اهتماماً من قبل الشخصيات المقرّبة لرسول الله صلى الله عليه وآله، فتوّجه إلى فاطمة عليها السلام وقال: يا بنت محمّد، هل لك أن تأمري ابنك هذا ـ يعني الحسن ـ أن يجير بين الناس فيكون سيّد العرب؟ فقالت عليها السلام: «ما بلغ ابني أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وآله». (٤)

فقد علمت عليها السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لا يرغب في تجديد العقد، ويروم فتح

---

(١) السيرة النبويّة لابن هشام ٣: ٣٦٥ ، ٣٦٧ .

(٢) الكامل في التاريخ ٢ : ٢١٩. السيرة النبويّة لابن كثير ٣: ٣٥٣.

(٣) الكامل في التاريخ ٢ : ٢٢. السيرة النبويّة ٣: ٣٥٩. الصواعق المحرقة: ١٨٦.

(٤) السيرة النبويّة لابن هشام ٤: ٣٩. الكامل في التاريخ ٢: ٢٤١.

مكّة، بعد أن نقضت قريش عقد الصلح بتظاهرها على حلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله من خزاعة.

وفي متابعة أحداث الفتح، لمست فاطمة عليها السلام دور عليّ عليه السلام في تجاوز الأزمات، فحينما حمل سعد بن عبادة الراية قال:

اليوم يوم الملحمة *** اليوم تُستحلّ الحُرَمة

فلمّا وصل الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: «أدركه فخذ الراية منه، وكنت أنت الذي تدخل بها».[١]

وبعد فتح مكّة، أرسل صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد داعياً لا محارباً إلى بني جذيمة، ولكنّه خالف أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله وقاتلهم، فأرسل صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام لتدارك الموقف، فودّى لهم الدماء والأموال.[٢]

فقد أدركت عليها السلام دور عليّ عليه السلام في المهمّات الصعبة، وكان صلى الله عليه وآله يبعثه لينوب عنه.

وفي معركة هوازن هرب المسلمون، ولم يبقَ مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ أهل بيته، وكان النّصر حليف المسلمين بعد أن قتل عليّ عليه السلام فارس هوازن.[٣]

وكانت عليها السلام شاهدة على دور عليّ عليه السلام في انتصارات المسلمين في أغلب الوقائع والغزوات والمعارك.

المطلب السادس: مأساة التمردّ على أوامر الرسول صلى الله عليه وآله

وبعد أن تابعت فاطمة عليها السلام حادثة إبلاغ المسلمين بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام في حجة الوداع، كانت تتابع السيرة النبويّة وما يخطّط لها رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

(١)الكامل في التاريخ ٢: ٢٤٦.

(٢)الكامل في التاريخ ٢: ٢٥٦.

(٣)السيرة النبويّة لابن كثير ٣ : ٦١٩.

فحينما أراد صلى الله عليه وآله أن تبقى المدينة بمنأى عن الطامعين في الإمامة، أمر صلى الله عليه وآله المهاجرين والأنصار في التوجّه مع الجيش الذي كان بإمرة أسامة كما تقدم في البحوث السابقة، كما يقول عليّ عليه السلام: «... لتصفوَ قلوب من يبقى معي بحضرته، ولئلاّ يقول قائلٌ شيئاً ممّا أكرهه، ولا يدفعني دافع من الولاية والقيام بأمر رعيّته من بعده».[1]

فقد خالف الكثير هذا الأمر، وطعنوا بإمرة أُسامة[2]، ثمّ تخلّفوا عن الإلتحاق بجيشه، حتّى غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «جهّزوا جيش أُسامة؛ لعن الله من تخلّف عنه».[3]

كما تابعت ما جرى في مرض موته صلى الله عليه وآله من لغط واستهانة بالنبوة حينما أمر بدواة وقلم ليكتب الكتاب الذي لا يضلون بعده.

وفي خضّم هذه الأحداث، أدركت فاطمة عليها السلام عمق المؤامرة على إقصاء عليّ عليه السلام عن منصبه الذي نصّبه فيه الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فقد عصى كثير من الصحابة أوامره صلى الله عليه وآله حتّى اتّهموه بالهجر، وأدركت عليها السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قرن بين كتابة الكتاب وبين عدم الضلال، ليتّبعوا من ينصّبه لمقام الإمامة، وفهمت مغزى تخلّي رسول الله صلى الله عليه وآله عن الكتابة؛ لئلاّ تؤدّي تهمة الهجر إلى التشكيك في قضايا أساسية تمسّ العقيدة والشريعة في ما بعد.

المطلب السابع: فاطمة عليها السلام ورحيل أبيها إلى الملكوت الأعلى

بدأ الحزن ينتاب فاطمة عليها السلام بعد أن أحسّت بدنوّ أجل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد قال لها صلى الله عليه وآله: «إنّ جبريل عليه السلام كان يعارضني بالقرآن في كلّ عام مرّة، وأنّه

---

(١)الخصال ٢: ٣٧١ ، ٣٧٢ .

(٢)صحيح البخاري ٥: ١٧٩. الكامل في التاريخ ٢: ٣١٧.

(٣)الملل والنحل للشهرستاني ١: ٢٩. شرح نهج البلاغة ٦: ٥٢.

عارضني به العام مرّتين، ولا أراه إلاّ قد حضر أجلي، وأنّكِ أوّل أهل بيتي لحوقاً بي، ونعم السلفُ أنا لك،... ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء هذه الأُمّة؟» أو «سيّدة نساء المؤمنين؟».[١]

وكثرت الأحزان بعد مرضه ﷺ، وبعد مشاهدتها للأحداث الصاخبة التي خالف بها كثير من الصحابة أوامره.

وبقيت برفقة أبيها ﷺ طوال هذه الفترة، لتتزوّد من رؤيته المباركة، ومن وصاياه وإرشاداته.

وقال لها ﷺ يابنيّة، أمنّي عليّ، فأمَنّتْ عليه، فناجاها ساعة، ثم انكشفت وهي تبكي، ثمّ قال لها: أمنّي عليّ، فأمّنتْ عليه، فناجاها ساعة، ثمّ انكشفت عنه، فضحكت.[٢]

فقد قال لها ﷺ إنّي مقبوض في مرضي هذا، فبكت، وأخبرها أنّها أوّل أهله لحوقاً به، فضحكت، وكتمت ذلك، فلمّا توفّي ﷺ سألتها عائشة، فحدّثتها بما أسرَّ إليها.[٣]

وبرحيل رسول الله ﷺ فقدت فاطمة عليها السلام سندها الحقيقي، وانتابتها الأحزان، فما رُئيت ضاحكةً بعده.[٤]

(١)مسند أحمد ٧ : ٤٠١. تهذيب الكمال ٣٥: ٢٤٩.

(٢)المعجم الكبير ٢٢ : ٤١٦ .

(٣)سير أعلام النبلاء ٢: ١٢٠.

(٤)المعجم الكبير ٢٢: ٣٩٩.

خلاصة البحث

جعل رسول الله صلى الله عليه وآله منزل فاطمة عليها السلام بجنب منزله، لكي تكون قريبة من مصدر التلقّي والتوجيه، فتكون مستودع علم رسول الله صلى الله عليه وآله وأسراره، في جميع ما يتعلّق بحركة الرسالة وإدامتها، وقد ساهمت مساهمة فعّالة في نشرها.

وقد رافقت رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع أحواله ومواقفه ما عدا بعض الغزوات التي لا تستوجب حمل النساء معه.

إشتركت فاطمة عليها السلام في غزوتي أحد والخندق، فاطّلعت عليها السلام على أساسيات العلاقة بين القائد وجنوده، وأدركت دور زوجها الريادي في عهد أبيها صلى الله عليه وآله، وإعداده له لإمامة المستقبل، كما كانت حاضرة في ما جرى من المؤامرة على إقصاء عليّ عليه السلام عن منصبه الذي نصّبه فيه الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فقد عصى كثير من الصحابة أوامره صلى الله عليه وآله.

إختبارات البحث

١. ما أهمية قرب الزهراء عليها السلام من مصدر التلقّي عن السماء؟
٢. تكلم عن مشاركة الزهراء عليها السلام في غزوتي أحُد والخندق.
٣. تكلم عن تاريخ الزهراء عليها السلام في فتح خيبر.
٤. كيف كانت مشاركة الزهراء عليها السلام في فتح مكة؟
٥. عرف بمواقف الزهراء عليها السلام حين مأساة التمردّ على أوامر الرسول صلى الله عليه وآله.

البحث رقم (٥٠)

فاطمة عليها السلام بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله

أهداف البحث

١. بيان تاريخ فاطمة عليها السلام حين وقوع كارثة السقيفة.

٢. توضيح الموقف العمليّ فاطمة عليها السلام من إعادة الخلافة إلى عليّ عليه السلام.

٣. إدراك سبب مصادرة فدك من قبل السلطة الحاكمة، وموقف الزهراء عليها السلام من ذلك.

٤. تحليل حركة الزهراء ضدّ السلطة الغاشمة.

٥. إستيعاب المواقف المبدئية للزهراء عليها السلام خلال حياتها الطاهرة.

مقدمة البحث

أثر الإعداد الإلهي والنبوي وما مرت به فاطمة من أحداث في تربيتها، بحيث جعلها القدوة لجميع المسلمين، وهو ما انعكس على مواقفها المبدئية من بعض الأحداث المفصلية المهمة، وهو حدث اغتصاب الخلافة ودفع أمير المؤمنين عن محله الذي أحلته السماء.

المطلب الأول: فاطمة عليها السلام وكارثة السقيفة

إنشغل عليّ وفاطمة عليهما السلام وبنو هاشم ومعهم بعض الصحابة الأجلاّء بفاجعة رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وتجهيزه ودفن جسده الطاهر.

بينما تسارع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة إلى سقيفة بني ساعدة، وتنافسوا وتصارعوا مع الأنصار على الخلافة، رافعين شعار القرابة ووراثة السلطة، ومهدّدين كلّ معارض بالموت، كما يتجلّى ذلك بوضوح في النّص الذي اشتهر عن لسان منظِّر الحزب الفائز:

«من ذا ينازعنا سلطان محمّد وميراثه؟ ونحن أولياؤه وعشيرته، إلاّ مدل بباطل،

أو متجانف لإثم، أو متورّط في هلكة». [1]

وبهذا، تحقّقت أوّل مؤامرة على السلطة بعد وفاة رسول الله ﷺ ـ بعد أن فشل المنافقون في أكثر من موقف للتخلّص من سلطة الرسول ﷺ بالتآمر على قتله ـ وتحققت نبوءة الرسول ﷺ بتظافر القوم ضدّ عليّ لإبعاده عن مسرح القيادة التي نالها بالتّنصيب الإلهي ـ كما لاحظنا ذلك في يوم غدير خمّ وغيره.

وكان من الطبيعي أن يرفض عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيعة أبي بكر، كما كان من الطبيعي أن يرفضها كلّ من سمع بتنصيب الرسول لعليّ عليه السلام وآمن بهذا التّنصيب الإلهي.

ومن هنا، انطلقت الإحتجاجات الصارخة من قبل عليّ وفاطمة والصحابة المؤمنين بإمامته.

المطلب الثاني: الموقف العمليّ لفاطمة عليها السلام لتصحيح المسار

لقد وقفت فاطمة عليها السلام إلى جانب عليّ عليه السلام، لا بدافع العاطفة الزوجية؛ وإنّما الواجب الشرعي هو الذي كان يملي عليها هذا الموقف، بعد اطّلاعها على وصيّة رسول الله ﷺ في إمامة عليّ عليه السلام، وبعد ما مرت به من أحداث كثيرة متنوعة كما تقدم في البحوث السابقة.

وكانت عليها السلام تخرج مع عليّ عليه السلام إلى مجالس الأنصار وتسألهم النّصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر، ما عدلنا به، فيقول عليّ عليه السلام: «أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه، وأخرج أُنازع الناس سلطانه؟!».

وكانت فاطمة تقول: «ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا

---

(١) الإمامة والسياسة ١ : ٨. تاريخ الطبري ٣: ٢٢٠ .

ما الله حسيبهم وطالبهم».[١]

واستمرّت فاطمة عليها السلام برفقة عليّ عليه السلام تدعو الأنصار إلى نصرة زوجها، ولكن لم تجدْ معيناً على ذلك.

وكان خالد بن سعيد غائباً، فقدم، فأتى عليّاً عليه السلام فقال: «هلّم أُبايِعْك، فو الله، ما في الناس أحد أولى بمقام محمّد منك»، واجتمع جماعة إلى عليّ عليه السلام يدعونه إلى بيعته. فقال لهم: أغدوا على هذا محلّقين الرؤوس، فلم يغد عليه إلاّ ثلاثة نفر.[٢]

وبقي بيت فاطمة عليها السلام مقراً للموالين لعليّ عليه السلام، يخطّطون لإعادة الخلافة إليه، لكنّ الحزب الحاكم كان مصمّماً على ضرب المعارضة أنّى كانت، ومهما كلّف الأمر، ومن هنا، تجرأوا على اقتحام بيت الزهراء عليها السلام وعليّ عليه السلام، مهدّدين بالحرق، ومتحدّين ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله بكلّ قوّة، وأكرهوا عليّاً ومن معه على البيعة، وهدّدوهم بالقتل إن لم يبايعوا.

المطلب الثالث: مصادرة فدك وموقف الزهراء عليها السلام

قرّر الحزب الحاكم أن يصادر فدكاً؛ ليشلّ كلّ مصادر القوّة المادية التي قد يستفيد منها عليّ عليه السلام ضدّ السلطة لإحباط المؤامرة، ولهذا، سارع الخليفة إلى إصدار قرار بمصادرة فدك وسلبها من فاطمة عليها السلام، فلمّا بلغها ذلك، أرسلت من يطالب بحقّها من أبي بكر، ثمّ قرّرت أن تواجهه بنفسها، ولهذا، قدِمت ومعها بعض النساء، فدخلت على أبي بكر، فأنّت أنّةً أجهش لها القوم بالبكاء، فلما سكتوا، خطبت فيهم خطبة طويلة، قالت في آخرها: «فاتّقوا الله حقّ تقاته، وأطيعوه في ما أمركم به...، ونحن وسيلته في خلقه، ونحن خاصّته، ومحلّ قدسه، ونحن حجّته في غيبه، ونحن ورثة أنبيائه... .

---

(١)الإمامة والسياسة ١: ١٢. شرح نهج البلاغة ٦: ١٣.

(٢)تاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٦.

ثمّ أنتم تزعمون أن لا إرثَ لأبي... أبى الله أن ترث يا ابن أبي قحافة أباك، ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فريّاً! فدونكها مخطوطة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعمَ الحَكَمُ الله، والزّعيم محمّد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولكلّ نبأ مستقرّ،وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويحلّ عليه عذابٌ مقيم!».

ثمّ التفتت إلى قبر رسول الله ﷺ، فتمثّلت بقول هند بنت أثاثة:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة *** لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

أبدت رجال لنا نجوى صدورهم *** لمّا قضيت وحالت دونك الكتب

تجهّمتنا رجال واستُخفَّ بنا *** إذا غبت عنّا فنحن اليوم نُغتَصَبُ

ثم عدلت إلى جمع الأنصار فقالت: يا معشر البقيّة، وأعضاد الملّة، وحضنة الإسلام، ما هذه الفترة عن نصرتي، والونية عن معونتي، والغمزة في حقّي، والسِّنة عن ظُلامتي...؟!». [١]

وحينما احتجّ أبو بكر بحديث نسبه إلى رسول الله ﷺ: «إنّ الأنبياء لا يورّثون»، قالت عليها السلام: إنّ فدكاً وهبها لي رسول الله ﷺ، وشهد عليّ عليه السلام وأمّ أيمن بذلك، وشهد عمر وعبد الرحمن بن عوف بأنّ رسول الله ﷺ كان يقسّمها[٢]، فأخذ بقول عمر.

وقد طلبتها عليها السلام بالميراث تارة، وبالنِّحلة أُخرى، فدُفعت عنها. [٣]

وفي رواية أنها قالت لأبي بكر وعمر: «إنّي أُشهدُ اللهَ وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ ﷺ، لأشكونّكما إليه.

فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطكِ يا فاطمة، ثم انتحب يبكي... وهي تقول: «والله، لأدعونَّ الله عليك في كلّ صلاة أُصلّيها».(١٣). وهجرته

(١)شرح نهج البلاغة ١٦: ٢١٦.

(٢)شرح نهج البلاغة ١٦: ٢١٦.

(٣)شرح نهج البلاغة ١: ١٩٩.

فاطمة عليها السلام ولم تكلّمه حتّى ماتت.[١]

المطلب الرابع: تحليل حركة الزهراء ضدّ السلطة الحاكمة

لقد كانت الزهراء تلك الشجرة اليانعة في بيت النبوّة ومهبط الوحي وكانت تعيش المحنة مع الإمام عليّ عليه السلام، فكان يقلقها مصير الدعوة، ويؤلمها انحراف الأُمّة، وما كان يؤخّرها شيء عن الدفاع عن شجرة الإسلام الباسقة، وحقّ عليّ عليه السلام في الخلافة، فتحرّكت مع الإمام يحدوها الأمل في إيقاظ ضمير الأمّة، ويدفعها الحرص أن ترى رسالة الإسلام تمتدّ في آفاق الأرض متمثّلة لأوامره مطيعة له في أهل بيته.

وكان دور الزهراء عليها السلام دوراً مهمّاً وكبيراً، حيث تمثّل في مطالبتها أبا بكر بما انتزعه منها من أموال. حيث جعلت المطالبة وسيلة للمناقشة في مسألة الخلافة، وإفهام الناس بأن اللّحظة التي عدلوا فيها عن عليّ عليه السلام إلى أبي بكر كانت لحظة غير واعية، وبعيدة عن خطّ الرسالة الإسلامية، ومخالفة لكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله.

كانت حركة الزهراء عليها السلام مخططة ومدروسة قد أعدّها الإمام عليّ عليه السلام منسجمة مع الظروف السياسية المعقّدة؛ إذ رأى في حركة الزهراء عليها السلام فعّالية أكبر، وتأثيراً أشد.

فقد كان عليه السلام يريد أن يُسمع المسلمين صوته من دون أن يدخل ميدان المعترك السياسي مباشرة، منتظراً بذلك اللّحظة المناسبة والفرصة السانحة ليتّخذ فيها القرار المناسب، وهو في الوقت ذاته يُظهر للأمّة بطلان الخلافة القائمة وعدم شرعيّتها، وينذر الأمّة بخطورة الموقف. فعبّرت الزهراء عليها السلام عن فكرة الإمام خير تعبير، وأدّت دورها خير أداء.

لقد توفّرت للزهراء ناحيتان لم تتوفّرا للإمام عليه السلام فيما لو كان قد تحرّك بصورة مباشرة:

---

(١)تاريخ الطبري ٣: ٢٠٨. البداية والنهاية ٥: ٢٤٩.

الأولى: أنّ الزهراء عليها السلام كانت تستطيع أن تثير عواطف الجماهير، وتذكّرهم بأبيها صلى الله عليه وآله ومواقفهم معه صلى الله عليه وآله، ووصاياه لهم، لما لها من مكانة عند رسول الله صلى الله عليه وآله من جهة، ومن جهة أخرى، كانت صاحبة الحقّ المغتصب (فدك)، وهذه أوّل خطوة غير مشروعة في مسيرة الخلافة الجديدة.

الثانية: أنّ منازعة الزهراء عليها السلام للسلطة الحاكمة مهما بلغت من الشدّة، فلن تكتسب طابع الحرب المسلّحة ما دام المطالب إمرأة، وما دام الإمام عليّ عليه السلام ملتزماً بالهدنة ـ التي أعلنها ـ مع السلطة الحاكمة حتّى تتحرّك الجماهير وتجتمع عليه.

وبقي الإمام مراقباً للموقف ليتدخّل متى شاء، متزعّماً للثورة إذا بلغت حدّها الأعلى، أو مهدّئاً للفتنة إذا لم يتهيّأ له الظرف الذي يريده.

فالزهراء عليها السلام بحركتها هذه إمّا أن تحقّق انتقاضاً جماعياً على خلافة السقيفة، وإمّا أن لا تخرج عن دائرة الجدال والنزاع ولا تجرّ إلى فتنة وانشقاق.

فنهضت الزهراء عليها السلام للمعارضة ضمن خطوات متدرّجة كما يلي:

أوّلاً: قامت بإرسال رسول يطالب أبا بكر في مسألة الميراث ويطالب بحقوقها.

ثانياً: قرّرت مواجهتها بنفسها لأبي بكر في اجتماع خاصّ كان يضمّ عدداً من الصحابة، وشدّدت في طلبها بحقوقها من الخمس وفدك وغيرهما.

والخطوة الثالثة: خطابها في المسجد النبويّ، وقد خرجت ومعها نساء المهاجرين والأنصار يُحطن بها، وأوضحت في خطابها الذي سمعه جمهور المهاجرين والأنصار العديد من مظاهر عظمة الإمام عليّ عليه السلام ومؤهّلاته الشخصية ودوره في إقامة الدين وإشادة صرح الحكومة الإسلامية. وقالت من جملة ما قالت: «فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمّد صلى الله عليه وآله بعد اللّتيا والتي، وبعد أن مُني ببُهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب، كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن للشيطان، وفغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه) في لهواتها. فلا ينكفئ حتّى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه مكدوداً في ذات الله،

مجتهداً في سبيل الله، قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله سيّد أولياء الله، مشمّراً ناصحاً مجدّاً كادحاً، وأنتم في رفاهيّة من العيش وادعون فاكهون آمنون».[(١)]

ثمّ اتّهمت السلطة الحاكمة بالتآمر والإنحراف عن الدعوة الاسلامية وقدحهم نار الفتنة. وأنذرتهم بسوء عاقبة هذا الإنحراف. «تتربصون بنا الدوائر وتتوكّفون الأخبار»... ثمّ قالت:

فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل والرسول لمّا يقبر، أبِداراً زعمتم خوف الفتنة؟ ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنّم لمحيطةٌ بالكافرين.

أما لعمر الله لقد لقحت، فنظرةٌ ريثما تُحلب، ثمّ احتلبوها طلاع القعب دماً عبيطاً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ ما أسس الأوّلون، ثمّ طيبوا عن أنفسكم نفساً، وأبشروا بسيف صارم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيأكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرة عليكم».[(٢)]

الخطوة الرابعة: حديثها مع أبي بكر وعمر حينما زاراها بقصد الإعتذار منها، وإعلانها عن غضبها عليهما، وتسجيل غضب الله ورسوله عليهما.

الخطوة الخامسة: خطابها الذي ألقته على نساء المهاجرين والأنصار في أواخر أيّام حياتها.

الخطوة السادسة: وصيّتها أن لا يحضر تجهيزها ودفنها أحد ممّن آذاها من خصومها، وإبهام موضع قبرها كاحتجاج مستمرّ يمثِّل نقمتها الأبدية على الخلافة القائمة.

لم تتمكّن الزهراء عليها السلام في حركتها أن تطيح بالحكومة القائمة؛ لأنّ الخليفة كان يملك حنكة سياسية ولباقة واضحة وقدرة على استيعاب الظروف، وإن تطلّب الموقف لا مبالاةً أو تضييعاً لحقّ.

---

(١)راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦: ٢٥٠.

(٢)خطبة الزهراء في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، راجع: شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٣٤.

ومن جانب آخر، نجحت الزهراء في خطواتها لاسترداد حقّها، فقد أعطت لمسيرة تصحيح الإنحراف قوّة قاهرة وطاقة على الإستمرار في النضال، وذلك في محاورتها مع أبي بكر وعمر عند زيارتهما لها. حيث ثبّتت عليهما الموقف السلبي لهما من الله ورسوله. وهكذا سجّلت النجاح في حركتها كلّها، نجاحاً مؤكّداً في حساب العقيدة والدين.

المطلب الخامس: الرحيل إلى الرفيق الأعلى

لم يراع المتصدّون للحكم حقّ عليّ وحقّ فاطمة عليهما السلام، وخالفوا النصّ على الإمامة، وغصبوا فاطمة حقّها، وبدأ الإنحراف عن النّهج السليم واضحاً، وانتهى بالإعتداء عليها في دارها، واجتمعت عليها المصائب والآلام الجسدية والنفسية، فبدأت حياتها تقترب من الموت.

وفي أواخر حياتها، أوصت عليّاً عليه السلام ببعض الوصايا ومنها: أن لا يحضر جنازتها أبو بكر وعمر، وأن لا يصلّيا عليها.[١]

واختلف المؤرّخون في مدّة بقائها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقيل: أربعون يوماً، وقيل: خمسة وسبعون يوماً، وقيل: ثلاثة أشهر، وقيل خمسة أو ستّة أشهر، والثابت أو المشهور أنّها توفيت بعده صلى الله عليه وآله بثلاثة أشهر، في جمادي الآخرة سنة إحدى عشرة من الهجرة.[٢]

وتركت لنا ثروة علميّة، فقد روى عنها عليّ والحسنان عليهم السلام، وأُمّ رافع، وعائشة، وأُمّ سلمة، وأنس بن مالك[٣]، وعدد من التابعين، وأحفادها عليهم السلام.

وتركت لنا مقياساً في تشخيص الرجال وتشخيص الأحداث والمواقف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يومنا هذا.

---

(١)شرح نهج البلاغة ٦: ٥٠.

(٢)دلائل الإمامة: ٤٥.

(٣)شرح نهج البلاغة ١٠: ٢٦٥.

خلاصة البحث

إنطلقت الإحتجاجات الصارخة من قبل عليّ وفاطمة والصحابة المؤمنين بإمامته بعد فاجعة الإنقلاب على الأعقاب في السقيفة.

وكانت فاطمة عليها السلام تخرج مع عليّ عليه السلام إلى مجالس الأنصار وتسألهم النّصرة، ولكنها لم تجدْ معيناً على ذلك.

وبقي بيت فاطمة عليها السلام مقرّاً للموالين لكنّ الحزب الحاكم كان مصمّماً على ضرب المعارضة أنّى كانت، ومهما كلّف الأمر، ومن هنا، تجرأوا على اقتحام بيت الزهراء عليها السلام، وأكرهوا علياً ومن معه على البيعة، وهدّدوهم بالقتل إن لم يبايعوا.

قرّر الحزب الحاكم أن يصادر فدكاً؛ ليشلّ كلّ مصادر القوّة المادية التي قد يستفيد منها عليّ عليه السلام ضدّ السلطة لإحباط المؤامرة، فلمّا بلغ فاطمة عليها السلام ذلك، أرسلت من يطالب بحقّها من أبي بكر، ثمّ قرّرت أن تواجهه بنفسها.

كانت حركة الزهراء عليها السلام مخططة ومدروسة قد أعدّها الإمام عليّ عليه السلام منسجمة مع الظروف السياسية المعقّدة؛ إذ رأى في حركة الزهراء عليها السلام فعّالية أكبر، وتأثيراً أشد.

وقد تركت عليها السلام لنا ثروة علميّة، فقد روى عنها عليّ والحسنان عليهم السلام، وأُمّ رافع، وعائشة، وأُمّ سلمة، وأنس بن مالك، وعدد من التابعين، وأحفادها عليهم السلام.

إختبارات البحث

١. بين تاريخ فاطمة عليها السلام حين وقوع كارثة السقيفة.

٢. كيف كان الموقف العمليّ لفاطمة عليها السلام من إعادة الخلافة إلى عليّ عليه السلام؟

٣. ما هو السبب الكامن وراء مصادرة فدك من قبل السلطة الحاكمة؟

٤. كيف تصف حركة الزهراء ضدّ السلطة الغاشمة؟

٥. كيف توجه وصية الزهراء عليها السلام لعلي بأن لا يحضر جنازتها أبو بكر وعمر، وأن لا يصلّيا عليها؟

الفهرست

البحث رقم (٤)

جغرافية شبه الجزيرة العربية إبان البعثة النبوية الشريفة

البحث رقم (٥)

البعثة النبويّة المباركة فجر الرسالة الإسلامية

البحث رقم (٦)

البعثة النبوية من الدّعوة الخاصّة حتّى الإعلان العامّ

البحث رقم (٧)

مواجهة قريش الرسالة المحمدية الشريفة (١)

البحث رقم (٨)

مواجهة قريش الرسالة المحمدية الشريفة (٢)

البحث رقم (٩)

العهد المكّي والتمهيد لإقامة الدولة الإسلامية

البحث رقم (١٠)

المرحلة الأولى من العهد المدني: مرحلة تثبيت القواعد

البحث رقم (١١)

المرحلة الثانية من العهد المدني

مرحلة البناء والدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (١)

البحث رقم (١٢)

مرحلة البناء والدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (٢)

البحث رقم (١٣)

مرحلة البناء والدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (٣)

البحث رقم (١٤)

مرحلة البناء والدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (٤)

البحث رقم (١٥)

مرحلة البناء والدفاع عن كيان أول دولة إسلامية (٥)

البحث رقم (١٦)

المرحلة الثالثة من العهد المدني: مرحلة الفتح والإنتشار (١)

البحث رقم (١٧)

مرحلة الفتح والإنتشار (٢)

البحث رقم (١٨)

مرحلة الفتح والإنتشار (٣)

البحث رقم (١٩)

مرحلة الفتح والإنتشار (٤)

البحث رقم (٢٠)

مرحلة الفتح والإنتشار (٥)

البحث رقم (٢١)

حوادث السنة العاشرة من الهجرة

البحث رقم (٢٢)

الرسول القائد ومستقبل الرسالة والدولة الإسلامية

البحث رقم (٢٣)

بداية السنة الحادية عشرة

البحث رقم (٢٤)

الكتاب الذي لم يكتب (١)

البحث رقم (٢٥)

الكتاب الذي لم يكتب (٢)

البحث رقم (٢٦)

من معالم الرسالة الإسلامية الخاتمة

البحث رقم (٢٧)

من تراث خاتم المرسلين ﷺ (١)

البحث رقم (٢٨)

من تراث خاتم المرسلين ﷺ (٢)

البحث رقم (٢٩)

من تراث خاتم المرسلين ﷺ (٣)

البحث رقم (٣٠)

من فضائل خاتم النبيين ﷺ ومظاهر شخصيته (١)

البحث رقم (٣١)

من فضائل خاتم النبيين ﷺ ومظاهر شخصيته (٢)

البحث رقم (٣٢)

دولة سيد المرسلين ﷺ (١): التأسيس

البحث رقم (٣٣)

دولة سيد المرسلين ﷺ (٢): الملامح

الفصل الثاني: تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام

البحث رقم (٣٤)

تاريخ أمير المؤمنين علي عليه السلام

البحث رقم (٣٥)

قيادة الأمة الإسلامية بعد النبي ﷺ

البحث رقم (٣٦)

الإنقلاب على الشرعية: أحداث السقيفة المشؤومة

البحث رقم (٣٧)

أمير المؤمنين عليه السلام والخلفاء الثلاثة (١)

البحث رقم (٣٨)

أمير المؤمنين عليه السلام والخلفاء الثلاثة (٢)

البحث رقم (٣٩)

البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام، وإصلاحاته الجذرية

البحث رقم (٤٠)

حركات التمرد على الشرعية (١): الناكثون (١)

البحث رقم (٤١)

حركات التمرد على الشرعية (٢): الناكثون (٢)

البحث رقم (٤٢)

حركات التمرد على الشرعية (٣): القاسطون

البحث رقم (٤٣)

حركات التمرد على الشرعية (٤): المارقون

البحث رقم (٤٤)

أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: شهيد العقيدة والمحراب

الفصل الثالث: تاريخ فاطمة الزهراء عليها السلام

البحث رقم (٤٥)

تاريخ فاطمة الزهراء عليها السلام

البحث رقم (٤٦)

فاطمة عليها السلام: من الولادة إلى عام الأحزان

البحث رقم (٤٧)

فاطمة عليها السلام: من عام الأحزان إلى الإستقرار في المدينة

البحث رقم (٤٨)

فاطمة عليها السلام والحياة الزوجيّة

البحث رقم (٤٩)

فاطمة عليها السلام في العهد المدني

البحث رقم (٥٠)

فاطمة عليها السلام بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله